الأستاذ الدكتور

محمد صالح ربيع

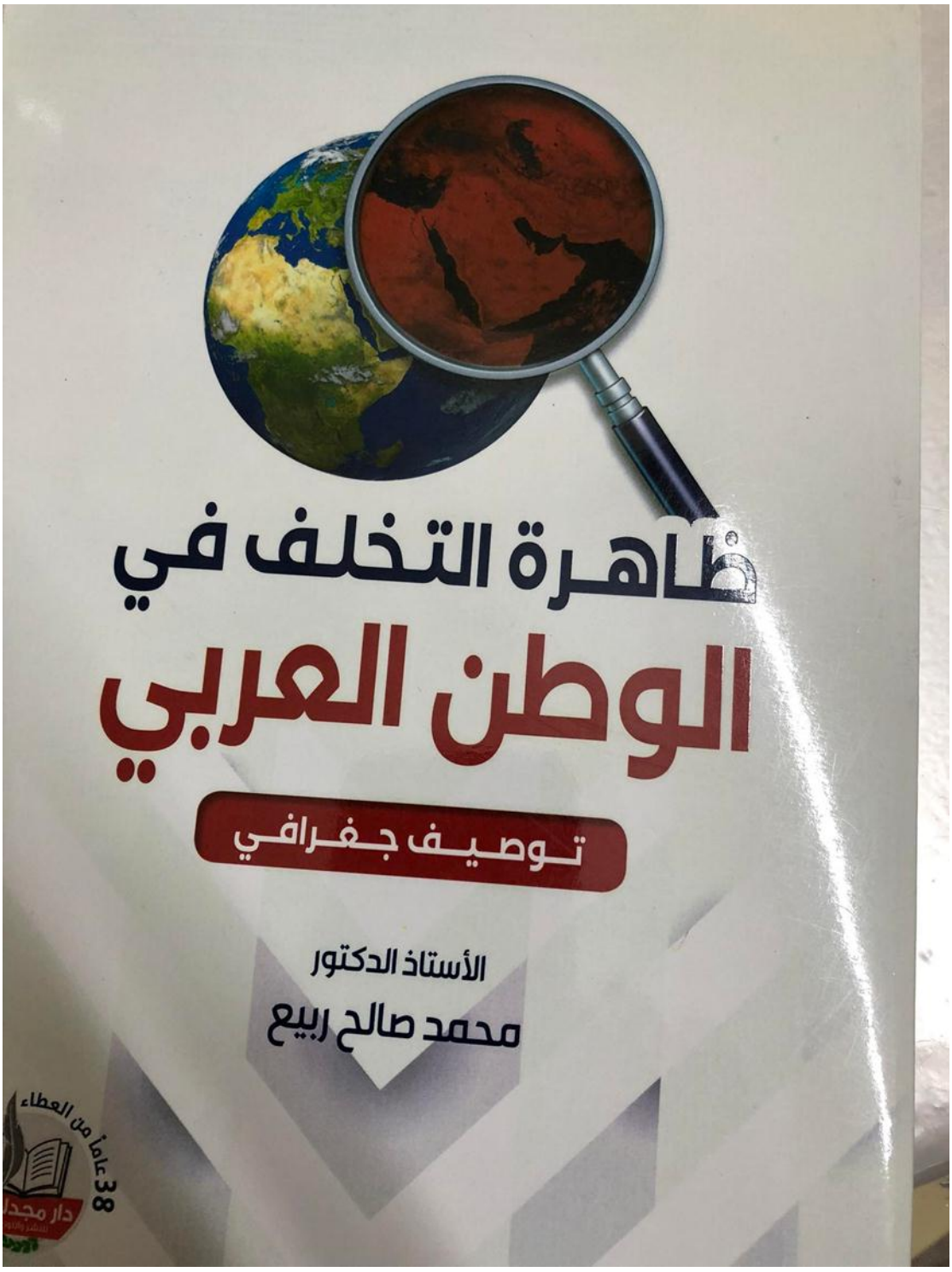

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أو
بطريقة الاسترجاع، أو نقله عن أي طريق، سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم
بالتصوير، أم بالتسجيل، أم بخلاف ذلك دون الحصول على إذن المؤلف والناشر الخطي
وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية.

الطبعة الأولى

2021/2020

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2019/10/5558)

2، 304

ربيع، محمد صالح

توصيف جغرافي لظاهرة التخلف في الوطن العربي/ محمد صالح ربيع -

عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2019

( ) ص.

ر.أ: (2019/10/5558)

الواصفات:/التخلف الاقتصادي// البلدان الأقل نمواً// الأنثروبولوجيا البيئية// الجغرافيا البشرية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978 –9957 – 02 – 702 – 5 (ردمك)

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشرة.
هذا الكتاب يحتوي على علامة مميزة لحقوق الملكية الفكرية.

Dar Majdalawi Pub.& Dis.
Telefax: 5349497 - 5349499
P.O.Box: 1758 Code 11941
Amman- Jordan

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس : ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص . ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الأردن

www.majdalawibooks.com
E -mail: customer@majdalawibooks.com

الإهداء

إلى حبيبة العمر ورفيقة الدرب
زوجتي العزيزة الغالية رحمها الله
حباً و وفاءً و رحمةً

كنا كزوجٍ حمامةٍ في ايكةٍ متمتعين بصحةٍ وشبابُ
دَخَل الزمان وفرقّ بيننا إن الزمانَ مفرَّق الاحباب
حبيبُ ليس يُعدُل حبيبُ وما لسواه في قلبي نصيبُ
حبيبُ غابَ عَن عيني وجسمي وعن قلبي حبيبي لا يغيبُ

المحتويات

العنوان **الصفحة**

الفصل الأول: مفاهيم ونظريات التخلف والتقدم

المبحث الأول: مفاهيم ونظريات التخلف

-مفهوم التخلف

-مفهوم البلدان المتخلفة

-تفسير التخلف

-النظريات الخاصة بالتنمية والتحديث

أولا- نظرية التحديث Theory of modernization

ثانيا- نظرية روستو Theory of Rostow

ثالثا- نظريتي إستراتيجيتي النمو المتوازن و غير المتوازن:

رابعا-نظرية المنظم لشمبيترSchmidt:

مفهوم التخلف الاقتصادي

أسباب التخلف الاقتصادي

المبحث الثاني : مفهوم ونظريات التقدم

أ- مفهوم التقدم كمصطلح

ب - نشأة وتطور فكرة التقدم

التقدم الاجتماعي Social progress

مفهوم التقدم والتطور الاقتصادي

الفرق بين التغيير والتطوير

الفرق بين البناء والتطوير

الفصل الثاني : خصوصية المجتمع العربي

أولا-التكوين المجتمعي

1-النظام الاجتماعي

2- القيم الاجتماعية

3-الثقافة المجتمعية Community Culture

4-التنشئة الاجتماعية Socialization

ثانيا – التكوين الاقتصادي Economic composition

1–مدخل عام

2–دور الدولة في السياسة الاقتصادية العربية

3–الدول العربية ونظرية التخلف

4–التكامل الاقتصادي العربي

ثالثا–التكوين الفكري والمعرفي

1–النظام المعرفي في الوطن العربي

2– عناصر التركيب المعرفي والتعليمي

3–إشكالية الفكر العربي

رابعا–التغيرات الثقافية للمجتمع العربي

خامسا: التغيرات الأخلاقية للمجتمع العربي

سادسا : سبل الحفاظ على القيم الأخلاقية للمجتمع العربي

الفصل الثالث: التخلف العلمي والمعرفي

المبحث الأول: الأمية

المبحث الثاني :الإنتاج المعرفي والعلمي

المبحث الثالث :واقع الدراسات العليا

الفصل الرابع : التخلف الاقتصادي

أولا–البطالة The unemployment

ثانيا–الديون Debts

ثالثا– الفقر Poverty

رابعا–دالة الرفاهية

خامسا–الإنتاج الزراعي في الوطن العربي

سادسا–الإنتاج الصناعي في الوطن العربي

الفصل الخامس: التخلف السياسي **204**

أولا– في التجزئة

ثانياً: في عدد السكان المقارن

ثالثا– الفساد السياسي في الوطن العربي

رابعا–الفشل في تنمية الموارد البشرية

خامسا – الفعل التنموي البشري

سادسا– معايير التنمية البشرية

سابعا – معوقات التنمية البشرية

ثامنا–النظام الإداري البيروقراطي العربي

تاسعا–الأداء الحكومي العربي إزاء التأمين الاجتماعي

عاشرا–العلاقة بين المجتمع المدني والدولة

حادي عشر–دور المنظمات غير الحكومية في بناء المجتمع المدني

اثنتي عشر–علاقة المجتمع المدني بالمجتمع السياسي – الدولة –

ثلاثة عشر –إعادة بناء المجتمع المدني

الفصل السادس :اِنحدار في القيم وهمجية في السلوك

أولا– مفاهيم عامة

1– القيم

2–الحداثة Modernity

3–الحِضارة والحَضارة

4– الهمجية barbarism

ثانياً– بعض سمات عصر الجاهلية الأولى

–من الناحية الدينية

–من الناحية التاريخية

–من الناحية الاجتماعية

– من الناحية الأدبية

ثالثاً– الحضارة الإسلامية والنهوض

رابعاً– بعض سمات جاهلية القرن 21

الفصل السابع: مقارنات واقعية

المبحث الأول : هكذا هو سلوكهم فارتَقوا

المبحث الثاني : حينما كنا امة راقية

المبحث الثالث: نماذج للتراجع

مقدمة:

نواجه اليوم تحديات كبيرة على كافة المستويات والصعد ولعل خطورتها تكمن في انها اضحت تلامس صميم حياتنا ومستقبلنا، وبالإمكان ان نشير هنا الى اثنين فقط من هذه

التحديات الا وهما العلم والاخلاق ، وهذا لا يعني اننا متقدمين بالاقتصاد والسياسة والاجتماع الا ان المصيبة هي اننا نحن من علمنا البشرية القراءة والكتابة ولأننا الى وقت قريب كنا نحتفظ بأخلاق اوصانا بها ديننا ونبينا ولكن اليوم تخلينا عنها ،والاخلاق هي اخر معقل ورثناه من اجدادنا ! اما اليوم اصبحنا مكشوفين للعالم بكل شيء.

ولم نقف عند هذا الحد، اذ حينما كان العالم مقسم الى ثلاثة مراتب من حيث السلم الحضاري وهي العالم المتقدم والعالم والنامي والعالم المتخلف نحن ابدعنا في هذا الجانب بعض الشيء بعد تفكير عميق فأضفنا مرتبة رابعة وتزعمناها بكل قوة وعنفوان الا وهي عالم (ما دون التخلف Without underdevelopment) وقصد به ان العالم المتخلف هو من لا حول له ولا قوة أي متوقف نهائيا عن النمو وفي كل شيء ولكن مع هذا بالإمكان ان يُعطى او يعثر على فرصة للنمو فيسير في الدرب لاحقا الاخرين ،اما ما دون التخلف يعني في حالة تراجع بمعنى دَخَلَ مرحلة الهدم Demolition وهي القضاء كليا على ما بناه اباءه واجداده من قبل، فالاقتصاد في حالة انحدار والتعليم في تراجع والقيم في حالة تآكل والوضع الاجتماعي متدهور وهناك اقتتال وتناحر وفوضى في كل شيء أي انبعاث جديد للمافيا يُقتل المرء في الشارع وحينما تسال الكل يقول ما في ؟ أي ما في شيء مسالة طبيعية وعادية !!

ثرواتنا اصبحت وبالا علينا لا بل لم تعد الثروات مصدر قوة للسكان ،فنيجريا اكبر بلد افريقي مُصدر للنفط والغاز ولكن تجد الفرد النيجيري مشحون بالأحقاد والذقائن ،فيما سنغافورة التي بكى رئيسها يوما ما لعدم توفر ماء للشرب فيها وتخلفها ،يتفوق اليوم بدخله على الفرد الياباني (لا أحرج العرب بهذا المثال).

في عصرنا الحالي الشعوب المتخلفة هي التي ما زالت تنظر لباطن الارض ما الذي ستخرجه لكي تعيش في الوقت الذي اصبح الانسان هو الاستثمار الناجح والاكثر ربحا. هل فكرت وانت تشتري تلفون جوال كم يحتاج صنعه من الثروات الطبيعية؟ ستجد لا يكلف

دولار واحد من الثروات الطبيعية ولكن نشتريه بمئات من الدولارات وتتجاوز قيمة هذا الهاتف عشرات براميل النفط والغاز والسبب لأنه يحتوي على ثروة فكرية تقنية من انتاج عقول بشرية .

هل تعلم ان انسان واحد هو بالكيدز مؤسس شركة ميكروسوفت يربح في الثانية الواحدة 226 دولار وهذا يفوق ما تمتلكه كل دول الخليج العربية. وهل تعلم ان اثرياء العالم لم يعودوا اصحاب حقول النفط والغاز والثروات الطبيعية انما اصحاب تطبيقات بسيطة على التلفون؟ هل تعلم ان ارباح شركة مثل سيمسونك في عام واحد327 مليار دولار نحتاج ل100 سنة لنجمع مثل هذا المبلغ من الناتج المحلي .

على العرب ان يعلموا ان ثرواتهم لم تضعهم في سلم المجد وفي غنى دون تنمية العقل، فلا ثروة مع عقلية الثروةّ ! هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية وفي اقل من 50 سنة تقدمت على العالم في التقنية وفي الاستثمار في البشر وبقى الاغبياء يسالونك عن مذهبك ودينك وفصيلتك التي تاؤيك .

عدم الاستثمار في البشر مع سبق الاصرار والترصد هي الجريمة الكبرى والخطيئة التي تستحق الرجم والتي من اجلها وجد الحكم العسكري والاستبدادي في بلداننا وفيها بقي ومن اجلها سنذهب قريبا الى مزبلة التاريخ والانسانية لان ها هم البشرية يسألون في وطننا العربي باي ذنب دُفنا !! وبالحقيقة باي ذنب ندفن انفسنا !! لان المواطن يتحمل المسؤولية الاكبر في الذي نحن فيه !! ومن اجل هذا بدانا في محاولة بسيطة لنكشف لأنفسنا اولا عن سبب تخلفنا والسراب الذي نسير خلفه وسبب تقدم الانسانية في كل شيء إلا نحنُ.

المؤلف 2018

توطئة:

لماذا نحن متخلفون؟

هذا السؤال بحاجة الى اكثر من مئة علامة استفهام ؟ لأنه قليل من العرب او المسلمين سأل نفسه مثل هذا السؤال، والحقيقة جوابه بسيط جدا وهو يتكون من شقين أما الاول ، لأنه لم نخصص لأنفسنا وقت سواء باليوم او الشهر او السنة او العمر نخصصه لكي نراجع به انفسنا من حيث السلوك او التصرف او الاعمال او الدين او الاخلاق او على الاقل نقارن انفسنا بالناس الذين سبقونا في مضمار الحضارة والتقدم ونضع انفسنا بالميزان مقارنة بهؤلاء وبالتالي لكي نحث الخطى للحاق بهم .

اما الشق الثاني من الجواب فان امور كثيرة في حياتنا خاطئة ونحن نعرف انها خطأ ومع ذلك نسير بموجبها ولم ولن نفكر في يوم ما بان نغيرها !! خشية من العيب رغم ان سيرنا عليها هو اكبر عيب ،وهذه الحالة لم توجد حتى في عصر ما قبل الاسلام لا بل في عصر ما قبل التاريخ!! لسبب بسيط جدا هو اننا لدينا العيب اكبر من الشرع الاسلامي وهنا تكمن المصيبة بمعنى ديننا تم تحويله بقصد ومن دون قصد الى عادة وليس عبادة للأسف!!

مثال بسيط جدا لو جاء ياباني وقال لنا بان دينه البوذي افضل من ديننا الاسلامي، ألا نقوم عليه بحماوة منقطعة النظير ونشبعه ضربا هذا ان لم نقتله ؟ الجواب نعم ،لكن الياباني لا يغش سواء بالامتحان او بالبيع ولا شراء او باي معاملة بينما نحن في كل سنة نزيد من عدد المراقبين بقاعات الامتحان ! والميزان في اغلب محلاتنا تم التلاعب بالمكيال ! وحينما تشتري سيارة لم تثق بصاحبها دون الاستعانة بذوي الخبرة وهكذا ،بينما ديننا يقول (من غشنا ليس منا) وعبارة ليس منا تعني ليس بمسلم لان النبي (ﷺ) قصدها ب نحن معاشر المسلمين ،إذن اذا قام الياباني ووضع هذه الحالات أمامنا ماذا نقول له؟ ننكر ذلك مثلا لكنه واقع حال ؟أم نصمت خجلا؟ أم ماذا؟

المصيبة الاكبر ان وضعنا الحالي سيبقى على حاله خلافا للقاعدة التي تقول(ثبات الحال محال) لأنه لا يوجد بصيص امل في الطريق اولا ولأننا نتمادى يوما بعد يوم بارتكاب الاخطاء التي تسيء لنا ولأجيالنا ولديننا ومقدساتنا ،فضلا من ان الامية والجهل يسيران معنا بشكل متلازم لا انفكاكه له وهذا مخيف جدا وخطر على مستقبلنا بمعنى نحن نسير عكس العالم الذين احتفلوا بالتخلص من الامية والتسرب من المدارس !! وان احتفالهم ليس بالتخلص من الامية الابجدية التي يقرأ ويكتب من عدمه إنما من الامية الحضارية !!لا بل قطعوا اشواطا في مضمار بناء الاجيال وتفننوا بذلك بحيث اصبح الطفل بالابتدائية يعرف كل قوانين المرور ويعرف جيدا عن اعمال القضاة ويشارك القضاة من خلال الحضور بالمرافعات وذهبت تركيا الى ابعد من ذلك بان خصصوا يوما كاملا لأطفال الابتدائية بممارسة حكم البلاد من خلال انتخابات تجرى لاختيار رئيس جمهورية وبرلمان ووزراء وفي ذلك اليوم فان رئيس الجمهورية الحقيقي يتخلى عن مكتبه ولا يوقع أي شيء بل يتركه للبراعم الجدد !!وبالتالي يصبح الاطفال عارفين بكل جوانب الحياة وحينما يكبروا يكونوا دقيقين وعارفين بالمنصب وكيفية احقاق الحق واجهاض الباطل .

فاين نحن من هذا ؟نحن نعيش مرحلة انهيار تام للقيم ولهذا الانهيار شواخص كثيرة لا يمكن حصرها منها كثرة الهرج والمرج وكثرة المنجمون والسحرة بدلا من الايمان بالقدر وسيطرة الجهلة على الامور بدلا من المتعلمين ورجحان كفة الحق على الباطل واحلال كفة الكفر على الايمان وتراجع شريعة الدين امام شريعة العشيرة وضعف القانون وشيوع ظاهرة الارتجال ومثل ذلك كثير .

الفصل الأول

مفاهيم ونظريات التخلف والتقدم

المبحث الأول: مفاهيم ونظريات التخلف

مفهوم التخلف The concept of underdevelopment

يعني التخلف كمشكلة حالة مرضية أو وضع غير مرغوب فيه ومطلوب حسمه وتصفيته ، ويسعى المجتمع للتخلص منه والانتقال إلى وضع آخر مرغوب ومستهدف هو التنمية ، والتخلف كظاهرة برز الاهتمام بها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كمحاولة مستمرة لتوصيفها وتحليل أسبابها العميقة.

والتخلف كمفهوم يعني عدم الاستفادة من القدرة الإنتاجية التي يتيحها استخدام الطرق الفنية والتكنولوجية الحديثة ، كما يعني ضعف الأداء الاقتصادي لهذه البلدان ، ويعني أيضا عدم قدرتها على ضمان الحد الأدنى من الرفاهية المادية لغالبية السكان .والدول المتخلفة هي تلك الدولة التي تعمل اقتصادياتها بشكل تخسر فيه باستمرار مدة طويلة من السنين فضلا عن الجهود الضائعة والإمكانيات المفقودة.

مفهوم البلدان المتخلفة

ولد هذا الاصطلاح داخل هيئات الدولية غداة الحرب العالمية الثانية للتعبير عن البلدان المتخلفة ، ونتيجة للانتقادات التي وجهت لهذا المصطلح تتابعت المسميات التي تصف حال البلدان التي تعاني من التخلف من بلدان متخلفة إلى بلدان اقل تقدما ثم إلى بلدان

نامية وقصد بها الدول الفقيرة ذات الإمكانيات المحدودة التي تعتمد عادة على الزراعة والرعي والحرف ،أو هي الدول التي تحاول أن تنتقل من حال ينخفض فيه دخل الفرد ويقل فيها حد الزيادة السنوية في الدخل القومي عن معدل الزيادة السكانية إلى حالة تحقيق زيادة سنوية في الدخل تزيد عن معدل الزيادة السكانية عن طريق تحديث وسائل وأساليب ومجالات الإنتاج المختلفة ومن خلال إحداث تغيرات على جوانب الحياة المختلفة.

تفسير التخلف

تعددت اتجاهات دراسة و تفسير مفاهيم التنمية و التخلف وفقا لاتجاهات المتخصصين و المفكرين و المهتمين بهذا المجال ، و بالتالي ظهرت اتجاهات متباينة تسعى نحو إيجاد نظرية في التنمية والتخلف، و لذلك توجد عدة اتجاهات أساسية يحاول كل منها معالجة هذا الواقع من وجهة نظره ، و سوف نشير لأهم هذه الاتجاهات فيما يأتي:

-الاتجاه الجغرافي

يتخذ هذا الاتجاه من الأوضاع الجغرافية و الموارد الطبيعية مرتكزا له باعتبارها عوامل أساسية في تحديد مدى تقدم المجتمع أو تخلفه ، ويسقط من حسبانه كافة العوامل الأخرى حيث يعتبر أنها عوامل ذات تأثير محدود لا تستحق الذكر في عملية التنمية.

و من أشهر النظريات التي تندرج تحت هذا الاتجاه نظرية الحتمية الجغرافية و التي يرى روادها أن كل البلاد المتخلفة تقع إما في المناطق شديدة الحرارة أو شديدة البرودة و أن الغالبية العظمى منها تقع في المنطقة المدارية في إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية و بالتحديد في نصف الكرة الجنوبي ، و تتسم كثير من البلدان التي تقع في النطاق المداري بالتخلف و بخاصة في المجالات الزراعية و الصحية و التعليمية مع معاناة بعضها من سوء التغذية و تفشي الأمراض و الأوبئة المختلفة ، بينما تقع معظم الدول المتقدمة في المناطق المعتدلة، و الحقيقة أن وقوع الدول النامية في المناطق المدارية أمر قد يساعد على تخلف هذه الدول نتيجة عوامل عديدة منها ارتفاع درجة الحرارة و الرطوبة مما يحد من نشاط الأفراد ومعدل إنتاجهم مع انتشار الأمراض المستوطنة في تلك المناطق المدارية ، ومما يؤثر على حالتهم الصحية و قدرتهم على تحمل مشاق العمل.

والحقيقة أن الأدلة و الشواهد لا تدعم الاتجاه الجغرافي في تفسير التنمية و التخلف فالعوامل الجغرافية و الموارد الطبيعية لا يمكن أن تكون وحدها سببا للتخلف و ذلك لما يأتي:

1- أن السوابق التاريخية تثبت وصول بعض المجتمعات القديمة التي عاشت في نفس المناطق المدارية و نفس ظروفها الطبيعية إلى درجة عالية من التقدم و المدنية كالقدماء المصريين و الفرس والعرب و الهند والصين. كما أن الدول الاسكندينافية اليوم تعد دولا متقدمة رغم أنها تعيش في مُناخ بارد.

2-استطاعت بعض المناطق ذات الخصائص الجغرافية غير المواتية أن تحقق معدلات عالية من التنمية ومواجهة التخلف اعتمادا على التقدم العلمي.

3- تعاني بعض الدول النامية في المناطق المعتدلة من التخلف مثل بعض دول حوض البحر المتوسط و أمريكا الجنوبية.

4- أن التقدم العلمي أصبح كفيلا بمواجهة مشكلات الزراعة المترتبة على عدم مناسبة الظروف المناخية الطبيعية و أصبح عاملا حاسما في التغلب على الأمراض و الأوبئة في تلك المناطق.

5-هناك دمار في الكوكب و تلوث بيئي قد يؤثر على كثير من الدول و غالبيتها ما يسمى بالدول المتقدمة (غير المتخلفة) و لذلك تتضح عدم أهمية الاتجاه الجغرافي في تحديد تقدم أو تخلف المجتمعات و إن كان يعد عاملا له تأثيره المهم.

-الاتجاه الاجتماعي

يعتمد هذا الاتجاه في تفسيره للتنمية و التخلف على العمليات الاجتماعية التي تحدث في الدول النامية فأينما وجدت النظم الاجتماعية التي تواجه التقدم و التغير يوجد التخلف و يحدد مؤيدوا هذا الاتجاه عدة عوامل تحد من التنمية و تؤدي إلى التخلف و من هذه العوامل ما يأتي:

1- العادات و التقاليد المرتبطة بنمط الإنفاق الاستهلاكي بدافع حب التفاخر و التظاهر و إنفاق المبالغ فيه في مجالات المناسبات الاجتماعية و الدينية.

2- العوامل الثقافية المرتبطة بتوجيه المدخرات في استثمارات غير منتجة كاكتناز الذهب و اقتناء الجواهر و تشييد المساكن الفاخرة و شراء الأراضي و الدخول في المضاربات التجارية.

3- عدم الاستغلال الأمثل لوقت الفراغ فيما يمكن أن يعود بالنفع على الشخص و المجتمع.

4- عدم الاستغلال الأمثل للقوى البشرية نتيجة عدم وجود خطة قومية دقيقة لتوزيع القوة المنتجة وفقا لاحتياجات التنمية في المجتمع مع تدني قيمة الأعمال اليدوية و المهن الفنية و ارتباطها بمفاهيم خاطئة تعتبرها مهنا دنيا غير لائقة فضلا عن عدم الاستعانة بذوي الخبرة و الكفاءة العلمية وعدم وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب.

5- العادات السلبية المرتبطة بمفاهيم سائدة مثل عزوف المرأة عن المشاركة في الإنتاج في كثير من القطاعات مما يزيد من أعباء المنتجين و يؤثر على القدرة الإنتاجية و على الدخل القومي في المجتمع.

6- بعض الأنماط الثقافية السلبية التي تسود في كثير من البلدان النامية مثل السلبية و اللامبالاة و الاستسلام للأمر الواقع و التمسك بالقديم و التباهي بالماضي و اليأس و المبالغة و التسيب و الفوضى. و يؤكد هذا الاتجاه على أهمية الهيكل السكاني في المجتمع و خصائصه المتنوعة كأحد العوامل المؤثرة في التنمية بالإضافة على مجموعة من المشكلات مثل البطالة و القيم و التقاليد السائدة في المجتمع.

-الاتجاه السياسي

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن التخلف في جوهرة هو نتيجة للاستعمار سواء في شكله القديم أو الحديث على حد سواء ، فأينما وجد الاستعمار فإن نتيجته تكون التخلف للبلاد التي وقعت تحت وطأته ، و من المؤسف أنه في ظل الاستعمار العسكري القديم ظلت الدول المستعمرة مرتبطة ارتباطا وثيقا سياسيا و اقتصاديا و عسكريا مباشرة بالدول التي استعمرتها ، إلا أنه بخروج المستعمر عسكريا استبدل شكله العسكري إلى شكل آخر من السيطرة الاستعمارية في المجال الاقتصادي والسياسي و الثقافي ، و هو ما يعرف بالتبعية المباشرة للدول المستعمرة.

- اتجاه نظرية التبعية و التخلف

و تعتبر من أحدث النظريات ، و روادها هم من علماء الاجتماع في أمريكا اللاتينية ، و هذه النظرية ترى أن تخلف مجتمعات الدول النامية شرط ضروري و لازم لتصور النظام

الرأسمالي ، إذ أن تبعية هذه البلدان أمرا ضروريا لتقدم الدول الرأسمالية ، و الدول التابعة لها لا بد و أن تتبنى خصال التبعية بحيث تعكس تلك الخصال في البنية السفلى و البنية العليا لها ، و من ثم فإن الظواهر الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية للدول المتبوعة تنسحب على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية لأكثر المجتمعات النامية بسبب علاقة التبعية التي تربط دولها بالدول المتقدمة صناعيا. [1] و يمكن القول بأن العلاقة بين التخلف والتبعية هي علاقة تتسم بالجدلية فإذا كان التخلف يعود إلى التبعية فإن التبعية تزيد من التخلف ، كما أن العملية الإنتاجية في الدول النامية لها محددات معينة تتحكم في جوانبها ، فهي أولا تتوقف على ما تقدمه الدول الصناعية للدول النامية من تكنولوجيا و آلات و خبرات بل و ربما رؤوس أموال، و ثانيا إن الدول المسيطرة غالبا ما تحجب عن النامية جوانب من أسرار العملية التبعية للإنتاج ، فضلا من أن معظم العمليات التنموية في الدول النامية تسيطر عليها الدول الصناعية ، كما أن اقتصاديات الدول النامية لا تقوم على خدمة المصالح القومية المحلية في الأساس الأول ، بل تعمل لخدمة مصالح القوى المسيطرة أساسا.

هذا وقد وضعت الدول المسيطرة إستراتيجية لتأكيد هذه التبعية و تحقيق أكثر الفوائد منها ، و تتضح أهم ملامح هذه الإستراتيجية في الآتي:

1-التعاون بين المعسكر الغربي و الشرقي تحقيقا للتغلغل الاقتصادي بصوره المختلفة ، و من أجل فتح أسواق لتصريف سلع الإنتاج مثل التعاون بين الدول الأوربية و مجموعة من الدول في المجالات التجارية و الثقافية و التكنولوجية كذلك التعاون بين الولايات المتحدة و الصين.

2-تحويل المكاسب التي حققتها دول الأوبك من جراء رفع أسعار البترول إلى مكاسب في صالح الدول الأوربية لعدم قدرة الدول النامية على استيعاب فوائدها.

3-خلق توتر في مختلف أنحاء العالم و التوسع في سباق التسلح و السيطرة مع التلويح بخطر الحرب و التدخل في النزاعات الدولية .

4- عقد الاتفاقيات التي تؤكد على حماية مصالح و أنشطة الشركات الاستثمارية التابعة لها .

5- مداومة العمل على فتح أسواق جديدة لامتصاص العائد السلعي و الصناعات الاستهلاكية.

6-التغلغل الثقافي و الفكري بين أوساط المجتمعات النامية لتحقيق السيطرة المطلوبة ، و بث القيم المرتبطة بها من خلال استغلال أجهزة الحكم ووسائل الضبط الاجتماعي و وسائل الإعلام .

7-ربط الدول المتخلفة بأساليب أكثر تطورا بهدف استمرار السيطرة الاقتصادية و الثقافية و السياسية و بهدف تصدير أي أزمات داخلية تعاني منها تلك الدول المسيطرة إلى الدول المتخلفة[2].

-الاتجاه الاقتصادي

يرتبط هذا الاتجاه بين التخلف وانخفاض معدل الدخل للفرد فدرجة تخلف المجتمع تتوقف على مستوى معدل الدخل الفردي لأبناء ذلك المجتمع،هذا وبالرغم من اتجاه الحكومات إلى تحقيق معدلات سريعة للنمو بالبلاد المتخلفة والى زيادة متوسط الدخل الفردي ، فان هناك تفاوتا يزداد بصفة شبه مستمرة بين الدخل الفردي في البلدان المتقدمة والنامية ، فمعدل الزيادة في الدخل القومي في البلاد المتقدمة اكبر من معدل زيادة السكان ، وذلك بالقياس إلى أقطار العالم النامي التي غالبا ما تحد فيها معدلات الزيادة السكانية المرتفعة من فرص تحسين الدخل الفردي.

و الحقيقة أن متوسط دخل الفرد بالنسبة للناتج القومي لا يمكن أن يكون بمفرده مقياسا لتحديد درجة النمو أو التخلف الاقتصادي ، و بالتالي لا يعتبر وحده معيارا للتمييز بين الدول التقدمة اقتصاديا و الدول النامية و لذلك فإن هذا الاتجاه تشوبه الكثير من أوجه القصور للأسباب الآتية:

1-يغفل هذا الاتجاه التمييز بين بلدان العالم من حيث مستويات الأسعار و الظروف الاقتصادية و الاجتماعية العامة في كل بلد على حدة و كذلك الدخول غير المنظورة، و لذلك فإن معدل الدخل الفردي و حتى معدل الدخل القومي لا يصلحان للحكم على التخلف .

2-لا يأخذ هذا الاتجاه في اعتباره التباين في مستويات الأسعار بين الدول المتخلفة فتكاليف المعيشة على سبيل المثال في الدول النامية أقل منها بكثير في الدول المتقدمة .

3- يختلف مفهوم الدخل القومي و طريقة تقديره من دولة لأخرى .

4- لا يأخذ في اعتباره الاستهلاك الذاتي و لا المردود الاقتصادي للخدمات المختلفة و لا نوعية السلع و الخدمات اللازمة لإشباع حاجات السكان من دولة لأخرى باختلاف الظروف الجوية و العوامل المناخية .

5-أن متوسط دخل الفرد يخفي وراءه حقيقة مهمة ألا و هي العدالة في توزيع الدخل القومي بين أفراد المجتمع ، فقد يكون متوسط دخل الفرد مرتفعا و لكن قد يكون هناك في نفس الوقت تفاوتا كبيرا في توزيع الدخل بين أفراد المجتمع مما يؤدي إلى تركز الدخول في أيدي طبقة صغيرة بينما يعيش معظم أفراد الشعب في فقر مدقع.[3]

-الاتجاه المحافظ و الراديكالي

ينظر العلماء إلى العملية التنموية من خلال اتجاهين رئيسين في النظرية السوسيولوجية عامة ، و هما الاتجاه المحافظ بكافة أشكاله و مداخله و الاتجاه الراديكالي بكل أشكاله و مداخله و أهدافه، و استنادا لهذه الثنائية النظرية يفسر ممثلو الاتجاه المحافظ بكل امتداداته مظاهر التقدم و النمو و التخلف على أساس مقولات فكرية، قيمية، سيكولوجية، و بيولوجية و ما شابه ذلك ، مركزين على قضايا النظام و التساند و التناغم و التوازن داخل النسق من خلال حتمية الالتزام بالبناء القيمي و الأخلاقي القائم في المجتمعات الرأسمالية و يرجعون مظاهر الفوضى و التوتر و الصراع و التخلف المختصة بالدول النامية إلى ضعف الصفوة المسيرة و عدم قدرتها على الضبط و التنظيم .

أما أنصار الاتجاه الراديكالي فيعللون قضايا التخلف و التقدم و النمو على أساس متغيرات علاقات و قوى الإنتاج و علاقات السيطرة و الصراع الطبقي في سياقات تاريخية متميزة. والراديكالية هي فلسفة سياسية تؤكد الحاجة للبحث عن مظاهر الجور والظلم في المجتمع واجتثاثها. ومصدر كلمة الراديكالية، Radix، وتعني الجذر أو الأصل. فالراديكاليون يبحثون عما يعتبرونه جذور الأخطاء الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع ويطالبون بالتغييرات الفورية لإزالتها.

النظريات الخاصة بالتنمية والتحديث

تأسيسا على ما سبق نجد اليوم مدرستين بارزتين و متميزتين في مجال التنمية : المدرسة الأولى و تسمى بنظرية التحديث و هي التي تقدم عرضا للأوجه العامة لعملية التنمية

باعتمادها أساسا على تحليلات دوركايم Dorkaim و ماكس فيبر Max Weber ، أما المدرسة الثانية فهي التي تعرف باسم نظرية التبعية أو نظرية التخلف ـ سبق الحديث عنها ضمن الاتجاه السياسي [4] .

أولا– نظرية التحديث Theory of modernization

اعتمد المهتمون و المختصون بالتنمية و بخاصة نظرية التحديث في صياغة نظرياتهم على مساهمات علماء الاجتماع الكلاسيكيين التي ميزت بين التقليد و الحداثة و ذلك من خلال التركيز على أن التحول من العلاقات الاقتصادية البسيطة و المحدودة للمجتمع التقليدي (البدائي) إلى المؤسسات الاقتصادية التجديدية و المعقدة للمجتمع الحديث ، يعتمد أساسا على تغيير مسبق في قيم و مواقف و أعراف الناس.

ومن أهم سمات نظرية التحديث أنها حاولت قياس درجة التحديث و بالتالي وضع أمم العالم على متصل الحداثة المتدرج و الذي يبدأ بالمجتمعات الأكثر تقليدية و ينتهي بالمجتمع الأكثر حداثة و تقدما ، ففي شكلها الأكثر بساطة نلاحظ أن نظرية التحديث تميل إلى وضع كل المجتمعات على متصل متدرج ، يمثل كل مجتمع منها نقطة متميزة على طول هذا المتصل و مع مرور الوقت و إزاحة المعوقات الثقافية التقليدية يصبح المجتمع البدائي يوما ما مجتمعا متحضرا أو متطورا.

فالتحديث يعني استبدال القيم التقليدية بقيم حديثة و يكاد يتفق الدارسون في هذا المجال على أن المجتمع التقليدي يتميز بسمات أساسية ثلاث و هي:

1–سيادة التنمية التقليدية .

2–سيادة نظام القرابة.

3–سيادة النظرة العاطفية الخرافية القدرية للعالم.

و على النقيض من ذلك يتميز المجتمع الحديث بما يأتي:

1– عدم المعاناة من التقليدية حتى إن وجدت.

2– سيادة الحراك الاجتماعي و الجغرافي و ذلك مقابل خفوت روابط القرابة.

3–سيادة النظرة العقلانية العلمية في كل مجالات العمل و الحياة.

واهتم سملسر Smslser بالتحولات الاجتماعية التي تصاحب عملية التنمية الاقتصادية و التي يرى أنه يمكن أن يتم تجسيدها في الواقع انطلاقا من:

1- تحديث التكنولوجيا: حيث يتم التغيير في التقنيات التقليدية بتطبيق المعرفة العلمية.

2 -تتجير الزراعة: حيث يتم الانتقال من إنتاج القوت اليومي إلى الزراعة التجارية و ما يصاحب ذلك من تخصص في الإنتاج الموجه نحو السوق الخارجي و تطور عملية العمل المؤجر في الزراعة.

3- التصنيع: حيث يتم الانتقال من استخدام القوة البشرية و الحيوانية إلى قوة الآلة.

4- التحضر: و هي كل تلك التغيرات الايكولوجية بمعنى الانتقال من حياة القرية البسيطة إلى زيادة نمو المراكز الحضرية الكبيرة و تعقد الحياة و ما يصاحب ذلك من تخصص و تقسيم للعمل [5] .

وإذا كان هناك من كتب في النظريات حسب الاتجاهات التي سادت وعملت على تفسير عمليتي التنمية و التخلف ، فإن هناك من نظر لهذه النظريات من حيث تاريخها و هل كانت ما قبل الحرب العالمية الثانية أو ما بعدها . وقد انقسمت نظريات التنمية في هذه الحقبة إلى اتجاهين:

اتجاه يحلل أسباب فشل الدول النامية في تحقيق التنمية والتقدم (المشاكل والمعوقات).

واتجاه ثاني يركز ويبحث عن العوامل الأساسية للنمو والتنمية.

ثانيا- نظرية روستو Theory of Rostow

و تأتي نظرية Rostow كأشهر النظريات التاريخية المختصة بالنمو و التي جاءت فيما بعد الحرب العالمية الثانية . إذ قدمت من طرف الاقتصادي "والت ويتمان روستو W. Rosto " سنة 1960 والتي لقيت صدى كبير ،هذه النظرية عبارة عن مجموعة من المراحل الاقتصادية المستنبطة من المسيرة التنموية للدول المتقدمة. حيث حاول في هذه النظرية أن يضع الخطوات التي يجب على الدول النامية أن تسير عليها للوصول إلى التقدم. لخص هذه الخطوات في خمس مراحل:

- مرحلة المجتمع التقليدي.
- مرحلة التهيؤ للانطلاق.
- مرحلة الانطلاق.
- مرحلة النضج.
- مرحلة الاستهلاك الوفير.

و يمكن تقديمها بإيجاز على النحو الآتي:

-مرحلة المجتمع التقليدي

تكـــــون الدولـــــة فـــــي هـــــذه المرحلـــــة شـــــديدة التخلـــــف.

سماتها نفس سمات العصر التاريخي الأول – أي ما قبل التاريخ- من مظاهرها:

سيادة الطابع الزراعي التقليدي والصيد ذو الاكتفاء الذاتي.

تمسك المجتمع بالتقاليد والخرافات.

تفشي الإقطاع.

انخفاض الإنتاجية.

• ضـــــآلة متوســـــط نصـــــيب الفـــــرد مـــــن النـــــاتج القـــــومي.

وقـــد ضـــرب روســـتو مـــثلاً لـــدول اجتـــازت هـــذه المرحلـــة منهـــا:

•الصين ودول الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط وبعض دول أوروبا وذلك كله في القـــرون الوســـطى. وهـــذه المرحلـــة تكـــون عـــادة طويلـــة نســـبياً، وبطيئـــة الحركـــة. كما أن هناك بعض المناطق في العالم في العصر الحالي مازالت تعيش هذه المرحلة مثل بعض مجتمعات جنوب الصحراء الإفريقية، مناطق أدغال أمريكا اللاتينية.

-مرحلة التهيؤ للانطلاق

وهي المرحلة الثانية من مراحل النمو عند "روستو."

من مظاهرها حدوث تغيرات على المستويين الاقتصادي وغير الاقتصادي

فعلى المستوى غير الاقتصادي نجد:

•بروز نخبة تدعو إلى التغيير وتؤمن به (قد تكون نخب ثورية أو وطنية أو استعمارية)

•بروز ظاهرة القومية كقوة دافعة في هذه المرحلة (و قد انتشر هذا المفهوم بداية في أوروبا ثم انتشر في بدايات القرن العشرين في إفريقيا و آسيا و قد اتسع نشاطها مع ظهور الكيان الصهيوني سنة 1948 ، و لكن مع مرور الزمن بدأت تنحسر هذه الدعوات للقومية و إن لم تختفي تماما من المجتمعات العربية ، لا سيما إن كان مدلولها استعادة الهوية الحضارية الأصلية بعيدا عن الدلالات السياسية.

أما على المستوى الاقتصادي فنجد:

•زيادة معدل التكوين الرأسمالي (بروز نخبة ترغب في تعبئة الادخار وتقوم بالاستثمار.)
•بداية تخصص العمال في أنشطة معينة.
•بداية ظهور القطاع الصناعي إلى جانب القطاع الزراعي.
•ظهور الاستثمارات الاجتماعية (بناء الطرقات، المواصلات)... لكن مع ذلك كله يبقى نصيب الدخل الفردي منخفضا وضرب روستو مثلاً لدول اجتازت تلك المرحلة:
ألمانيا، اليابان، روسيا، وذلك مع بداية القرنين الماضيين.

-مرحلة الانطلاق

وهي المرحلة الثانية والحاسمة في عملية النمو.
وفيها تصنف الدولة على أنها ناهضة أو سائرة في طريق النمو.
حيث تسعى فيها الدول جاهدة للقضاء على تخلفها.
من مظاهرها:
* إحداث ثورة في أساليب الإنتاج والتوزيع، إنشاء الصناعات الثقيلة.
* والنهوض بالزراعة والتجارة ووسائط النقل.
* ارتفاع معدل الاستثمار الصافي من 5 % أو أقل إلى أكثر من 10.%
*بروز صناعات جديدة تنمو بمعدلات مرتفعة.
* بروز إطارات سياسية واجتماعية مواتية إلى حد كبير ودافعة للنمو المطرد ذاتياً.
*تراوح الدخل -حسب روستو- بين 150 و200 دولار سنوياً في ذلك الوقت.
رغم أنها تنطوي على حدوث تقدم ملموس إلا أن المجتمع يبقى متمسكاً بالأساليب الإنتاجية التقليدية.
وضرب روستو مثلاً بدول اجتازت هذه المرحلة:
روسيا بين 1890 و 1914.
اليابان بين 1878 و 1900.
كما يرى روستو أن هذه المرحلة مرحلة قصيرة نسبياً، حيث تتراوح مدتها بين 20 و30 سنة.

-مرحلة النضج

وفي هذه المرحلة تعتبر الدولة متقدمة اقتصادياً.

من مظاهرها:

*استكمال نمو جميع القطاعات الاقتصادية (الزراعة، الصناعة، التجارة، الخدمات)بشكل متوازي.

*انتشار وتطور التكنولوجيا على شكل واسع.

*ارتفاع مستوى الإنتاج المادي.

*ازدهار التجارة الخارجية وزيادة الصادرات.

*تقدم المجتمع ونضوجه فكرياً وفنياً.

مرحلة الاستهلاك الوفير

وهي آخر مراحل النمو كما تصورها روستو.

تكون الدولة فيها قد بلغت شوطاً كبير في التقدم.

من مظاهرها:

*يعيش سكانها في سعة من العيش.

* الدخول الفردية مرتفعة جداً.

* لا تشكل في ظلها الضروريات –الغذاء، السكن، الكساء...– الأهداف الرئيسة للفرد.

•زيادة الخيارات الاستهلاكية للفرد.

•زيادة الإنتاج الفكري والأدبي والعلمي للمجتمع.

•يميل أفرادها إلى حب المغامرة[6] .

ثالثا– نظريتي إستراتيجيتي النمو المتوازن و غير المتوازن:

وتأتي نظريتي إستراتيجية النمو المتوازن و غير المتوازن كإحدى النظريات التي طرحت ما بعد الحرب العالمية الثانية وتقول هذه النظرية إن التنمية تحتاج في مرحلة تصحيح الاختلال إلى تحقيق التوازن في توزيع الاستثمارات بين مختلف القطاعات حتى يكون نموها متوازناً بحيث لا تتم تنمية قطاع أو قطاعات بذاتها على حساب قطاع أو قطاعات أخرى فيؤدي ذلك إلى نمو قطاعات بمعدلات تفوق معدلات نمو القطاعات الأخرى مما يؤدي إلى عرقلة النمو العام للاقتصاد كله، ويضربون مثلاً بالدول التي اهتمت بالصناعة وأهملت

الزراعة فأضر ذلك إضراراً بليغاً بالتنمية. ويقول أصحاب إستراتيجية النمو المتوازن إن البلاد المتخلفة تحتاج إلى مشروعات متنوعة في قطاعات عديدة:

1-لأنها تفتقر في المقام الأول إلى الوفورات الخارجية والتي تنتج عن تسهيلات رأس المال الاجتماعي كالطرق ووسائط النقل ومحطات القوى والموانئ...الخ. وعرض مثل هذه المشروعات غير قابل للتجزئة، بمعنى أنها تحتاج إلى حد أدنى من الاستثمارات إذ لا يمكن تشييد نصف جسر أو محطة قوى أو إعداد ميناء أقل من الحجم الاقتصادي المطلوب، يضاف إلى ذلك أن هذه المشروعات ترتبط بعضها ببعض.

2- كما أن البلاد المتخلفة تكون في حاجة ماسة إلى الاستثمار في عدد كبير من الصناعات لأن وجود صناعة واحدة لا يحل مشكلة الطلب فإنشاء مصنع لتعليب الأغذية أو صنع الملابس الجاهزة يتطلب توفير طلب لهذه المنتجات ولا يتحقق ذلك إلا بإنشاء العديد من الصناعات وزيادة عدد أصحاب الدخول من العمال الذين يوفرون الطلب اللازم لمنتجات مصنعي الملابس الجاهزة والمعلبات.

3- كما أن تنويع مصادر الإنتاج والدخل يؤدي إلى زيادة الإدخال القومي الذي هو المعين الأول للاستثمار في مختلف المجالات. ويمكن القول باختصار أن إستراتيجية النمو المتوازن ترمي إلى الاستفادة من توسيع حجم السوق بصفة عامة بتعدد مجالات الإنتاج والاستثمار وتحقيق هذا الهدف يحتاج في المقام الأول إلى الدفعة القوية التي سبق الكلام عنها لأنه لا يمكن للدول المتخلفة انتهاج هذا الأسلوب إلا إذا توفرت لها الموارد الكافية لتحقيقه.

أما إستراتيجية النمو غير المتوازن فقد واجهت انتقادات شديدة من كثير من الاقتصاديين، لأن النمو المتوازن بما يتطلبه من إنفاق استثماري كبير يكون في غالب الأحوال فوق طاقة الدول المتخلفة، ومن ثم يكون لا مناص أمام هذه الدول من أن تعطي اهتماماً أكبر لبعض القطاعات دون بعضها الآخر على أساس الموارد المتاحة للاستثمار، لأن الكثير من هذه الدول لا تبدأ عملية التنمية من فراغ فقد يتوفر لها بعض مرافق رأس المال الاجتماعي بالإضافة إلى القطاع الزراعي الذي قد يكون عريقاً في القدم ويتولى بالفعل مهمة إعالة الجانب الأكبر من قوة العمل والسكان، ومن ثم يرى القائلون بالنمو غير المتوازن وجوب الاهتمام بالصناعة وتكريس قدر أكبر من الاستثمار لها لتصحيح الاختلال في الهيكل الإنتاجي الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بغير ذلك لامتصاص البطالة المقنعة من القطاع

الزراعي وزيادة نصيب الصناعة من الناتج المحلي والدخل القومي. ويرى فريق من الكتاب أنه ليس من الضروري أن يكون الاقتصاد في حالة توازن أثناء عملية التنمية، إذ أن حالة التوازن هذه لا توجد إلا قبل بدء عملية التنمية أي في مجتمع ساكن وأن أفضل وسيلة لتحقيق النمو هو خلق اختلال متعمد طبقاً لإستراتيجية مرسومة بحيث تتم عملية التنمية في شكل تتابعي يبعد عن التوازن بحيث يستفيد كل مشروع مما سبقه من مشروعات ليفيد ما سيليه من مشروعات على أساس الموارد المتاحة للاستثمار [7].

ومنذ بدايات الثمانينيات وحتى اليوم عاد الحديث مرة أخرى عن أفكار الاقتصاديين التقليديين (آدم سميث ومدرسته)، بوصفة جديدة ليسهل ابتلاعها وظهرت مصطلحات مثل "التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي" الذي يعني انسحاب الدولة التام لصالح القطاع الخاص، وتبني تلك المقولات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي كما لو كانت مطلقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.
ودفع هذا مجموعة من الاقتصاديين من دول متقدمة ونامية إلى طرح بديل في 2004 هو "توافق آراء برشلونة" الذي وضع أجندة إصلاح جديدة تركز على النمو والتنمية، لا تمثل نموذجا وحيدا للتنمية، بل تعترف بالاختلافات بين أوضاع الدول النامية. وتضم العناصر الآتية:

1- التوازن بين السوق والدولة والاهتمام بتحسين البيئة المؤسسية وسيادة القانون وحماية الملكية.

2- انتهاج سياسات مالية ونقدية واستدانة حريصة، لا تلتزم بتوازن مستمر في الموازنة العامة بل بإتباع سياسة مصححة للدورة، مع اعتبار الإنفاق على البنية الأساسية الإنتاجية والبحث والتطوير بمثابة شراء لأصول لا مجرد إنفاقٍ جارٍ.

3- مراعاة الظروف الخاصة لكل دولة نامية، ومطالبة المؤسسات الدولية بدعم اختياراتها.

4- تخلي الدول المتقدمة عن تعنّتها في مفاوضات التجارة متعددة الأطراف والعمل على إنجاح جولة الدوحة على نحو يتيح للدول النامية إتباع إستراتيجياتها التنموية الخاصة.

5- إصلاح الترتيبات المالية الدولية التي تحول دون تدفق رأس المال الأجنبي للدول الفقيرة وتحد من وصول المعونات الرسمية لمستويات مناسبة، وتوفير أسواق وأدوات مالية تتفادى

الاختلال في حسابات رأس المال التي تصيب دولا تتبع سياسات سليمة وتسمح بالمشاطرة المتكافئة للمخاطر بين الدول المتقدمة والنامية.

6- ومقابل إصرار المؤسسات المالية الدولية وحكومات مجموعة السبعة على وجوب تشجيع انتقالية رؤوس الأموال، فإن متطلبات العدالة والكفاءة تقتضي السماح بقدر أكبر من الهجرة الدولية وإدماج المهاجرين في سوق الوظائف والحد من استغلالهم.

7- معالجة تدهور البيئة بما فيه مشاكل الدفيئة بسياسات للتنمية المستدامة قطريا وعالميا، وهذه مسئولية الدول المتقدمة والنامية.

رابعا-نظرية المنظم لشمبيترSchmidt:

لخصت هذه النظرية ما تعانيه المجتمعات النامية بسبب غياب المنظمين وهم أولئك الأشخاص الذين يقومون بتطوير الابتكارات التي لا تأتي بدورها إلا من خلال وجود شخصيات مبتكرة توجد غالباً في الطبقات المتوسطة وأكد شمبيتر على انه لا بد من توفر مناخ اجتماعي يساعد على توفير هذه الكوادر بداً من تنمية قدرات الأطفال وخيالاتهم وكذلك الاهتمام بالمستوى التعليمي والتقني والعمل على البحث العلمي والتحصيل الدراسي ليظهر بعد ذلك أشخاص قادرون على الابتكار. ما يساعد على ظهور المنظمين الذين يعملون على فتح أسواق جديدة وإنتاج سلع جديدة معروفة وغير معروفة تساعد على تطوير الاقتصاد على المستوى المحلي ثم على المستوى العالمي [8] .

على أية حال تعددت النظريات المفسرة لعملية التنموية أو الداعية والمنظمة لها و بالتأكيد تنوعت الايدولوجيات و المصالح التي صبغت هذه النظريات بصبغتها النهائية ، سواء انعكاس مرحلة تاريخية معينة في حياة المنظر أو مصالح اقتصادية أو سياسية يعمل البعض منها على تجذير التخلف في الدول النامية و بالتأكيد لا بد أن يدرك القائمون على عملية التنمية أن ما يفسر التنمية و التخلف في مجتمع ما قد لا ينطبق على مجتمع آخر ، و بالتالي لا بد من قيام دراسات ميدانية تبنى عليها الخطط التنموية و يتم من خلالها التأكد من مدى ملائمة تلك النظرية أو غيرها لهذا المجتمع.

مفهوم التخلف الاقتصادي

الكثير من الكتاب لا يفرق بين الفقر والتخلف رغم وجود فوارق جوهرية بينهما إذ إن هناك بعض الدول المتقدمة يوجد فيها فقراء وهو ما يعتبر دليلا هاما على سوء توزيع الدخل القومي، ورغم هذا لا توصف بأنها دولة فقيرة أو دولة متخلفة وبالمثل هناك دول الجنوب يوجد بها أغنياء كثيرون غير أنه لا ينفي حقيقة كونها دولا فقيرة.. أيضا وجود فقر في دولة غنية لا تعتبر هذه الدولة متخلفة، والعكس صحيح.

سيتم الكشف عن الفرق بين الفقر والتخلف مع التركيز على مقاييس التخلف غير متجاهلين مقاييس الفقر في الفكر الاقتصادي التقليدي، يتم ذلك من خلال تعريف الفرق بين الفقر والتخلف في المنظور اللغوي، ثم لمعرفة الفروق الجوهرية بين الفقر والتخلف ومقاييس التخلف في الاقتصاد التقليدي، وتتم الإشارة إلى الفقر والتخلف في المفهوم الإسلامي.

أولا : الفرق بين الفقر والتخلف من المنظور اللغوي

يعرف ابن منظور في كتابه لسان العرب الفقر (هو الحاجة وفعله هو الافتقار والفقير هو الذي نزعت فقره من ظهره فانقطع صلبه من شدة فقره أو الفقير المكسور الفقار يضرب مثلا لكل ضعيف).

أما التخلف فيقول ابن منظور:

خلف الليث: الخلف ضد قدام وجلست خلف فلان أي بعده والتخلف التأخر وفي حديث سعد: فخلفنا فكنا آخر الأربع أي أخرنا ولم يقدمنا. ومنه الحديث الذي أخرجه مسلم (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم) أي إذا بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم ونشأ بينهم الخلف وفي الحديث (لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم)- متفق عليه-. يريد أن كلا منهم يصرف وجهه عن الآخر ويوقع بينهم التباغض فإن إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة [9].

ويعرف التخلف أيضا إذ ورد في معجم المعاني الجامع لتعريف التخلف أن تخلف فعل لمتخلف فهو تخلفا ، ويقال تخلف عن القافلة بَقِىَ وَرَاءَهَا أي خَلفَها ،وتخلف عن حضور الحفلة : لم يحضرها ،وتخلف الطفل :بطؤ نمو عقله تخلف عقليا .والشعب متخلف أي تجاوزته الأمم في مضمار الحضارة .

ثانيا: الفرق بين الفقر والتخلف وكيفية قياس التخلف في الاقتصاد التقليدي(*)

1- التخلف الاقتصادي- مفهومه- كيفية قياسه

في البداية يجب أن نشير إلى أن التخلف الاقتصادي ظاهرة مركبة متعددة الأبعاد ومعنى ذلك أنها ظاهرة تتفاعل في إيجادها جميع جوانب المجتمع بدرجة أو بأخرى حيث أن التخلف الاقتصادي لا يوجد في مجتمع ما بمفرده متعايشا مع تقدم سياسي واجتماعي وإنما يوجد وسط تخلف سياسي واجتماعي وثقافي ومن ثم فإن توفير نظام سياسي واجتماعي وثقافي رشيد يمكن أن يحقق مستوى اقتصادياً متقدماً.

والتنمية الاقتصادية وهي مطلب غالب الدول النامية لا تتم في صورة أحادية حيث أنها عملية إنسانية شاملة تتطلب متغيرات اقتصادية وكذلك عوامل نفسية واجتماعية[10].

وبالتالي فإن الانصراف نحو التركيز على المتغيرات الاقتصادية وحدها دون الوضع في الاعتبار الأهمية النسبية لباقي المتغيرات الأخرى الثقافية والاجتماعية والسياسية هو تشويه لحقيقة ومعني التخلف الاقتصادي.

2- مفهوم التخلف الاقتصادي

يطلق لفظ العالم الثالث على الدول المتخلفة والتي تتمثل في الدول التي يقل متوسط الاستهلاك والرفاهية المادية لسكانها عن البلاد المتقدمة وذلك على الرغم من إمكان تحسين الأوضاع الاقتصادية فيها بوسائل معروفة وواضحة [11].

ومن خلال هذا التعريف فإن مفهوم التخلف الاقتصادي يفترض وجود موارد كافية يمكن استغلالها والاستفادة منها ولكن لا يتم استغلالها وبالتالي فهذا التعريف يميز بين الدول الفقيرة التي تقل فيها الموارد والثروات، وقد تكون هذه الدول الفقيرة راغبة في التقدم، ولكن لفقر إمكانياتها المادية تقعدها عن النمو أما الدول المتخلفة فسبب تخلفها لا يرجع إلى محدودية الموارد الإنتاجية كما في الدول الفقيرة بقدر ما يرجع إلى الاستخدام الرديء للموارد الاقتصادية، وهذا الاستخدام الرديء قد يأتي في صورة إهمال الموارد تماما أو الاستخدام الجزئي لها أو سوء استخدامها كأن تستخدم في نشاط صحيح بنسبة خاطئة أو تستخدم في نشاط خاطئ من الأصل، هذا إلى جانب أسباب أخري قد تأتي من خارج العملية الإنتاجية كالبيئة المحيطة بالعملية الإنتاجية وآثار خصائصها السلبية عليها وكذلك الآثار السلبية للعلاقات الاقتصادية الدولية كالاستثمارات الأجنبية وطبيعة المنتجات المتبادلة.

والتخلف الاقتصادي ينشأ في بيئة مختلة اجتماعيا وحضاريا حيث أن الدول المتخلفة اقتصاديا متخلفة حضاريا أيضا.

ومما سبق نخلص إلى أن التخلف الاقتصادي ليس مرادفا للفقر وإنما هو خلل اقتصادي وحضاري واجتماعي ساعدت على نشوئه عوامل عديدة وتميزت الدول المتخلفة بوجود موارد ضخمة مع توافر إمكانيات بشرية ومادية لازمة للارتفاع بمستوي المعيشة ومع وجود تخلف في طرائق الإنتاج والتنظيم الاجتماعي والتطبيقات الاقتصادية لاستغلال هذه الموارد ومن ثم النهوض بالدولة المتخلفة والوصول بها إلى درجات عالية من النمو الاقتصادي.

3 –مقاييس التخلف الاقتصادي

استخدمت في قياس ظاهرة التخلف الاقتصادي وتحديد مداها ومستوى أو درجة التقدم أو التخلف بين الدول المختلفة معايير متعددة، فمثلا معيار مستوى متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي أتخذ معيارا مناسبا للتمييز بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة وترتيب الدول المتخلفة بالنسبة لبعضها البعض، ويعتبر بعض الباحثين أن الدول المتخلفة هي التي يقل فيها متوسط دخل الفرد في السنة عن مقدار معين من الدولارات أو أن الدول النامية لا يتجاوز فيها دخل الفرد في السنة عن 4/1 متوسط دخل الفرد الأمريكي [12].

كما تقسم دول العالم المختلفة إلى مجموعات تبعا لمستويات متوسطات الدخل، هذه المجموعات هي الدول الشديدة التخلف والمتخلفة نوعا والدول المتقدمة نسبيا والدول المتقدمة. ويعتري هذا المقياس قصورا واضحا حيث لا يكفي وحده كمعيار دقيق للدلالة على الأوضاع الاقتصادية ومستويات المعيشة في الدول المتخلفة وطرق التوزيع فيها كما أنه على الرغم من انخفاض مستويات الدخول الفردية في الدول النامية بصفة عامة إلا أن هناك من هذه الدول دولا نفطية يزيد فيها متوسط دخل الفرد عن متوسط الدخل الفردي السائد في كثير من دول العالم تقدما.

ولتلافي القصور في هذا المقياس فإن بعض الاقتصاديين يرى أن يضاف إلى هذا المقياس بعض المقاييس الأخرى التي تعبر عن مستوى الاستهلاك من سلع أساسية وبعض سلع الرفاهية الاجتماعية كالمياه والكهرباء والتلفزيون والمستوى التعليمي للسكان ومستوى الرعاية الصحية المتوفرة لهم [13]. وهي جوانب هامة توضح نواح من معيشة السكان إلا أنها لا تعبر عن كافة النواحي التي يتعين التعرف عليها للحكم على مدى تقدم دولة أو تخلفها

كإهماله لنواحي هامة كالإنتاجية والعمالة ومستوى الفن الإنتاجي والادخار والاستثمار ومدى توافر الموارد الإنتاجية للاقتصاد وطبيعة استغلال الموارد المتاحة ومدى التناسق بين قطاعات ومؤسسات الاقتصاد المختلفة.

وقد أدى ذلك إلى وضع أكثر شمولية للتمييز بين الدول النامية والدول المتقدمة وهو مدى قدرة الدولة على توفير احتياجات السكان الاقتصادية والاجتماعية والبيولوجية والنفسية وغيرها من سائر الاحتياجات الإنسانية ووفق هذا المعيار فإن (الدولة المتخلفة هي التي توفر لسكانها من احتياجاتهم قدرا أقل مما توفره الدول المتقدمة) [14].

إلا أنه معيار غير قابل للقياس في حد ذاته ولا يوجد هناك طريقة لترجمته إلى مقياس عملي لتقدير مدى إشباع هذه الحاجات لعدم وجود معايير موضوعية لتقدير هذه الاحتياجات والتي تختلف باختلاف الأفراد والبيئات والمدد الزمنية وغيرها من عوامل أخرى عديدة ولأنه أيضا لا يبين الموارد المتاحة للمجتمع ومدى استغلال هذه الموارد وأساليب هذا الاستغلال أو تكلفته.

ونخلص مما سبق بأنه من الصعب الوصول إلى تعريف مانع جامع لا يعتريه القصور لمقياس التخلف الاقتصادي وليس معنى ذلك إسقاط أدلة هذه المعايير التي أبرزت درجات التخلف ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن هذه المعايير تتبع مدارس فكرية تختلف عن واقع الدول المتخلفة ،ولذلك فإن هذه الدراسات التي تتبع من تلك المدارس عادة ما توصي بعلاج لهذه المشاكل من خلال سياسات واستراتيجيات إنمائية قد لا تناسب ظروف هذه الدول النامية وحاجتها إلى وسائل معينة للعلاج أو أنها تفرض عليها من خلال مؤسساتها الاقتصادية طرقا لا تتناسب مع بيئتها الاقتصادية ولا تتفق مع إستراتيجيتها الاقتصادية ومن ثم تقع فريسة لحالة من التبعية الفكرية والاقتصادية.

ثالثا–الفرق بين الفقر والتخلف في المفهوم الإسلامي

1–المفهوم الإسلامي للفقر

يرى أنه (عدم القدرة على الحصول على الاحتياجات الضرورية لعدم توافر أسباب العيش الكريم الرغيد وهو ما يعني العوز والتعرض للجوع والحرمان والإملاق) [15].

ومن ثم فجهود التنمية وعمارة الأرض في الإسلام تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتحسينه بانتظام بما يكفل توفير حد الكفاية لجميع الأفراد أي أغناء كل فرد بحيث يكون قادرا على

الإنفاق على نفسه وعلى من يعول وذلك تمييزا له عن حد الكفاف الذي يعد الحد الأدنى للمعيشة.

ولا يقتصر توفير حد الكفاية على ضرورات الحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن بل يمتد إلى ما يلزم لتهيئة حياة كريمة للفرد مثل توفير الرعاية الطبية والتعليم الأساسي وسبل الزواج أي كل ما يجعل الفرد يلحق بالمستوى المعيشي السائد في المجتمع.

والفقير في المفهوم الإسلامي هو من لا يملك قوت يوم وليلة لقوله (ﷺ) (من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار فقيل وما حد الغني يا رسول الله ؟ قال شبع يوم وليلة)– رواه أبو داوود [16].

2– المفهوم الإسلامي للتخلف الاقتصادي

يدرك الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية أن الإسلام ينظر إلى التخلف على أنه تراخ عن العمل والسعي في طلب الرزق وعمارة الأرض بشكل فعال فإن الله قد أعطى للإنسان العديد من الثروات والنعم التي لا تحصى وطالبه بعمارة الأرض يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ اَلأرضِ وَاستَعمَرَكُم فِيهَا ﴾ (هود 61) وأن الإسلام يساعد الفقراء من مال الصدقة ولا يساعد المتخلفين أو القاعدين عن العمل بغير عذر وحديث الرسول (ﷺ) مع الرجل الذي يريد مسألة وباع له الرسول ما يملكه في بيته عن طريق المزاد وقال له اذهب واحتطب وبع ولا أرينك إلا بعد خمسة عشر يوما لهو دليل واضح على مقت الرسول للقاعدين والمتخلفين.

وهكذا ميز الإسلام بين الفقر والتخلف واعتبر الفقير له حق معلوم في الزكاة وموارد بيت المال أما المتخلف عن ركب التقدم فقد لعنه وتوعده إذا سأل وهو قادر على الكسب.

وعمارة الأرض وهي مطلب شرعي غير مقصور على البعد المادي المتمثل في إنتاج ما من المنتجات بل يشمل أبعادا أخرى اجتماعية وثقافية وأخلاقية حيث تهدف عمارة الأرض إقامة مجتمع المتقين الذي يتمتع بمستوى معيشي طيب يصل إليه بزيادة الإنتاج إلى أقصى حد مع استشعار تقوى الله في ذلك فإذا أصيب المجتمع بمصيبة التخلف ومن ثم فإن هناك ثلاثة معايير يمكن النظر إليها على أنها تفرقة بين الدول المتخلفة والدول المتقدمة وذلك في المفهوم الإسلامي:

أ– وجود الموارد الطبيعية الملائمة.

ب- وجود الجهد البشري الفعال الذي يتعامل مع تلك الموارد أو يحيلها إلى منتجات نافعة.
ج- وجود القيم التي تضمن بصفة مستمرة تفاعل الجهد البشري مع الموارد ومن ثم دوام عملية الإشباع المتزايد للحاجات.

إذا تواجدت تلك العناصر مجتمعة يعتبر المجتمع مجتمعا متقدما أو بالتعبير القرآني مجتمعا يحيا حياة طيبة تجمع بين رغد العيش واطمئنان النفس يقول تعالى:﴿مَن عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أو أُنثَي وَهُوَ مُؤمِنُ فَلَنُحِيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِبةً ﴾ (النحل 97). وتعد عمارة الأرض من أهم الأعمال الصالحة. وإذا تخلف فيه عنصر من العناصر السابقة فقد المجتمع طيب الحياة فإذا خلا من الموارد الطبيعية المناسبة فعليه أن يبذل قصارى جهده في تعويضها وإلا كان فقيرا وليس متخلفا ما دامت بقية العناصر قائمة.

وإذا فقد الجهد البشري في عمليات الإنتاج مع توافر الموارد فإنه في تلك الحالة يعتبر متخلفا ففي إمكانه التقدم ولم يفعله وإذا فقد مجموعة القيم الصالحة التي تضمن دوام التلاحم ونمو الإنتاج وعدالة توزيعه فإن ضخامة إنتاجه الاقتصادي لن تستمر طويلا وإذا كان متقدما فهو تقدم وقتي سرعان ما يزول يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرِيَةً كَانَت آمِنَةً مُطمَئِنةً يَأتِيهَا رِزقُهَا رَغَداً مِن كُلِ مَكَانٍ فَكَفَرَت بِأَنُعِم اللهِ فَأَذاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوف بِمَا كَانُوا يَصنَعُون﴾ (النحل- 112).

ومما سبق نخلص إلى أن الإسلام ربط المشكلة بالإنسان وبما هو عليه من قيم أي ربط المشكلة بجذورها الثقافية والاجتماعية العميقة مع عدم تجاهل عنصر المال ولا عنصر النشاط الاقتصادي للإنسان أي العنصر المادي في التقدم.

3- ظاهرة التخلف الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية

تعاني جميع البلدان الإسلامية اليوم من التخلف الاقتصادي فهذا لا خلاف حوله حيث وقعت هذه الدول في دائرة التخلف الاقتصادي، كما أن معظم تلك البلدان قد أخفقت في أن تكون لها آلية نمو ذاتية نابعة من داخلها ،فقد نتج التخلف الاقتصادي من تمزق النظام الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية بسبب الهيمنة الأجنبية الطويلة وأدى شلل المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى عجزها عن الوفاء بحاجات الناس وإحداث تطور حقيقي، حيث ربط الاستعمار اقتصاده باقتصاديات الدول الإسلامية تكملة له وكارتباط التابع بالمتبوع حيث حرص الاستعمار على عدم السماح للمؤسسات الاقتصادية

والاجتماعية أن تؤدي دورا في إحداث عملية نمو ذات جذور محلية بل على العكس، فقد حرص على أن تحدث التنمية الاقتصادية على يد أنواع من المؤسسات الغربية يساعده في تحقيق ذلك الحكومات العميلة له في هذه البلدان.

4- قياس التخلف الاقتصادي في المفهوم الإسلامي

ركز المنهج التقليدي على معدل تزايد الدخل الفردي الحقيقي كمقياس للتنمية والتخلف الاقتصادي وزاد عليه مؤشرات أخرى مثل معدل البطالة والعدالة في توزيع الدخل وغيرها إلا أن هذا المقياس لا يصلح وحده لقياس التخلف في المفهوم الإسلامي حيث يرى أحد الباحثين أن المقياس الصحيح يجب أن يتعدى استخدام كل نماذج النمو الإجمالية المبسطة والتي تهتم بالتركيز على الحد الأقصى لمعدل النمو على أنه المؤشر الوحيد للتنمية وأن عدم تحقيقه يمثل صورة للتخلف إذ أن هناك المقياس الاجتماعي ومدى توزيع ناتج التنمية على مستحقيها [17]. ويقترح البعض مقياسا آخر للتخلف الاقتصادي بعد رفض مقياس دخل الفرد في المتوسط ويسمى المقياس الإسلامي وهو الوضع الحقيقي لكل فرد في المجتمع في صورته الحقيقية المتمثلة في السلع والخدمات التي يمكن الحصول عليها [18]، على أنه لم يتضح الفرق بين هذا المقياس ومعدل الدخل الفردي الحقيقي الذي بسطته كتابات التنمية الاقتصادية في المنهج التقليدي.

ويقترح آخرون مقياسا للتخلف والتقدم من خلال مدى الالتزام بالإسلام كعقيدة أو شريعة ويمكن في ذلك استخدام مؤشرات معينة مثل مدى الأخذ بالأصول والمبادئ الدستورية في نظام الدولة ومدى إقامة المؤسسات الإسلامية ونشر الدعوة وتوفير المساجد وأجهزة البريد وجهاز الحسبة وما إلى ذلك [19].

ومما سبق نخلص إلى أن محاولة تفسير ظاهرة التخلف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية من منظور إسلامي تحتاج منا إلى وقفة للتعرف على ماهية هذه المجتمعات وذلك لأن ظاهرة التخلف لها سمات عامة تشترك فيها الدول المختلفة بغض النظر عن الدين والذي يجعل ظاهرة التخلف في الدول الإسلامية لها سمات خاصة بها هو أن كثيرا من المجتمعات الإسلامية في زمننا قد ورثت الإسلام كدين تؤدي فرائضه الدينية على أحسن تقدير أما ما يتعلق بما يتطلبه الدين الإسلامي من ممارسات يومية وأنظمة وغيرها فلا وجود له ولهذا فإن تفسير ظاهرة التخلف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية الحالية

لا تختلف مع ظاهرة التخلف التي تعاني منها الدول غير الإسلامية بما تشتمل عليه من سمات، والمسألة لم تعد مسألة انتقال الجنوب من حالة التخلف إلى مصاف الشمال المتقدم على الرغم من أن هذا الانتقال شبه مستحيل بل إن المسألة هي كيف يمكن تحقيق نموذج عالمي بديل يتجاوز الأزمة الحضارية التي بلغتها تجارب الدول المتقدمة نفسها وهي تجارب قامت على مفهوم السيطرة ذي حدين : سيطرة الإنسان على الإنسان وسيطرة الإنسان على الطبيعة وهو مفهوم كانت نتيجته تفاوتا في المشهد بين بلدان أو طبقات غنية تتمتع بمستوى معيشي واستهلاكي مرتفع وبين بلدان أو طبقات ما زالت تشكو من الجوع والحرمان والفقر والجهل والبؤس والتخلف من جهة وإخلالا رهيبا في النظام الطبيعي إلى حد بات يهدد مستقبل الحياة على الأرض من جهة أخري.

وبالتالي تبقى الحاجة إلى نموذج بديل يتجاوز هذه النماذج ومنظومة أخرى تحقق المصالحة بين الإنسان والإنسان من جهة والإنسان والطبيعة من جهة أخرى وكله لا يأتي إلا من خلال العودة إلى تعاليم الله وشريعة السماء.

أسباب التخلف الاقتصادي

1- انخفاض الدخل القومي

تواجه الدول النامية ضعفا في الجهاز الإنتاجي وعدم كفائتة مما يؤدي إلى انخفاض الدخل القومي ونصيب الفرد منه ووجود جزء كبير من الثروات غير المستغلة أو لا تستغل الاستغلال الأمثل.

2-الزيادة السكانية

تشكل الزيادة السكانية الكبيرة مشكلة كبيرة في الدول النامية على عكس الدول المتقدمة ويرجع ذلك إلى زيادة نسبة المواليد وانخفاض الوفيات نتيجة للزواج المبكر.

3-الفن الإنتاجي

أدت الثورة الصناعية في الدول الأوربية إلى زيادة التقدم الإنتاجي مما أدى إلى رفع مستوى الإنتاجية لاعتماد هذه الدول علي الآلات المتقدمة في الإنتاج بينما الدول النامية لا تزال تعتمد على العمل اليدوي وينقصها الفنيين ذوي الخبرة مما يؤدي إلى تأخر إنتاجية العمل وانخفاض مستوى الدخل القومي.

4- البطالة: تشكو الدول النامية من العديد من أنواع البطالة أهمها:

أ- البطالة البنيائية: وهي البطالة التي تتولد عن اختلال التوازن بين العلاقات السائدة بين مختلف عناصر العملية الإنتاجية وخصوصا عنصر العمل ويرجع شيوع البطالة البنيائية في الدول النامية إلى توفر الأيدي العاملة غير المدربة.

ب-البطالة المقنعة وهي تطلق على عدد من العمال الذين يعملون في أعمال بسيطة يمكن أن يؤديها شخص واحد ولا تعود بنفع مادي أو معدومة القيمة اقتصاديا، ويتقاضون أجورا عليها من الدولة.

جـ- البطالة الموسمية ويقصد بها العمال الذين يظلون بلا عمل في بعض المواسم ويعود هذا النوع من البطالة إلى التقلبات الموسمية في الطلب على العمال وينتشر هذا النوع من البطالة في البلاد الزراعية.

5- سيادة الثقافات غير الاقتصادية.

يسود الدول المتخلفة ثقافات غير مشجعة على العمل بسبب بعض معتقدات الاتكال والنظر إلى العمل نظرة متدنية تفقده المكانة الاجتماعية وسيطرة العادات والتقاليد وضعف الحافز لكسب النقود.

6- تخلف البنيان الاجتماعي

يوجد الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية التي تؤدي إلى التخلف الاقتصادي مثل:

أ-ارتفاع نسبة الأمية وانخفاض مستوى التعليم.

ب- إبعاد دور المرأة في كثير من المجالات.

ج-فساد البيئة السياسية.

د-وجود ظاهرة عمل الأطفال.

المبحث الثاني : مفهوم ونظريات التقدم **

أ– مفهوم التقدم كمصطلح

كلمة تقدم (Progrès, Progress) هي كلمة من أصل لاتيني (Progressus) مشتقة من الفعل Progredi بمعنى السير إلى الأمام أو التقدم إلى الأمام في الزمان أو في المكان أو فيهما معا: التقدم في السن والتقدم في قطع مسافة مثلا. عند بادئ الرأي (عامة الناس)، التقدم حركة غير دائرية وغير تراجعية حُمِلَتْ أولا على تنقل الجيش عندما يتقدم نحو العدو[20] ثم استعملت بمعنى مجازي للإشارة إلى التطور في الزمان أو التغيير الذي يسعى إلى هدف محمود كالتغيير في طرق العيش وفي طرق التفكير وفي التعامل مع الطبيعة.... الخ. تعني أيضا كلمة تقدم: تطور الإنسانية عامة أو التحضر. أما في اللغة العربية فيبدو أن كلمة تقدم تفيد أصلا الرجوع إلى القديم أي المتقدم (في مقابل المتأخر).

ب – نشأة وتطور فكرة التقدم

ظهرت فكرة التقدم، كما نفهمها اليوم، أي بمعنى التحضر، في الحضارة الغربية خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وذلك عندما بدأ العلماء والأدباء آنذاك يتجادلون حول الأهمية التي ينبغي إيلاؤها أو عدم إيلائها لآراء القدماء وإنتاجهم العلمي والأدبي. ولقد تمخض عن هذا الجدل موقفان أساسيان: موقف يمثله أنصار الماضي (أو ما نسميه في مغرب اليوم بالموقف السلفي أو الأصولي) وموقف يمثله أنصار الحداثة (أو التقدميون).

حسب الموقف الأول، القدماء أكثر حكمة من المحدثين لأنهم أسبق زمنا وأكبر عمرا، وبالتالي أنضج رأيا. ينطلق أنصار هذا الرأي من فكرة أنثروبومورفية مفادها أن المجتمع الإنساني منبثق من الإنسان بحيث كلما طال عمره كلما أصابت حكمته. فالتقدم، بالنسبة لهؤلاء، هو الرجوع إلى آراء القدماء (أي الرجوع إلى التراث) واعتبارها نموذجا للتقدم ينبغي

إعادة تحقيقه. ومن المحتمل أن تكون الرغبة في تأدية هذا المعنى هي التي حدت بالمترجم العربي إلى ترجمة كلمة Progress بكلمة تقدم.

أما الذين يناصرون الحداثة فلا يرفضون هذا التشبيه الأنثروبومورفي وإنما يختلفون مع أنصار التراث في كونهم يموضعون مرحلة الحكمة في المستقبل وليس في الماضي. ولهم في ذلك حجة. فإذا كانت الإنسانية تكتسب حكمة أكثر مع السن، تماما كالإنسان، فإن التقدم في العمر، وبالتالي في الحكمة، ينحو نحو المستقبل وليس نحو الماضي. وهكذا فإن القدماء في الواقع هم شباب الإنسانية؛ أما المعاصرون فهم شيوخها. وبهذا الاعتبار تكون حكمة المحدثين أصوب من حكمة أجدادهم. هذا هو موقف الأب الروحي لفلاسفة ق18 م الفرنسي.De Fontenelle المعبر عنه في كتاب له تحت عنوان:

Digression sur les anciens et les modernes المنشور سنة 1687.

بصفة عامة، توضح لأنصار الحداثة أن موقف أنصار التراث يتضمن تناقضا: فإذا قبلنا تشبيه المجتمع بالإنسان، وكان تقدم الإنسان في السن يتجه نحو المستقبل، فلا بد إذن من اتجاه تقدم الإنسانية نحو المستقبل أيضا وليس نحو الماضي. وهنا تصبح حركة التقدم في الزمان هي السير إلى الأمام نحو وضع مثالي لم يتحقق بعد وقد لا يتحقق أبدا. أما الرغبة في إعادة تحقيق وضع سبق تحققه في الماضي فهو في الواقع معاكسة لحركة الزمان ومخالفة للتشبيه الأنثروبومورفي الوارد في المثال المذكور.

بهذه الحجة، البسيطة والواضحة، انتصر الموقف الثاني الذي يؤيد الحداثة على الموقف الأول المناصر للتراث وخاصة لما تبين، من خلال التقدم الذي حصل في ميدان العلوم التجريبية، خطأ كثير من آراء القدماء وتعضيد التجربة لكثير من آراء المحدثين. لقد نجح باسكال (B.Pascal) مثلا في تفنيد الحكمة القديمة الأرسطية القائلة بأن "الطبيعة تخشى الفراغ"، في كتاب تحت عنوان:touchant le vide Nouvelles expériences المنشور سنة 1647. ودون باسكال تجارب أخرى جديدة تفند الحكم الموروثة عن العلماء القدماء، وخاصة في كتبه التالية[21]: Equilibre des liquides (1663). La pesanteur de la masse de l'air (1663). Les pensées (1670)

لقد لقي باسكال معارضة شديدة من مؤيدي الحكمة القديمة بحجة أن هذه الأخيرة تختلف عن نتائج تجاربه. وكان باسكال يرد على تلك الاعتراضات بقوله بأن تكذيب التجربة لا

يمكن أن يكون إلا بتجربة أخرى وليس بحكمة قديمة. وهكذا عوضت سلطة التجربة شيئا فشيئا سلطة التعاليم وحكم القدماء. وهذا هو أساس حصول النهضة الغربية الحديثة؟

ليست حالة باسكال هذه إلا واحدة من حالات كثيرة شكلت في مجموعها حركة ثقافية ثورية قلبت الحكم القديمة رأسا على عقب. يكفي التذكير هنا بالأعمال التي قدمها كوبرنيك (Copernic :1543-1473) وبيكون (F.Bacon :1561-1626) وديكارت (Descartes :1596-1650) ونيوتن (Newton :1642-1727) وغيرهم.

مع كل هؤلاء المفكرين أصبح التقدم العلمي نموذجا للتقدم في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية. وأصبح المنهج العلمي أداة عملية تسهل الطريق نحو التقدم. ولقد فطن العلماء إلى لزوم تطوير هذا المنهج وضبط قواعد للعمل به وتعميمه على كل حقول المعرفة الإنسانية. ويكفي أن نذكر هنا بمحاولة ديفد هيوم (D.Hume) الساعية إلى إدخال المنهج التجريبي، لأول مرة، إلى الدراسات الإنسانية والأخلاقية كما يتضح ذلك من عنوان كتابه التالي[22]: A Treatise of Human Nature: being an attempt to introduce the experimental method of reasoning into moral subjects (1739). لقد أعجب المفكرون آنئذ بالنتائج التي حققها العلم من خلال العلوم التجريبية الناشئة التي دشنها ديكارت وكاليلي ونيوتن. وأعجبوا كذلك بقدرة العقل البشري على السيطرة على الطبيعة من خلال القوانين والنظريات التي صاغها صياغة محكمة تعتمد دقة الأرقام.

وبما أن التقدم العلمي يعتمد أساسا على إعمال العقل (بدل إعمال الحكمة القديمة)، فلا بد إذن من تبنِّي العقلانية العلمية في جميع ميادين النشاط الإنساني الأخرى مثل السياسة والاقتصاد والأخلاق. هذا ما اشتغلت به الحركة الفكرية الأوروبية في القرن 18. ولبيان ذلك، يكفي الرجوع إلى كتاب لواحد من كبار فلاسفة هذه المدة وهو الفرنسي كوندورسي (Condorcet) صاحب: Esquisse d'un tableau historique des progrès de l'esprit humain (1793). اهتم المؤلف في هذا الكتاب ببيان الترابطات الحاصلة بين العلوم التجريبية والعلوم الاجتماعية والسياسية. وهي ترابطات يجسدها كتاب آخر له بعنوان[23]:

du calcul Tableau général de la science qui a pour objet l'application aux sciences morales et politiques.

كان كوندورسي يهدف من وراء المجهودات التي قام بها إلى الحث على الابتعاد عن الخرافة والميتافيزيقا في تناول المواضيع الاجتماعية وذلك بتبني حساب الاحتمالات باعتباره تقنية ضرورية لتقدم الفكر البشري في المستقبل.

يمكن، بشكل عام، تلخيص مميزات هذه الحركة الثقافية التقدمية في ثلاث أساسيات:

1 – تحديد اتجاه تقدم الإنسانية من الماضي إلى المستقبل واعتبار النماذج الفكرية الخرافية والميتافيزيقية ممثلة لطفولة وشباب الإنسانية بينما النماذج الوضعية تمثل مرحلة أكثر تقدما في سير الإنسانية نحو المستقبل.

2 – التركيز على الصراع بين العقل والخرافة واعتبار التنظيم العقلي أساسا للتقدم. فالتقدم هو حركة متواصلة نحو المزيد من المعرفة. والمزيد من المعرفة يضمن زيادة القدرة على السيطرة على الطبيعة، وبالتالي تحقيق المزيد من السعادة. ومنذ القرن 18 أصبح لفظ "تقدم" مرادفا للفظ "عقلنة"، وأصبحت حركة التقدم في الزمان مرادفة لحركة العقل البشري في الزمان نحو وضع معين من المعرفة والحرية. وأصبح التقدم يمثل سلما من القيم يبدأ بالخرافة وينتهي بالعقل على مستوى المعرفة ويبدأ بالبدائي وينتهي بالمتحضر على المستوى الاجتماعي. ويمكن اعتبار ديدرو (Diderot) ودالمبير (D'Alembert) وكوندورسي (Condorcet) وفولتير (Voltaire) ومونتسكيو (Montesquieu) وماركس (K.Marx) وميل (J.S.Mill) وكونط (A.Comte) من الممثلين الأساسيين لهذه الحركة الفكرية. كان هم هؤلاء الفلاسفة والعلماء هو بيان أن الإنسان قادر على تغيير العالم إذا تحرر من الأفكار المسبقة وتمكن من التحكم بعقله في الدين والسياسة والأخلاق. ورغم ظهور حركات فكرية أخرى معادية لهذه، مثل التي تزعمها هيكل (اعتبار فكرة التقدم تتضمن تناقضا بين المثالي والواقعي) فإن تصور القرن 18 للتقدم استمر حتى الحرب العالمية الأولى على الأقل، وخاصة في الأوساط البراكماتية الأمريكية والماركسية والوضعانية.

3 – الدعوة إلى تعميم المنهج العلمي ليشمل كل الميادين المعرفية واعتبار التقدم في العلم نموذجا للتقدم بشكل عام، كما تمت الدعوة إلى تعميم العقلانية العلمية لتشمل كل ميادين النشاط البشري معرفية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو أخلاقية.

ج- التقدم العلمي والعقلانية العلمية

يرجع كثير من العلماء والفلاسفة التقدم في العلم إلى كون هذا الأخير يحكم التجربة كمقياس للتحقق من قضاياه (القوانين والنظريات) وإلى تبني منهج يرفض المطلقات، الشيء الذي يسمح بتجاوز الماضي وضمان الصيرورة المستمرة لحركة المعرفة والمجتمع. ليس هناك تقدم مجرد يمكن تحقيقه مرة واحدة وإلى الأبد أو يمكن اعتباره حالة مثالية تشكل هدفا نهائيا للحقيقة العلمية، فالتقدم ديمومة.

بصفة عامة، هناك معياران لتعريف التقدم في العلم: المعيار الأول صدقي والثاني براكماتي. حسب المعيار الأول، ترتبط العقلانية في العلم بدرجة تحقق قضاياه، أي درجة تفنيدها أو تعضيدها من طرف التجربة. وهذا معيار تبنته العقلانية الوضعانية (إن صح هذا التعبير). وإذا تم إرضاء هذا المعيار الصدقي، فينبغي العمل على التقليل من المفاهيم لتحقيق وحدة في المنهج ووحدة في العلم. التقدم إذن هو تحقيق هذه الأهداف. لقد كان الوضعانيون يهتمون بالصياغة المنطقية لبنية العلم ويهملون الجانب الأنطولوجي من القضايا العلمية(الاختلاف الأنطولوجي ، في الفلسفة، هو عبارة عن أسلوب كلام، الذي يعنى به رسم الفرق الذي يميز الكينونة عن الكيان .ويشير هذا التعبير إلى قضايا وجودية يعود تاريخها إلى ابن سينا). كان هؤلاء الفلاسفة يفصلون التقدم العلمي عن التراكم الزمني للاختراعات والاكتشافات ويعتبرون القدرة على الرد إلى الأبسط هي مقياس التقدم.

أدى هذا التصور للتقدم، سواء في العلم أو في الميادين الاجتماعية إلى ما يسمى اليوم بالفلسفات النسبانية والابستيمولوجيات اللاعقلانية. لقد تبين أن مقياس الصدق أو (القابلية للتحقق) لا يضمن العقلانية في العلم، بل أدى تداوله إلى نوع من اللاعقلانية. وفي هذا الصدد ظهرت محاولات كثيرة تهدف إلى إعادة النظر في مفهوم التقدم في العلم ومفهوم العقلانية العلمية، نذكر من بينها تلك التي دافع عنها كون (1983) ولاكتطوس (1770) وفايرابند (1979) ولاودن (1977) وغيرهم[24]. لم تعد الحقيقة العلمية مع هؤلاء الفلاسفة تخضع لمعيار الصدق، فلا حاجة إلى معرفة هل القوانين والنظريات العلمية صادقة أم لا، وهل هي قابلة للتحقق أم لا، لكي يتقدم العلم. فالعلم، حسب لاودن، نشاط فكري يهدف إلى حل المشاكل، بغض النظر عن صدق أو تصديق قضاياه. وهذا هو المعيار الثاني للتقدم في العلم.

يعرف المدافعون عن هذا المعيار الثاني التقدم في العلم بكونه القدرة على حل المشاكل على أساس أن تكون هذه الحلول مقبولة تجريبيا. وكلما تراكمت الحلول وتزايدت القدرة على حل المشاكل كلما تقدم العلم. لا يعني هذا أن الحلول التي تمت صياغتها في مدة زمنية معينة سوف تبقى صالحة لكل زمان. ليست هناك حلول مطلقة، وهذا ما يفسر ظهور ثورات في العلم. هناك استمرارية في القدرة على الحل ولكن هناك قطيعة بين البراديكمات أو بين التقاليد العلمية. فالتقدم في العلم ليس هو التراكم في الحلول المقبولة تجريبيا، بل قد يتم التعبير عن التقدم في العلم بقفزات أو ثورات على المفاهيم والبنيات العقلية القديمة. بالنسبة لكون ولاودن، إذا أخذنا العقلانية العلمية بمفهومها الوضعاني، فسوف يصبح العلم لا عقلانيا (Laudan (1977), p.125). لهذا ينبغي تقديم نموذج جديد للعقلانية العلمية وبالتالي للتقدم العلمي.

يعتبر هذان الفيلسوفان الوحدة الأساسية للتطور في العلم هي المشكل المحلول. وهدف العلم هو حل أقصى ما يمكن من المشاكل الأمبريقية والتقليل ما أمكن من المشاكل المفاهيمية. ففكرة التقدم تقاس بدرجة فعالية النظريات في حل المشاكل في ميدان معين. ويعرف لاودن العقلاني بقوله بأنه هو كل عمل أو اعتقاد باستطاعته تقديم مبررات صلبة لصالحه. وهذه المبررات الصلبة بالنسبة للعلم هي حل أكبر قدر من المشاكل الامبريقية. وهذا هو التقدم بعينه.

يهدف لاودن إلى بيان أن خواص التقدم في العلم تتجاوز الزمن والثقافة لأنها قابلة للتطبيق سواء على الفكر ما قبل التاريخي أو على القرون الوسطى أو على الفكر الحديث [25]معنى هذا أن النموذج الذي يقدمه لاودن قابل للتطبيق بشكل مطلق. فالتقدم معناه التكيف مع الوسط، والعلم هو الصورة الأكثر ملائمة لهذا التكيف، والسلوك العقلاني هو بالضبط القدرة على التكيف.

يتضح مما تقدم أن التعريف الذي قدمه كون ولاودن للعقلانية العلمية وللتقدم العلمي تعريف هش. والسبب هو كون هذا التعريف مؤسسا على تمييز كلاسيكي بين مفهومي المشكل والحل. فإذا رجعنا إلى تاريخ العلم نفسه، فسوف نجد أن عددا من الحلول أصبحت بدورها مشاكل، فما نعتبره حلا لمشكل قد يكون مشكلا أعوص في حاجة إلى حل جديد. أضف إلى ذلك أن إبعاد مقياس الصدق والتحقق في تعريف العقلانية العلمية وتبني المقياس

البراكماتي قد يؤدي إلى رد العلم إلى وسيلة لتحقيق منفعه. وهنا يصبح الباب مفتوحا أمام كل الأيديولوجيات المصلحية والذرائعانية التي تنفي العقل والأخلاق.

صحيح أن إقامة الحقيقة العلمية على الصدق المنطقي أو الصدق التجريبي مسألة تنسف العقلانية العلمية بمفهومها الكلاسيكي، ولكن المقياس البراكماتي نفسه غير قادر على الصمود ناهيك عن كونه ليس الوحيد الممكن. لماذا لا نتبنى، على سبيل المثال، المقياس النفسي لصدق القضايا العلمية الذي نادى به فلاسفة (مثل هيوم) منذ بداية القرن 18م؟ ولماذا لا نودع العقلانية العلمية نهائيا على الطريقة التي يقترحها فيرابند؟ وهكذا. إن الإجابة عن هذه الأسئلة صعبة، وبالتالي فإن مشكلة العقلانية في العلم ومشكلة التقدم العلمي ومشكلة التقدم بشكل عامة تبقى مطروحة بحدة ؟

التقدم الاجتماعي Social progress

استعمل الاصطلاح في البداية باعتباره مرادفاً لمصطلح التغير الاجتماعي وقد جاء ذلك واضحاً في كتابات أوجست كونت، وكوندرسه، وتيرجو، وغيرهم. وينطوي التقدم على مراحل ارتقائية، أي أن كل مرحلة تكون أفضل من سابقتها. وهو يشير إلى انتقال المجتمع إلى مرحلة أفضل من حيث الثقافة والقدرة الإنتاجية والسيطرة على الطبيعة.

ويعرف بأنه العملية التي تأخذ شكلاً محدداً واتجاهاً واحداً مستقيماً يتضمن توجيهاً واعياً مخططاً ومقصوداً لتوجيه عملية التغير نحو الأمام بهدف تحقيق بعض الأهداف المرسومة والمنشودة والمقبولة، أو الأهداف الموضوعية التي تنشد خيراً أو تنتهي إلى نفع.

ومفهوم التقدم يتضمن مدخلاً معيارياً قيمياً للحكم على الأحداث الاجتماعية حيث يعتقد معظم مفكري كل عصر أن التقدم الذي وصلت إليه مجتمعاتهم الراهنة أفضل مما كانت عليه في السابق، ومع بداية العصور الحديثة ظهرت حركة فكرية تدعو إلى التفاؤل في المستقبل، كما أن فكرة التقدم تحمل مضموناً نسبياً فقد تتغير بتبدل الأحوال والأزمنة، فالتقدم في مجتمع أو عصر قد يكون تخلفاً بمفهوم مجتمع أو زمان آخر، حيث يدخل الجانب الخلقي، فالأهداف المحققة نتيجة للتقدم تختلف النظرة إليها، نظراً لصعوبة قياس الأهداف ناهيك عن صعوبة حصر الوسائل المؤدية إليها.

وقد بين ويل ديورنت أن الإنسانية في خلال تقدمها الاجتماعي الارتقائي قد مرت بعدة مراحل هي:

النطق – النار – استئناس الحيوان – الزراعة – التنظيم الاجتماعي – الأخلاق –الآلات– الصناعة – العلوم – التربية – الكتابة. ويرى فونتينل " أن تجمع المعرفة الإنسانية يساعد في التقدم المستمر للإنسانية ، ويتفق معه في ذلك ، كل من بودان ، وكوندرسه وكانت. ولهذا بدأت تظهر نظريات التقدم الاجتماعي مع ظهور الثورة الصناعية التي أدت إلى ظهور فلسفة التقدم بوجه عام . ويعرف هوبهاوس التقدم "بأنه نمو اجتماعي للجوانب الكمية والكيفية في حياة الإنسان " . ويذهب كاريف بأن التقدم "هو تطور تدريجي يدل على نمو المجتمع وتصاحبه مؤشرات تدل على مدى التقدم ".

ويظهر من مجمل التعاريف السابقة أن التقدم الاجتماعي يعني تطور الجوانب المادية والفكرية للمجتمع ، وهو يحمل معنى معيارياً قيمياً. كما يتضح بأنه نسبي وارتقائي ومستمر. فهو يعني التحسن المستمر الدائم. وكذلك فهو تطور تدريجي يدل على نوع من النمو الاجتماعي للجوانب الكمية والكيفية في حياة الإنسان والمجتمع .

ومن هنا يستدل على الاختلاف بين المفهومين : "التقدم الاجتماعي Social Progress " و"التغير الاجتماعي Social Change" حيث أن الأول يحمل معنى التحسن المستمر نحو الأمام أي أنه يسير في خط صاعد ، ويكون في الغالب تغيراً مرحلياً إيجابياً ، بينما التغير قد يكون إيجابياً أو سلبياً، فقد يكون تقدماً إلى الأمام وقد يكون تأخراً ونكوصاً ، إذاً فهو عملية التحول من حال إلى حال أخرى ، وهكذا فإن التقدم عبارة عن حالة من حالات التغير، ولكن التغير ليس بالضرورة تقدماً موجباً ، حيث قد يتجه نحو العكس من ذلك تماماً . وبالتالي يكون مصطلح التغير أكثر علمية ، لأنه يتوافق وواقع المجتمعات (واقع التقدم وواقع التخلف) فالمجتمعات ليست دائماً في تقدم مستمر وإنما يعتريها التخلف أيضاً .

مفهوم التقدم والتطور الاقتصادي

إن قياس النُّمو الاقتصادي ما هو إلا قياس كلي لزيادة السلع والخدمات المنتجة في مدة معينة مقارنة بالخبرة السابقة، أما التقدم الاقتصادي فهو الزيادة بين مدة وأخرى لمتوسط الناتج الحقيقي، متوسط الدخل الحقيقي، ومتوسط الاستهلاك الحقيقي للسكان.

ويعرف R,Barre التقدم بأنه" :نمو الموارد المتاحة بنسبة تفوق نمو السكان"، ويعبر التقدم الاقتصادي عن "مجموع التحسينات في الميدان الاقتصادي والاجتماعي، المرافقة للنمو"[26]
أما التطور فلُغَةً يعني الحركة إلى الأمام، وفي المجال الاقتصادي يعني تقدمًا اقتصاديًّا ما نحو أهداف محددة مسبقًا، إما كمية؛ كزيادة المنتج، أو نوعية؛ كتوزيعٍ أفضلَ للمداخيل داخل الدولة؛ فالتطور إذًا يدل على التغيير والحركة، وغالبًا ما يستعمل للدلالة على الحالة الاقتصادية لبلد ما أو لقطاع ما، فنقول مثلاً: التطور الاقتصادي أو التطور الصناعي لبلد ما خلال مدة معينة، وهو ليس مرادفًا للنمو؛ إذ إنه يمكن أن يكون هناك تطور في المجال الصناعي بوتيرة أخف من تزايد السكان، فهنا لا يوجد نمو، كما أنه ليس مرادفًا للتنمية؛ إذ إنه يمكن أن يكون هناك تطور اقتصادي دون أن يكون مصحوبًا بتغييرات هيكلية وذهنية تضمن استمرارية وانتظام هذا التطور؛ (أي: إنه لا توجد تنمية).

فالتطوير يعني : التغيير أو التحويل من طور إلى طور . و تعني كلمة تطور تحول من طوره أو التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها . ويطلق أيضاً على " التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه ". أما التطوير اصطلاحاً هو: التحسين وصولاً إلى تحقيق الأهداف المرجوة بصورة أكثر كفاءة .

فالتطوير التربوي يعني تحسين العملية التربوية وصولاً إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة بصورة أكثر كفاءة ، إذاً هو : التحسين ورفع كفاية العملية التربوية أو النظام ككل في تحقيق الأهداف المرجوة .

الفرق بين التغيير والتطوير

يشير كل مصطلح من هذه المصطلحات (التغيير و التطوير) إلى مدلول مختلف عن المدلول الآخر ، و من هنا نشأت الفروق بين هذين المصطلحين .

توضيح الفرق بين التغيير والتطوير

1- التغيير الذي يحدث قد يتجه نحو الأفضل أو نحو الأسوأ ، وقد يؤدي إلى تحسين أو إلى تخلف . التطوير المبني على أساس علمي يؤدي إلى التحسين والتقدم والازدهار .

2- التغيير قد يتم في بعض الأحيان بإرادة الإنسان وقد يتم في أحيان أخرى بدون إرادة الإنسان . التطوير لا يتم إلا بإرادة الإنسان ورغبته الصادقة ؛ فإذا لم تتكون الإرادة نحوه وتتوفر الرغبة فيه فلا يمكن له أن يرى النور ، أو يظهر إلى حيز الوجود .

3- التغيير جزئي ينصب على جانب معين أو نقطة محددة . التطوير شامل ينصب على جميع الجوانب للموضوع ، أو للشيء المراد تطويره .

الفرق بين البناء والتطوير

لا شك في أن البناء يختلف عن التطوير في نقطة أساسية وجوهرية ألا وهي نقطة البداية والانطلاق . البناء يبدأ من الصفر من لا شيء، أما التطوير فإنه يبدأ من شيء قائم وموجود فعلاً ، و لكن يراد الوصول به إلى أحسن وأسمى صورة ممكنة .

المصادر والهوامش:

1- إبراهيم مبارك الجوير ، الأسرة و المجتمع دراسات في علم الاجتماع العائلي، الرياض، دار عالم الكتب، 2009،ص23.

2-عصام توفيق قمر، و آخرون، مدخل إلى دراسة المجتمع العربي، عمان، دار الفكر، 2008،ص117.

3- المصدر السابق ،ص118.

4- علي غربي و آخرون، تنمية المجتمع من التحديث إلى العولمة، القاهرة، دار الفجر، 2003 ،ص72.

5- المصدر السابق، ص93.

6-www.univ-chlef.dz/topic/doc/tn&t2.ppt

7-http://www.thegulfbiz.com/vb/showthread.php?t=321847

8-http://www.thegulfbiz.com/vb/showthread.php?t=321847

*بتصرف من قبل الباحث مصطفى محمود محمد باحث في شؤون الاقتصاد الدولي

الهوامش:-

9- موسوعة المحدث، الاسطوانة الليزر الإصدار 8.3، 1999.

10- د. حمدي عبد العظيم، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 12.

11- د. صلاح الدين نامق، الجوانب الأخلاقية في التنمية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993- ص18.

12- د. محمد زكي شافعى، التنمية الاقتصادية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 19.

13- المرجع السابق، ص 20.

14- أميرة عبد اللطيف مشهور، الصناعات البيئية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، 1976، ص 30.

15- د.حمدي عبد العظيم، مرجع سبق ذكره، ص 20.

16- الإمام بن حزم، المحلى، الجزء السادس،، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ، ص 152.

17- خورشيد أحمد، التنمية الاقتصادية في إطار إسلامي، ترجمة الدكتور رفيق المصري، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد 2 مجلد 2 – السعودية، عام 1985، ص 45.

18- د. شوقي دنيا، الإسلام والتنمية الاقتصادية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979، ص 80.

19- د.عبد المنعم عفر، مشكلة التخلف، مرجع سبق ذكره، ص 30.

**بتصرف اعتمادا على: عبد السلام بن ميس

-20 CLAVELIN M.(1989), “Rationalité et Progrès”, in: Jacob O. ed. (1989), L’âge de la science, lectures philosophiques, 2: Epistémologie, Paris. Odile Jacobe ،pp.293-308.

-21 PASCAL B. (1623-1662), Oeuvres complètes, ed. L.Brunschvicg; E.Boutroux ،F.Gazier, Paris: Hachette, 14 vols, 1904-1914.

-22 HUME D.(1973), Traité de la nature humaine, trad. A.Leroy, Paris: Aubier Montaigne.

23- CONDORCET J. -A. -N. de, Oeuvres complètes, 12 vols, 1947-1949.

24- FEYERABEND P.(1979), Contre la méthode, Paris: Seuil.

FEYRABEND P.(1989), Adieu la raison, Paris: Seuil.

-25(Laudan (1977), p.130).

جلال خشيب http://www.alukah.net/culture/0/78626/#ixzz4slk6tGTp
26-

الفصل الثاني
خصوصية المجتمع العربي

يعيش المجتمع العربي اليوم في جاهلية واضحة ومن مظاهر هذه الجاهلية تراجع قوة الإيمان الذي ترجع أسبابه إلى الفشل والإحباط سواء في العمل أو التجارة أو الفقر الشديد ولكنه في النهاية يصنف على أنه فشل في تركيبة الشخص لسوء تربيته ، وضعف تدريبه على مواجهة الحياة ، وانفصاله عن الدين مما يستوجب الاهتمام بالأجيال القادمة والنشء بتعليمهم الصبر والقوة والتحمل والارتباط بالدين وتعاليمه لأنها جريمة أمام الله ، فإن الإنسان مكلف من الله أن يعمر هذه الأرض ويرعى نفسه وغيره .

وأصبح من مستلزمات المنطق حينما نتحدث عن شان عربي ما، أن نستطرد بعض المتغيرات الثابتة والملزمة أحيانا ، أن نتكلم عن صراعات وإشكاليات وتحديات وتهديدات ، صراع حضاري أو صراع ديني ، وتحد مصيري ، وإشكاليات ثقافية ، وتهديدات أمنية وغيرها. وكأننا قوم نعيش في وسط غابة مظلمة ليس فيها سوى الوحوش وما علينا إلا أن نتجهز ونستعد في كل لحظة لهجوم محتمل .هذه هي فلسفة العالم الغربي المتحضر ، وتلك هي قوانينه الغابية وهو ينشد الديمقراطية وهذه هي نظرته التعسفية الضيقة وهي يدعّي التقدمية .

ولكن هذه هي أخلاقهم وفلسفتهم في الحياة ، فما بالنا نحن امة العرب والإسلام إزاء هذا الهجين من القيم والأخلاق؟ كيف نحافظ على مجتمعاتنا من الانجرار وراء هذه التيارات الهزيلة ؟وحسبي أن أقولها بأسى ، لم نجد سوى " أدبيات " التراجع والاستسلام والرضا ، لم نجد سوى التأرجح بين أصالة التراث المجيد وبين الانفتاح العشوائي لحضارة الغرب. سقط من أيدينا سلاح الإيمان القاهر ، وهزل منطق الإسلام في كيفية التعامل مع الآخرين، واستيعاب منطق الآخرين في التعامل معنا. نسينا أن أخلاقنا هي التزام وإنها تقوم على الإيمان بالله ، وابتعدنا عن دستور القيم والثقافة ومكمن القوة كتابنا المجيد.

أولا–التكوين المجتمعي

يعتبر المجتمع العربي واحدا من أقدم المجتمعات، مرتّ عليه تجارب وتقلبات كثيرة ومتنوعة طالت مختلف الأنشطة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والثقافية، تجارب تمخضت عنها أشكال متنوعة من الأنظمة السياسية شملت المدينة والإمارة والدولة ،صاحب ذلك تغيرات اجتماعية متعددة ، تميز بعضها بالبطء الشديد ، بينما اخذ ، الأخر شكل ثورة عارمة قلبت الأوضاع رأسا على عقب ، لم يتجاوز تأثير بعضها حدود المظاهر الخارجية للبنى وللنظم ، وللمؤسسات الاجتماعية ، بينما طال التغير خلال مدد أخرى أسس وقواعد البنى والنظم والمؤسسات الرئيسة .

والمدينة التي تمثل ساحة هذه التغيرات ، كان نموها الحضري السريع اشد هذه التغيرات وطأة عليها ، إذ أسهمت العوامل السياسية والاقتصادية بدورها في تهيئة الدوافع لنموها بصورة غير مخططة وفوضوية ، فتعطلت الوظائف الطبيعية للمدن وتحولت الحياة فيها إلى جملة من الأزمات والاختناقات وفي كل الميادين ، وأصبح من المألوف التعايش مع أزمات نقص مياه الشرب وقصور في الخدمات والمرافق ، واختناق المواصلات أو انتشار الأحياء العشوائية ، وارتفاع كلفة السكن ، وازدياد البطالة ، وتفاقم مشكلة الفقر الحضري ، والبحث الدائم من معظم السكان عن الحد الأدنى من الحياة الكريمة في جو محموم من التزايد السكاني.

أن زيادة الأعباء أو الصعوبات التي يواجهها الفرد في الحياة ستجعله أكثر تشاؤما ،وبالتالي أكثر قلقا من المستقبل ،وما تؤول إليه هذه النظرة من إحباط وقلة اندفاع في العمل والإنتاج وانعدام الإبداع والمساهمة الفاعلة في تقدم المجتمع [1].

ومن المؤكد أن هذه الأوضاع المتردية تمثل مرتعاً خصباً لتولد مشاكل اجتماعية عديدة لعل في مقدمتها تدهور المستوى التعليمي وتفشي الأمية والجهل والاختلال الثقافي والفكري .

هذه الصورة غير الحية وغير الصحية من المؤكد أنها بنيت على أساس خاطئ سواء في البنية المجتمعية أو الثقافية أو الفكرية ، ونحاول هنا الكشف على هذا البنيان لعله يفيد في تصحيح الخطى أن لم يكن في الوقت الحاضر فأنه يفيد في المستقبل .

2-النظام الاجتماعي

تعددت الآراء حول هذا المفهوم الذي يشير إلى أي تركيب اجتماعي له وظيفة ، فقد عرفه (تشايل Chill) بأنه عبارة عن تنظيم اجتماعي يتكون من أفراد يتفاعلون مع أعضاء تنظيم أكثر من تفاعلهم مع غير الأعضاء ، كما عرف (سو روكنSue Rocken) النظام الاجتماعي بأنه عبارة عن تفاعل ذي معنى بين اثنين أو أكثر من الأفراد حيث يؤثر احد الطرفين بشكل واضح في السلوك الظاهر أو الحالة العقلية للطرف الأخر ،وهكذا نرى أن اصطلاح النظام الاجتماعي قد يشير إلى الأسرة والى جماعة الأصدقاء أو منتسبي مصنع معين ، أي انه يغطي غالبية التنظيمات الاجتماعية في المجتمع سواء أكانت رسمية أو غير رسمية .

ومن مقومات النظام الاجتماعي أن تكون هناك علاقات متبادلة تربط بين الوحدات الاجتماعية ووجود ارتباط تكاملي بينها بحيث إذا حدث تغير في احد هذه المكونات فانه يؤثر ويحدث تغير في المكونات الأخرى للمحافظة على التوازن القائم. كما أن هذه العلاقات تكون محكومة بواسطة مجموعة من المعايير الاجتماعية Social Norms ومجموعة من القيم الاجتماعية Social Values التي تنظم العلاقات بين المكونات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية لهذه المكونات .

ومن مميزات النظام الاجتماعي انه يوضح إن العلاقة الاجتماعية لا تحدث بصورة منعزلة ولكنها تتأثر وتؤثر في المكونات الموجودة في النظام الاجتماعي والعلاقات الموجودة بينها . وأن النظم الاجتماعية تنقسم إلى مستويات مختلفة يؤدي كل منها وظائف معينة من تلك التي يقوم بها النظام الاجتماعي، وهذه المستويات تشمل الأنظمة السلوكية Behavioral Systems والأنظمة الشخصية Personality systems والأنظمة الثقافية Cultural Systems

ينحدر المجتمع العربي من النظام الاجتماعي البدوي أو ما يسمى بالمجتمع الرعوي الذي اتسمت به اغلب مجتمعات دول العالم الثالث ،إذ تتميز هذه المجتمعات بأن لها صفات تختلف عما نعهده في المجتمعات التقليدية أو المجتمعات المعاصرة في البلدان الصناعية ، وتكمن إشكالية هذه المجتمعات في أنها اقل استعداداً من مثيلاتها في الدول الصناعية من حيث مقدرّاتها وتجهيزاتها وكوادرها ، وهي بقدر ما تعجز عن تأدية تلك المهمة بقدر ما تضعف قدرتها على التحكم في ضبط السياسات ، والمراقب يلاحظ انه بين الأقطار العربية

من يعاني من مثل تلك الصعوبات إلى درجة أن منها من لم يعد باستطاعته إيفاء ديونه الدولية .

لم تصل المجتمعات الرعوية إلى هذا المأزق الحرج بين ليلة وضحاها بل الأرجح القول أن الوضع يشكل حصادا للارتجال والارتحال والارتباك والتخبط في السياسة الاقتصادية والتنموية على مدى أكثر من قرن ، أن الطموح البالغ هو من أهم أسباب التعثر في حركة التنمية التي قادتها الدولة الرعوية في محاولتها تحقيق إنجازات . لقد أخذت دولة ما بعد الاستقلال الكثير على عاتقها بما هو فوق طاقتها بأقدار كبيرة فهي من جهة ، ظنت انه بقدرتها أن تقوم بتقديم ما يحتاجه المواطن من خدمات تربوية وصحية وسكنية ومعيشية كما اختارت أن تقوم مباشرة بإنشاء وتسيير الأعمال وضبط حركة السوق وإخضاعها لمنطقها الرسمي من جهة ثانية، لكنها أخفقت في ذلك بعد ما ظهر التباين بين ما تريده كدولة وما يتقبله المواطن ذات الانتماء التقليدي الرافض للجديد. ذلك أن للبداوة نمط معيشة خاص يقوم في الأساس على تربية المواشي والترحال تلاؤماً مع البيئة الصحراوية،إذ أن البيئة الصحراوية التي ينحدر منها المجتمع العربي هي التي حددت في الأساس حجم الجماعات التي قطنتها وأصنافها ، والتنظيم الاجتماعي المشبع من قبل هذه الجماعات وأساليب معيشتهم وقيمهم وعاداتهم ومعتقداتهم .

هناك علاقة مباشرة بين التنظيم الاجتماعي البدوي والبيئة الصحراوية وضرورات الارتحال و الرعي والدفاع عن الذات وتدبير المعيشة ، أن كل هذه الأوضاع والضرورات الحياتية اقتضت قيام عصبية قبلية تقوم في أساسها على علاقة القربى الدموية ونشوء وحدات قتالية شديدة البأس متمثلة بالفروسية والشجاعة ،بعبارة أخرى ، أن القبلية والعصبية تعتمدان على الشجاعة والفروسية في الدفاع عنها وتأمين معيشتها ،وهي التنظيم الأنسب في مثل هذه البيئة الصحراوية [2] .

2- القيم الاجتماعية

تستمد القيم الاجتماعية للمجتمع العربي اصوالها من قيم البداوة ذات الارتباط بعملية التلاؤم مع حياة الصحراء التي عاشها الناس قبل انتقالهم إلى حياة المستقرات البشرية ، ويمكن تصنيف هذه القيم إلى خمسة اتجاهات قيمّية رئيسة هي :-

أ- قيم العصبية

تمثل هذه القيم التضامن والتماسك الداخلي تجاه تحديات الصحراء ومخاطرها ومهمات تأمين المعيشة في بيئة قاسية قاحلة ، تشمل القيم العصبية الافتخار بالنسب ، ونصرة القريب ، والمساواة بين أفراد القبيلة، واحترام أو طاعة الأهل والكبار في العمر والثأر والحشمة والشرف [3] .

ب – قيم الفروسية

تشدد الثقافة البدوية على قيم الفروسية ، وتشمل هذه القيم الشجاعة والبأس والبسالة والاحترام والاعتزاز بالسلاح والخيل والمرأة والرجولة والكبرياء والإباء والتعفف والمروءة .

ج – قيم الكرم والضيافة

تعتبر فضائل الكرم والضيافة والمروءة والنجدة هي من أهم القيم التي يتمسك بها البدو ، وهي القيم التي يراها الآخرون (الحضر) فضائل كبرى ، يقول المرزوقي أن الكرم " صفة طيبة تكاد تكون ملازمة للعربي البدوي " إذ يتعلمها الطفل فيضع في عقله " أن كرم الضيف من اكبر الواجبات وانه عنوان الرجولة " [4] .

د – قيم الحرية الفردية

ينزع البدوي على الدوام نحو الحرية الفردية والإباء الذاتي والتمسك بكلمة الشرف والأمانة والصدق والتعالي عن الاستخدام عند الآخرين ، ولهذا نجد الحضر ينسبون إلى البدو ضعف ميلهم للتنسيق والعمل كفريق والتأكيد على الذات ، وهذا تَّجَنِ دون شك ، إذ يتجاهل أصحاب هذا الرأي التضامن والتعاون بين أبناء القبيلة كما ذكرنا قبل قليل .

هـ – قيم المعيشة

يتميز البدوي في حياته المعيشية بالبساطة ، والفطرة ، وتحمل الصعوبات والخشونة والصبر ، وصفاء النفس ، والصراحة . ويضاف إلى القيم التي ذكرت ولع البدوي بالكواكب والنجوم واتخاذها سبيلاً لتنقله في البادية ، ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن البدوي يتميز بالفكر القدري وسرعة البديهية والفطنة .

هذه هي بعض خصال البدو ذات الاتصال المباشر بالصحراء ونمط المعيشة المتبع فيها .

3-الثقافة المجتمعية Community Culture

يعيش الإنسان مع غيره من الكائنات الحية الأخرى حياة ترابط يجعله مؤثراً ومتأثراً بما يحيط به ، فالإنسان يتأثر بالبيئة الجغرافية وما فيها من مياه وسهول وجبال ويتأثر بالبيئة البيولوجية وما فيها من حيوانات ونباتات ، ويتأثر بالبيئة الطبيعية وما فيها من هواء وأمطار وبرق ورعد وبرد وحر . ولا تقف حاجة الإنسان عند حد التكيف مع البيئة المحيطة به فحسب ، بل تتطلب كذلك أن ينظم علاقاته مع غيره من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ومع غيره من المجتمعات التي يتصل بها ويتعامل معها .

وإذا كان الإنسان يشترك مع الكائنات الحية الأخرى في تنظيم حياته وسلوكه وتعامله وإشباع حاجاته ، فأنه يختلف عنها في وجود ظاهرة اجتماعية خاصة به هي ظاهرة الثقافة أو الحضارة culture والتي تعني في ابسط صورها بأنها طريقة وأسلوب للحياة في مجتمع من المجتمعات . فلكل مجتمع طريقته الخاصة في الحياة بما تشمل عليه هذه الطريقة من أدوات وطرق عمل الأشياء والأنماط السلوكية والاستجابة للمؤثرات المختلفة والقيم والمعايير التي ترعى هذه الأنماط ، وتشمل هذه الطريقة كذلك على التنظيمات الاجتماعية الخاصة بها مما يميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات [5] .

ويقبل كثير من الباحثين تعريف (تايلور) Taylor للثقافة بأنها " ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات والقيم والقدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع " ويعد أهم عامل في هذا الاكتساب هو القدرة على التعلم من الجماعة .

للثقافة دور مهم في الارتقاء بالشخصية الإنسانية نفسيا وعقليا واجتماعيا ، وفي مجتمع تزيد نسبة الأمية فيه عن 28% يستحيل أن تجد اهتماما بالثقافة ؛ فمفتاح الثقافة القراءة ولا قراءة بغير تعلم ، ولذا فإنك تجد تدهورا ثقافيا وانحدارا أخلاقيا رهيبا في وطننا العربي يرجع في أصله إلى انتشار الجهل والذي هو في رأينا أساس البلاء.

وحتى المتعلمين في عالمنا العربي شبابا كانوا أو كبارا تجدهم زاهدين في القراءة والإطلاع وسبر أغوار المعرفة ظنا منهم أنها لا تطعم خبزا ..!! ولا تبني جسما ..!! ولو أنهم قرأوا لعرفوا أن المعرفة في ذاتها كنز من شأنه أن يغير الإنسان من حال إلى حال ، وهي دون مبالغة مفتاح رقيه إلى الملكوت وصك امتلاكه للحكمة التي هي بحسب قول الله عز وجل

خيرا كثيرا .. فقال جل شانه : ﴿ يُؤْتِي الْحكْمَةَ مَن يَشاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكّمَةَ فقدْ أوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَكّرُ إلّا أولَو الألبَابِ﴾ صدق الله العظيم . **الآية 269 سورة البقرة**

وموطن الخطر هنا أن هذا التخلف والاستهتار بقضية الثقافة والمعرفة هو ما يجعل الشخصية في عالمنا العربي أيا ما كانت قوميتها شخصية تابعة هشة تتقاذفها الرؤى والأطروحات ويستحيل أن تملك قدرة على اتخاذ قرارا عاديا كان أو مصيريا .. ونلفت الانتباه إلى أن تراجع الاهتمام بالثقافة والمعرفة هو ما يجعل الكلمة والنصيحة بلا أثر في نفوس من جهل .. كما إننا نراها سببا أصيلا في تراجع الاكتراث والاهتمام بالقضايا القومية والدينية ، وشيوع القيم المادية الميكافيلية (مبدأ الميكافيليةMikavilia الذي تبناه نيكولو مياكافيلي المفكر والفيلسوف والسياسي الإيطالي في القرن السادس عشر، حيث يعتقد أن صاحب الهدف باستطاعته أن يستخدم الوسيلة التي يريدها أيا كانت وكيفما كانت دون قيود أو شروط. فكان هو أول من أسس لقاعدة الغاية تبرر الوسيلة..)

أما على صعيد قراءة الصحف، والتي ربما لا تعكس بالضرورة حقيقة المستوى الثقافي، فإن الإحصائيات المدونة تثير الفزع أيضا، حيث يقدر نسبة الصحف التي يتم توزيعها إلى عدد السكان يقل عن (53) صحيفة لكل (1000) شخص في البلدان النامية بضمنها الدول العربية مقارنة مع (258) صحيفة لكل (1000) شخص في البلدان المتقدمة.

وهناك أطروحات عديدة وضعت للخروج من هذه المحنة الثقافية المعرفية عولت معظمها على الديمقراطية كسلاح فاتك بالجهل ومهئ ومخصب للأرض العقراء، كما أن بعض هذه الأطروحات أيضا استندت إلى القومية غير أن كلا العاملين في رأينا لا شيئ دون أن يكون لأبناء الأمة والوطن رغبة حقيقية في التوجه نحو الثقافة والإيمان الكامل بأنها أكسير حياة وليست مجرد وسيلة مختارة لنهج حياة . وهنا يأتي دور الإعلام في إبراز ماضي الأمة وموروثها الثقافي الذي مكنها من الاختلاط والنهل من علوم الكون الفسيح ثم خلق علومها التي قادت بها الأمم ، كما يجب التأكيد على أن العلم بداية للمعرفة وليس منتهاها ؛ لكن الثقافة هي الأصل والأساس في مجتمع يرجو الرقي والتحضر.

نعود لنؤكد على أننا لن نتجاوز أزمتنا الثقافية إلا بمشروع عربي إسلامي نهضوي وحدوي شامل ذي أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية، يسعى إلى إعلاء شأن الإنسان وكرامته وحقوقه، كما يسعى إلى تنوير العقل، كيما تستعيد الأمة رسالتها الإنسانية المنفتحة على العالم، فقد ساد المسلمون فيما مضى عندما أبدعوا وترجموا واكتشفوا وطبقوا ، وهذا لن يتأتي إلا بالاهتمام بالقراءة والثقافة وليست العبرة في كثرة القراءة، بل العبرة في القراءة المجدية .وأنه عندما تصبح المكتبة في البيت ضرورة وليست وسيلة للاستعراض والزينة والترف عندئذ يمكن القول بأننا أصبحنا قوما متحضرين.

وتتميز الثقافة ببعض الخصائص والسمات أهمها :

أ-أنها مكتسبة ،وقد صنعها الإنسان بنفسه وأصبح يعيش وفقاً لها ،فالثقافة بالرغم من أنها نتاج تجمع الخبرات الإنسانية فأنها المحددة لأنماط الحياة الاجتماعية في مجتمع من المجتمعات ، فهي تحدد اللغة السائدة والطرق المختلفة التي يتبعها الأفراد لمواجهة المواقف الاجتماعية المختلفة ، وكذلك تحدد القيم والمعايير والتقاليد الاجتماعية .

ب-تعمل الثقافة على تنظيم الحياة الاجتماعية بشكل يوفر لإفراد المجتمع ما أمكن من حاجاتهم المعيشية وطرق الحصول عليها إلا إنها تختلف عن بعضها في الوسائل المؤدية إلى إشباع هذه الحاجات وفي شكل التنظيم نفسه .

ج-الثقافة دائمة التغير بما تضيفه أليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وأنماط سلوكية وألفاظ لغوية.

تعتبر اللغة أو الاتصال الرمزي أساسا هاماً من مكونات الثقافة كما أنها تعمل في الوقت نفسه على تراكم التراث الثقافي وزيادته فيستوعب كل جيل ما يوجد من ثقافة ويضيف أليها ، ثم يأتي جيل أخر فيستوعب ما يجد من ثقافة ويضيف إليها بدوره وهكذا .

هـ-تتأثر كل ثقافة في تكوينها بالخبرات التي يمر فيها المجتمع وبالمواقف المختلفة التي يواجهها، فالمجتمعات التي تحيط بها مجتمعات معادية تكون ثقافتها ذات طابع يختلف عن طابع ثقافة مجتمع أخر يشعر بالطمأنينة والسلام ، بل تتأثر ثقافة المجتمع بظروف البيئة الجغرافية والطبيعية والبيولوجية [6] فالمجتمع العربي صنع ثقافته من قيمه الدينية وعاداته الاجتماعية الأصيلة ومن بيئته الصافية النقية فكان بحق من أرقى الثقافات في السمو والتسامح والتواضع والكبرياء .

4-التنشئة الاجتماعية Socialization

التنشئة الاجتماعية أو التربية ذات ارتباط مباشر بالثقافة وشخصية الفرد إذ لا توجد ثقافة مجردة ولا شخصية مجردة ، بل هناك أطار زماني ومكاني يوجد في كلاهما، فالثقافة هي ثقافة جماعة أو مجتمع ما ، ورغم استمرارها وتناقلها فهي ليست ثابتة ومنفردة بحيث توجد مرة واحده للأبد، فثقافة أوروبا الغربية مثلاً في العصور الوسطى قد اختلفت عما هي عليه في عصر النهضة أو الثورة الصناعية ، ونفس الشيء ينطبق على الشخصية والتي تتكون بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية والتي تهدف إلى إدخال الفرد إلى ثقافة مجتمعه وإدخال المجتمع إليه أي أن تكون جزء من شخصية هذا الفرد.

إذن يمكن أن نفهم التنشئة على أساس أنها العملية التي يتم بها ضم الإنسان الجديد إلى الجماعة ليكون ناضجا وقادرا على تحقيق التوقعات التقليدية الاجتماعية لشخص في سنه وجنسه .ويرى البعض أن التنشئة كأداة تحويل تغير الكائن العضوي الإنساني إلى شخص أي تحوله من وضع طبيعي "natural" إلى وضع متحضر" civilized".وتعد التنشئة عند أصحاب التربية والتعليم عملية التعلم التي تستمر طوال حياة الإنسان بل قد تبدأ قبل ميلاد الفرد من خلال الأسرة أو الجماعة التي ينتمي إليها سواء كانت مجموعة عرقية أو قبلية أو عشيرة أو طائفة.

فالتنشئة الاجتماعية هي عملية نقل ثقافة المجتمع وطرق المعيشة فيه وأسلوب التعامل واللغة والعادات والقيم السائدة إلى الأفراد الجدد . وهي كذلك نوع من التعلم لزيادة تكّيف الإنسان وتنمية ذكائه الاجتماعيSocial Intelligence ،والمقصود بالذكاء الاجتماعي هنا القدرة على التصرف في المواقف الاجتماعية والتعامل مع الآخرين دون تطرف أو توتر مبالغ فيه لا يتطلبه الموقف ، وهذا يهدف إلى تنمية الشخصية وتطويرها وجعل الفرد أكثر نضجاً على حسب المقاييس والمفاهيم السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه .

وهناك عاملان مؤثران تتم بواسطتهما عملية التنشئة الاجتماعية هما :

اللغة ودور الأسرة في تكوين وتشكيل الطفل لكي يصبح عضواً فعالا متمثلا لثقافة مجتمعه قادرا على أداء دوره الاجتماعي ، فاللغة language ترتبط بالعمل أيضا وهذه عملية تفاعل واتصال اجتماعي، ومن الصعب الفصل حول أسبقية أيهما المهم لكي يصبح

الإنسان أنسانا من خلال وجوده الاجتماعي مع الآخرين ومن خلال وصفه وتعبيره عن الأشياء واستعماله للرموز.

ويرى علماء النفس الاجتماعيون أن الإنسان اخترع اللغة في تفاعله بحيث أصبح التفاعل سهلا مع الآخرين حتى يستطيع المجتمع توصيل عاداته وتقاليده وأفكاره. أما الأسرة family فتقوم بالمهمة الاساسيه للتنشئة الاجتماعية وهذه قاعدة في كل المجتمعات مهما اختلف شكل الأسرة أو وظائفها،فهي قناة لنقل الثقافة إلى الأجيال الجديدة،حتى في المجتمعات ألحديثه التي تقلصت فيها وظائف الأسرة حيث بقيت المصدر الأول في سنوات ما قبل المدرسة في توصيل الثقافة التي ينتمي إليها الفرد ، وهذا الدور يقوى كلما كانت الأسرة التقليدية والعلاقات ألاجتماعيه أولية [7] .

وتكاد الثقافة التي اكتسبها الفرد العربي بما تحويه من قيم وعادات أصيلة أن تكون من أعرق الثقافات على مستوى شعوب الأرض بلا مغالاة، الأمر الذي أدى إلى تكالب القوى الخارجية للنيل منها وإضعافها وأقولها بأسى أن هذه القوى الخارجية نجحت في إضعاف الروابط الأسرية العربية وقيمها ليست بقوة هذه العوامل فحسب، بل أنها وجدت هناك ليونة وتقّبل من جانب الأسرة والثقافة العربية دون أن تشعر الأخيرة بذلك ، محتسبه ذلك جزء من التطور والتماشي مع روح العصر ، غير مبالية بماهية القيم والثقافة المفروضة عليها ، وبالتالي حدث الانحدار الرهيب لبنية المجتمع العربي قبل الدخول في المدرسة والجامعة وهذا ما سنلحظه واضحاً في الفصول القادمة .

ثانيا – التكوين الاقتصادي Economic composition

1–مدخل عام

تدرّج المجتمع العربي في بنيته الاقتصادية بمراحل عدة ، من الاقتصاد القائم على الرعي والصيد إلى اقتصاد الزراعة البدائية ثم الاقتصاد الزراعي المستحدث وآخرها الصناعة الأستخراجية ، وفي جميع هذه المراحل تأطر بأنظمة متداخلة تتعايش فيها مختلف إشكال الإنتاج ،فهو شبه إقطاعي وشبه رأسمالي وشبه برجوازي يجمع ما بين –ما قبل الرأسمالية والرأسمالية – وبين الاكتفاء الذاتي النسبي والاندماج التبعي بالنظام الاقتصادي العالمي ، وبين الملكية الخاصة وملكية الدولة والعائلات الحاكمة ، وبين أنماط الإنتاج التقليدي

والحديث ، ليس النظام السائد إذن نظاماً أقطاعيا أو رأسماليا أو اشتراكيا ، انه نظام متعدد الأنظمة مركب انتقالي يجمع بين الإقطاع الخاص والرأسمالي العام والرأسمالي الخاص.

وبوصف أدق يتسم الاقتصاد العربي بالتبعية الواضحة في عدم سيطرته على موارده ومصيره وبوجود فجوة حضارية تفصل بينه وبين المجتمعات المتقدمة. هنا يمكننا أن نضيف بأن الاقتصاد العربي مرتبط بالسوق العالمية وخاضع للشركات المتعددة الجنسية حتى " أن البلدان العربية التي تحتاج إلى تمويل لا تستطيع الحصول على القروض من البلدان العربية ذات الدخول العالمية ألا عن طريق نيويورك ، ولندن وبواسطة الشركات المتعددة الجنسيات " [8] .

وبين أهم جوانب التبعية استيراد السلع الاستهلاكية والإنتاجية والتقنية وارتباط النظام النقدي للبلدان العربية بالنظام الرأسمالي ، وتوظيف الفوائض المالية في البلدان الغربية ، وسيطرة الشركات المتعددة الجنسية، واتخاذ الغرب أنموذجا للتنمية ، وعزل الأقطار العربية عن بعضها البعض وربطها منفردة بالغرب . وقد عمد الغرب باستمرار إلى عرقلة أي مجهود تصنيعي جاد في البلاد العربية منذ المحاولات الأولى التي قام بها محمد علي في مصر ، واشترط في معاملاته مع العرب فتح الأبواب العربية للسلع والاستثمارات الغربية على حساب الإنتاج الوطني، وتتجلى التبعية الاقتصادية في الميدان الغذائي مما أدى إلى انخفاض ثابت في الاكتفاء الذاتي الغذائي [9] .

ويعد سوء التوزيع للدخل والثروات من أهم السمات المميزة للاقتصاد العربي سواء كان ذلك بين الأقطار العربية بعضها من بعض وحتى على مستوى القطر الواحد ، وتتمتع مقولة سوء التوزيع في الدخل القومي بقدر اكبر من الصحة والقوة في التفسير ، إذ أن الاقتصاد التقليدي الوسيط غالباً ما يشتد فيه سوء التوزيع ، فمن حيث هو اقتصاد زراعي تقليدي في غالبيته نجد الفجوة في مستوى المعيشة بين الملاك الكبار والصغار كبيرة جداً، وحسن التوزيع يحقق عدالة بين المواطنين ويمكن أيضا إن يزيد في الإنتاج،وبخاصة في حال اخذ الخطوات السليمة كما حصل في مصر عبد الناصر ألا أن استقامة التوزيع بحد ذاتها لا تقضي على الفاقة.

المشكلة الرئيسة بالنسبة إلى الفاقة الريفية لا تقتصر على سوء التوزيع ولا الاستقلال بل أيضا وبالدرجة الأولى على أسلوب الإنتاج البدائي، فالتوزيع الزراعي في اغلب البلدان

العربية أن لم نقل كلها لم يكن نظاماً رأسماليا فحسب ، بل نظاماً تجميعياً بدائياً، فقد أتيح لعدد من الناس تجميع مساحات من الأرض فاستغلوها استغلالا بدائياَ غير رأسمالي يرتكز على العائلة الفلاحية الأجيرة بوسائلها المتأخرة [10] .

أن اقتصار المعادلة الإنتاجية على العامل وصاحب العمل (رأس المال والعمل) نظرة ضيقة الأفق ولا تؤدي إلى وضوح الرؤية ، فالإنتاج فعل اجتماعي تعاوني تتضافر فيه الجهود، الأمر الذي يجعل الحاصل أكثر من مجموع ما يقدمه كل فرد على حدة [11]، ومن هنا لا يمكن اعتبار الربح استغلالا بل مكسباً كالأجر ، وفرته عملية التعاون الجماعي كعائد عمل ، لا حظوة واستلاباً .

ومن هنا نرى أن أسباب التخلف الرئيسة في مجتمع ما بعد الاستقلال ، الإنتاجية المتدنية ووسائل الإنتاج البدائية وندرة أهل المبادرة لا الاستغلال وسوء التوزيع وحدهما . ألا أن السراة الجدد ، أسياد الدولة الرعوية ، اعتبروا قضية التنمية مسألة بنيوية وأخلاقية في الدرجة الأولى فأجهزوا على صاحب العمل معتبرينه مستغلا ومضرا بالمجتمع بدل أن يعالجوا أصل المشكلة من تدني الإنتاج وندرة الإنتاج وندرة أهل المبادرة ونقص الخبرة في التنظيم والتصريف ، ففي حين كان ينتظر منهم أن يشجعوا رجال الأعمال ويعملوا على تزايد أعدادهم ضّيقوا عليهم الخناق متجاهلين أنهم قيمة نادرة يفتقدها العالم الثالث ، ولم يفتحوا لهم الطريق ثانية في مصر وتونس في السبعينات من القرن العشرين إلا بعد أن كانوا قد الحقوا بهم اشد الأذى وفرقوا شملهم .

باختصار أن المجتمع الذي واجهته دولة ما بعد الاستقلال هو في الواقع مجتمعان: **واحد** أعضاؤه قادرون على التعامل مع السوق ، وهم الجزء الأصغر ، **وآخر** قدرة أعضائه الشرائية دون مستوى السوق ، ومنتجهم لا يجلب عائداً مجزياً . وهذه الثنائية في المجتمع اخطر ، وعلاجها أصعب بكثير من ثنائية أخرى نعرفها في العالم الثالث وهي الثنائية المتجسدة بوجود قطاع من السكان يعمل داخل السوق وقطاع قائم خارجه ، ولنسم الثنائية الأخيرة هذه ثنائية المركز والإطراف تميزاً لها عن ثنائية إنتاجية السوق .

ثنائية المركز والإطراف حالة سابقة زمنياً لثنائية السوق ، وسبب حدوثها غالباً ما يكون تعرض جزء من اقتصاد مجتمع تقليدي لاقتصاد خارجي –استعماري في الغالب فينشطر المجتمع الاقتصادي إلى مجتمع يتعامل بالنقد وآخر على الاكتفاء الذاتي وحالة الكفاف ،

ومعظمه في الأرياف ،والعبء الاقتصادي على النظام السياسي في مجتمع ثنائية المركز والإطراف اخف وقعاً منه في نظام ثنائية الإنتاج السوق ، وذلك أن السواد الأعظم من المواطنين في الإطراف ينتجون ما يقتاتون به أنفسهم ، كما وإنهم يمدون إلى درجة محددة المركز – المدينة بالمؤن الغذائية.

2-دور الدولة في السياسة الاقتصادية العربية

أن الحقبة التي أعقبت حصول البلدان العربية على الاستقلال تميزت باتجاه مباشر وسريع في الخمسينات وكذلك في الستينات نحو تركز السلطة السياسية والاقتصادية وتأميم كل ما يمكن تأميمه،وشمل هذا التركيز في السلطة إلى جانب المجال الاقتصادي مجالات حديثة أخرى مثل تركز وسائل الأعلام في يد الدولة وتركز الهوية الوطنية على حساب الهويات المحلية وهيمنة الدولة على نقابات العمال وعلى النظام التربوي والتعليمي والقيم الأخلاقية والممارسات الدينية ونمط ما يتخذه الناس من زينة ولباس، وبعد وقوع هذا الحدث الجسيم المتمثل في ظاهرة تركز السلطة ،أتت المبررات لها من علماء السياسة والاقتصاد باسم الأيديولوجيات المختلفة من ماركسية واشتراكية وكينزية Marxism, Socialism and Keynesianism.

والذي يدرس الحروب الأهلية واقتصادها السياسي في لبنان والجزائر واليمن والعراق يكتشف أن تلك الحروب تجنح بصورة عامة نحو معالجة ظاهرة تركز السلطة الاقتصادية والسياسية بالوسائل العنيفة بعد أن تعذر معالجتها بالوسائل المؤسسية [12] .

أن التاريخ الاقتصادي للبلاد العربية خلال الخمس والعشرون سنة الأخيرة يمثل "سنوات الفرص الضائعة " أنها مرحلة هدر الإمكانيات ، وآية ذلك أن متوسط معدلات النمو السنوي للناتج الوطني الخام في الأقطار العربية بلغ (2.7)في المائة خلال المدة 1980-2005 ، بينما بلغ معدل نمو السكان في المدة ذاتها (2،8) في المائة ،مما يشير إلى انخفاض في متوسط الناتج الوطني للفرد وبمقدار (-0.1)

في المائة خلال تلك السنوات،و بالمقارنة ، بلغ معدل النمو في متوسط الناتج الوطن للفرد في الأقطار النامية غير العربية خلال تلك المدة(2.9) في المائة ويقع اللوم في ذلك الأداء

التنموي السيئ على السياسات الاقتصادية المنكفئة إلى الداخل التي راجت خلال تلك المدة .

ولا يكفي لإصلاح الحال في المستقبل مجرد تعظيم دور القطاع الخاص بل ينبغي أن يرافق ذلك تطوير بيئة اقتصادية تسودها المنافسة وتتأهل بها الأقطار العربية للمنافسة في أسواق التصدير وبالتالي للمشاركة في الرخاء الذي عم الاقتصاد العالمي في القرن الحادي والعشرين الذي نحن فيه .

وبهذا الصدد يؤكد الاقتصادي الأمريكي بول كر وغمان Krugman من أن التنافس العالمي المقبل ليس تنافساً بين الأقطار أو الدول وإنما بين الشركات والمنشات في السوق الداخلية هو أفضل ما يؤهلها للتنافس بنجاح في الأسواق الخارجية ، ويترتب على هذه الملاحظات أن أهم دور للحكومات العربية في المرحلة المقبلة هو تحري ومتابعة كل ما من شأنه أن يرفع من المقدرة التنافسية للمنشات الوطنية في السوق العالمي .

3-الدول العربية ونظرية التخلف

ظاهرة التخلف التي تتسم بها الدول الحديثة الاستقلال أو دول الجنوب تمثل مشكلة عميقة ومركبة وذات جذور بعيدة المدى ، وهي ليست مسألة اقتصادية بل ذات أبعادا سياسية واجتماعية وثقافية وجغرافية كما أنها ظاهرة نسبية وليست مطلقة . ولا يمكن أن تكون دائمية لان هناك العديد من هذه الدول تمتلك مقومات اقتصادية وبشرية استطاعت أن تقطع شوطاً كبيراً على طريق التقدم والتطور كالمكسيك والبرازيل في امريكاالجنوبية وتايوان وكوريا الجنوبية وهونك كونك وماليزيا في آسيا والأمارات العربية المتحدة في الوطن العربي [13] .

ويمكن أن نوجز نظرية التخلف الاقتصادي في الدول العربية بما يأتي :

أ-تدني الإنتاجية وهي إحدى أسباب التخلف الاقتصادي ، وفي كثير من الأحيان يكون المُنتَج اقل قيمة من التكلفة وهذا اخطر الحالات ،فهي لا تفي بحاجات أي من العامل أو صاحب العمل، إنما في كثير الحالات يكون هامش الفائض في العائد من كلفة الإنتاج صغيراً جداً ولا يغني أحدا .

أن أسباب تدني الإنتاجية تأخذ مظاهر عديدة منها :

1-الاستثمار غير المجدي في مجالات تقل أو تنعدم فيها الميزة النسبية ،وتلك حالة لا يكتب لها الاستمرار إلا في القطاع العام وبإرادة سياسية ،حيث تقوم الدولة بسد العجز من الخزانة العامة ، ويندرج تحت هذا الباب ارتفاع أسعار المواد الدخيلة بالنسبة إلى مستوى الأسعار السائدة، بخاصة أن كانت تلك المواد مستوردة .

2-الكفاءات الضعيفة على مستوى الإدارة من جهة أو العمال الذين هم خط الإنتاج من جهة أخرى ، وانخفاض مستوى التكنولوجيات عن المعمول به عالمياً، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى رفع السعر وخفض كمية العرض .

3-ضعف مستوى الخدمات الضرورية المواكبة للإنتاج ، أي الأرضية الاقتصادية التي تشمل النقل والمواصلات والتخزين والتسهيلات المالية والتسويق.

ب- السياسات الخاطئة التي انتهجتها الدول العربية باسم التنمية ومن ذلك الاستلاب من المنتج وتشجيع الاستهلاك وأتباع سياسة غير رشيدة من شأنها هدر الثروة القومية في إنفاق لا مبرر له، وإرهاق القطاع العام بإجراءات مكبله ومعيقة . أن تحميل القطاع العام عبء إعالة المستهلك تشكل سياسة اقتصادية فاشلة في جميع البلدان التي اتبعّتها مثل تركيا ومصر وسوريا والجزائر وتونس ، أن استحواذ الفائض من القطاع العام يجرده من قدرته على إعادة الاستثمار وبالتالي تتراجع قدرته على النمو .

ج- من أسباب النمو البطيء والتخلف أيضا الحواجز التجارية والإقليمية والدولية ، أن الحماية وسد أبواب السوق أمام البضائع في الدول المتقدمة والى حد ما في الدول النامية ،تعيق العملية التنموية وتعمل على استمرار التخلف . والشكوى الرئيسة هنا هي من تحّيز الدول الصناعية ضد السلع المنتجة في العالم الثالث ،إنما لا يقل أهمية هو تحيز الدول النامية ذاتها ضد منتجات بعضها البعض، وهذا أمر معقد لا يمكن معالجته عرضياً إنما ما نود أن نلفت النظر إليه في هذا المجال هو نزعة الدول النامية نحو الانزواء الاقتصادي باعتمادها سياسة بدائل الاستيراد،ومن ذلك أيضا الحواجز الاقتصادية التي تفرضها البلدان العربية ضد بعضها البعض ولأسباب سياسية بحته لا تمت إلى الاقتصاد في شيء [14] .

أن مسالة التخلف في المجتمع العربي تاريخية وتعود أصلا إلى الريف، ففي الريف تتجسد مسألتا الإنتاجية المتدنية والتوزيع غير المنصف في آن واحد ، وقد نشأ هذا الوضع بصورة خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو وان كان تحول الآن تحولاً جذرياً ، فأن

نتائجه الضارة لا تزال تفعل فعلها حتى يومنا هذا . فكما سبق و ذكرنا أن تجمع الأراضي الزراعية بشكل تراكمي ورأسمالي في القرن الماضي لم يرافقه تغّير في تنظيم العمل على طريقة رأسمالية،بل حصل العكس حيث واكبته الوسيلة الإنتاجية الفلاحية العائلية السابقة ، وهكذا ظلت إنتاجية الوحدة من الأرض على ما كانت عليه سابقاً، كما وان إنتاجية الفرد انخفضت بسبب تزايد عدد العاملين في الأرض .

وهكذا اتحدت عوامل الإنتاجية المتدنية مع الاستغلال المرهق للثروة البشرية ولكرامة الإنسان لتزف لنا في مطلع هذا القرن مجتمعاً عربياً قاصراً في بنيته وفي أهلية القوى البشرية فيه . وهذا هو الانفصام المدمر في طبقة المجتمع الاقتصادي العربي الحديث حيث نجد جزءاً كبيراً من المواطنين ضعفاء الإنتاجية والقوى الشرائية معاً الأمر الذي يضعهم دون مستوى التعامل مع السوق وهم المحكوم عليهم أن لم يكونوا أسرى فيه .

4-التكامل الاقتصادي العربي

درج الاقتصاديون تقليداً على اعتبار التكامل الاقتصادي مجرد انفتاح تجاه تجارة السلع ، وكانت تعتبر أي دولتين(أو أكثر) عالية التكامل إذ كان حجم تجارتها الثنائية (ومتعددة الأطراف) بين بعضها البعض ضخماً . إلا أن مفهوم التكامل الاقتصادي قد تطور في ظل تزايد العولمة التي شهدها عقد الثمانينات والتسعينات ، إذ أصبح يشمل أيضا التجارة في الخدمات والعمالة وحركة تنقل رأس المال وتكامل السوق المالية، ومع تزايد أهمية اتفاقيات التكامل الإقليمية في المدة الأخيرة وعودة الاهتمام بدور المؤسسات الاقتصادية وعلوم الاقتصاد المؤسسي الجديد ، وأصبح التكامل الاقتصادي يشير ليس إلى تخفيض الحواجز الفاصلة بين البلدان والمعيقة للصفقات وحركة السلع ورأس المال والعمالة وحسب، بل أصبح يشير أيضا إلى تنسيق القوانين والتنظيمات وتجانسها وتبنيّ المقاييس والمعايير المشتركة لتنظيم النشاطات الاقتصادية[15]

وتأسيسا على ذلك، فأن ثمة دلائل تشير إلى غياب التكامل الاقتصادي الإقليمي بين البلدان العربية ،ويمكن عرض أهم الوقائع المبسطة على النحو الآتي :

أ- لم تشارك البلدان العربية في موجة العولمة التي اتسمت بها الثمانينات والتسعينات واندماجها الدولي الضعيف .ويقوم مؤشر آي تي كيرني A.T.Kearng للعولمة بترتيب

62 بلـداً علـى الصـعيد العـالمي حسـب أربعـة مقـاييس لانـدماجها الـدولي (وليسـت هـذه المقاييس بالضرورة مستقلة عن بعضها البعض) : التكامل الاقتصادي (التجارة، الاستثمار الأجنبـي المباشـر والعائـد علـى الاسـتثمار، المشـاركة السياسـية ، الاتصـالات الشخصـية، والتكنولوجيـا) وتكمـن أهميـة مؤشـر العولمـة فـي كونـه يتخطـى المقـاييس (الاقتصـادية) التقليديـة للتكامـل مـع الآخـرين ويشـمل التكنولوجيـا المـؤثرة علـى نمـو الإنتاجيـة فـي المـدى الطويل . والفاصل الرقمي (Digital Divide) الذي تعاني منه البلدان العربية المؤثرة على إمكانيات النمو والتطور في الأمدين المتوسط والطويل لم يندمل ألا إذا تمت معالجته وتحقيق التقارب الرقمـي من خـلال ذلك . ويبين الجدول (1) أن بلـدان المنطقـة تقـع فـي النصف الأسفل من ترتيب مؤشر العولمة حيث يتضح انه من بين بلدان المنطقة التي تتوفر عنها المعلومات (تونس والسعودية والمغرب ومصر) فأن البلد الأعلى ترتيباً هي تونس (المرتبـة 35 مـن أصـل 62 بلـداً) وان البلـدان الأخـرى تقـع بـين الـدول الأقـل عولمـة وتـأتي مصـر فـي أسفل السلم الـدولي ويلاحظ أيضـا أن مقياس الإنتـاج التجاري التقليـدي لا يمثل مؤشراً على درجة العولمة في المجالات الأخرى .

ب – ما زالت التجارة الخارجية العربية مقتصرة على (2,7 %)من التجارة العالمية وهي نسبه مماثلـه لنصيبها من الدخل العالمي الجدول (2) وبالفعل فأن أداء البلدان العربية في مجال التجارة مشابه للأداء المحزن لإفريقيا جنوب الصحراء .

فقد بلـغ إجمالي الصـادرات ما عدا الطاقة 1049.8 بليون دولار عام2008 أي ما يعادل صـادرات فنلندا التـي يبلـغ عدد سكانها 6 مليون نسمه مقابل 334 مليون نسمه فـي العـالم العربـي . ولو استثنينا صـادرات الطاقة من البلدان المنتجة للنفط والخاضعة لتقلبات أسعار النفط فـأن نمو صـادرات وواردات البلـدان العربيـة تتسم بـالركود متمشية فـي ذلك مـع تـدني نسب النمو الاقتصادي .

الجدول (1) مؤشرات أي تي كيرني A.T.Kearng للعولمة

الترتيب في 2004		التغير من عام 2003	الاقتصادي	الشخصي	التكنولوجي	السياسي
1	ايرلندا	0	1	2	14	11
2	سنغافورة	2	2	3	10	40
3	سويسرا	1-	9	1	7	33
4	هولندا	1	3	11	8	14
5	فنلندا	5	7	15	4	12
35	تونس	4	25	31	46	42
41	السعودية	0	49	24	43	59
47	المغرب	18-	54	30	54	55
60	مصر	12-	58	47	53	49

المصدر: world Bank ,Global Economic prospects(2005)

ج- والأخطر من ذلك بالنسبة للمستقبل هو أن البلدان العربية لم تطور الصادرات الخدمية وهي المكون الأسرع نموا في التجارة العالمية والأكثر وعداً على الصعيد الكامن نظراً لتزايد عدد سكانها من الشريحة الفتية .

د- كما هناك عدم تماثل في اتجاه التجارة حيث يتجه أكثر من 52% من الصادرات إلى آسيا بينما تمثل أوروبا مصدراً لحوالي 50% من واردات الشرق الأوسط وبما أن معظم البلدان العربية تثبت أسعار عملاتها بالدولار الأمريكي فهي تتعرض لمخاطر تحركات أسعار الصرف الحقيقية الفعلية أو الصدمات في شروط التجارة [16]

جدول 2: نمو الناتج المحلي لمناطق في العالم بالنسبة المئوية

البلد /المنطقة	الناتج المحلي الإجمالي (نسبة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي)				معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي		
	1962	1980	1990	2009	1962-1979	1980-1989	1990-2009
الأمريكتين	42.4	35.01	0.00	35.5	4.27	2.78	3.34
آسيا	19.28	42.56	28.58	29.7	6.88	4.75	3.10
أفريقيا جنوب الصحراء	1.37	1.23	1.11	1.0	4.82	2.14	2.05
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	1.16	18.4	18.4	1.9	8.90	1.95	3.20

المصدر :career and Schiff(2010)

ثالثا–التكوين الفكري والمعرفي

يرتكز الوطن العربي كما هو معلوم على مقومات حضارية ثرية ، ومعرفة محلية متينة ، وأساس فكري ثاقب وبنية علمية تاريخية رصينة لكنها ليست مستثمرة لحد الآن من طرف العرب، مما يجعل الجهود الإنمائية لا جدوى منها لمجتمعاتنا التي تترقب من يشعل جذوة هذا الكم المتراكم من الإرث العلمي والمعرفي ، وكما هو معروف أن البنى الاجتماعية لدول العالم الثالث لا زالت بانتظار من يستطيع أن يفجر مكامن طاقاتها المعرفية ويقودها للدخول في حلبة المعترك المعرفي العالمي، والأغرب من ذلك أنها واجهت كمآمات مُحكّمة لإغلاق فوهة طاقاتها الزاخرة والمؤسف له حقاً أن هذه الكمامات هي أول صناعة عربية يكتب لها النجاح !

صحيح أن المتتبع للأوضاع الاجتماعية والتاريخية في الوطن العربي يجدها تعاني من تفكك بنيوي حاد وناتج بالدرجة الأولى عن التركيبات الدولية المتفاوتة بما فيها من نظريات ومنهجيات ورثها عن الاستعمار ، لكن هناك دول تم ذكرها سابقاً استطاعت أن تجد لها مخرجاً من هذا التكالب الخارجي المقيت ، وتتجلى هذه التركيبات في الفقر الجسيم الذي يسود اكبر منطقة في العالم، وفي تفشي عدم المساواة بين الأقطار وداخل الأقطار نفسها ، وفي تصاعد مماثل للتبعية والغزو الثقافي ، واعتماد الوطن العربي ، كباقي دول العالم الثالث على الدول الغربية وما يترتب على ذلك من عوائق فنية وثقافية تمنع دون شك التقدم البنيوي للوطن العربي نحو مستقبل أفضل .

وإذا ما نظرنا بشكل دقيق حول طبيعة التغير الاجتماعي للمجتمع العربي ، لوجدنا هي الأخرى ناتجة عن قيم ومفاهيم أجنبية ترجع إلى مدة الاستعمار من جهة ، والى النظريات الغربية وممارساتها في الأوساط العربية حتى بعد الاستقلال من جهة أخرى . وتتميز هذه النظريات برؤية محدودة مكانيا وزمانيا وبما يترتب عن ذلك من مفاهيم ساذجة حول

التحديث باعتباره " نموذجاً مثالياً للحياة المعاصرة إلا أن هذا النوع من التغير الاجتماعي يفتقر بحدة إلى مفهوم " السير المجتمعي "الذي من شانه إن يعتبر عناصر التقليد والتحديث جزأين متواصلين في سبر اغوال كل مجتمع سواء في حاضره أو مستقبله [17].

2-النظام المعرفي في الوطن العربي

يعاني نظام المعرفة العربي من تشوهات وتحريفات أساسها النقل أحيانا والتقليد الحرفي للنموذج الغربي أحيانا أخرى بما فيه من عناصر ومبادئ ثقافية نذكر منها : **المبادئ المنبثقة عن الفلسفة الميكانيكية والآلية ، ومبادئ التجزئة، والمبادئ المبنية على الترتيبان الهرمية** [18]. وكلها مبادئ مصاغة على شكل مواضيع أكاديمية " تصّدر " كالقمح والرز إلى مدارسنا وجامعاتنا للتدريس ، وتلزم الوطن العربي بالامتثال لسياسة التبعية والتشتت الثقافي وبالتالي ترسيخ الأمر الواقع .

وبموازاة لهذا التقلص الثقافي،تقوم الأنظمة التعليمية العربية على اختلاف أنواعها بمعزل عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى سواء منها العامة أو الخاصة من : أُسر ،ومنظمات غير حكومية ،ونقابات ،وأرباب عمل ، وأحزاب سياسية ،وكذلك وسائل الأعلام والاتصال الجماهيري ، ويزداد هذا الوضع تفاقماً حين ننظر إلى دور البرمجة باعتبارها مرآة للنظام التربوي والتعليمي لكل بلد وعنصراً أساسيا لتوليد تركيبات وهياكل جديدة تنتج وتثبت البنية المعاصرة للمجتمع ، إذ نجدها تعاني من خلل جذري وفقر جسيم في الإنتاج والإبداع ، وكذلك في رسم منهجية متينة توطد وتضمن استمرارية أي تركيبة جديدة .

ربما يرجع هذا(الجمود الفكري) إلى نوعية الفلسفة التربوية الممارسة في الأقطار العربية والتي ترتكز في تشكيلاتها على المفاهيم – المواد – المواضيع" أي الأشياء " أكثر منها على التعلم كانسان في حد ذاته ولعل أهم المخاطر التي تتمخض عن هذه الفلسفة الانفصال الذي يقع بين المعلم والمتعلم من جهة ، وبين المتعلم والتجربة التعليمية من جهة أخرى .

أن هذا الانفصال والتجرد عن الواقع التعليمي يجردان المعرفة من كل قيمة باعتبارها تدخلا مقصودا في التجربة التعليمية ،واقتحاما متعمدا لحرية المتعلم في حق ممارسة التفكير في واقعه التعليمي ، وبالتالي في واقعه الاجتماعي . ومن هذه الخلفية نستطيع فهم قضايا من عمق الإشكاليات الرئيسة التربوية في العالم المعاصر وعلاقتها بالهوية العربية المسلمة ،

وبالتالي التساؤل عن الوظيفة الاجتماعية لميدان التربية والتعليم في الوطن العربي ، هذه الوظيفة التي تحدد بلا شك شخصية وهوية الإنسان العربي ودوره في مجتمعه.

انطلاقا من هذه الأرضية ،يمكننا التركيز على النقد الذاتي والتأمل في واقعنا الاجتماعي بدل التجرد عنه،قصد البحث عن رؤية فكرية جماعية ومفهوم وحدوي أفضل ،كيف لنا أذن تحديد الوظيفة الاجتماعية لميدان التربية والتعليم،وكذلك فعاليته والأساليب المستعملة لتطبيق هذه الفعالية باعتبار المناخ الثقافي الذي يوجد فيه هذا الميدان ؟

2- عناصر التركيب المعرفي والتعليمي

تتألف العملية التعليمية من ثلاث ركائز هما : **المعلم ، والمتعلم ،والمادة.** إلا أن مؤسساتنا التعليمية تركز فقط على العنصر الثالث وإهمال واضح للإنسان المتعلم كفاعل اجتماعي ، وبالتالي فإننا ننتج بلا شك إنسانا متلقياً للعلم وليس مساهما فيه ،أي مجرد مستودع للمعرفة حسب تعبير فيرار [19] وبهذا النكران والدحض لقدرة الإنسان على التفكير نحوله إلى جسم عديم الحركة ،وبالتالي نفصله عن واقعه الإنساني ونسانده في الاعتماد على " الأشياء " والارتباط بعالم مؤلف من " نتف " وأجزاء متخصصة من المعرفة .

وتأسيساً على ذلك، يتضح لنا مفهوم التعليم الإجباري والمخاطر التي من الأصل تترتب عليه ، لكونه يضمن الإنسان على شكل معين ، ويرسم له الشخصية المناسبة للعيش في مجتمع معين، وتؤكد أدبيات علوم التربية الحديثة وكذلك البحث العلمي المعاصر على أن "التربية معياريه في طبيعتها الأساسية" فهي تدخل مقصودة في مختلف دوائر المعرفة من طرف الإنسان لتنظيم تجاربه وتقديمها للمتعلم على تعدد إبعادها [20] وبالتالي تصبح التربية والتعليم تدخلاً في حرية الفرد في اختياراته الأساسية ونوعيه الحياة التي يريدها لنفسه .

إذ تؤكد الأبحاث الحديثة المتخصصة أن قيمة الإنسان تكمن في قدرته على التفكير ، والاختيار ،والعمل، لذلك يجب على المؤسسات التركيز على واقع الإنسان المتعلم من منظور بيئي ووحدوي، خصوصاً أن التجربة التعليمية مشروطة بالسياق الثقافي. من هنا ،يتضح لنا أن التفاعل الاجتماعي والتفاعل الرمزي يكونان فعلاً المحرك الأساسي للواقع الاجتماعي الذي بفضله يستطيع الإنسان ، كفاعل اجتماعي ،تغيير مجرى حياته ، فكيف لنا أن نطبق هذه الفلسفة التربوية في مؤسساتنا التعليمية؟

ويؤكد"فينكريت " على صلاحية وفعالية التغيير من "الشيء "إلى "الذات "بقوله : " **أن التربية المثالية في العصر الحديث هي التي تركز على تعبير وصياغة الافتراضات العقلانية والنفسية**" [21] ، أي التربية التي تدمج أنماط التفكير على اختلاف أنواعها لتوفير " المنظور التغيري " لكل متعلم، من هذه الزاوية يعطي "فينكريت " بعداً جديداً للسلطة والرقابة في المعرفة ، حيث تصبح هذه الأخيرة ملك المتعلم في التجربة التعليمية .

ولهذا نجد أن الكيفية التي يعين بها دور المعلم والمتعلم ، ووضعها في الفصل ، تكمن لا محالة في الخلفية الذاتية، وكذلك الإطار المادي والرمزي للواقع التعليمي، وبهذا المفهوم يضيف تحديد الوضع المعرفي على المعرفة عنصراً جديداً : ألا وهو العنصر الاجتماعي ، ويضفي أيضا بعدا عميقا للمعرفة الاجتماعية ولا سيما كيفية اختيار المعرفة وتنظيمها إلى درجة أن الفصل يصبح بمنزلة " عالم مصغر "للعالم الخارجي .

إن الحصول على نظام تعليمي إنساني كامل يكمن في الجمع بين التفكير والعمل ، وبهذا تتحول التربية إلى استقصاء ، بناء وإبداع متواصل لخلق التغير والحفاظ عليه ،ألا انه يستحيل على الإنسان الجمع بين التفكير والعمل دون وعيه بالذات ووضعه في المجتمع الذي يعيش فيه دون اتخاذه موقفاً ناقداً يؤهله لاكتشاف وتحديد مواقف بديله يستطيع بفضلها تغيير مجرى حياته.

وتتجلى التركيبات الاجتماعية التي تحول دون إدماج الإنسان كفاعل اجتماعي في بناء الوطن ،وتشمل تركيبات الربط المختلفة على عناصر فرعية تؤسس شبكة المجتمع في وظيفته الإنمائية إلى ثلاثة عناصر رئيسية : **الأسرة والمدرسة، والجماعة** وهي عناصر متكاملة وأن فشلت وظيفة أحداهما فشل المجتمع كله وأن تكافأت نما المجتمع كله، إلا انه لضمان فعالية هذه العناصر الفرعية يلزمنا إعادة النظر في دور مؤسساتنا الاجتماعية على اختلاف أنواعها: من أحزاب سياسية ونقابات ومنظمات حكومية وغير حكومية وكذلك وسائل الأعلام والاتصال الجماهيري .

ويؤكد الباحثون [22] انه لنمو المجتمع وتكافؤ العناصر الفرعية يلزم اقتناء مهارات مستمدة من مفهوم التنسيق والتنوع لعدم إعادة نفس المشاريع من طرف الجهات المختصة وتلافي الإهدار في القدرات المادية والبشرية ، والتنوع في تقديم الخدمات الجديدة والمطابقة لادوار المواطن الجديدة مع إتاحة فرص متساوية لسد الحاجات المعينة لفئات المجتمع الفقيرة ،

ولتحقيق هذا الهدف المنشود ينادي النموذج البديل بأشرك تركيبات المجتمع كافة سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية في مبادرة جماعة، وتستلزم هذه المبادرة تعبئة وتجنيد كل الطاقات المادية والبشرية ، وتطبيق إستراتيجية شاملة وموحدة على الصعيد الوطني تشمل ربط العناصر الفرعية (الأسرة – المدرسة – الجماعة) ربطاً متيناً يتبلور في مشاريع التنمية وتطبيقها .

3-إشكالية الفكر العربي

الإشكالية الحقيقية التي يعاني منها الفكر العربي أن الماضي يقف في علاقته بالحاضر موقف التقابل، المواجهة،وليس التجاوز من خلال صيغة إبداعيه خلاقة تؤسس الماضي فينا، وتجعل منها "أصلا "لخطابنا النهضوي، وكما أن الحاضر هو من صنع" الغرب" في مجمله ، فقد جعلنا منه خصيما للماضي ووجدنا أنفسنا ونحن نحتمي بالماضي في مواجهة الغزو الثقافي والهيمنة الفكرية للغرب ، نضع الماضي في مواجهة الحاضر، لم نعرف حالة التجاوز الإبداعي جنباً إلى جنب مع حالة تغلغل الماضي في الحاضر، حالة تجاورهما وتعايشهما .

وقد يبدو للوهلة أن هناك نوع من الضبابية التي تغلف هذه الإشكالية من حيث اقترابها وابتعادها عن منهج التفكير العلمي الخلاق والنهج التربوي السليم ، الحقيقة أن العرب بدلا من أن يوظفوا الماضي في خدمة الحاضر استمالوا كلياً على مخاطبة الماضي بالبكاء والنواح والحنين الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، بل الأكثر من ذلك انصرف التفكير العربي المعاصر للمفكرين بأغلبهم على التحليل والتمجيد والتغني بالماضي فقط ،ورغم غناه وثرائه ، لكن دون أي محاولة لنقله كتجربة ممارسة تعين على الوقوف بحزم بوجه تحديات العصر . ثم أن الفكر العربي القديم تعرض هو الآخر إلى غزوات كالتي تحدث اليوم هدفها إركاعه وتهميشه والتقليل من ثوابته العلمية الثرة ،وتصدى لهذه الهجمات المفكرين العرب الأوائل وحسموا المعركة لصالحهم وهذا هو سبب وصول نتاجهم العلمي إلينا . فلماذا أذن لم يتلمس المفكرين العرب المحدثين سبل وحكم تلك المواجهات التاريخية وإمكانية نقلها إلى ساحة المعركة الفكرية اليوم بدلاً من التغني بها فقط؟

ومن جانب آخر ، هناك من يفصل ما بين الجانب الفكري والجانب العلمي ، ويوعزون الأول لرجال السياسة ،فيما يحملون الثاني للعلماء والأكاديميين ،وهذه هي الإشكالية الثانية متمثلة بالتناسي في أن العلماء العرب اليوم مسيّرون برجال السياسة وليسوا مخيرون ، ليس فيما يكتبون ، لا بل فيما يفكرون أيضا ، وهذه هي ضالة العلم والعلماء والمؤسسات التربوية والتعليمية برمتها .

وفيما يتعلق بإشكالية الأصالة والمعاصرة فهناك ثلاث مواقف رئيسة إزاء هذه المسألة:"**مواقف عصرانية**" تدعوا إلى تبنّي النموذج الغربي المعاصر بحسبانه نموذجا للعصر كله ." **ومواقف** "**سلفية** " تذهب إلى ضرورة استعادة النموذج العربي الإسلامي الأول ، وثم مواقف " **انتقائية** " تنادي باستدعاء أفضل ما في النموذجين معا والتوفيق في صيغة واحدة تتوافر لها الأصالة والمعاصرة معاً [23].

ويرى محمد عابد الجابري أن تاريخنا الثقافي والعلمي العربي ، كما يتراءى لنا اليوم ، هو تاريخ مجزأ ، تاريخ الاختلاف في الرأي، وليس تاريخ بناء الرأي ، كما انه تاريخ علوم وفنون منفصلة عن بعضها البعض ، وهناك أزمة في الإبداع الفكري العربي المعاصر : أزمة ثقافية ... أزمة علمية ... أزمة عقلية ..! أما أسباب أزمة الإبداع هذه ، فالخطاب العربي لا يزال واقفاً عند مسالة الدفاع لم يستطيع التجاوز وانتهى به الأمر لدى كل قضية ، أما أحالتها إلى "المستقبل " وإما إلى الوقوف عندها مع الإقرار بالوقوع في أزمة الانحباس ومن ثم في "عنق الزجاجة " !

أما العقل العربي فيتكون من ثلاثة نظم معرفية متمايزة هي : **النظام المعرفي البياني** ، **والنظام المعرفي العرفاني، والنظام المعرفي البرهاني** ، أن الإبداع بمعنى التجديد الأصيل ، لا يتم ألا على أنقاض قديم تم احتواؤه وتمثله وتجاوزه بأدوات فكرية معاصرة تتجدد بتجديد العلم وتتقدم بتقدمه ،وهذا منوط أساسا بانتلجنسياIntelligencia عربية جديدة تستلهم التراث لتجديده من الداخل وتنظيم في الفكر العالمي المعاصر .(انتلجنسيا تعني النخبة المثقفة وهم طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني معقد يهدف إلى توجيه ونقد، أو أداء دور قيادي في تشكيل ثقافة المجتمع وسياسته).

أضحت الدولة القطرية العربية الآن حقيقة واقعية أكيده ليس بسبب مقاومة أجهزتها الداخلية أو ما تفرضه ارتباطاتها الخارجية فقط ، بل بفعل البنى الاجتماعية والنفسية التي انشائتها

أو كرستها في جسم مجتمعها أيضا .وان هذه الدولة أضحت بذاتها عبئا على نفسها بسبب تفاقم الأزمات التي تعاني منها الآن سياسيا واقتصاديا واجتماعياً، ومن هنا تبرز الحاجة إلى نوع من الوحدة للحصول على التقانة الحديثة واستيعابها وتطوير مناهجها التعليمية واستقامتها .

ولمواجهة حالة التعارض هذه تبدو الحاجة ليس فقط إلى قيام مشروعات عربية كبرى لاكتساب الثقافة الحديثة ،وإنما هناك أيضا حقيقة الوحدة الثقافية العربية الموحدة والتي تتحدى سلطة الدولة القطرية ذاتها باعتبار أنها ثقافة غير قطرية أساسا .

وفي خضم العصر التقافيTechnology وتطور الأبحاث العلمية التي يشهدها العالم ، فأن هموم المثقف والأكاديمي العربي انتقلت إلى هموم المثقف والأكاديمي " التقني Technology " أي بضرورة سد الفجوة الثقافية والعلمية والتقانية التي تفصل حاضر العرب عن حاضر الغرب ومستقبله ،وتتحدد المشكلة هنا في أربع قضايا رئيسة هي : **نقل التقانه ، التقانه الملائمة ،الهوة العلمية ، التنمية العربية** . هذه القضايا الأربعة تمثل تحديات أمام الفكر العربي في أمكانية ولوجها وتجاوزها وإيجاد بدائل عربية خالصة مثلها أو أفضل منها ، ولم يكن التوفيق حليفاً للعلماء العرب أن لم يتم اجتثاث المناخ العلمي والأكاديمي الحالي بمناخ آخر مشبع بالحيوية العلمية ويرتكز على الإبداع كمنهج والفكر العلمي كطريقة وهدف، ويتطلب ذلك حسب تصورنا المتواضع زمنا ليس بالقصير وهدفنا الحالي هو الدنو منه أولا لكي نطرد هاجس الخوف والريبة التي تنتابنا ونحن نفكر بعملية التغير الجذري .

رابعا–التغيرات الثقافية للمجتمع العربي

رافق التحولات التي شهدتها البنية الإنتاجية وبنية قوة العمل ازدياد معدلات التحضر في المجتمع العربي ، كون الصناعة والخدمات هما – في التحليل الأخير– شانا مدينيا إلى حد كبير. وتمخض عن ارتفاع نسبة التحضر زيادة سكان المدن وضعف الإدارة الحضرية فيما يتعلق بتنظيم الأحوال الاجتماعية وتحسين الأحوال المعيشية وتطوير مجالات العلم ورفع المهارات الفردية لسكان المدن، وانعكس هذا الأمر بشكل خطير على المستوى الثقافي وخلخلة القيم الثقافية من حيث البناء الذاتي والتحصين الثقافي والتمثيل القيمي للعائلة

وضعف الإدراك الحسي للإرث المعرفي الإسلامي وخصوصية الثقافة الإسلامية التي أُرسيت قواعدها في كيان المدينة العربية الإسلامية في بواكير نشأتها.

ويمكن حصر هذا التغير في قيم الثقافة الحضرية بعنصرين:

1-تأثر الواقع الثقافي العربي بالثقافة الغربية ، وهذا أدى إلى ظهور ثقافة منفصلة عن الواقع الاجتماعي ، اقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ثقافة غير مطابقة لواقع المجتمع العربي . فمنطقها مختلف ،وتعبيرها مختلف ،وذوقها مختلف عما تعود عليه المجتمع العربي وكما يسير عليه عامة الناس .فبدلا من أن تعكس هذه الثقافة تحولات المجتمع العفوية وان تتأثر بتناقضاته ، نجدها هي التي تحاول أن تغير السلوك والذوق والتعبير ليعود المجتمع مطابقا لمنطقها.

2-أصبحت الثقافة العربية وبشهادة كثير من الباحثين – تشكل نسقا واسعا تتعايش في داخله وبشكل تعاطفي شبكة من النزعات والاتجاهات التي يعوزها الائتلاف ويسودها الاختلاف. فهناك الثقافة العربية الكلاسيكية التي تمجد الماضي وتقدسه ، وهناك الثقافة العربية الحديثة التي وبفعل ازدواجيتها ، تعيش في ضياع تام، لان زمنها الثقافي بعيد كل البعد عن ذاتية الفكر العربي وخصوصياته الحضارية والثقافية.

أوقع المجتمع العربي نفسه في شراك نصبها له الآخرين بوعي ، ونصبها لنفسه بغير وعي ، ووقع بسبب ذلك أسيرا لتناقضات لا يظهر لها حل من خلال: التناقض بين الدين والعلم ، التناقض بين العروبة والإسلام ، التناقض بين الحاضر والماضي، التناقض بين الأصالة والمعاصرة ، بل وصل التناقض إلى أن الأمة أصبحت مولعة بالبحث عما يفرقها أكثر من بحثها عما يجمعها.

هذه التناقضات قادة المجتمع إلى الابتعاد عن حقيقة الله في الخلق وإلغاء خصوصية الشخصية العربية ، وإغفال الأصالة في التراث والحضارة ، وسلب إرادة الأمة في تجاوز أخطاءها وصنع مستقبلها ، ومن ثم تعطيلها من التواصل إلى شق طريقها العربي المستقل أسوة بأمم الأرض الأخرى.

وعلى أساس هذه المعطيات تأتي الدعوة إلى العقلانية الواقعية وتبنّي حقيقة أن لا نهضة عصرية لأمة إسلامية ما لم تقم على مبادئ الإسلام ودستوره ، وان لا تقدم ولا إصلاح منقطع الصلة مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، ويمكن أن ندرك وبتواضع أن الأمة التي

كونها الرسول (ﷺ) في اقل من مائة سنة كانت حضارة عظيمة عجزت الأمم كلها أن تأتي بمثلها في ألف سنة أو تزيد كما جاء على لسان عدد من كتاب الغرب والمستشرقين المنصفين[24].

أنها الدعوة إلى إعطاء العقل حقه على اعتبار أن العقل أساس التفاعل الحضاري ومقياس لصحة العقائد ، ووعاء العلم والثقافة، فالبرهان العقلي لا يمكن أن يكون إلا سليما ،والوحي الإلهي لا يمكن أن يكون إلا صادقا ،وأي تناقض بين الاثنين تعسف مفتعل ، وباب الاجتهاد هو الجسر المفتوح لعبور فجوة هذا التعسف المفتعل .والمعلوم أن الأمة الإسلامية أدركت منذ القديم أن العلاقة بين العقل والإيمان ليست شرط أفعال العقل المفسر والمؤول فحسب ،بل هي عين شرط الوجود الإنساني المتوازن ، وان الحضارة الإنسانية لا تستقيم إلا إذا ضربت عروقها في أعماق الإيمان ، وبالإيمان تستقيم القيم وتتوازن.

خامسا: التغيرات الأخلاقية للمجتمع العربي

نحاول هنا تحليل القيم الأخلاقية لمجتمع المدينة العربية باعتبارها الميدان الذي تنبثق منه التغييرات الأخلاقية للمجتمع. حقيقة ، أن المدينة العربية ساهمت مساهمة فعالة في نشر مبادئ الإسلام ، واستلهام خلقه و تركيز الحضارة الإسلامية . لذلك أن نظام المدينة العربية الإسلامية أتى لكي يخدم الأهداف السامية التي ظهرت من اجلها الرسالة المحمدية . وأصبحت المدينة العربية هيكل مقيد بأنظمة ونواميس تستجيب لوضعية المجتمع وتتأثر بنظمه الدينية والأسرية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية . وطالما احترمت التعاليم الدينية وصينت التقاليد الحضارية الإسلامية ، حافظ نظام المدينة على نسقه التقليدي ولم يتخلى عنه إلا عندما اختلت القيم وارتدت الحضارة وعمت الفوضى تحت تأثير عوامل ديموغرافية واقتصادية وسياسية نحن لا نزال تحت تأثير وطأتها الشديدة . وهي ظاهرة لا سابق لها في تاريخ المدينة العربية على ما نعلم .

ولعل من نتائجها أن سادت الفوضى والإرباك وتفشي الجهالة وطمس القيم الأخلاقية واللامساواة والظلم وانتهاك لحقوق الإنسان العربي وحريته ، وانتشار ظاهرة الفقر والحرمان وظهور الهامشية الحضرية وغيرها من العادات والقيم الغريبة على النسق القيمي العربي الأصيل .

أ- بعض مفاهيم الأخلاق والقيم الأخلاقية .

تتدرج الأخلاق والقيم ضمن المكونات الحياتية لأي مجتمع ، وتتداخل هذه المكونات إلى درجة لا يمكن الفصل بينها دون ألحاق ضرر بكل منها ، وتشكل بالتالي مجمل أساليب حياته التي تشمل المكونات الثلاثة الآتية :-

1- القيم والرموز والأخلاق والسجايا والمعتقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات والمهارات التي يستعملها الإنسان في تعامله مع بيئته ، أو بعبارة أخرى تمثل آداب الناس في أحولهم في المعاش وأمور الدنيا ومعاملاتهم وتصرفاتهم في الحياة اليومية .

2- الإبداعات التعبيرية الفنية من آداب وموسيقى ورسم ورقص .

3- الفكر من علوم وفلسفة ومذاهب وعقائد ونظريات .

وتعرف القيم بأنها معتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس ، توجه مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم وتصرفهم واختياراتهم ، وتنظم علاقاتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والمكان والزمان ، وتسوغ مواقعهم ،وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم و بكلام بسيط ومختصر ، تتصل القيم بنوعية السلوك المفضل وبمعنى الوجود وغاياته .

وتميز العلوم الاجتماعية عادة بين نوعيين من القيم – القيم الوسيلة والقيم الغاية ، النوع الأول هو معتقدات تفاضل بين سلوك وآخر ، أما القيم الغاية فهي ذات الصلة بالقيم الأخلاقية المثلي التي نسعى إليها ونحقق بها معنى وجودنا (العدالة ، الحرية ، السلم ، السعادة ، الإخلاص ، تحرير الوطن ، الكرامة ، الصداقة ، الثروة ، الرفاهية ، الحكمة ، الإخوة والمساواة ، احترام الأخريين) [25] .

ويدخل ضمن إطار القيم الأخلاقية ، تكريم الإنسان ، واصطناع الشورى أسلوب حكم ، والعدل بين الناس ، ورفض الظلم وشرعية الثورة ضده ، والحرية المسئولة ، والمساواة بين البشر ، والسماحة الفكرية ولاجتماعية وتقديس العمل والمسؤولية عنه واحترام الأسرة ، والتكافل الاجتماعي ، ومنع الجشع الاستثماري ، والمسؤولية الاجتماعية عن المصالح العامة ، ومنع الاحتكار ، ومسؤولية الدولة عن أعمال النفع العام .

تتصف الأخلاق بثلاث خصائص هي إن الأخلاق موطنها النفس وليس الجسم ، وان الأخلاق هي حالة اجتماعية لأنها تنظم العلاقات الاجتماعية ، كما إن الأخلاق تتطور وتنتقل من حالة دنيا إلى حالة عليا سواء بحثت من قبل الفرد أو المجتمع . وإذا كان العلم يرجع إلى الفهم أي التجربة و العقل معا ومجاله المعرفة ، فان الأخلاق ترجع إلى الإرادة ومجالها السلوك ، وان ما يميز السلوك الأخلاقي هو انه يصدر عن" الإرادة الصالحة" التي تعود في النهاية إلى فكرة الواجب . [26] .

وعالج الباحث العربي محمد عابد الجابري قضية الأخلاق والقيم وعلاقتها بالفكر ، وأثار قضية التعارض بين القيم الأخلاقية والدينية مثل تحريم الإجهاض وبين القيم الدنيوية (شروط التنمية) وقال إن هذا التعارض من الممكن أن يعلل تحت إطار الاجتهاد والتأويل وبمبررات مختلفة .

واستند إلى الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه [27] في تحليل قضية الحداثة والأخلاق والعلم . لأنه دعا إلى بناء الأخلاق على أساس علمي ، وعمل على تطبيق المنهج العلمي في تحليل القيم الأخلاقية واعتبر كلا من الأخلاق والقيم الأخلاقية ظواهر بشرية من صنع البشر أنفسهم .

تجدر الإشارة إلى إن نيتشه حلل تاريخ الأخلاق على انه صراع بين نوعين من الفئات : ((أخلاق السادة)) ((وأخلاق العبيد)) وان جميع المراحل التاريخية منذ ظهور المسيحية كانت في الأساس مسرحا لأخلاق العبيد المبنية على خصال الزهد الديني أو المسيحي وهي تتردد بين الخير والشر والعجز والضعف ، فيما اتسمت أخلاق السادة بمقدرتها على التميز بين الجيد والردئ وتقوم على البطولة والمقدرة والشهامة ، وهي الصفات التي تتصف بها الطبقة الارستقراطية .

وشغل موضوع الأخلاق حيزا واسعا في فكر فلاسفة الغرب [28] ، فسقراط الذي عرف الأخلاق بأنها المثل العليا في المجتمع وربط وجودها بوجود الخير كقيمة موضوعية يمكن معرفتها ، واخذ أفلاطون في جمهوريته الفكرة نفسها في أن الخير يتعلق بالصالح العام لمجموع المجتمع المقسم إلى فئات الجنود والصناع والفلاسفة ، والصالح العام يكمن في تقسيم العمل والتناسق بين المهمات وتحقيق الانسجام ، بينما ربط أرسطو الأخلاق التي يهدف اجتماع المواطنين في ظل الدولة إلى تحقيقها ، فالغرض الأساسي من العيش

المشترك للمواطنين في الدولة هو الأهداف الأخلاقية ، فهو العامل المشترك الذي يجمع بينهم ، وهو بالتالي المبرر للعيش في الدولة ، فالدولة إذن ذات هدف أخلاقي .

أما الفكر الديني الذي يمثله توما الاكويني الذي أضفى مسحة مسيحية على جوهر أفكار أرسطو ، فالحكم أمانة من اجل كل مجتمع والحاكم له كامل السلطة لأنه يستمدها من الصالح العام ، ولان سلطته مستمدة من الله من اجل سعادة البشر ، فهي خدمة مدين بها لكل المجتمع الذي يترأسه ، لذلك كانت الغاية الأخلاقية للحكومة مبدأ جوهريا في تفكيره .

والمعروف إن أفكار توما الاكويني كانت الأساس الذي قام عليه حكم الكنيسة وعموم التفكير السياسي الديني لقرون عدة في أوروبا .

وخلاصة موقف الفكر الغربي إزاء الأخلاق تبلور في اتجاهين : الأول يربط الدولة بالمثل العليا من حيث نشؤوها وغايتها وواجباتها إزاء من يعيش في ظلها ، وبالتالي يربط السياسة بنظام أخلاقي مستمد من تلك المثل العليا . وقد تسلسل هذا الاتجاه من الفكر اليوناني إلى الفكر الديني المسيحي وصولا إلى العقد الاجتماعي والحقوق الطبيعية كأساس للديمقراطية النيابية ، مقابل ذلك ، التزم الاتجاه الثاني تيار(مكيا فلي)الذي جعل من السياسة صناعة تدور حول موضوع إتقانها كفن الوصول إلى الحكم والبقاء فيه ، حيث تحول التأكيد من موضوع اصل الدولة إلى موضوع عملها اليومي ، أي ما يقوم به حاكمها من الدرجة الأولى .

أما التراث الفكري العربي فهو تراث متصل ومتطور في آن واحد شان كل فكر آخر ، ولعل أهم صفة يمكننا استخلاصها منه هي الاهتمام الذي يوليه للعوامل الروحية وما يتصل بها ، وقوة الاتصال هذه جاءت من حيث كونه مهد الرسالات والأديان السماوية .

كانت السلطة في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام متمثلة بالقبيلة ، فرئيس القبيلة هو صاحب السلطة ، ويلاحظ إن رئيس القبيلة في الجاهلية لم يكن يستمد سلطته من قوة ماديه في الإجبار ، بل من الصفات الحميدة الشخصية التي يتمتع بها ويعترف بها طوعيا أفراد القبيلة فرئيس القبيلة يتمتع بالشجاعة في الحرب دفاعا عن قبيلته ، وبالعدل في تصريف شؤونها ، والكرم وباقي الصفات الحميدة التي كرمها مجتمع الجاهلية ، وتجتمع تلك الصفات

الحميدة في موضوع خدمة الصالح العام لإفراد القبيلة ، وهي بالتالي مرتبطة بنظام أخلاقي .

إن اهتمام مجتمع الجاهلية بالأخلاق الحميدة أمر لا خلاف فيه وملفت للنظر ، ودليل قوي على أهمية العامل الخلقي في ممارسة السلطة وفي التعامل المجتمعي العام . فالصفات الحميدة كانت تعلو على كل شئ آخر بما فيها الحياة نفسها .

ثم أتى الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق ، فوضع التفكير بصورة تامة في اتجاه المثل العليا ، فالخالق المهيمن على كل شئ هو مصدر كل المثل العليا ، لقد مارس الرسول الكريم (ﷺ) السلطة الدنيوية كضرورة مشتقة من السلطة الدينية الروحية وتابعة لها ، فكان نبيا ومصلحا أولا ثم حاكما دنيويا، ثم تطورت مؤسسة الخلافة إلا أنها بقيت قائمة على أساس المبادئ الروحية والمثل العليا المستمدة من القران والشريعة .

ولكن ما إن بدا التراجع في النهضة العربية الإسلامية حتى بدأت عملية تحول تدريجي في المجتمع العربي من المثل العليا إلى الغرائز ، أي من الصالح العام إلى الصالح الخاص ، وبذلك كانت بداية التحلل الخلقي للمجتمع العربي .

ب- الأصالة الإسلامية في القيم الأخلاقية لمجتمع المدينة العربية

آمن سكان المدن العربية بالدين الإسلامي الحنيف على أساس انه عقيدة وعبادة وخلق ومادة ثقافية وقانون للحياة وسماحة وقوة ، واعتنقوه نظاما كاملا يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة ، وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة [29] .

بهذا الفهم توغلت تعاليم الدين الحنيف في مختلف مفاصل الحياة وضمن إستراتيجية محكمة تدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية كافة وكسياج منيع لأي اختراق أجنبي من شانه تهشيم قيم المسلم وتحريف مبادئه .

وفي الوقت ذاته ، فان الإسلام دين لا يحبذ العزلة والرهبنة ، والانغلاق على النفس ،لان هذا السلوك لا يساعد على الاستقرار البشري ، ولكنه يحذر من الانغماس في التمدن ، أي انه يحذر من جعل التمدن غاية في ذاته ، إذ إن هذا الانغماس يؤدي بالإنسان لان ينتقل من مرحلة المباح إلى مرحلة الشبهات ثم إلى المحرمات ، وبالتالي تدمير الحواضر ، وان هذا التأصيل الديني للتحضر يساعد على بناء رؤية منهجية واضحة متحررة من الهيمنة

التي تدعو إليها المدارس الأجنبية للتحضر والمتمثلة بكل المظاهر الخارجة عن المألوف في سلوكية وقيم المجتمع الحضري العربي وأخلاقه الفاضلة ودينه السمح . ذلك إن المدينة العربية الإسلامية تضع حدود الإسلام وشرعه كمثل أعلى لها ، كما تقيس سلوك الأفراد ، وصحة المعاملات ، والعلاقات البشرية .

والقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام وان لم يحسن الناس تطبيقها ، أو حادوا عنها في عديد من المدن الإسلامية ، وفي العصور المختلفة ، إلا إن هذا لا يلغيها ولكنها على الدوام كانت تقيم الحجة على من يخالفها . فان للأصالة جذور في المجتمع العربي وقوى تدافع عنها وهي تقاوم الذوبان في الآخرين منطلقة من خصوصية الواقع العربي الإستراتيجية والقومية والدينية والجغرافية ، ونحن إذ نتكلم عن هذه الخصوصية ، فهو حديث مباشر عن الهوية العربية ، وان جوهر هذه الهوية يكمن في الأخلاق والثقافة الإسلاميتين .

والحضارة الإسلامية لم ترفض مطلقا وفي أي مرحلة التعامل مع العالم والتفاعل معه فبعد الفتوحات الإسلامية التي أدخلت أهم الحضارات القديمة (الفارسية ، والهندية واليونانية) في إطار الدولة الإسلامية ، حدث أعظم وأوسع ألوان الانفتاح الحضاري من العرب المسلمين على تلك الحضارات القديمة ، لكنهم ميزوا بين المشترك الإنساني العام فاستلهموه ووظفوه محكوما بأخلاقيات الإسلام ، وبين الخصوصيات الحضارية فرفضوها ، بل شنوا عليها عندما تعرضوا لغزوها حربا ضروسا .

وبهذا المنحى تتعزز أواصر الاتصال والانفتاح بين ثقافية المجتمع العربي المسلم مع حضارات الآخرين دون الإخلال بموازين الأصالة وجوهرها . تلك هي الثوابت التي يبقى المجتمع بموجبها متماسكا موحدا مستمرا ومستقلا . إلا أن الطموح والرغبة في استمرارها يواجه اليوم مقاومة من القوى المجبولة على الهيمنة الطامعة في الأرض والثروة والمخلخلة للفكر والمهددة للعقيدة والوجود . فهذه القوى تعمل بالضد بشتى الوسائل السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية .

ولغرض مقاومة هذا التيار ، ولكي يحافظ المجتمع الحضري العربي الحديث على أصالته وقيمه الخلقية ، يتطلب الحذر الشديد من الانغماس والاندفاع في التعامل مع صيغ التحضر الغربي الدخيل والانجرار وراء ما تمليه قيمه وأخلاقه ومحاولة وضع مفهوم

التقدم والتطور الحضري كإطار معياري للتحول الاجتماعي والوعي الثقافي بمقتضيات اللحظة الراهنة في مقابل ماض يستوجب الانفصال عنه ، وفي اتجاه مستقبل يجب تحقيقه . وبهذا التطور الذي يكشف للتاريخ البشري عن مسار العقل الإنساني الذي يتبع خطا يضمن له التحول نحو الحداثة والتطور والمعرفة ومحتفظا في الوقت ذاته بأصالة القيم الأخلاقية وجوهرها .

ج- التحضر العربي ومشكلاته الأخلاقية

شهدت المدن العربية خلال العقود الأخير من تاريخها المعاصر تغيرات كثيرة ، تمثلت بالتضخم السكاني الناجم عن الزيادة الطبيعية والهجرة من الريف أو البادية ، وفي الازدهار العمراني في مجالات المساكن والشوارع والمرافق العامة ، وما يتصل بالجوانب المادية من الحياة . تولد عنها سلسلة من التغيرات في الجوانب الأخرى في المجتمع ، هي البناء الاجتماعي ؛ أي في الأنظمة والقوانين والمؤسسات التي تتحكم في العلاقات التي تنشا بين الفرد والمجتمع وبين الأفراد أو الأسرة الواحدة ، وبين الجماعات فيما بينها على تعدد أنواعها .

إن هذه التغيرات شقت طريقا مغايرا لمنهج الإسلام وأخلاقه ، وبعيدا نوعا ما عن الخصائص الرئيسية التي اتسمت بها المدينة العربية الإسلامية من خلال :

1-تأثر المدينة العربية الإسلامية المعاصرة بالتطورات العالمية ، وتبنيها التنظيم الطبقي حسب المفهوم الغربي ، الذي تبلور ونشا في العديد من مدننا العربية ، وتجدر الإشارة إلى إن النظام الطبقي عامل رئيسي من عوامل التماسك الاجتماعي بين وحدات المجتمع المتعددة بسبب احتياج كل منها إلى الأخرى في بناء الجماعة وقد جاء في القران الكريم ما يؤكد أهمية هذا النظام للبناء الاجتماعي في قوله تعالى : وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوَا إنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم (سورة الحجرات ، الآية 13) إلا أن التنظيم الطبقي الحالي يخلو من أهمية التعارف بين الطبقات الاجتماعية ، وهو بهذا يجنح إلى الابتعاد عن أمر الله سبحانه وتعالى .

2-إدخال التكنولوجيا الصناعية في الحياة الاقتصادية ، وما نجم عن ذلك من تغيرات إدارية ونظامية وتقنية مرتبطة بالتصنيع والمجتمع الصناعي ، الذي يتنافى بسلوكه

ومبادئ المجتمع الإسلامي بسبب عدم إمكانية تذليلها مع نسق الحياة الحضرية من جهة ، وصعوبة تطبع المجتمع العربي معها لجهلة بالية حراكها وتشعباتها وانعكاساتها من جهة ثانية .

3-ارتباط عملية التحضر والنمو الحضري بالتطورات السياسية وحركات الاتحاد والانفصال والتقارب والتباعد في مجالات النشاط الاقتصادي والسياسي والتربوي والأسري والديني الذي املته التوترات والاضطرابات المحلية والحروب [30] ، بدلا من اتخاذ طابع عربي إسلامي يمتاز بخصائص ومقومات تقوم بدورها في حركة التغير والتحويل على الصعيد العربي .

4-عدم التوازن في نمو المدن بإحجامها المتعددة ، وتوزيعها الجغرافي ، سواء بين الدول العربية ، وعلى نطاق الدولة الواحدة ، نجم عنه عمران هامشي ، بل تحولت المدن التاريخية أحيانا إلى مدن هامشية وفوضوية ، أو تهديمها لإفساح المجال أمام المدينة العصرية ، كما هو شان العديد من مدن الجزائر ، أو إنشاء مدن عصرية إلى جانب المدن القديمة كما في المغرب وتونس ، إلا أن ظهور المدن العصرية إلى جانب المدن القديمة كثيرا ما تسبب في تدهور أوضاع هذه الأخيرة وتقهقر هياكلها الاقتصادية لفائدة العمران الجديد .

5-أدى التداخل الاجتماعي للجاليات الأجنبية في الدو ل العربية إلى ظهور حقائق اجتماعية ثقافية غريبة عن النسيج المترابط في العلاقات والتعايش والتسامح الذي ساد طوال عصور الازدهار الحضاري العربي الإسلامي . الأوضاع التي فرضها الاستعمار كرست التفرقة العنصرية والعرقية والتقهقر الفكري والعقائدي الذي لحق بالمجتمعات العربية ، وهذا أدى إلى تراجع المكانة الحضارية للمدن وتضائل دورها الحضاري .

6-إشكالية التحضر العربي حول مفهوم الحداثة والتحديث ، التي ترتبط بفكرة الاختراق الثقافي الغربي للعقل العربي المسلم ، بسبب استناد عملية التحديث في الوطن العربي إلى معايير منبثقة أصلا من التجربة الحضارية الغربية . بيد إننا نعتقد أن الصفة الغربية لعملية التحديث صفة طارئة وليست جوهرية ، وهي بذلك لا تعكس تطورا أصيلا نابعا من الذات العربية . بل تمثل استلابا لقيمنا من خلال تكريس التبعية الثقافية والحضارية الراهنة ، وتصبح عملية التحديث أصيلة عندما ترتكز على القيم الحضارية للأمة العربية والإسلامية ، وتعمل على تطوير الثقافة الذاتية للعرب والمسلمين واستنهاضها .

والمطلوب إذا استيعاب المبادئ واستلهام المقاصد ، ثم الاجتهاد لصياغة نموذج حضري يتوافق ومبادئ الحق ويستجيب لمشكلات الأمة الراهنة .

إذ أن اعتماد الحداثة بوصفها أساسا وحيدا لتوجيه حركة الأمة وتحضرها يؤدي إلى اقتلاع الفرد والمجتمع من اسسهما الثقافية والحضارية وابعادهما عن جذورهما الإيمانية والأخلاقية ومن ثم القاءهما في خضم التبعية الاقتصادية والثقافية ، فلا يوجد في مفهوم الإسلام شئ من سلب الحرية الفردية ولا اثر للسيطرة الديكتاتورية والزعامة المطلقة .

إن النظرة الصحيحة للمدينة هي النظرة التي تتكامل فيها صورة سلوك الناس وتصرفاتهم وأفعالهم وعلاقاتهم الاجتماعية بعضهم ببعض بعيدا عن النظرة (الستاتيكية) الجامدة لها . حقيقة ، وفي ضوء التغيرات العصرية في نمط الحياة الحضرية والمشاكل المرافقة لها ، من حيث تأثرها بالحضارة الغربية وتقليد سكانها العشوائي لنمط وأساليب الحياة لهذه الحضارة بخسيسها دون نفيسها ، وزائفها دون أصيلها ، فان مدننا اليوم بحاجة إلى مراجعة دقيقة وإصلاحات جذرية بعيدا عن العلاجات التزيينية ، لان ما تواجهه المدن اليوم قد لا يكون شبيها بما واجهته على مدى عمرها الطويل ، فهي بحاجة إلى تخطيط اقتصادي وسياسة اجتماعية ومفاهيم إدارية وتخطيط سكاني سليم يتجاوز أخطاء الماضي وكل ذلك مرهون بكفاءات علمية وخبرات تقنية عالية وعلى قدر كبير لمواجهة مشاكلها . أن المجتمع العربي أوقع نفسه في شراك نصبها له الآخرون بوعي ، ونصبها لنفسه بغير وعي ووقع بسبب ذلك أسيرا لتناقضات لا يظهر لها حل من خلال :

التناقض بين الدين والعلم ، والتناقض بين العروبة والإسلام ، التناقض بين الأصالة والمعاصرة ، بل وصل التناقض إلى أن الأمة أصبحت مولعة بالبحث عما يفرقها أكثر من بحثها عما يجمعها ، هذه التناقضات قادت المجتمع إلى الابتعاد عن حقيقة الله في خلقه وإلغاء خصوصية الشخصية العربية ، وإغفال الأصالة في التراث والحضارة ، وسلب ارداة الأمة في تجاوز أخطاءها وصنع مستقبلها ، ومن ثم تعطيلها من التوصل إلى شق طريقها العربي المستقل أسوة بأمم الأرض الأخرى [31] .

وعلى أساس هذه المعطيات ، تأتي الدعوة إلى العقلانية والواقعية وتبني حقيقة إن لا نهضة عصرية لامتنا ما لم نقيم مبادئ الإسلام وتطبيق لدستوره ، والتحلي بأخلاقه ، تلك هي

الأسلحة التي تمسك بها الرعيل الأول من المسلمين وتقاموا حضارة عجزت جميع الأمم أن تأتي بمثلها .

د- شواذ التحضر العربي وتغير القيم الأخلاقية :

مادام الإسلام دينا ودنيا وقيم أخلاقية عليا ، كان لابد من أن تصطبغ به حياة الناس لتأخذ الجو الإسلامي في كل نواحيها ، ويدخل في أعماقها ، ولكن الذي حدث فقدان الخصوصية الحضرية العربية الإسلامية بعض روحانيتها الفذة التي كانت تملكها ، واتجهت اتجاها ماديا يتنافى والخلق الكريم الذي أسسه الإسلام والذي يركز على الروح دون المادة وبالتالي فتح المجتمع الحضري عيونه على حضارة مادية ، فغرهم ما رأوا واخذ بألبابهم ، فصاروا يلتهمون مفردات هذه الحضارة تترى ، بل وصل الأمر بطائفة ممن يسمونهم (المثقفون) إن صاروا ينظرون إلى خلق القران بأنه جزء من الماضي يحمل بين طياته الجهل والتخلف!!! .

بهذا المعنى تم التخلي عن خطط المدينة العربية الأصيلة وأنظمتها التي وضعت تحت دراسة ممعنة ومفصلة تتلاءم مع الذوق العربي وواقعه وكفيلة بان تحل كل ألازمات التي تعاني منها المدن في الوقت الحالي . وتدهور النسيج الحضري بعد إهمال عنصر الأصالة وتبني النموذج الغربي ، وقطع التحضر العربي أواصر اتصاله وانتمائه الحضاري لعملية غزو للجديد على حساب القديم ، لذلك تأتي الهياكل الجديدة على أنقاض القديم ، فتعكس صورة في الشكل ، وتحدث خللا في المضامين الجوهرية والوظيفية للإشكال المتقدمة وليس التقدمية إذا صح التعبير .والقضية الأساسية في هذا المجال هو انخفاض مستوى التعليم في الوطن العربي التي توضح مؤشراتها بيانات الجدول (3) وتوضحه الخريطة(1). والذي تولد عنه مشكلات اجتماعية واقتصادية ومادية حادة انظر الخريطة رقم(2) . كانت السبب الأول وراء الشذوذ الحضري في مدننا العربية وما يرافق هذا الشذوذ من تغير وتحلل للقيم الأخلاقية متمثلا بـ :

1- التفكك الأسري في الكثير من الأسر العربية والذي أصبح ظاهرا للعيان .
2- مشكلات الإسكان وانتشار الأكواخ والمساكن الحقيرة الغير صحية ، وبخاصة في المدن الكبيرة والعواصم .

3- انحراف الإحداث وشيوع ظاهرة الجريمة على اختلاف أنواعها ودرجاتها .
4- عدم الاستقرار الاجتماعي وضعف التنشئة الاجتماعية .
5- انخفاض المستوى ألمعاشي وزيادة نسبة الفقر الحضري الجدول .
6- تأثر الفرد والأسرة بالقيم الدنيوية الوضعية والسعي وراء الماديات .
7- ضعف العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وانقطاع صلة الرحم وصلة الجوار ، تلك التي أعدها الإسلام من الكبائر والموبقات .
8- انهيار كفاءة شبكات المرافق العامة وقصورها عن تلبية الخدمة المطلوبة للسكان .
9- كثرة حالات الإباحة في المأكل والمشرب والملبس ، التي لا تنسجم مع القيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي المسلم .

في مثل هذه الظروف ، تعد المحافظة على مستوى مرتفع ومنظور من نوعية للحياة متمثلة بالخدمات التعليمية والصحية والمساكن والتأمينات الاجتماعية الأخرى عبئا على اقتصاديات الدولة الخريطة (3)، إذا أن الاستثمارات المحلية تتوجه إلى مرافق اقل إنتاجية واقل عائدا للدولة كما في الجدول (4) .

وثمة ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام ، هي إن العلم يجب أن يكون الأساس الذي ترتكز عليه الدولة بكل خططها وأساليب حياتها ، ومن خلاله ينضوي تعامل الناس وينتظم سلوكهم ، أصبح العلم والتعلم في موقع لا يحسد عليه في مجتمعاتنا الحضرية بسبب عزوف الناس عنه وانشغالهم بالركض وراء لقمة العيش ، التي أضحت شبه شحيحة في الكثير من المدن العربية ، لا لقلة الموارد فحسب وإنما

جدول 3

التصنيف النوعي للحياة لسكان الدولة العربية

المؤشرات / المجموعة العربية	المستوى التعليمي والسطحي	المؤشرات/ المجموعة العربية	توفير الشروط المادية	المؤشرات / المجموعة العربية	المستوى العام لنوعية الحياة
1- الإمارات – قطر – البحرين – الكويت .	–نوعية الحياة جيد جدا	1- الأمارات – قطر – الكويت – البحرين .	نوعية الحياة جيد	1- الأمارات – قطر البحرين – الكويت	نوعية الحياة جيد جدا
2- الأردن – تونس – العراق –لبنان – ليبيا – السعودية	نوعية الحياة جيدة	2- تونس – الأردن – الجزائر – سوريا – عمان – العراق – لبنان – ليبيا – مصر	نوعية الحياة متوسطة	2- الأردن – تونس – السعودية – سوريا – العراق – عمان – لبنان – ليبيا	نوعية الحياة جيدة
3- سوريا – عمان – مصر – الجزائر – المغرب	نوعية الحياة متوسطة	3- جيبوتي – السودان – المغرب – الصومال – اليمن –	نوعية الحياة رديئة	3- الجزائر – مصر – المغرب	نوعية الحياة متوسطة

		موريتانيا			
4- جيبوتي – السودان – الصومال – موريتانيا – اليمن	نوعية الحياة رديئة		4- جيبوتي – اليمن – السودان – الصومال – موريتانيا		نوعية الحياة رديئة

المصدر : محمد صالح ربيع ، التصنيف الهرمي لنوعية الحياة في الوطن العربي ، المدينة العربية تطور في المشكلات وتراجع في الخدمات، عمان دار مجدلاوي ،2018، ص121 .

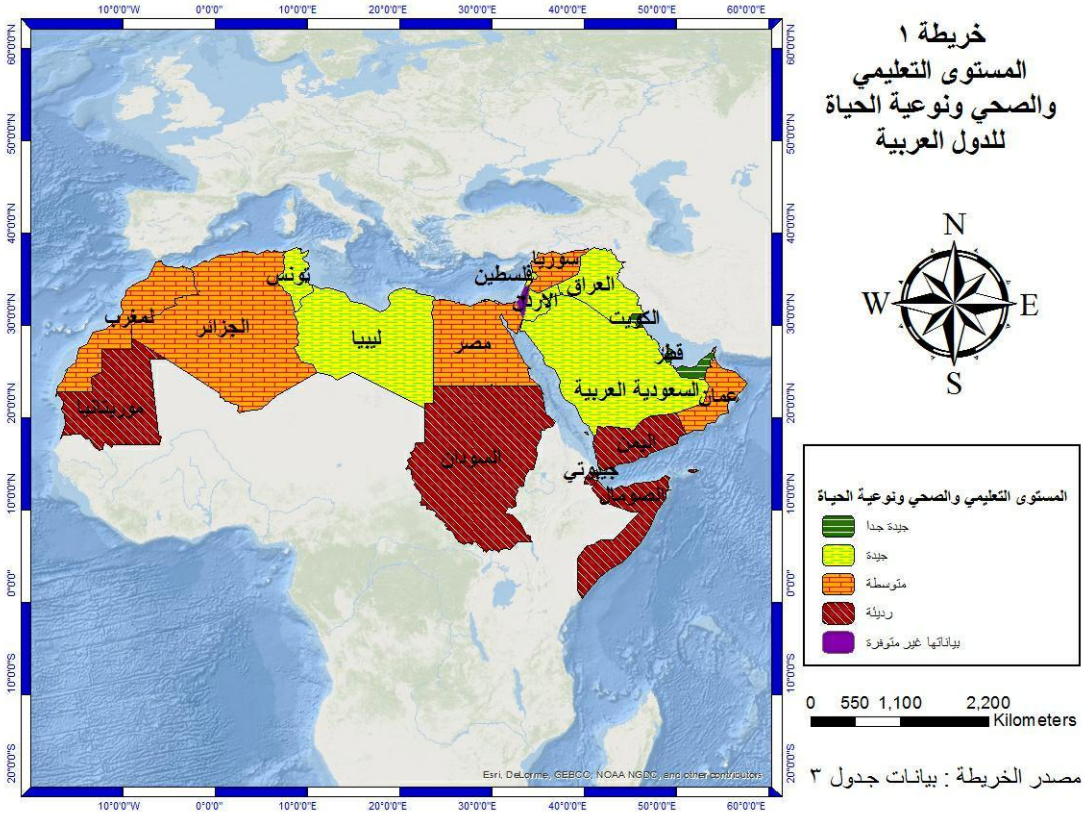

مصدر الخريطة : بيانات جدول ٣

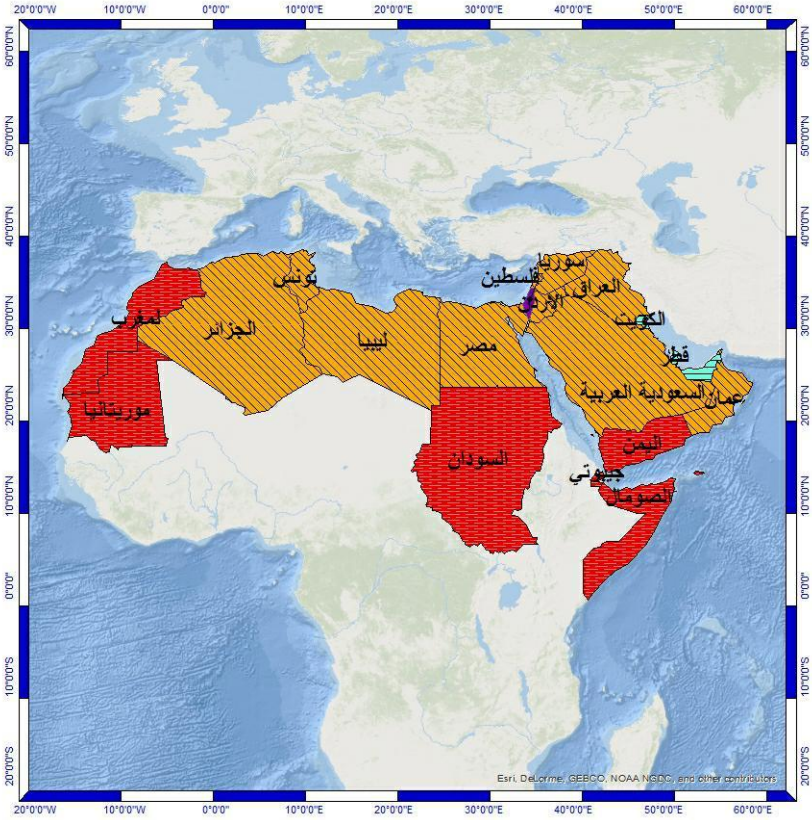

خريطة ٢
توفير الشروط المادية

N
W E
S

نوع التوفير
- جيدة
- متوسطة
- رديئة
- بياناتها غير متوفرة

0 500 1,000 2,000
Kilometers

مصدر الخريطة : بيانات جدول ٣

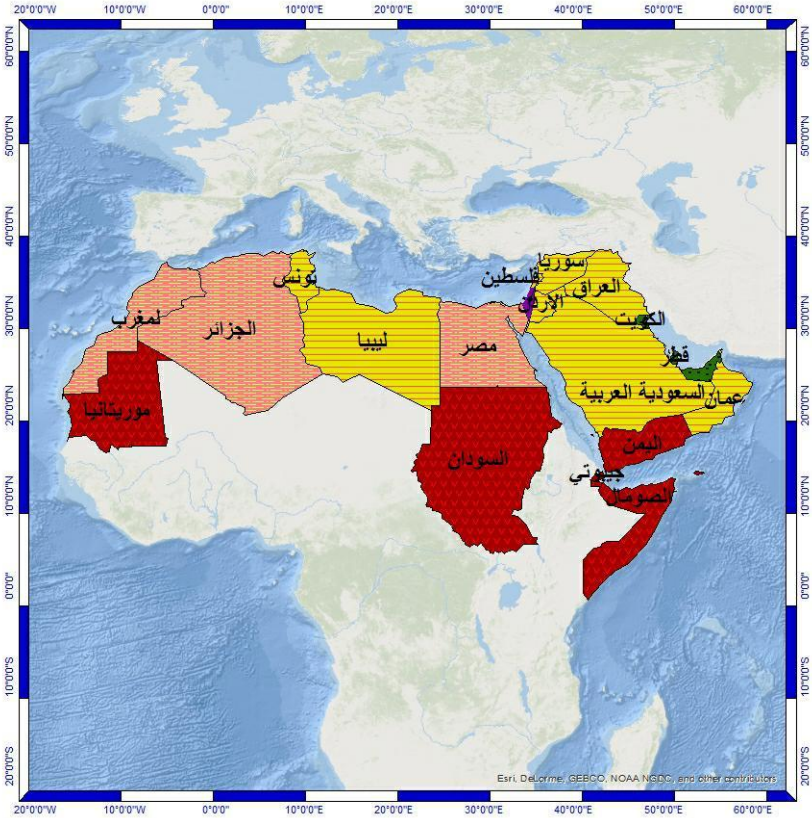

خريطة ٣
المستوى العام لنوعية الحياة للدول العربية

N
W E
S

نوع المستوى
- جيدة جدا
- جيدة
- متوسطة
- رديئة
- بياناتها غير معروفة

0 500 1,000 2,000
Kilometers

مصدر الخريطة : بيانات جدول ٣

لسوء توزيعها أو بعثرتها للملذات من قبل القائمتين الأسر بمنع أطفالهم من الدخول في المدارس لزجهم في الأعمال غير الرسمية هذا فضلا عن انخفاض المستوى التعليمي لمن هم في مجال التعليم ، ويمكننا حينئذ أن نتصور مدى الانحدار عن القيم الأخلاقية في مجتمعنا كتحصيل حاصل لما آلت إليه المستويات التعليمية والثقافية والناتجة عن قصد مدروس من قبل القائمتين عليه للإبقاء على تخلف الطبقات الاجتماعية ليس إلا إن تبقى غير آبهة بما يدور حولها . وبهذا الصدد يقول الشاعر الألماني غوتة ((مستقبل الأمة تابع لطاقات عناصرها الفتية) ، ترى أي مستقبل بعد الذي حصل ينتظر امتنا.

إذ إن الطريق الوحيد لازدهار العقل والمعرفة ، والحب والخشوع والتواضع والبناء السيكولوجي للنفس والروح ، فما الغرض من العمران والشوارع والحدائق من غير وجود قيم أعلى واسمي منها ، وهي القيم المعرفية والدينية للمجتمع .

جدول 4

بعض المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية لسكان الدول العربية.

البلد	الناتج المحلي الإجمالي بأسعار السوق الجارية (مليون دولار	متوسط نصيب الفرد * من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار	الاتفاق على التعليم		معدل البطالة %	الإنفاق على الصحة نسبة إلى الإنفاق العام
			من ناتج المحلي %	من الإنفاق العام %		
الأردن	11.5	2.1	5.5	20.6	13.7	12.8
الأمارات	103.8	23.7	3.1	16.4	2.3	32.3
البحرين	11.1	15.6	3.1	11.4	3.1	10.8
تونس	29.2	2.9	6.8	28.2	14.3	15.1
الجزائر	84.8	2.4	5.1	16.4	27.3	9.9
جيبوتي	665	863	3.4	000	000	13.4

السعودية	250.5	11.1	6.6	24.1	5.2	10.0
السودان	22.1	655	5.9	000	17.0	4.6
سوريا	23.5	1.3	4.2	11.1	11.7	5.3
العراق	33.7	1.2	000	000	28.1	4.2
عمان	24.8	10.9	4.4	9.1	000	4.6
قطر	28.4	42.6	000	000	3.9	6.5
الكويت	55.7	21.1	4.7	14.5	1.1	8.1
لبنان	19.7	5.1	2.8	11.1	8.4	9.5
ليبيا	27.6	4.3	000	000	11.7	5.0
مصر	78.4	1،1	5.2	14.7	11.5	7.4
المغرب	50.1	1.6	5.2	26.1	11.9	5.3
موريتانيا	103	451	3.6	16.6	000	10.3
اليمن	12.9	620	7.0	20.5	11.5	4.0

المصدر : التقرير الاقتصادي الموحد ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، سبتمبر (أيلول) 2005 ، جداول متفرقة .

ترتيب الدول العربي على أساس تنازلي وفقا لنصيب الفرد من الناتج على الإجمالي في عام 2004 .

سادسا : سبل الحفاظ على القيم الأخلاقية للمجتمع العربي

يمكننا الحفاظ على قيمنا الأخلاقية من خلال العمل في اتجاهين أولاهما خارجي وثانيها داخلي .

الاتجاه الخارجي متمثلا بالغزو الثقافي الأجنبي لقيمنا الثقافية والأخلاقية ، و هنا لابد من الاعتراف ببعض المسلمات التي تبدو ثابتة وواقعية وهي :

1- إن التماثل الحضاري والثقافي المطلق لم يحقق أبدا ، ولم ينجح أي حضارة قديمة أو حديثة في بلوغ هذا الهدف ، فالحضارة البابلية والآشورية والسومرية لم تجعل العالم بابليا أو آشوريا أو سومريا بالكامل ، وكذلك هو الحال بالنسبة للحضارة الفرعونية واليونانية والرومانية والحضارة الإسلامية إلى أن نصل إلى الحضارة الغربية الحديثة .

وقياسا على ما سبق ، فان الحضارة الغربية لم تنجح في استيعاب وذوبان الحضارة الأخرى داخلها ، بعض عن اختلاف منطق التفاعل الحضاري في سماته ومضمونه عن المنطق ذاته في مراحل تاريخية سابقة ، طالما أن لكل معطياتها الحضارية الثابتة .

2- إن ظاهرة الغزو الأجنبي للثقافة والقيم العربية ، هي في الواقع حقيقة مستقلة استقلالا تاريخيا كاملا عن ظاهرة الغزو الاستعماري كما عرفته المنطقة العربية ابتدءا من القرن التاسع عشر ، حقيقة ، الثقافة العربية خضعت لآثار هذا الاختلال الذي كان لابد وان يشكل إلى النواحي المعنوية والفكرية والأخلاقية للوجود العربية ، ولكن الواقع ، وان هذا التطور هو تبسيط لحقيقة معقدة ، فعلاقة القيم الأخلاقية ، وليس أدل على هذه الملاحظة من أن مدة الحكم العثماني لم تؤدي إلى ذلك الغزو بتلك النسبة ولا بذلك القدر الذي عرفته الحضارة العربية في مواجهة الثقافة الأوربية [32] .

3- أن الحقبة الاستعمارية الحديثة تميزت بحكم الغرب للسيطرة على الشرق ، وان لا يطرد منه كما حدث لغزوته الصليبية (489-690 م)) (1096- 1291 م)) ، ولذلك أراد الغرب ومفكروه تحقيق ركيزتين لهذه الفترة الاستعمارية الحديثة هما :

أ- ركيزة أقلية دينية أو أكثر بين الأقليات التي تحتل العقل الشرقي والإسلامي من بوجه خاص ، ليظل الغرب هو القبلة الحضارية للشرق ، فتتأبد للشرق بتبعيته للغرب ، حتى ولو حلت عن جيوش الاستعمار .

ب- إيجاد أقلية دينية أو أكثر بين الأقليات التي تعيش في محيط العروبة والإسلام تقبل المشاركة مع الغرب في هذا المشروع الاستعماري الحديث (الغزو الثقافي والفكري) تمثل بذلك ثغرة الاختراق الغربي للشرق الأوسط الإسلامي . فعمل الغرب على تشجيع الاقتلاع الأخلاقي وا الثقافي واللغات الغربية من ناحية ، وبتشجيع التفكير السلفي الغيبي من ناحية أخرى . وقد نشا عن هذه الساسة ثنائية هائلة ضمن البلد الواحد بين فكرليبرالي أوربي وفكر يغرق في متاهات الغيبية والماضي.

أما الاتحاد الثاني الداخلي بطبيعة وتركيبه المجتمع العربي ، فهدف الغزو الأجنبي لا يمكنه أن يفلح بتحطيم قيمنا الأخلاقية دون أن نزهد نحن عن هذه القيم ، ونتاجر بذاتنا ، ونتخلى عن دورنا ، ونتنازل عن حقوقنا الإنسانية والحضارية ، أذن لابد من الاعتراف بان هذه القيم بان هنالك قوى جذب مركزية تتبع من صميم وواقع المجتمع العربي ملوحة للغرب إلى أن هنالك فراغ قيمي ورغبة ماسة بالجديد أي كان نوعه وبغض النظر عن مدى تلاؤمه مع القيم السائدة في المجتمع . ولعل مبعث ذلك يعود إلى اللاتجانس الفكري واليأس الثقافي ، والتناقض الايدولوجيا، وتعدد الأنماط الاجتماعية والأنظمة التربوية والتي جعلت من المجتمع العربي مسرحا لغموض عميق تترجمه مظاهر التباين والتناقض بين القيم والمبادئ ، بين الشعارات والانجازات بين التصرفات والممارسات .

وإزاء كل ذلك ، ولأجل الحفاظ على قيمنا الأخلاقية من الانزلاق وراء التيارات الهجينة والغربية عن واقعنا العربي ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار الوسائل الآتية :

1- تبنى سياسة الثقافة المضادة (counter- culyure) والتي تتمثل برفض الثقافة السلفية التقليدية دون الالمساس بقيم الإسلام الأصيلة وأخلاقه من ناحية ، ورفض الثقافة التغريبية والانتقالية المستعارة من الغرب دون تحميص في معناها ومغزاها وتناسبها مع الواقع العربي من جهة ثانية ، ثقافية ضد التقليد سواء أكان تقليدا للماضي أو للغرب ، والتمسك بأخلاق القران التي تتماشى مع كل العصور. فهي ضد الماضي بمعنى أنها ترفض الانعزال والانغلاق وتؤمن بالانفتاح بالاستفادة من التجارب الإنسانية ، وهي ضد الغرب لكي تتجنب الهامشية والاغتراب والاقتلاع الثقافي والقيمي ، ثقافة مرتبطة بتطلعات الشعب ومعبرة عن توقه للتحرر والاستقلال الثقافي .

2- حماية الأسرة العربية من الانزلاق عن الأيمان وضعف الثقة بالنفس ، مع التركيز على حماية الأطفال ، بالنظر لما يحيط بالأطفال في سنوات حياتهم المبكرة من أخطار من خلال تكريس الطقوس الروحية والإيمانية في مجالات تنشئتهم وبما يسهم في دعم شخصية الأطفال ومنحها أهم ما تحتاجه من استعدادات وقدرات ذهنية وعاطفية لابد من توفرها لاستكمال النموذج الاجتماعي المطلوب لمواجهة تحديات الحياة . والمعروف عن اليابان أنها ضد القدم أحاطت حياة أسرها بأعلى درجات الحماية الغيبية ، وان المجتمع الياباني يولي الطفولة من العناية والاهتمام ما يندر العثور عل ما يناظرها في مجتمعات العالم الأخرى [33] .

3- الحذر من الوقوع في مغبة اليأس ، كما يجب الحذر من تفشي حالة الشعور بالعجز وانتشار روح السلبية التي تؤدي إلى تهاون الناس وترك مستقبل أوطانهم يشكله الآخرون . وتقع على المثقفين مسؤولية تخفيف ضغوط اللحظة الراهنة ، مستعينين في ذلك بمخزون الثقافة العربية الإسلامية من قيم الحق والعدل والتعاون والصبر والأخلاق ، فالخير لا ينهزم والشر لا ينتصر والغزو لن يفلح أمام سلاح الأيمان ، وفي ذلك سياج منيع يؤمن الحماية الكافية لقيمنا الأخلاقية العربية الأصيلة .

4-تأسيس منهج لثقافة عربية تأخذ بعين الاعتبار حقوق الهوية وموجبات المعاصرة فنحن معنيون بتأسيس ثقافي له هوية . أي إن الإطار التأسيسي العام للمشروع الثقافي هو الإطار الحضاري لهذا المشروع ، في مصادره ومرجعياته كما في مطالبه وأهدافه العامة ، والهوية الثقافية هنا تسير وبايجابية وفق المضمون الإنساني بقواعد التفكير الحر ، الموضوع ، المنهجي وصولا إلى تطبيقات في العلم ثم في التكنولوجيا .

وإضافة إلى الهوية القومية والمضمون الإنساني ، فان الأساس الثالث الذي عليه كل ثقافة معاصرة ، هو الإبداع ، هو ذا الضلع الثالث الذي سيشكل القاعدة الصلبة التي تستند إليها قيمنا العربية في ظهورها الراهن ، ويضعها في المكان الملائم ى لمقاومة الغزو الخارجي .

5- الأخذ بعين الاعتبار التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الوطن العربي اليوم ولأجل إضعاف هذه التحديات ، ولفرض بناء إطار نفسي منيع بروح الثقة وتهيئة للبناء الذاتي وتعزيز قدرته لمقاومة هذه التحديات ، لابد من الاتجاه نحو تشخيص بعض

المحكات التي تتدرج ضمن هذا الإطار والمؤثر في صميمية المجتمع وتكاد تمنعه من التقبل والاستيعاب والقدرة ، متمثلة بتامين الغذاء والمسكن وفرص العمل ومعالجة المعضلات الاجتماعية المتزايدة ، وتهيئة مستلزمات التعليم والصحة والتوظيف ، ونقص البناء السوسيو – اقتصادي الحضري وعدم الاندماج فيه ، هذا فضلا عن مواطن الحرمان الأخرى .

إذ إن توفير الحدود المأمونة لهذه المأخذ في المجتمع الحضري العربي يرسخ الإطار الذاتي لشخصية الفرد العربي بما يمكنه من مواجهة أي تحدي خارجي .

تجدر الإشارة إلى إن النمو الحضري المتسارع وتعدد المدن المليونية زاد من التعقيدات الاجتماعية والحضارية والتي تمخض عنها بروز ظواهر غريبة عن القيم الأخلاقية للمجتمع العربي كالجريمة والإدمان على الكحول والمخدرات وعقوق الوالدين والإقصاء الاجتماعي ، والرشاوي والشذوذ الجنسي والميسر .

الخلاصة :

آمن سكان المدن العربية بالدين الإسلامي على أساس انه عقيدة وعبادة وخلق ومادة ثقافية وقانون للحياة وسماحة وقوة ، واعتنقوه نظاما كاملا يفرض نفسه على مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة .

إلا إن المدينة العربية شهدت خلال العقود الأخيرة من تاريخها المعاصر تغيرات كثيرة تمثلت بالتضخم السكاني والازدهار العمراني في مجالات المساكن والشوارع والمرافق العامة ، وما يتصل بالجوانب المادية من الحياة ، تولد عنها سلسلة من التغيرات في الجوانب الأخرى في المجتمع ، في البناء الاجتماعي ، وفي الأنظمة والقوانين والمؤسسات التي تتحكم في العلاقات التي تنشا بين الفرد والمجتمع ، وبين الأفراد أو الأسرة الواحدة ، وبين الجماعات فيما بينها على تعدد أنواعها .

هذه التغيرات في أغلبها منافية للأخلاق الكريمة التي أسست بموجبها مدننا ، فهي إما تقليد عشوائي للحضارة الغربية أو انحراف بقصد وبدون قصد عن التقاليد والأعراف العربية الأصيلة ، وبالتالي أدخلت إلى مجتمعنا العربي المسلم جملة من التناقضات بين الدين والعلم ، وتناقض بين العروبة والإسلام وتناقض بين الأصالة والمعاصرة وتوصل البحث إلى

استنتاج أولي هو أن نهضة عصرية لامتنا ما لم نقيم مبادئ الإسلام وتطبيق لدستوره أو التخلي بأخلاقه تلك هي الأسلحة التي تمسك بها الأول من المسلمين وأقاموا حضارة عجزت جميع الأمم إن تأتي بمثلها .

أما الاستنتاج الثاني هو إن الثقافة والعلم والإخلاص والترابط الاجتماعي ومكافحة الفقر وترك المباحة والتمسك بالقران الكريم هي سبل لابد منها ضمانا للعيش بكرامة

وشدد الاستنتاج الثالث إلى إن الأخلاق هو السلاح الوحيد الذي يفتقده الغرب ولأجل إسقاطه من نفوسنا شن غزواته الثقافية والاستعمارية والفكرية علينا . وتمسكنا بهذا الضمان الوحيد لإفشال هذه المخططات والغزوات .

مصادرو مراجع الفصل الثاني

1- سمير عبد العظيم عثمان وسالم عبد المر سومي،تنمية المجتمع الريفي،مطابع التعليم العالي،الموصل،1989،ص21.

2- Daniel Bates and amal Rassam,peopl and cultures of the middle East Englewood citis ,N.J:prentice-Hail ,1983,pp.110-111

3- احمد عويدي العبادي ،من القيم والآداب البدوية ،عمان ،دار الخلد ،1976،ص199.

4-محمد المرزوقي ،مع البدو في حلهم وترحالهم،تونس ،الدار العربية للكتاب،1980،ص29.

5-علي فؤاد وعبد المنعم شوقي ،محاضرات في التنمية الريفية،القاهرة،مكتبة القاهرة الحديثة،1974،ص51.

6-محمد عبد الهادي دكلة وآخرون،المجتمع الريفي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد،1979،ص21.

7-محمد عاطف غيث،التغير الاجتماعي والتخطيط،دار المعرفة الجامعية،1985،ص55.

8-عبد الحميد براهيمي،إبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية،1980،ص210.

9-المهدي المنجرة،المغرب الكبير عام 2000،المستقبل العربي،السنة السادسة،العدد53،تموز 1983،ص21.

10-إيليا حريق،الاستراتيجية والتحول السياسي والاجتماعي في المجتمع العربي الحديث،المستقبل العربي السنة الثامنة ،العدد80،تشرين أول 1985،ص98.

11-إيليا حريق،النظرية المعيارية للتنمية-نقد الفلسفة ماركس في العمل والاستغلال،الأزمنة،السنة الثانية،العدد1988،9،ص121.

12- دور الدولة في البيئة الاقتصادية الجديدة،وقائع الندوة المنعقدة في الكويت4-5 آذار 1997،تحرير طاهر حمدي كنعان صندوق النقد العربي ،1997،ص27.

13-ياسين طه ظاهر،ظاهرة التخلف وتفسيراتها في دول العالم الثالث،الجمعية الجغرافية العراقية،العددان24-25،بغداد،مطبعة العاني،1990،ص315.

14-إيليا حريق،الدولة الرعوية ومستقبل التنمية العربية ،المستقبل العربي،العدد121،اذار1989،ص18.

15-هذه الأفكار مستوحاة من أفكار سابقة قام بها رونالدكوسRonald coaseحول "العلوم الاقتصادية المؤسسية الجديدة"وتتضمن نظريات المؤسسات في علوم الاقتصاد،وللمزيد يمكن مراجعة الموقع الالكتروني الأتي:www.NewlnstitutinolEconomics

16-worldTrade organisaion ,lnternational Trade statistics(2004)

17-Zakia Belhechmi,Educating women for Development:The case of Morocco,Newyork,1993.

−IBID.chapter . 18

paolo Freire,pedagogy of the oppressed,Herder and Herder,1970.−19

peters,R.S,Educationaslnitation,London,Brothers Ltd,1994,p124.−20

Herbert Fingarette,Theself in Transfmetion,Harpwr and Row,1993,p192.−21

Hagg,daniel,TheRight to Education: what kind of management?IBE studies −22 incomparative Education UNESCO,paris,1982,p10.

23−محمد عابد الجابري،إشكالية الفكر العربي المعاصر،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية ،1989.

(24) إبراهيم النعمة، رضينا بالإسلام دينا ، الطبعة الأولى،الموصل، مطبعة الزهراء، 1983، ص61.

25 Milton Roueach , " Atheory of organization within Value - Attitude systems "" Journal of Social issues , vol . 24 , No. (January 1968) , pp 13-33 .

26− محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ،ن مركز دراسات الوحدة العربية ، 1977 ، ص 53 .

27− انظر ابن الياس ، بدائع الزهور ، الجزء الثاني ، ص 93 ، وابن تغري برودي ، النجوم ، الجزء السادس ، ص 221−234 .

28− - Gusstaave Edmund Von Ggrunebaumm , Islam : Essays in the Nuture and Growth of a cultural Tradition (New yoru : Barness and Noble , 1961) p. 9.

29− مارلين نصر ، القومية والإسلام في خطاب كل من حسن البناء وعبد الناصر ، المستقبل العربي ، العدد 199 ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1995 ، ص 21.

30− محمد مهدي شمس الدين ، من اجل تحد عربي إسلامي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 36 ، 1990 ، ص 5 .

31− محمد حسين هيكل ، العرب على أعتاب القرن الـ 21 ، المستقبل العربي ، العدد 190 ، بيروت ، مركز دراسات وبحوث الوحدة العربية ، 1994 ، ص 5−6 .

32− حامد ربيع ، الثقافة العربية الإسلامية في موجهة الغزو الأجنبي ، مجلة قضايا دولية ، العدد 262 ، السنة السادسة ، معهد الدراسات السياسية ، إسلام اباد ، 1995 ، ص25 .

33− - yoshihara , falk culture and the Liminality of children , current Aathropology , vol . 28, No 4 . Chicago , 1987 .

الفصل الثالث

التخلف العلمي والمعرفي

المبحث الأول: الأمية

بلغت نسبة سكان العالم الراشدين الذين لا يزالون غير ملمين بالقراءة والكتابة17% ، وثلثا هؤلاء هم من النساء، وهو ما يجعل من المساواة بين الجنسين أصعب تحقيقاً. وعلاوة على ذلك، فإن حجم مشكلة الأمية التي يعاني منها الشباب تمثل تحدياً كبيراً، إذ تفيد التقديرات بأن 127 مليون شاب على الصعيد العالمي لا يستطيعون القراءة أو الكتابة، وأن 60.7 % من بينهم هم شابات.

ومن المحتمل أن يواجه 67.4 مليون طفل غير ملتحقين بالمدارس صعوبات كبيرة في المستقبل، حيث أن نقص التعليم الأساسي أو عدم توافره هو السبب الأصلي للأمية. ونظراً إلى أن هناك زهاء 793 مليون راشد يفتقرون إلى الحد الأدنى من مهارات القراءة، فإن محو الأمية للجميع لا يزال بعيد المنال.

وقد حذرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسوALEXO) في كانون الثاني سنة 2008، من خطورة ظاهرة الأمية التي لا تزال مرتفعة في العالم العربي، حيث يبلغ عدد الأميينALEXO (أمية أبجدية) قرابة 100 مليون نسمة.

ورأت (ALEXO) في بيان بمناسبة الاحتفال باليوم العربي لمحو الأمية أن "البيانات الإحصائية حول واقع الأمية في الدول العربية تشير إلى أن عدد الأميين لدى الفئات العمرية التي تزيد عن 15 عاما بلغ قرابة 80 مليوناً" وأن "معدل الأمية في المنطقة وصل إلى 29.7.% وهو يساوي ضعف معدل الأمية في العالم.وأوضحت المنظمة أن 75 مليونا من أجمالي الأميين العرب تتراوح أعمارهم بين 15 و45 عاما، وتزيد معدلات الأمية بين النساء حيث يعاني قرابة نصفهن منها أي بنسبة(46.5%). وأكدت الالكسو أن الأعداد الكبيرة للاميين في الدول العربية "تعبر عن فجوة بنيوية عميقة تؤثر على تطور المجتمع العربي ، كما تترتب عنها نتائج سياسية واجتماعية واقتصادية بالغة الخطورة."

وقال البيان انه "بالرغم من الجهود العديدة التي بذلت على الصعيد العربي لم يرتق ملف الأمية إلى مستوى الأهمية التي ينبغي أن ينالها في المنطقة العربية التي يصل عدد سكانها إلى 400.652.486 نسمة حسب توقعات 2012. ولفت إلى أن محاربة الأمية يجب أن تتركز على تعميم التعليم الأساسي والزاميته وتنظيم حملات مكثفة بالمناطق الريفية الفقيرة.

وكانت المنظمة قد وضعت منذ تأسيسها سنة 1970 رؤية مستقبلية لمحاربة الأمية ضمت "أول إستراتيجية لمحو الأمية في البلاد العربية سنة 1976" كما أنشأت" الصندوق العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار" سنة 1980 .وتبلغ ميزانية الالكسو ALEXO ، وهي من الهيئات المتخصصة التابعة لجامعة لدول العربية ومقرها تونس، قرابة 19 مليون دولار.

تجدر الإشارة إلى أن عدد الأميين في الوطن العربي بلغ 70 مليون أمي سنة 2005 بعد أن كان 50 مليون سنة 1970. ووصل العدد إلى 80 مليون سنة 2014 بعد انتشار ظاهرة التسرب من المدارس والحروب والنزاعات في المنطقة العربية. أي انه بزيادة مستمرة وليس بنقصان عكس ما يسير عليه العالم الجدول (5) انظر الخريطة (4).

رغم ما سجله البيان الصادر من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم من انخفاض تدريجي في نسبة الأميين حيث كانت 73 %سنة 1970 إلى 48% سنة 1990 ومنها إلى 35% سنة 2005 إلى 30% سنة 2009 في الفئة العمرية التي هي فوق سن الخامسة عشر. البيان أشار أيضا إلى أن النسبة الحالية للأمية في العالم العربي تمثل ضعف نسبة المتوسط العالمي المسجل في هذا المجال، جدير بالذكر إن دراسات صادرة عن اليونسكو أشارت إلى أن عدد الذين لا يقرؤون ولا يكتبون على مستوى العالم بلغوا حتى العام 2007 نحو774 مليون نسمة ، فيما 72 مليون طفل غير ملتحقين في المدارس ،ما يؤكد أن القراءة تواجه أزمة كبيرة تضاعف من محنة الكتاب في كل دول العالم وعلى وجه الخصوص الدول العربية ما استدعى الوقوف على السؤال: ما أسباب عدم تراجع نسب ألامية في العالم العربي فيما تتراجع نسب القراءة لدى المتعلمون ؟

جدول 5:نسبة الأمية في الوطن العربي للأعمار+ 15 سنة لسنة 2014.

الدولة	النسبة
الإمارات	1
البحرين	3.4
الكويت	6.7
قطر	3.7
تونس	18.8
الأردن	6.6
لبنان	10.4
السعودية	6.8
سوريا	19.4
العراق	18
الجزائر	13
المغرب	28
اليمن	36
مصر	28
السودان	29
فلسطين	4.4
ليبيا	9.8
عمان	18.6
جزر القمر	25
موريتانيا	42
الصومال	61

المصدر، منظمة اليونسكو لسنة 2014.

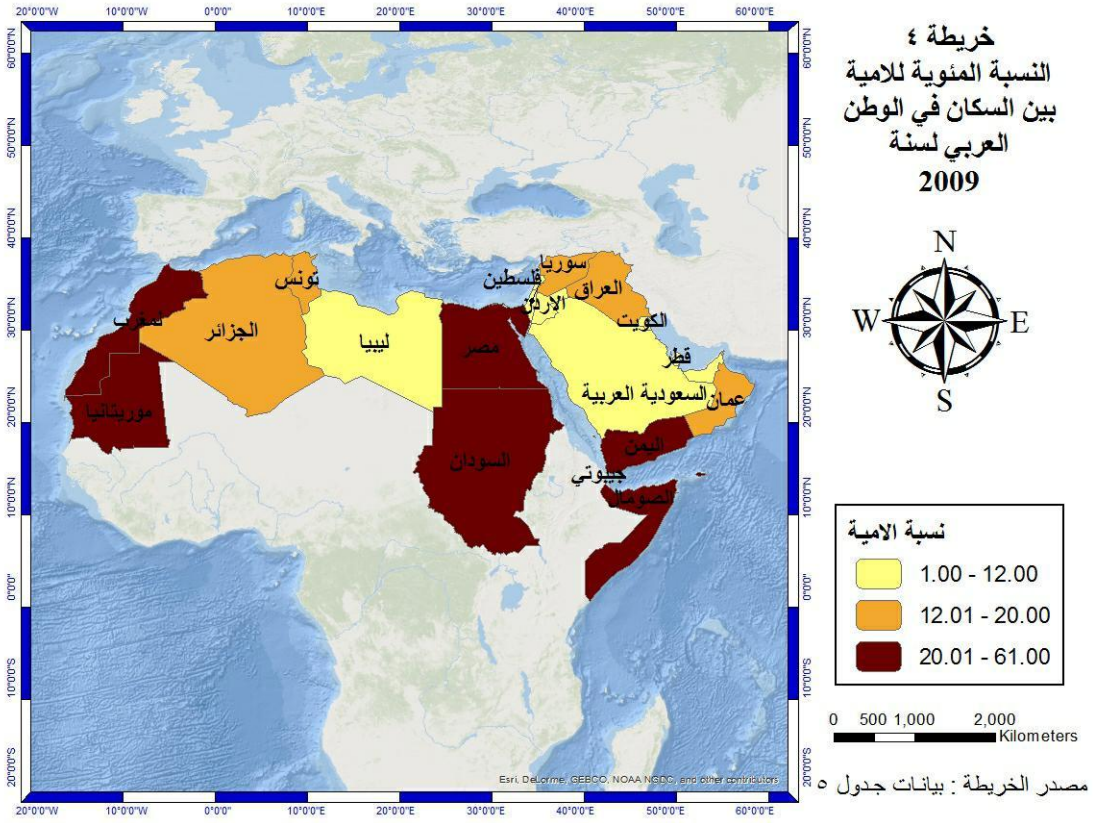

إذ تنتشر أكبر نسبة للأمية في العالم العربي بين الإناث قياسا بالذكور حيث يمثلن أكثر من 46% مقابل أكثر من 25% للرجال، في حين أنها في الدول النامية 20.6 وفي الدول المتقدمة 1.1 وبالمحصلة النهائية هي 20.6% في العالم، بمعنى أن العالم العربي كما هو معروف في هذه العجالة يتصدر المرتبة الأولى في مسألة الأمية.

ترسم معطيات أخرى خريطة للأمية في العالم العربي إذ تؤكد أن البلدان العربية الأكثر أمية هي الصومال تليها موريتانيا ، يليها اليمن فالمغرب والسودان ومصر من مجموع الأميين في هذه البلدان الطليعية في انتشار الأمية يمثل 78% من أميي الوطن العربي، في الجهة المقابلة تتصدر الإمارات العربية المتحدة تليها قطر فالبحرين فالكويت الدول العربية الأقل أمية وبين هؤلاء وهؤلاء تحتفظ الأردن وتونس والعراق وليبيا وسوريا بنسبة معقولة هي 13% مع الإشارة إلى أن هذه الخارطة تعتبر نسبية نظرا لاختلال موازين الكثافة السكانية بين هذه الدول عدا عن فشل السياسات التعليمية وضعف البنية التربوية التحتية، تشير الدراسات كذلك إلى عوامل مفروضة جعلت العراق يتقهقر في مجال مكافحة الأمية بسبب سنوات الحصار والغزو لتبلغ نسبة الأميين فيه 18% وكذلك الحال في فلسطين التي سجلت

سابقا معدلات مشجعة في نشر التعليم كما وكيفا غير أن أعمال الاحتلال التي تقتل البشر ولا تكاد تبقي حجراً على حجر جعلت هذا المنجز مهدد بنسب تتراجع سنة بعد أخرى.

1- مفهوم الأمية

شهد مفهوم الأمية تطوراً كبيراً وقد بذلت منظمات دولية عدة مثل اليونسكو واليونيسيف مجهوداً كبيراً في هذا المجال وتعرّض مفهوم الأمية إلى تغيرات تناولت جوانبه بشكل جزئي ، إلى أن وجدت مؤسسات مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي معاييرَ كمية (أساسًا) لاحتساب الأمية لتواجه بها دول العالم الثالث من خلال أرقام حتى لو سلمنا جدلاً أنها حقيقية ، فهي غير كافية فعلاً لتحديد الأمية ، إذ تم تحديد مفهوم الأمية تحت ضغط عناصر الكم ، وتم إفراغه "نوعياً" من العناصر الأساسية.

"الأمية المقنعة Illiterate illiteracy " هي الأخطر كونها الأوسع انتشاراً ،إن برامج الأمم المتحدة للتنمية تصف العالم العربي بالأضعف حاليًا في موضوع مكافحة الأمية مقارنة مع الكتل الحضارية الأخرى في العالم[1] الأمّي "المقنّع" ليس الإنسان الذي لا يقرأ ويكتب، بل الإنسان الذي لا يملك معرفة كافية لتعبئة أوراق المعاملات، الرسمية أو الخاصة ، التي تتعلّق بحياته بنفسه. فيضطرّ للجوء إلى شخص آخر لفهم المطلوب ولتعبئة أوراق المعاملات نيابةً عنه . وهذا الفارق "البسيط" في تعريف الأمّية يرفع عدد الأميين العرب من 80 إلى 100 مليون عربي، أي حوالي 45 بالمائة من سكان العالم العربي .

حين شاع استخدام مصطلح البطالة المقنعة سرعان ما خلعه الهواة من غير الاختصاصيين من سياقه الاقتصادي، ليتم توظيفه في مجالات أخرى وعلى نحو مجازي وإذا كانت للبطالة أقنعة عديدة، منها التظاهر بالعمل أو الانهماك على طريقة أم العروس، كما يقال في الأمثال، فإن أقنعة الأمية من طراز آخر، ويقف الكاتب الأردني خيري منصور عند ثلاثة منها في هذا المقام: القناع الأول أكاديمي سواء كان بالحصول على لقب، أو السعي نحو الارتقاء الوظيفي بأبحاث تقليدية، وهنا يجب التذكير بجذر مصطلح الأكاديمية، وهو قبر المحارب الأفريقي أكاديموس الذي كان يتحلق حوله المشتغلون في الفلسفة والباحثون عن المعرفة. ولم يكن أكاديموس نفسه أكاديميا، تماما كما أن ماركس لم يكن ماركسيا كما يقول

التوسير، والسيد المسيح لم يكن مسيحيا كما يقول برنارد شو، وتلك بالطبع إحدى مفارقات التاريخ التي يبسّطها البعض بالمقولة المعروفة، وهي أن هناك من هو كاثوليكي أكثر من البابا أو ملكي أكثر من الملك.

القناع الثاني للأمية مزخرف وملفق من عبارات ومأثورات مخلوعة من سياقاتها الأصلية، وقد يكون مصدرها الثقافة الشفوية كما تتجلى في المقهى، أو أمكنة تجمع المشتغلين في الثقافة كالنقابات والاتحادات التي تضم أعدادا غفيرة من المتأدبين لا الأدباء والمتثاقفين لا المثقفين، لأسباب معروفة في مقدمتها الانتخابات ذات البوصلة السياسية وليس المهنية.

والقناع الثالث للأمية هو التقاط ما تبثه الفضائيات ووسائل التواصل على مدار الساعة، خصوصا البرامج الحوارية، لكن مثل هذا الالتقاط أشبه بقناع شمعي كجناحي أيكاروس، فما أن تشرق الشمس حتى يذوب.

وإذا كان الاعتراف بالجهل هو الخطوة الأولى على طريق المعرفة، فإن الاعتراف بالفقر أيضا هو أول السطر في سفر الثورة والحراكات التي تنشد العدالة، لكن التشوه النفسي الذي لحق بمجتمعات عانت من فائض الكبت والازدواجية، حوّل الفقر إلى عورة يجب التستر عليها والجهل أيضا كذلك، لهذا أشك في جدية ونتائج معظم استطلاعات الرأي التي تنشر، لأن العينات رهائن لأعراف وعادات ونظم سياسية متسلطة، بحيث تصبح عبارة أولي الأمر قناعا لأولي الزجر والقهر.

وفي دراسة لليونيسيف صدرت مؤخراً واعتمَدَت مقاييس تقليدية ، وارتكزت إلى أرقام قدّمتها الحكومات ، بلغ تعدادُ الأميين ثمانين مليون عربي . تبلغ نسبة الأمية في وسط النساء العربيات نحو 80 % ، والسبب الرئيس أن الأمية غالبًا ما تتبع في إطار عملية تهميش المرأة في حياة المجتمع وفي المدرسة ، ويتم ذلك أحياناً باسم الدين وأحياناً أخرى باسم العادات والتقاليد.

واللافت للنظر أن خطط النهوض الاقتصادي غالباً ما تُوضَع بمنأى عن قضية تحرر المرأة ، مما يحد من هذا النهوض ويجعله هامشياً لأنه لا يندرج ضمن عملية نهوض مجتمعي شامل تكون قضية المرأة حجر الزاوية فيها ، مما يعطي العملية التنموية كل

أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتطورية ، كما تعطيها القدرة على الاستمرار وتجديد وتصويب المسار ضمن أي مجتمع محلي ، هنا أيضا تبدو عملية محو أمية المرأة شرطاً أساسياً في عملية نمو وبناء مجتمع عربي .

إن حالة الأمية السائدة في البلاد العربية وبنسبة مذهلة ، هي عائق أساس أمام الديمقراطية ، إن الأمية التي تقارب نصف سكان العالم العربي ، تعني أن نصف السكان بعيدون عن القرار وليس لديهم الأهلية اللازمة لمسك زمام أمورهم ومستقبلهم بأيديهم ، وحينما يزداد الحديث عن "المشاركة" كحد أدنى في العملية الديمقراطية ، فإن ذلك يعني حكماً تزايد الكلام عن التلاعب السهل بمصير شرائح واسعة من الناس، تحت شعار ضرورة مشاركتهم في الحياة السياسية.

من جهة أخرى فإن حالة الأمية في العالم العربي تسهّل حكم الأنظمة الديكتاتورية ، وتشكل قاعدة الاستبداد السياسي ، الاقتصادي والاجتماعي ، لأن هذه الشرائح الواسعة غالباً ما تكون عاجزة عن رد الفعل المنطقي أولاً والمبادرة الصلبة ثانياً،من أجل المشاركة في توجيه حياتها ومستقبلها.

2-تعريف الأمية

هي ظاهرة اجتماعية سلبية متفشية في معظم أقطار الوطن العربي والعالم لا سيما النامي منه ولها أبعادها الكثيرة والمتنوعة ومنها:

-الأمية الأبجدية : وتعني عدم معرفة القراءة والكتابة والإلمام بمبادئ الحساب الأساسية ويعرف الإنسان الأمي بأنه كل فرد بلغ الثانية عشرة من عمره ولا يلم الماما كاملا بمبادئ القراءة والكتابة والحساب بلغة ما ولم يكن منتسبا إلى مدرسة أو مؤسسة تربوية وتعليمية.

-الأمية الحضارية : وتعني عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والفلسفية الإيديولوجية والتفاعل معها بعقلية دينامكية قادرة على فهم المتغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي فعال يحقق الانسجام والتلاؤم مابين ذواتهم والعصر الذي ينتسبون إليه مؤمنين في ذات الوقت بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والممارسات السلوكية والمبادئ والمثل الاستاتيكية الجامدة التي تتعارض وطبيعة الحياة المتجددة على الدوام والتوافق.

تتقسم الأمية الحضارية من حيث المبدأ إلى عدد غير قليل من الأقسام والفروع الرئيسة فتتدرج تحت لوائها – الأمية الثقافية – الأمية العلمية – الأمية التكنولوجية – الأمية الفنية – الأمية الجمالية – الأمية الصحية – الأمية العقائدية.

بهذا الفهم للامية تصل نسبة الأمية عندنا في الوطن العربي إلى 97%،ولو كان الأمر كذلك فانا أول الفرحين بهذه النسبة لان لدينا 3% قادرين على القيادة والإنتاج والتحكم والفهم الصحيح للحياة ، لو أرادوا لاستطاعوا قيادة العرب نحو الإمام بتمكن .ولكن يبدو أن حقيقة هذا الرقم هي غير ذلك. كما هو حال الولايات المتحدة الأمريكية التي يقودها بقدر هذه النسبة وتتسيد العالم.

3- توزيع نسب الأمية في العالم

تشير تقارير منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية (اليونسكو UNESCO) أن أحدث البيانات الصادرة عن معهدها للإحصاء تشير إلى تحسن ملموس في نسب محو الأمية لدى الكبار على مدى العقد المنصرم(2001–2011) خصوصا في البلدان ذات الكثافة السكانية المرتفعة، بما فيها البرازيل والصين ومصر وباكستان ، وتشير إحصاءات المعهد إلى أنّ واحداً من أصل خمسة كبار عبر العالم، أي ما يقارب 860 مليون شخص، لا يزالون من الأميين جدول (6) ، وثلثاهم من النساء. ويعيش حوالي 70 في المائة من هؤلاء في جنوب الصحراء الإفريقية، وجنوب وغرب آسيا، والدول العربية وأفريقيا الشمالية انظر الخريطة (5). وتشير مصادر منطقة شرق آسيا والمحيط الهادي إلى معدل لمحو الأمية بلغ نسبة 86 %، والى عدد إجمالي من الأميين يبلغ 185 مليوناً، ويوجد في منطقة أميركا اللاتينية والكاريبي 39 مليوناً من الأميين، أي ما يناهز 11 في المائة من مجموع السكان لدى فئة الكبار.

الأمية العربية ووفقا لتقديرات المعهد [2]، فان نسبة الأمية في الدول العربية وصلت سنة 2000، إلى معدل 40 %، حيث شكلت نسبة الذكور أقل قليلا من 30 %، ونسبة الإناث حوالي 52 %، بينما وصلت النسبتان الأخيرتان في منطقة جنوب الصحراء الإفريقية إلى 32 % وحوالي 50 % على التوالي. وقال معهد اليونسكو انه ولعدم تسارع الجهود لمحو الأمية بشكل حثيث، فان عدد الأميين لدى الكبار بلغ حوالي 800 مليون شخص في العالم سنة 2015، وهي المهلة التي حدَّدها أكثر من 160 بلداً في سنة 2000 بهدف خفض

نسب الأمية لدى الكبار إلى النصف.وحسب التقديرات الوطنية المرتكزة إلى الإحصاءات الرسمية للسكان، والتي شملت أربعين بلداً، حققت الصين أفضل النتائج مع ارتفاع معدل محو الأمية لدى الكبار (15 عاماً وما فوق) من 78 % سنة 1990 إلى 91 %سنة 2000. كما ارتفع هذا المعدل في مصر من 44 % سنة 1986 إلى 56 %سنة 1996، وسجَّل مزيداً من التحسن منذ ذلك الحين استنادا إلى تقارير صدرت أخيراً. وأعلنت البرازيل أيضاً عن تحسن بنسبة ست نقاط مئوية، من 80 %سنة 1991 إلى 86 %سنة 2000، في حين شهدت باكستان ارتفاعاً لمعدل محو الأمية من 39 إلى 42 % بين سنة 1994 وسنة 1998.كما سجَّلت البلدان الأربعة والصين بصورة خاصة، تحسناً في نسب محو الأمية لدى النساء.

ففي البرازيل، أظهرت البيانات أنّ نسبة محو الأمية لدى النساء باتت تتجاوز بقليل نسبة محو الأمية لدى الرجال. وتلك هي أيضاً حالة بليزا وهندوراس والفيليبين وجزر السيشل. كذلك شهدت جمهورية إفريقيا الوسطى، وهي إحدى الدول الأفريقية القليلة التي تعلن رسمياً عن نسبها في مجال محو الأمية لدى الكبار، ارتفاعاً في معدلاتها من 34 % إلى 49 % من سنة 1990 إلى سنة 2000. لكنها تسجِّل، على غرار مصر وباكستان، تفاوتاً كبيراً يفوق 20 نقطة مئوية في نسب محو الأمية بين الرجال والنساء انظر خريطة (5).

وفي صفوف الشباب، الذين يعرف عنهم هنا بالأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاماً، فإنّ نسب محو الأمية غالباً ما تكون أكثر ارتفاعاً بالقياس مع سائر المجموعات السكانية لدى الكبار. ففي إيران على سبيل المثال، يبلغ الفرق في نسب محو الأمية بين الشباب والكبار 20 نقطة مئوية. ونمَت نسبة محو الأمية لدى الشابات على نحو أسرع من النسب لدى الشباب خلال التسعينات في مجمل البلدان تقريباً.

جدول 6

نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة على مستوى دول العالم لسنة 2010

الدولة	الإلمام بالقراءة والكتابة %	الدولة	الإلمام بالقراءة والكتابة %	الدولة	الإلمام بالقراءة والكتابة%
أفغانستان	38.2	البرازيل	92.6	غامبيا	55.5
انغولا	71.1	بروناي	96.4	غواتيمالا	79.3
أرمينيا	99.8	بوركينا فاسو	36	غينيا	30.4
أذربيجان	99.8	بوروندي	85.6	هاييتي	60.7
بنغلاديش	61.5	الرأس الأخضر	87.6	هندوراس	88.5
بنين	38.4	كمبوديا	77.2	الهند	72.1
بوتان	64.9	الكاميرون	75	اندونيسيا	93.9
بوليفيا	95.7	الصين	96.4	إيران	86.8
مالاوي	65.8	كولومبيا	94.7	كينيا	78
ماليزيا	94.6	ساحل العاج	43.1	ليبريا	47.6
مالطا	94.1	أثيوبيا	49.1	مالي	38.7
ميانيمار	93.1	مدغشقر	64.7	نيبال	64.7
غيانا	88.5	المكسيك	94.4	نيكاراغوا	82.8
لاوس	79.9	موزنبيق	58.8	باكستان	56.4
ناميبيا	81.9	ناميبيا	81.9	السنغال	55.7
بابو غينيا الجديدة	64.2	النيجر	19.1	سيراليون	48.1
أوغندا	73.9	نيجريا	59.6	بوتسوانا	88.5
زامبيا	63.4	رواندا	70.5	أفريقيا الوسطى	36.8
زيمبابوي	86.5	تنزانيا	80.3	غينيا بيساو	59.9
العالم	83	توغو	66.5	تشاد	40.2

المصدر: "National Literacy Survey". National Bureau of Statistics. يونيو 2010.

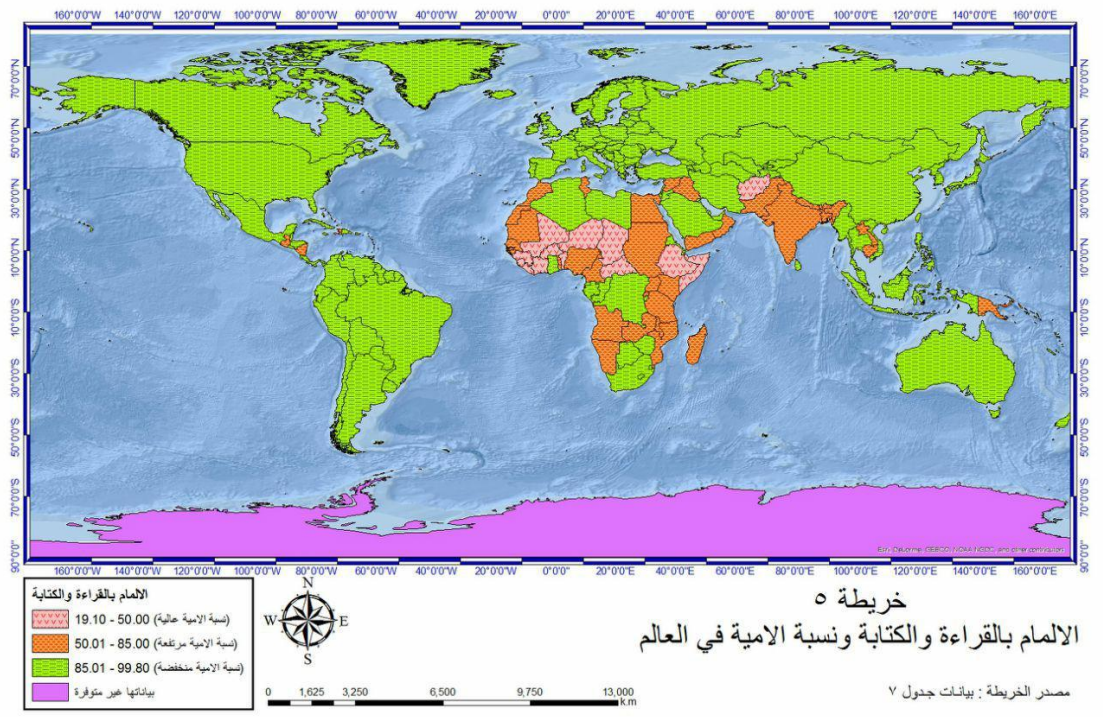

أما الأمية في العام الإسلامي فقد بلغت درجة الخطورة، وأصبحت تشكل ظاهرة اجتماعية تدق ناقوس الخطر، فهي تفوق في خطورتها ظاهرة الفقر والجهل والمرض وسوء الأحوال واضطراب حبل الأمن في عدد من البلدان الإسلامية، لأن الأمية هي المصدر الأساس لكثير من تلك الظواهر التي تعيق النموّ وتشدّ المجتمعات إلى التخلف، على الرغم من الجهود التي تبذل للتغلّب على الصعاب وتذليلها، ولإقامة الأسس القوية للتنمية الشاملة المستديمة التي تحدث تغييرات عميقة في المجتمعات. لأن الفقر يأتي في أحد مصادره من الأمية، والجهل أساسه الأمية، والمرض في أحد أسبابه ناتج عن الأمية، وسوء الأحوال بصورة عامة، مرجعُه الأمية التي تحرم الإنسان من معرفة حقوقه وواجباته، وتحول بينه وبين الإسهام في خدمة مجتمعه والحفاظ على مصالحه العليا. وغالباً ما يكون اضطراب حبل الأمن ناتجاً عن الأمية، سواء بمفهومه التقليدي أو بمدلوله العام، وهو الجهل بالقانون

بالنسبة لكثير ممّن يرتكبون الجرائم التي تدخل تحت طائلة القوانين الجارية، أو الجهل بحقائق الدين بالنسبة لكثير ممّن يمارسون الإرهاب تحت غطاء ديني لوقوعهم تحت تأثير التطرف والتشدد والغلو في فهم النصوص الدينية.

ووفقاً لإحصائيات الإيسيسكو ISESCO التي تتطابق وإحصائيات اليونسكو، فإن نسبة الأمية في دول العالم الإسلامي السبع والخمسين، تتراوح بين 70 % في وسط الذكور، و85 % في وسط الإناث. وترتفع هذه النسبة في البوادي والأرياف عنها في المدن والحواضر بما يزيد عن 10%. وتسجل الإيسيسكو من خلال متابعتها لمؤشرات خريطة محو الأمية في الدول الأعضاء، أن الأمية في عدد من المناطق من العالم الإسلامي تزيد ولا تنقص، وأن الجهود التي تبذلها الدوائر الحكومية المسئولة في هذه الدول، تتعثر في الغالب ولا يكون لها مردود ملموس. بينما يحقق عدد قليل من الدول الأعضاء في مجال القضاء على الأمية نجاحاً يتفاوت من دولة إلى أخرى .وطبقاً للدراسات التي قامت بها الإيسيسكو خلال المدة الأخيرة، تأكد أن الأمية هي من المعوقات الرئيسَة للتنمية في مجموع البلدان الإسلامية وأن ضرورات النهوض على شتى المستويات وتحسين أحوال المجتمعات، تدعو إلى مضاعفة الجهود المبذولة في هذا المجال، وإلى تطوير الآليات التي تعتمد لمحاربة الأمية، بحيث يتم تجاوز الأساليب التقليدية والاعتماد على طرق جديدة ومناهج مبتكرة واتخاذ إجراءات جريئة بإرادة سياسية واعية ومسئولة.

4- أسباب انتشار الأمية

أ- أن جهود محوالأمية في المنطقة العربية صبت في اتجاه واحد هي القراءة والكتابة دون الاهتمام ببقية مجالات تعليم الكبار.

ب- التباين في هيكليات الإدارات والأجهزة المسئولة عن محو الأمية في المنطقة العربية. فنجدها في بعض البلدان عبارة عن قسم ملحق في أحد الوزارات وبعض البلدان وصلت إلى مستوى الوزارة وهذه هي الفجوة، وهناك قضية التباين فيما يتعلق بتحديد الفئة العمرية،بعض البلدان العربية تعتمد 15 سنة إلى 45 وبعضها 15 سنة فما فوق وبعضها عشر سنوات إلى 35 وبعضها عشر سنوات إلى 45 سنة.

ج- إشكالية أخرى أساسية أنه نمط تعليم الكبار في المنطقة العربية ونمط محو الأمية مازال يتجه بشكل تماما إلى الوسائل التقليدية التي هي المعلم والسبورة وغيره ولم تستفيد الدول العربية من التقنيات الجديدة كالتعليم عن بعد أو الفيديو أو حتى القنوات التعليمية .

د- ارتفاع معدلات الفقر في بعض الدول العربية،ولذلك نلاحظ بشكل عام أن ارتفاع الأمية يتجلى بشكل واضح في الدول العربية الفقيرة في الموارد.

هـ-أضف إلى ذلك أن القائمين على التعليم في مجال محو الأمية ليست لديهم القدرة الكافية على جذب المستهدفين أي الدارسين من خلال ابتكار طرق جديدة .

و- ليست لدينا في العالم العربي إستراتيجية شاملة ومتكاملة لمحو الأمية وإنما هناك اجتهادات من قُطر إلى آخر،إذ تشير بعض الأقطار بأنها ستنتهي من الأمية في سنة 2010 وبعضها يشير إلى آخرة وانتهت سنة 2010 ولم يظهر شيء يذكر من حيث القضاء على الأمية، تدل النتائج بأن الأمية سنوياً تنخفض بنسبة 1% فإذا كان عندنا 38.5% أميين فهذا يعني في تصورنا أننا نحتاج إلى 38 سنة مستقبلية لكي ننتهي من مسألة هذه الأمية.

أن الحل الأقرب لمجابهة مشكل الأمية هو ردم منابع الأمية وذلك عن طريق ضرورة فرض إلزامية التعليم للذكور و الإناث على حد سواء، سياسة إلزامية على جميع الدول العربية وهذا بالطبع توازيا مع الاستمرار في تنفيذ خطط تعليم الكبار التي اعتمدتها بعض الدول العربية منذ سنة 1970. ،(علما أن كاتب هذه السطور رأى عبارة مرفوعة على باب جامعة درنة في ليبيا مكتوب عليها "إلزامية التعليم اعتداء على حرية الفرد وذلك سنة 2000 في زمن القذافي).

المبحث الثاني :الإنتاج المعرفي والعلمي

قبل البدء بسرد المعلومات المتعلقة بالإنتاج العلمي والمعرفي لابد من الكشف عن المفاهيم المتعلقة بالموضوع ومنها:

1-المعرفة Cognition

وهي الاكتشاف المباشر والوعي وإعادة الاكتشاف للمعلومات أو إعادة التعرف عليها بصيغ متنوعة والاستيعاب والفهم، أو أنها مجموعة المعاني والمعتقدات والإحكام والمفاهيم والتصورات الذهنية التي هي نتيجة لمحاولات الإنسان المتكررة لفهم الظواهر والأشياء

المحيطـــــــة بـــــــه ، فالمعرفـــــــة "حالـــــــة- نتيجـــــــة (State-Result)" لعمل الدماغ وهي وظيفة أساسية من وظائفه ،ترتبط بمجموعة نسق من الوظائف الدماغية والذهنية ،كما أنها حاجة فطرية وظاهرة تاريخية ،ديناميكية ،اجتماعية ،تتجلى في القدرة على التعرف على الأشياء (موضوعات ،ظواهر ،خصائص،قوانين،أفكار،...الخ) وهي كحاجة وكحالة تنمو بالاكتساب من خلال التجربة العملية والذهنية للإنسان.

والأفكار هي اللبنات الأساسية التي تتكون منها المعرفة ،والفكرة هي موضوع ونتاج التفكير انظر الشكل (1) ، والإنسان منذ نشأته قد شغف بالبحث عن المعرفة فقد كان طبيعيا أن تشغل المعرفة مكانا مرموقا في قائمة اهتمامات الفلاسفة والمفكرين ،على الرغم من أن المعرفة تمثل الغاية الكبرى في النمط التعليمي القائم على عملية التحري الجماعي.

شكل 1: العمليات العقلية في التنظيم العقلي الذي وضعه جلفورد.

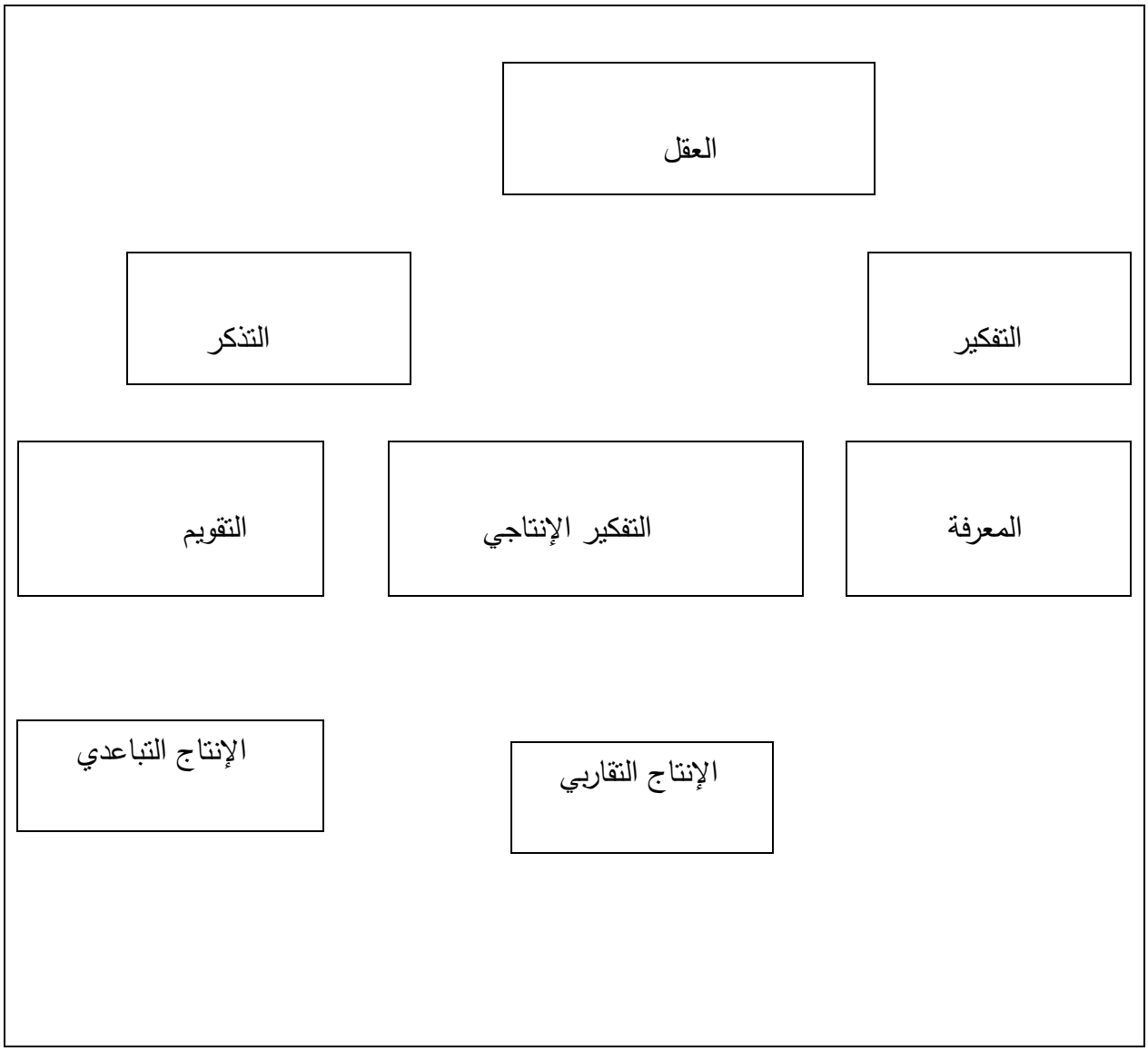

المصدر:عصام عبد الوهاب عز الدين علي،اثر استخدام أنموذج ثيلين في التفكير التباعدي لدى طالبات الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ ،أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية/الجامعة المستنصرية،2006،ص63.

2- الذاكرة Memory

وهي تسجيل أو خزن المعلومات بشكل يجعلها في متناول العقل وبالشكل نفسه الذي تم خزنها به استجابة لعملية التعلم .

3- التقويم Evaluation

ويعني الوصول إلى قرارات أو اتخاذ أحكام تتعلق بمحكات الرضا عن المعلومات مثل دقتها وملائمتها وكفايتها ومرغوبيتها .

4- الإنتاج التقاربي Convergent production

وهو توليد المعلومات من معلومات متاحة حيث يكون التأكيد على استجابة واحدة تقبل كأفضل استجابة ،وهي تتحدد بالمعلومات المتاحة .

5- الإنتاج التباعدي Divergent production:

وهو توليد معلومات جديدة من معلومات متاحة حيث يكون التأكيد على تعدد الاستجابات وتنوعها ويتضمن ذلك عملية التحويل التي تشتمل على الاستعداد للجهد الإبداعي أو الإبداع الكامن .

6-مفهوم الإبداع The concept creativity

يستخدم مفهوم الإبداع (Creative) ليشير إلى العمليات العقلية ،والمزاجية ،والدافعية،والاجتماعية،التي تؤدي إلى الحلول ،والأفكار ،والتصورات ،والأشكال الفنية،والنظريات أو المنتجات التي تكون فريدة وجديدة.

وبمراجعة ممّعنة للنظريات المفسرة للإبداع التي تعد أساسا جيدا أمكن من خلالها تفسير بعض جوانب العملية الإبداعية ،فالإبداع من المنظور الجشطلتي إنما هو نوع من الاستدلال ،وان هذا الاستدلال أما يكون عقليا خاصا يتعامل مع المفاهيم أو يكون إدراكيا أي أن الإبداع نتاج لتفاعل بين خيال الفرد يظهر تأمله للأشياء وصوره وبين العمليات العقلية كالاستدلال والتجريد والإدراك.

والإبداع في اللغة هو الاختراع والابتكار وبصورة أوضح هو أنتاج شيء جديد لم يكن موجودا من قبل على هذه الصورة،وعرفت الموسوعة البريطانية الإبداع على انه القدرة على إيجاد حلول لمشكلة أو أداة جديدة أو اثر فني أو أسلوب جديد، بعبارة أخرى فان الإبداع مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصية التي إذا وجدت بيئة مناسبة يمكن

أن ترقى بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصلية ومفيدة للفرد أو الشركة أو المجتمع أو العامل ، والإبداع من جانب آخر عملية تثمر نتاجا جديدا وغير عادي يتقبله المجتمع لفائدته .

وعلى الرغم من اتفاق العلماء والباحثين على إن الإبداع نوع من أنواع النشاط العقلي إلا أنهم اختلفوا في طرق معالجته وتحديده، فمنهم من تناوله على اعتباره عملية ذات مراحل متعددة تبدأ عموما بالإحساس بالمشكلة وتنتهي بإشراق الحل ،ومنهم من حدد الإبداع بالناتج الذي يتصف بالجدة والندرة وعدم الشيوع والقيمة الاجتماعية ،وهناك عدد من العلماء تناولوا الإبداع من خلال العوامل العقلية وغير العقلية النى تدخل في تكوينه .

ويرى Gilford أن الإبداع تنظيمات أو تكوينات مؤلفة من عدد من القدرات العقلية من أهمها:

أ- الطلاقة اللفظية Verbal fluency : وهي القدرة على سرعة أنتاج اكبر عدد ممكن من الكلمات التي تستوفي شروطا معينة كأن تبدأ أو تنتهي بحرف معين .

ب- الطلاقة الفكرية Intellectual fluency : وهي القدرة على سرعة أنتاج اكبر عدد مكن من الأفكار التي تنتمي إلى نوع معين من المواقف وتستوفي شروطا يحددها الموقف .

ج- المرونة التلقائية Automatic flexibility :هي القدرة على سرعة إنتاج أفكار مختلفة تنتمي إلى موقف معين واحد.

د- الأصالة Originality: القدرة على سرعة إنتاج أفكار تستوفي شروطا معينة كالجدة والندرة.

ويقول هارولد اندرسونHarold Anderson "لا تكمن أهمية الإبداع في كونه عملية أنتاج تشهد كل لحظة من لحظاتها ولادة جوهرية ذات قيمة آنية، ليس ذلك فحسب بل تكمن الأهمية في كون الإبداع ضرورة من ضرورات الحياة ،فدوافع الإبداع قد تكون:

- ذاتية داخلية .
- بينية خارجية .
- مادية ومعنوية .
- دوافع خاصة بالعمل الإبداعي .

فالدوافع الذاتية الداخلية يبغي منها:

* الحماس في تحقيق الأهداف الشخصية .
* الحصول على رضا النفس.
* الوصول إلى الهداف والغايات بطريقة أسرع
* تجريب أكثر من مجال للعمل .

أما الدوافع البينية الخارجية فتهدف إلى :

* التصدي للمشكلات العامة والخاصة .
* الحاجة إلى الحيوية والنمو .
* الحاجة إلى التقدم والازدهار .
* صنع الإحداث ومجاراة الزمن السريع التغير .

أما الدوافع المادية والمعنوية فترمي إلى :

* الحصول على مكافأة مالية.
*الحصول على التقدير والثناء والسمعة الحسنة والشهرة .
*الحصول على مرتبة وظيفية مرموقة .
*الحصول على درجة علمية راقية.
*الحصول على رضا الناس .
*خدمة الأمة والوطن .

والدوافع الخاصة بالعمل الإبداعي اتسمت بالرغبة الشديدة في إيجاد الفكرة والحصول عليها ، وقبل كل هذه الدوافع الرغبة في الحصول على رضا الله والفوز بجنته والنجاة من عقابه .

أولا–مقارنات علمية

بعد قراءة نتائج دراسة أقامتها جامعة جياوتونج – شنغهاي الصينية سنة 2016، وهي دراسة أكاديمية سنوية مفصلة تصنف فيها الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع دول العالم وفق خمسة معايير أكاديمية يعطى لكل منها عددا محددا من النقاط بحيث تحصل أرقى مؤسسة أو جامعة على الرقم 100 في كل معيار وتليها الجامعات الأخرى

بنسب مئوية ومن ثم تجمع النقاط بشكل نسبي من المجموع الكلي (النسبة حسب أهمية كل معيار). و المعايير تعتمد بشكل رئيس على الإنجازات العلمية، و البحوث المنشورة في مجلات محكمة و عدد الاقتباسات المرجعية منها، والجوائز العالمية ونوعية البرامج، و حجم المؤسسة التعليمية فيما يخص الإنجازات نسبة إلى عدد أعضاء الهيئة التدريسية، و غير ذلك من عناصر التعليم الجامعي و البحث العلمي. و يتم ترتيب الجامعات وفق ما تسجله من نقاط في جدول يضم أرقى 500 جامعة و مؤسسة تعليمية على مستوى العالم مرتبة حسب عدد النقاط التي تحصل عليها الجامعة، إضافة إلى تصنيفات إقليمية مثل أرقى 100 جامعة أوروبية، و أرقى 100 جامعة أسيوية وما شابه. و من ثم ترتيب البلدان حسب مواقع جامعاتها في القائمة بالدرجة الأولى و عددها في القائمة بالدرجة الثانية.

كما هو متوقع، تصدرت القائمة جامعات عريقة و مشهورة في الولايات المتحدة و بريطانيا حيث استحوذت جامعتي هارفارد و ستانفورد الأمريكيتين المرتبتين الأولى و الثانية و كمبردج و أكسفورد البريطانيتين المرتبتين الثالثة و الثامنة على التوالي، فيما استحوذت جامعات يابانية و ألمانية و كندية مواقع متقدمة في القائمة. وعلى مستوى أقاليم العالم تصدرت الولايات المتحدة قائمة بلدان الأمريكيتين و بريطانيا القائمة الأوروبية واليابان القائمة الآسيوية و جنوب أفريقيا القائمة الأفريقية .

وبمقارنة بسيطة بين الجامعات العربية والجامعات الإسرائيلية فانه قد ورد ذكر سبع جامعات و معاهد إسرائيلية في القائمة الرئيسة من مجموع جامعاتها الثمانية، تصدرت فيها الجامعة العبرية في القدس الترتيب 90 و جامعة تل أبيب 101 ومعهد وايزمان 105 و ثلاث جامعات أخرى هي في المائتين الثالثة و الرابعة و الجامعة الإسرائيلية الوحيدة التي لم يرد ذكرها هي الجامعة المفتوحة. و شغلت إسرائيل المرتبة 12 في الترتيب العالمي للدول . وفي الترتيب الآسيوي استحوذت الجامعة العبرية الترتيب السابع، وجامعة تل أبيب المرتبة 9، معهد وايزمان المرتبة 18، ومعهد التخنيون المرتبة 22،وجامعة بار أيلان المرتبة 38، وجامعة بن غوريون المرتبة 39 و أخيرا جامعة حيفا استحوذت المرتبة 67 واستحوذت إسرائيل المرتبة الثانية من بين الدول الآسيوية بعد اليابان.

أما الجامعات العربية التي يبلغ عددها 184 جامعة فلم يرد ذكرها على الإطلاق ،ومما يؤسف له فعلا عدم وجود أي أسم لها أو حتى لأسماء جامعات أجنبية عاملة في عدة بلدان

عربية منذ زمن بعيد ولها شهرة إقليمية واسعة مثل الجامعة الأمريكية في بيروت و القاهرة (الاستثناء هي الجامعات الأمريكية التي فتحت لها فروعا في قطر مؤخرا وبالطبع كان تقييمها على أساس مراكزها الرئيسة).

وإذا استثنينا جائزة نوبل من المعايير الأخرى التي استندت إليها الدراسة (جامعة إسرائيلية واحدة حصلت على نقاط في هذا المعيار)، إذا استثنينا هذا المعيار فان معظم المعايير التي يقاس بها مستوى الجامعات هو ما يتعلق منها بالبحث العلمي و الإنجازات الأكاديمية الأخرى التي لا يمكن أن تبرر عدم ورود أسماء جامعات عربية عريقة في حين تجد أسماء جامعتين من بلد صغير كسنغافورة و 8 جامعات من كوريا الجنوبية أو جامعات من بلدان فقيرة نسبيا مثل شيلي و الأرجنتين و المكسيك ،بينما تمتلك المجتمعات العربية مستويات من الدخل هي من بين الأعلى في العالم، وربما الأكثر أهمية أننا نمتلك تراثا علميا و حضاريا تركه لنا ونشره في معظم بقاع الأرض قبل عصر الثروات الحديثة علماء خالدون مـــــــــــــن أمثـــــــــــــال ابـــــــــــــن ســـــــــــــينا و الرازي و الكندي و ابن حيان وغيرهم من الأسماء التاريخية الذين ساهمت نظرياتهم و كتبهم في انتشار علوم الطب و الرياضيات و الفلك وغيرها، وترجمت ودرّست في معظم جامعات العالم ، ومهدت الطريق أمام تطور العلوم الحديثة.

إننا للأسف مجتمعات تعشق دراسة التأريخ ولكنها تسير عكس مساره، وينطبق علينا ما قاله الفيلسوف هيجل Hegel من أن" الشيء الوحيد الذي يعلمنا إياه التأريخ أنه لا يعلّمنا شيئا " مع أنها مقولة متعسفة بعض الشيء ولكننا على ما يبدو لم نتعلم من دراسة التأريخ.

الدراسة التي ذكرت أعلاه وذات العلاقة بتصنيف الجامعات في العالم قد تحتمل نسبة من الخطأ في دقتها وهذا شيء طبيعي، أما المصداقية فهناك أكثر من دليل على امتلاك الدراسة لقدر كبير منها . ومع محاولة الابتعاد عن كل ماله علاقة بالسياسة في هذا الموضوع إلا أن مقتضيات الإثبات لهذه المصداقية تتطلب أحيانا بعض الأدلة و الحجج ذات الطابع السياسي (الذي لا يبدو أن واضعي الدراسة قد اهتموا به على الإطلاق) ومن بينها الآتي:

الجامعة الصينية التي قامت بالدراسة جاء ترتيبها في موقع متأخر من القائمة (404) و لا تتضمن القائمة أي جامعة صينية في المائة الأولى منها، والصين كبلد جاء في الترتيب 19

من القائمة و بما لا يتناسب مع إمكاناته العلمية و البشرية، وجامعة تايوان (الصين الوطنية)، جاء ترتيبها في المرتبة 153 قبل أي جامعة صينية و الكل يعرف حساسية الصين ، دولة وشعبا، تجاه تايوان.

بالنسبة لنا نحن العرب لا مصلحة للجامعة الصينية في عدم ذكر أي جامعة عربية في قائمتها كما أن ليس لها مصلحة بالمبالغة في التفوق الإسرائيلي حيث أن الصينيون يتعاطفون بشكل عام مع القضايا العربية وجامعاتهم ترتبط بعلاقات جيدة مع الجامعات العربية ،علما بأنه سبق لجامعة شنغهاي أن أرسلت دعوتين للمشاركة في مؤتمر علمي تخصصي وورشة أقامتهما بالتعاون مع منظمة اليونيدو UNIDO خلال سنتي 1999 و 2001 لأعضاء في هيئة التدريس في جامعة قطر، وعلى الرغم من عدم الحضور إلا أن قوائم المشاركين فيهما لا تشير إلى أي إسرائيلي من بين مشاركين ينتمون إلى ما يقرب من خمسين بلدا.

تعتمد الدراسة في جزء من بياناتها على معلومات منشورة من قبل الجامعات نفسها إما على مواقعها على الانترنت أو من خلال إحصائيات منظمات عالمية (اليونسكو مثلا) أو ما تزودها به الجامعات من معلومات.

ثانيا –واقع البحث العلمي في البلدان العربية (حقائق و أرقام)

تتفق آراء التربويين إلى أن تراجع مستوى التعليم في الدول العربية يعود إلى اعتماد إستراتيجية **تذكر المعرفة وليس إنتاجها**،وعدم تخصيص ميزانية مستقلة ومشجعة للبحوث العلمية والافتقار للوقت والتمويل اللازمين إلى النتائج المرجوة من الأبحاث، وتدني مستوى الوعي بأهمية الأبحاث العلمية ومردودها الايجابي ، وهجرة الأدمغة.

ترصد الدول المتقدمة ميزانيات ضخمة للبحوث العلمية حيث تنفق الولايات المتحدة 35% من الإنفاق العالمي الإجمالي، بينما لا يشكل الإنفاق على البحث العلمي في الدول العربية سوى 0.01% من مجمل الدخل القومي بينما تنفق إسرائيل4.7%، ينفق العرب مجتمعين 535 مليون دولار سنويا على البحث العلمي، بينما أنفقت إسرائيل 9 مليار دولا سنة 2008. لذلك لا تتعدى نسبة مساهمة الجامعات العربية عالميا في التنمية الشاملة والبحث

العلمي 1% في حين خصصت الولايات المتحدة الأمريكية 35% واليابان 24% وإسرائيل 6% وأوروبا 3%.

تبلغ نسبة الباحثين في الدول العربية 318 باحث لكل مليون نسمة ،بينما بلغت في الدول المتقدمة 5000 باحث لكل مليون نسمة.وذكر الباحث المصري احمد زويل(رحمه الله) أن نسبة الأوراق العلمية المقدمة من الجامعات العربية لا تشكل سوى 0.0003% من مجموع الأبحاث التي تقدمها جامعات العالم .

أما هجرة الأدمغة فذلك تحد آخر خطير إذ أن 31% من هجرة الأدمغة من الدول النامية هم عرب،50% منهم أطباء و32% مهندسون. 15% من ذوي الكفاءات العربية هاجروا إلى أمريكا وأوروبا، و54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الجامعات الغربية لا يعودون إلى بلدانهم ، ويعزى ذلك إلى غياب الاستقرار السياسي والعدالة الاجتماعية ونقص الحريات وعدم توفر فرص البحث العلمي.

في عام 1985 و في مناقشة رسالة ماجستير لباحث في إحدى الجامعات العربية حول التعليم العالي في البلدان العربية، أورد الباحث من ضمن مناقشته جدولا يقارن فيه عدد الأبحاث العلمية التي نشرتها الجامعات العربية في مجلات علمية محكمة مع مثيلاتها المنشورة من قبل الجامعات الإسرائيلية خلال المدة 1967- 1982 . خلاصة ذلك الجدول تشير إلى أن نسبة الأبحاث العربية مجتمعة لا تساوي سوى 2% مما نشرته الجامعات الإسرائيلية أي أن إسرائيل أنتجت 50 مرة أكثر من الدول العربية في تلك المدة.

في مقالة للأستاذ رجاء النقاش في صحيفة الوطن القطرية أورد فيها انطباعاته عن محاضرة ألقاها العالم الشهير البروفيسور أحمد زويل(رحمه الله)، في إحدى الجامعات المصرية و التي ذكر فيها أن نسبة مساهمة المنشورات العربية في الإنتاج العلمي العالمي لا تتجاوز الـ 0.0002 % لمنطقة يشكل عدد سكانها 5% من عدد سكان العالم أجمع. وإذا صح الادعاء الإسرائيلي بان إسرائيل تساهم بما مقداره 1% من الإنتاج العالمي في الأبحاث العلمية فهذا يعني أن إسرائيل تنشر أبحاثا علمية 5000 مرة أكثر من الإنتاج العربي مجتمعا. الأرقام إن صحت فإنها تعني أن نسبة إنتاج إسرائيل إلى إنتاج الدول العربية ارتفعت خلال ربع القرن الأخير 100 مرة.

وحتى لو كانت تلك الأرقام غير دقيقة فان الواقع يشير إلى تخلف عام وواضح في جامعاتنا العربية و مؤسسات التعليم العالي و البحث العلمي في عموم الدول العربية و لا يحتاج إلى دراسات دقيقة لتكتشفه، مع الاعتقاد بان هذه الأرقام فيها مقدار كبير من الصحة وذلك من خلال الدراسات و التقارير الصادرة عن منظمات عالمية محايدة وشخصيات أكاديمية عربية مرموقة .

تقول الدكتورة ميثا الشمسي نائب رئيس جامعة الإمارات لشؤون البحوث في مقالة لها[3] أن الدول العربية من بين أقل دول العالم إنفاقا على البحث العلمي و التطوير حيث لا تتجاوز نسبة هذا الإنفاق ما معدله 0.2 % من مجموع الدخل القومي لجميع الدول العربية (في الدول المتقدمة تبلغ النسبة2.5–5 %) و لا يساهم القطاع الصناعي في هذه النسبة الضئيلة بأكثر من 3% بينما يأتي 89% منه من مصادر حكومية.

في الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ نسبة الإنفاق على البحث العلمي و التطوير حوالي 3.1 % من الدخل القومي يساهم فيه قطاع الصناعة بحوالي 50–70% . وكنتيجة لذلك فان معدل الأبحاث العلمية المنشورة (لكل مليون نسمة) في البلدان العربية لا يتجاوز 2% من نفس المعدل في الدول الصناعية. و تورد الدكتورة الشمسي مقارنة مع دول نامية تشير إلى أن الدول العربية متخلفة عن معظم هذه الدول في إنتاجها من المنشورات العلمية و الإنتاج البحثي و معدل تقدمها يشير إلى ركود لا يتناسب مع التطور العلمي العالمي المتسرع. فعلى سبيل المثال كان إنتاج الصين في عام 1981 نصف الإنتاج العربي من الأبحاث و براءات الاختراع و في نهاية القرن الماضي أصبح إنتاجها ضعف ما أنتجته الدول العربية مجتمعة . العلاقة بين الأنفاق على البحث و التطوير و مستوى التقدم العلمي و التقني تنعكس بشكل واضح في عدد براءات الاختراع المسجلة في الدول العربية خلال المدة 1980– 2000 وهو 370 براءة اختراع مقارنة مع 16328 في كوريا الجنوبية التي تنفق بسخاء على البحث العلمي و التطوير.

ولا تورد الدكتورة الشمسي، التي استندت في أرقامها على تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 الذي أصدره المكتب الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (اليونيدبUNDP)، لا تورد مقارنة مع إسرائيل التي وضعها التقرير المذكور كأحد دول المقارنة (بالإضافة إلى

الهند و الصين و كوريا الجنوبية). كذلك لم تذكر بان تلك النسبة الضئيلة التي تنفق على البحث العلمي يذهب معظمها أجورا إدارية للعاملين في مراكز البحوث العلمية .

و حسب الأرقام الإسرائيلية فأن إسرائيل تنفق على البحوث العلمية و التطوير ما مقداره 4.5 % من الدخل القومي و هي أعلى نسبة من بلدان أوربا و أمريكا الشمالية و أعلى بحوالي 20 مرة من نسبة الإنفاق في الدول العربية.

أما الدكتور وجيه عويس رئيس جامعة العلوم و التكنولوجيا الأردنية والتي تضم 16000 طالب و طالبة يقول[4] بان جامعته تصرف ما مقداره نصف مليون دولار سنويا على البحث العلمي بمختلف فروعه، فإذا علمنا بان الجامعة تضّم 650 عضو هيئة تدريس فهذا يعني ما معدله 770 دولار لعضو هيئة التدريس الواحد في السنة و هو مبلغ لا يغطي نفقات الأجور الإدارية للبحث لمدة شهر واحد. و يمضي الدكتور عويس قائلا "غالبية البحوث العلمية في جامعاتنا العربية موجهة لأهداف محددة هي الترقيات العلمية " وهذا شيء معروف في الأوساط الأكاديمية لكن هذا القول، المتفق عليه، يعني أن البحث العلمي في جامعاتنا العربية أصبح أداة موجهة لغرض تحقيق أهداف شخصية ليس لها علاقة بالخطط التعليمية أو التنموية مما يؤدي إلى بعثرة جهود الباحثين و يضعف العمل الجماعي المطلوب من أجل قيام نهضة علمية أحد أركانها الأساسية البحث العلمي المنهجي (وهذا سببه بان الأستاذ الجامعي العربي يعاني من كبت نفسي وحرب معلنة ضده حتى في الوسط الأكاديمي وحرية مفقودة ومكانة اجتماعية واهنة ومن جوع مزمن مقابل ارتفاع كروش القيادات العربية الحكيمة!!).

تشير الجداول و الأرقام التي أوردها تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003 إلى أن عدد العاملين في البحث و التطوير في البلدان العربية من العلماء و المهندسين يقارب من 330 فردا لكل مليون من السكان مقابل 4000 فرد في أمريكا الشمالية و 2400 فرد في أوربا وعدد الفنيين لا يتجاوز 50 فردا لكل مليون مواطن مقابل 1000 فرد لكل مليون مواطن في الدول المتقدمة. ويؤدي تدني الإنفاق العربي على البحث و التطوير، الذي هو الأدنى من بين مجموعات دول العالم (أقل بحوالي سبع مرات من المعدل العالمي محسوبا على النسبة المئوية للدخل القومي وأقل بـ 12–15 مرة من الدول المتقدمة) يؤدي دورا رئيسا في الحد من التطور العلمي و القابلية على الابتكار خصوصا و أن التمويل

الحكومي الذي تصل نسبته إلى 89% من مجمل ذلك التمويل (الضعيف أصلا) يستهلك معظمه في تغطية رواتب العاملين كما ذكر التقرير.

كذلك تفتقر مناهج الجامعات العربية إلى سياسات بحثية واضحة فيما يتعلق بتأهيل وتدريب الطلبة على أسس البحث العلمي المنهجي وغياب أسلوب البحث في تدريس مختلف المقررات الدراسية خلال الدراسة الجامعية الأولية مما يتسبب في نقص واضح في أعداد المؤهلين للعمل في مجال البحوث من خريجي الجامعات.

وعلى هامش المؤتمر العالمي حول التنمية المستديمة الذي عقد في جوهانسبرغ في جنوب أفريقيا في سبتمبر 2002 عقد ممثلو أحدى عشر منظمة و أكاديمية و هيئات ثقافية و علمية عالمية مشهورة (من بينها اليونسكو وجامعة الأمم المتحدة و أكاديمية العالم الثالث للعلوم) اجتماعا على هامش المؤتمر في قرية يوبينتو (في ضواحي جوهانسبرغ) و أصدروا إعلانا سمي بـ " إعلان يوبينتو Yupinto " و أصبح أحد وثائق المؤتمر الرسمية وفي هذا الإعلان(الذي جاء على شكل توصيات لجميع الحكومات و المؤسسات التعليمية وواضعي السياسات التعليمية في جميع أنحاء العالم) أوصى المشاركون بخصوص البحث العلمي، من ضمن توصيات عديدة، على ما يأتي (حسب ما جاء في موقع جامعة الأمم المتحدة على الإنترنت):

".... الدعوة للحكومات و جميع الأكاديميين وواضعي السياسات التعليمية وجميع من لهم علاقة بالتعليم في كافة مراحله على ضرورة إعادة النظر بالبرامج الدراسية بحيث تعتمد مناهجها على أسلوب التعليم المعتمد على حل المعضلات في المراحل الابتدائية و الثانوية Problem-based education من أجل تطوير أساليب تدريس غير آلية ودمجها مبكرا في دائرة التعليم، والى أسلوب حل المعضلات بواسطة البحث العلمي في مناهج الدراسة الجامعية Problem-based scientific research بحيث يدخل البحث العلمي كأسلوب منهجي في التدريس إضافة إلى كونه وظيفة أو ركنا أساسيا من أركان التعليم العالي مرتبطا بعملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية...."

هذا مع انه بعضا من تلك المنظمات كانت قد اجتمعت في أكتوبر من سنة 2001 في مدينة لونبرغ في ألمانيا و أصدرت إعلانا سمي بإعلان لونبرغ (التعليم العالي من أجل التنمية المستديمة) و الذي دعا مؤتمر جوهانسبرغ إلى تبني إصدار أدوات برامج متكاملة

Tool-Kits مصمّمة لتنفيذ إجراءات جذرية بخصوص تطوير التعليم في جميع البلدان تتضمن استراتيجيات إصلاح شامل لكل ما يتعلق بأنشطة التعليم العالي من تدريس و أبحاث وتطوير و تدريب و تم التركيز على أهمية البحث العلمي في التعليم و توجيهه نحو تحقيق التنمية المستديمة. و قد تبنى ذلك المؤتمر الشهير ما جاء في الإعلانين المذكورين. هذه الدعوة الصريحة، و التي استندت إلى دراسات عديدة و مفصلة، قام بها خبراء متخصصون من تلك المنظمات تشير إلى الأهمية المتزايدة لتبني منهج البحث العلمي كأسلوب بديل في التعليم العالي عن الأساليب التقليدية (المقصود هو تبني أسلوب البحث في تدريس المقررات الدراسية المختلفة). مطلوب من الجامعات العربية تبني المفاهيم و القيم العلمية التي دعا إليها الإعلانين المذكورين إضافة إلى ما تضمنته توصيات مؤتمر جوهانسبرغ بهذا الخصوص و الذي حضره ممثلون عن معظم الدول العربية.

المساهمة الهزيلة للقطاعات الصناعية و الخدمية للبحث و التطوير في البلدان العربية و التي تبلغ 3% فقط من مصادر التمويل الكلية و التي تشغل أقل نسبة من بين جميع البلدان على الإطلاق، إنما تعكس انعداما تاما للوعي المجتمعي بضرورة دعم العلم و البحث العلمي من أجل النهوض بمتطلبات التنمية، ففي البلدان المتقدمة تقوم المؤسسات الصناعية و مؤسسات القطاع الخاص الربحية بتمويل نشاطات البحث العلمي لغرض خلق ديناميكية تمويل مستديمة تغذي باستمرار حركة البحث و التطوير و الابتكار مما يؤدي إلى تحويل النشاط البحثي إلى استثمار مربح يدعم الناتج القومي و يدفع بعجلة التنمية والبناء إلى الأمام.

في بلداننا العربية ينظر معظم المسئولين عن هذه القطاعات إلى تمويل البحث العلمي للجامعات و مراكز البحوث على أنه صدقة أو هبه يستجدي بها الأكاديميون من أجل إرضاء طموحاتهم العلمية و نشر الأبحاث لأغراض الترقية الأكاديمية و الصعود الوظيفي. أما وأنهم يستوردون مصانع كاملة بمفاتيحها ومعادلاتها (على حد تعبيراتهم) فليسوا بحاجة إلى البحوث طالما أن الشركات الأجنبية تجهزّهم بكل ما يحتاجونه وتقوم بتدريبهم في مواقعها الرئيسة في بلدان المنشأ. وإذا ساهموا ببعض الفتات من أرباحهم في تمويل بعض الأبحاث فهي من أجل استجلاب الترضية الاجتماعية و الدعاية الإعلانية. كما وأن الاعتقاد بان البحث والتطوير لا يستطيع القيام به سوى الدول المتقدمة علميا و تقنيا لا يزال

راســـــــــــخا فـــــــــــي أذهـــــــــــان القـــــــــــائمين علـــــــــــى معظم هذه المؤسسات. لذلك نجد في معظم الشركات و المؤسسات الصناعية و الخدمية الكبيرة مراكز للتدريب و التطوير ولكن نادرا ما تتضمن هذه المراكز أية نشاطات بحثية. و غالبا ما تعزف هذه المؤسسات عن تشغيل أو توظيف حملة الشهادات العليا من القادرين على تنشيط البحوث لأسباب معظمها تتعلق بالرواتب و الأجور التي تترتب على توظيف هؤلاء بحجة نقص الخبرة الصناعية في مواقع الإنتاج على عكس ما هو شائع في مؤسسات مشابهة في الدول المتقدمة التي تستقطب هذه الكفاءات وتستثمر إمكانياتهم و خبراتهم البحثيـــة .

في سنة 2014 وحدها موّلت وزارة التجارة و الصناعة الإسرائيلية 1200 مشروع بحث اشترك فيها باحثون من دائرة العلوم التابعة للوزارة مع باحثين من مختلف الجامعات و المعاهد الإسرائيلية، و تشارك الوزارة مع الجامعات الإسرائيلية في استضافة ما يقرب من 100 مؤتمر علمي عالمي سنويا. وتفخر إسرائيل بكون عدد العاملين فيها من المهندسين و العلماء والبحث العلمي نسبة إلى عدد القوى العاملة الكلية هو الأعلى في العالم و حسب إحصائية نشرها معهد التخنيون سنة (2014) فان 135 من كل 10000من القوى العاملة الإسرائيلية يعملون كمهندسين أو علماء و 9 من بين كل 1000 يعملون في مجال البحث العلمي وهو ضعف النسبة تقريبا في كل من الولايات المتحدة و اليابان. (يعمل في مؤسسة العلوم الإسرائيلية ISF وحدها ، وهي مؤسسة متخصصة بالبحوث، حوالي 1000 باحث علمي متفرغ وتتعاون المؤسسة في 80% من مجموع أبحاثها مع الجامعات الإسرائيلية).

ومن المفاهيم الخاطئة و السائدة في الأوساط الأكاديمية في البلدان العربية هو أن البحوث الأساسية في العلوم هي مضيعة للوقت و هدر للموارد على اعتبار أنها أبحاث غير تطبيقية و لا جدوى اقتصادية منها متناسين أن أعظم الابتكارات و الاكتشافات إنما كان أساسها البحوث في العلوم الأساسية . كذلك فان البحث العلمي في هذه المجالات يعمل على تطوير المواهب و يساهم في خلق جو أكاديمي يشجع على الإبداع ناهيك عن الخبرة التي يكتسبها العاملون وما يرافق ذلك من خلق بنية تحتية صلبة للبحث العلمي. و ينتقد تقرير التنمية الإنسانية العربية 2013 البلدان العربية بهذا الخصوص حيث يشير إلى أنه " رغم الزيادة في عدد البحوث العربية المنشورة في دوريات عالمية محكمّة خلال الثلاثين سنة

الماضية إلا أن النشاط البحثي العربي مازال بعيدا عن عالم الابتكار، فجلّه تطبيقي (90%) و قلّة منه تتعلق بالبحوث الأساسية. أما البحوث في الحقول المتقدمة مثل تقنية المعلومات و البيولوجيا الجزيئية فتكاد تكون غير موجودة ".

وتؤدي البيروقراطية وسوء الإدارة دورهما السيئ في إحباط جميع المبادرات الرامية إلى تنشيط و تطوير البحث العلمي وتتسبب في هجرة العقول العربية إلى الدول التي توفر لها الفرص وترضي طموحها العلمي والمادي . يقول العالم المصري فاروق الباز رئيس مركز الاستكشاف عن بعد في جامعة بوسطن (Chronicle of Higher Education عدد مارس 2014) بأنه كان ضحية لهذه البيروقراطية حيث أنه عندما عاد إلى مصر بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الجيولوجيا من جامعة ميسوري، في أواسط الستينيات، عين مدرسا للكيمياء في أحد المعاهد المتوسطة على الرغم من وجود حاجة لتخصصه في الجامعات المصرية آنذاك و هذا ما جعله يشد الرحال عائدا إلى الولايات المتحدة حيث أتيحت له فرصة العمل مع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) و في برنامج رحلة أبو لو Apollo إلى القمر . ربما كانت حالة الدكتور الباز أفضل من حالة دكتور في هندسة النفط ومن بلد نفطي عيّن في شركة حكومية مختصة في دباغة الجلود وذلك بتنسيب من الوزير المختص!!! و دكتور في الكيمياء يمارس اختصاصه في إدارة السكك الحديدية أحيل من وزارة التعليم العالي لعدم الحاجة إلى الاختصاص!!!.

وتختلف البلدان العربية من حيث مستوى تطورها و عائدها المعرفي و الاجتماعي و السياسي و يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني 2013 إلى خضوع هذه العلوم غالبا إلى التوجه السياسي البيروقراطي للنظم الحاكمة، كما أن المراكز البحثية في هذه المجالات لازالت حديثة العهد لم تظهر إلا بعد الحصول على الاستقلال الوطني ولم تترسخ فيها أصول البحث بعد. و تتميز هذه العلوم بنوع من التمحور حول الذات لا يكاد يتخلص منه مجال من مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية حيث أدت مقولة" الخصوصية " دورا سلبيا في هذا الاتجاه إذ أفضت إلى عدم الاهتمام بما " لا علاقة له بواقعنا"، فحالت بذلك دون تطور مقاربات مقارنة دون تحديد علمي لما يعتبر خصوصيا، حسب المقولة التي اتخذت شكل شعار لا ينتج المعرفة بل يكاد يحول دون إنتاجها. فنجد متخصصين في اللغة العربية والتأريخ الإسلامي حصلوا على شهاداتهم العليا من جامعات أوروبية أو أمريكية، مثلا أستاذ

في علم الانثروبيولوجيا متخرج من جامعة فرنسية أطروحته في الدكتوراه حول أصل السلالات البشرية في بلدان المغرب العربي، و أستاذ في النقد الأدبي العربي من جامعة دبلن وآخر في تأريخ العراق الحديث من جامعة ويسكون سون (Wisconsin)، وهكذا نجد أن هؤلاء الباحثين يتغربون لدراسة ما تركوه في مجتمعاتهم في حين نجد أن الطلاب و الباحثين الأجانب يأتون إلى البلدان العربية لدراسة و انجاز البحوث في التاريخ و الحضارة والثقافة الخاصة بهذه البلدان. هذا التمحور على الذات أدى إلى عدم تراكم رصيد علمي عربي عن المجتمعات و الحضارات الأخرى وهذه ليست رغبة الباحثين بقدر ما هي ثقافة ينتمون إليها نتيجة خيارات سياسية حيث لا توجد في العالم العربي مؤسسات تهتم بدراسة المجتمعات والحضارات الأخرى. و كنتيجة لذلك قل اندراج الأبحاث العربية في شبكات علمية عالمية، ومع عدم توفر شبكات عربية نجد الباحث العربي غير مندمج في مجموعة عالمية ولا في مجموعة عربية. هذه العزلة أدت في كثير من الأحيان إلى إحباط تحول إلى ظاهرة عامة تحولت إلى انكفاء في المشاغل الحياتية و لامبالاة بالأمور المعرفية بأشكالها. لذلك نجد إن الأبحاث في العلوم الإنسانية المنشورة في دوريات عالمية قليلة و معظمها منشورة من قبل بعض العرب الذين ينتجون أبحاثهم بلغات أجنبية ويتناولون موضوعات تهم الباحثين الأجانب.

وتختلف شروط الإبداع في الأدب و الفنون عنها في حالة البحث العلمي في مجال العلوم الطبيعية و التكنولوجيا، حيث أن الأولى لا تحتاج إلى دعم مؤسساتي ومادي أو بنية تحتية مساندة، فلا يمكن مثلا لعالم في الكيمياء أو البيولوجيا أن يقدم أنتاجا بمستوى العلماء الحاصلين على جائزة نوبل بدون أن تتوفر له مقومات البحث العلمي الأساسية من مؤسسات دعم البحوث والمعامل والمكتبات والأجهزة والمساعدين والتمويل و غير ذلك، في حين يستطيع شاعر أو روائي عربي الحصول على أرقى الجوائز العالمية بجهوده الفردية حيث لا يوجد شرط بين الرخاء المادي و الإبداع الأدبي الجيد. بل أحيانا نجد أن العكس هو الصحيح، حيث أن الظروف الصعبة و الحرمان و التحديات الفكرية و السياسية قد تصبح حافزا للإبداع الأدبي و الفني. غير أن ازدهار هذا الإبداع ونموه و تأثيره الايجابي في البيئة المحيطة به يحتاج إلى مناخ من الحرية والاستقرار كما يحتاج إلى الدعم المادي والمؤسساتي لغرض نشره وهذا ما تفتقر إليه البلدان العربية.

يورد تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول و الثاني أرقاما حول الإنتاج الأدبي ونشر الكتب تضع البلدان العربية مجتمعة في أسفل القائمة من حيث الإصدارات تأليفا و ترجمة حيث لم يتجاوز إنتاج الكتب في البلدان العربية سنة 2010 على 0.8% من الإنتاج العالمي رغم أن العرب يشكلون 5% من سكان العالم، وهو أقل مما أنتجته تركيا و التي لا يتعدى سكانها ربع سكان البلدان العربية. الازدهار الوحيد كان في مجال تأليف و نشر الكتب الدينية التي بلغت نسبتها 17% من الإنتاج العالمي. و يذكر التقرير أن معدل عدد الكتب العربية المنشورة في السنة خلال العقد الأول من الألفية الثالثة بلغت 5600 كتاب بالمقارنة مع 42000 كتابا في أمريكا اللاتينية و 102000 كتاب في أمريكا الشمالية .

يوجد في لندن 350 مكتبة عامة تكاد تفوق على عدد المكتبات في العالم العربي إن لم يكن الإسلامي .وإذا جمعنا المكتبات الأخرى في لندن الموجودة في المستشفيات وأماكن أخرى تبلغ 3200 مكتبة.وفي اليابان هناك مكتبة فيها 70000 كتاب خاص للمكفوفين ، بحيث المكفوف يمكنه تصور الصور وليس فقط الكتابة .

إذن نحن في نعيش في حضارة وهمية من حيث العمارات والبناء والتي تخلو من العقول عكس ما بناه النبي محمد(ﷺ) للصحابة حينما ترك المسجد خاويا لكن فيه عقول جبارة فإقامته بسرعة.

أن كاتب هذه السطور وهو يشاهد احتفالات نهاية العام 2016 بان مقدمة برنامج في إحدى القنوات العراقية الكاذبة حصلت على هدية من مدير القناة 50 مليون دينار عراقي خلال ساعات تقديمها لهذا البرنامج لا لشيء سوى انه أعجبته ،في ما صدر للكاتب معجم جغرافي وهو حينما نشره أعطى من جيبه الخاص 250 ألف دينار كأجور نقل من عمان إلى بغداد مقابل جهد خمسة سنوات ،وهذا خير مثال يشجع العلماء العرب على الإبداع والابتكار!!! ،يذكر أن المصريين حينما يزوجوا بناتهم ينفقوا عليهن مصاريف الزفاف وبالتالي فهم يهيئوا أنفسهم لكل بنت وصلت مرحلة الزواج ،وهكذا العلماء العرب لكي ينشروا كتابا ضرورة تهيئة أنفسهم لأجور النشر.

أما بخصوص التعليم العالي النوعي فتتلخص أزمته(إضافة إلى ما ذكر سابقا) بفشل المؤسسات التعليمية في طريقة مخاطبة عقول الطلبة من خلال فشلها في تعليمهم كيفية التفكير و استخدام المعلومات بذكاء، و أصبحت طريقة الحفظ عن ظهر قلب هي الوسيلة

التـي يحصـل فيهـا الطلبـة علـى النتـائج المتميزة حتـى فـي مقررات العلـوم الطبيعيـة، و سـبب ذلك يعود إلى عادة سيئة اكتسبها الطلبة في مراحل الدراسة الأولية حيث اعتادوا أن يكونوا متلقين فقط فـي نظـام تعليمـي يكـون فيـه المعلـم أو المـدرس هـو محـور العمليـة التعليميـة، ووسيلة المعلم الوحيدة هي كتابه المنهجي وتلخيصه الذي غالبا ما يكتبه على السبورة ولا يحيد عنه لعدة سنوات وهو ما ينطبق عليه قول الفيلسوف الألماني جوهان فان جوتة Johann van Goethe " **لا أسوأ من معلم لا يعرف إلا ما ينبغي أن يعرفه التلاميذ**" .

للأسف الشديد يجد هذا الأسلوب رواجا واسعا لدى عدد كبير من أساتذة الجامعات أيضا أما بسبب الصعوبات التي يواجهونها لدى محاولاتهم للتغيير، أو بسبب الجمود وعدم الرغبة في التطوير، أو اللامبالاة بسبب انعدام الحوافز، وكذلك الأعباء الأكاديمية التي يثقل بها عضو هيئة التدريس، و هذا ما يجعل المخرجات التعليمية ضعيفة المستوى لا تستطيع المنافسة في العمل مع مثيلاتها من الدول المتطورة أو حتى مع أقل الدول النامية الأخرى تطورا .

من إحدى مقولات الفيلسوف الصيني الشهير كونفوشيوس Confucius حوالي سنة 500 قبل الميلاد " **لا يحصل المرء على المعرفة إلا بعد أن يتعلم التفكير**" و مقولته الأشهر لطلبته" **لكل حقيقة أربعة أركان و أنا كمعلم ليس علي إلا إعطائكم ركنا واحدا وعليكم أن تبحثوا بأنفسكم عن الأركان الثلاثة الأخرى**" مقولة لا تحتاج إلى توضيح.

وللأنصاف لابد من القول أيضا بان هناك العديد من الأساتذة الجامعيين ممن حاولوا و يحاولون تطبيق هذه المقولات و تغيير هذا الواقع بتغيير النمط التعليمي السائد، إلا أن محاولاتهم غالبا ما تصطدم بعدم قدرة الطلبة، ألضعيفي المستوى، على التكيف مع هذه التغييرات حيث أنهم لم يعتادوا نمطا حديثا من التعليم يكونوا فيه طرفا فاعلا.

وهذا ربما هو أحد أسباب التدني الواضح في نسبة أعداد الطلبة في تخصصات العلوم الطبيعية و الهندسية التي تتطلب مهارات تفكير و بحث أكثر من باقي التخصصات. و حسب البيانات التي يوردها تقرير التنمية الإنسانية العربية 2013 ، فان هذه النسبة تتراوح ما بين 0.5% و 4% (في العلوم الطبيعية) من مجموع عدد طلبة الجامعات، في حين تجدها في كوريا الجنوبية مثلا بحدود 20 % . و ما لا يتطرق إليه التقرير هو أن أقساما علمية في جامعات عديدة بدأت تتوقف عن طرح برامجها

بالكامل لعدم توفر الحد الأدنى من أعداد الطلبة الملتحقين بها، و هذا خلل خطير في محاولات بناء قدرة بشرية متوازنة، سينعكس مستقبلا على النمو الاقتصادي و الاجتماعي وكذلك التأثير السلبي على التعليم الأساسي و الثانوي. فليس من المعقول أن بلدانا نفطية لا تُدرّس في جامعاتها تخصصات الفيزياء و الكيمياء التطبيقية و التقنيات الحيوية والبتر وكيمياويات في حين تتكدس أعداد من خريجي العلوم الإنسانية ينضمون إلى قوافل من العاطلين عن العمل سنويا أو على أقل تقدير إلى قوائم البطالة المقنّعة مما يعني هدرا للجهد و المال. ومن الأسباب الأخرى لهذا الخلل هو عدم توفر ثقافة علمية عامة في المجتمع بسبب القصور في تعميم التربية العلمية و الضعف في نشر الثقافة العلمية و غياب المؤسسات اللازمة لاحتضان العلم و توطينه.

وحول الهدر الأكاديمي تقول الأستاذة الدكتورة شيخة عبد الله المسند رئيس جامعة قطر في كلمة أمام مجلس الشورى[5] أن نسبة الهدر الأكاديمي في الجامعة بلغت 45 % بسبب الرسوب و التسرب و الفصل. وتشير البيانات التي عرضتها الدكتورة شيخة إلى أن نسبة الذين لم يتمكنوا من إكمال دراستهم لعدم تمكنهم من تحقيق متطلبات التخرج تبلغ أكثر من 30% من كل دفعة تدخل الجامعة . إضافة إلى ذلك تبلغ نسبة الطلبة الذين يتخرجون بدرجة مقبول 44% من مجموع الخريجين وهؤلاء نادرا ما يحصلون على وظائف تتناسب مع تخصصاتهم ،أن هؤلاء لم يتمكنوا من الحصول على المستوى العلمي الذي يمكنهم من اكتساب الحد الأدنى من المعارف و المهارات التي يجب أن يكتسبها خريج الجامعة، لذلك نجد أن مؤسسات العمل بدأت تتجنب بل ترفض تعيين الخريجين بدرجة مقبول . هذا يعني أن (44% من نسبة الـ 70% من عدد الطلاب الذين يدخلون الجامعة يلاقون صعوبة أو لا يجدون عملا) أي أن نسبة الهدر الفعلية هي حوالي 60% وليست 30% وهذه نسبة عالية و خطيرة. لقد انتبهت إدارة الجامعة إلى هذا التدني في المستوى الأكاديمي و الهدر المتراكم و بدأت باتخاذ خطوات إعادة الهيكلة والتطوير على كافة المستويات الإدارية و الأكاديمية من اجل " توفير نظام تعليمي نوعي حديث يتناسب مع احتياجات و إمكانات الطلاب " ومتطلبات التنمية الشاملة التي تشهدها الدولة. وقد تجلت أولى خطوات التغيير في جامعة قطر مؤخرا بتحقيق استقلالها الإداري و المالي والخطوات الحثيثة من أجل الحصول على شهادات الاعتماد الدولية لجميع برامجها الأكاديمية. و يتوافق هذا التحرك ،

من أجل تطوير جامعة قطر، مع التغيرات التي تشهدها قطاعات التعليم الأساسي و الثانوي والتي بدأت مؤخرا بتجربة المدارس المستقلة التي تتبنى تغيير أنماط التدريس التقليدية إلى وسائل فعالة تعتمد على أسلوب التفكير العلمي التحليلي و النقدي و أسلوب البحث العلمي المنهجي والتي يكون فيها الطالب طرفا رئيسا فاعلا وليس متلقيا فقط، مما سيؤدي إلى رفع المستوى الأكاديمي العام للملتحقين بالدراسة الجامعية مستقبلا . غير أن عملية التغيير هذه ،كأي عملية إعادة بناء، تحتاج إلى وقت ليس بالقليل لكي تعطي نتائج ملموسة و لا بأس من الانتظار " فليس المهم أن تسير بطيئا طالما انك لم تتوقف " (مثل صيني).

ولا تنفرد جامعة قطر بهذه النسبة العالية من الهدر الأكاديمي وتسرب الطلاب من مقاعد الدراسة و إن كانت الأسباب تختلف من جامعة إلى أخرى. فمثلا يذكر تقرير التنمية البشرية العربية 2013 ، استنادا إلى إحصائيات الحكومة المغربية، أن نسبة التسرب من الجامعات المغربية خلال السنوات الأخيرة بلغت 50% من مجموع الطلبة الذين يلتحقون في هذه الجامعات إما لأسباب أكاديمية كما هو الحال في جامعة قطر، أو لأسباب اقتصادية بسبب الحالة المعيشية المتدنية لهؤلاء الطلبة. كما أن حوالي 40% من الخريجين يبقون دون عمل.

إن الصعوبات التي جاء ذكرها أعلاه إضافة إلى ضعف الموارد المتوفرة و المطلوبة للتغيير تقف حاجزا في وجه جميع هذه المحاولات. فقلة المصادر و الدوريات ووسائل التعليم الحديثة وتقنية المعلومات تؤدي دورها في تعطيل جميع المبادرات مهما كان مصدرها أو قوتها.

ثالثا–مؤشر رأس المال المعرفي في الدول العربية

يشير دليل التنمية البشرية الملحق بتقرير التنمية البشرية العالمي الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية (اليونيدبUNEP) لعام 2004 إلى ثمان مؤشرات يقاس فيها مستوى التنمية البشرية أحداهما مؤشر التعليم الذي يتضمن تقييما لجميع أوجه و جوانب التعليم مجتمعة. ومن بين البلدان الـ 177 التي وضعها التقرير في جدول مرتب حسب قيمة مؤشر التنمية البشرية النهائي من الأعلى إلى الأدنى تشغل بعض الدول العربية مواقع لا باس بها استنادا إلى المؤشر الكلي للتنمية البشرية (و بالتحديد البحرين و الكويت و قطر و

الإمارات) و لكن في مؤشر التعليم بشكل خاص يقترب معدل مؤشر الدول العربية من دول جنوب الصحراء الأفريقية الفقيرة (0.61 و 0.56 على التوالي). فدولة عريقة مثل مصر يتساوى فيها مؤشر التعليم مع دولة فقيرة مثل توغو، و يقل عن دولة أفقر هي رواندا، أو عن بلدا لم يسمع به الكثير من سكان العالم هو جزر سليمان، إنما يشير إلى المستوى المعرفي المتدني الذي يشغله عالمنا العربي بين الأمم والى التخلف الذي يثير الأسى و الحزن والألم.

ويضع تقرير التنمية الإنسانية العربية 2013 جدولا ملحقا عن مؤشرات رأس المال المعرفي في 109 من بلدان العالم حول سنة 2010 تظهر فيه الدول العربية كأقل مجموعة منتجة للكتب المنشورة بالنسبة لعدد السكان (باستثناء دول جنوب الصحراء الأفريقية) فمثلا يبلغ معدل إنتاج الكتب في الجزائر 4.4 كتاب لكل مليون نسمة من السكان و في الأردن 5.5 و مصر 20.4 ، في حين يبلغ في هاييتي 42 كتاب لكل مليون نسمة وفي السلفادور 105 و إسرائيل 328 و يبلغ في المجر 1035 وفي التشيك 1218 وفي استونيا 2332 .
و يذكر التقرير الأسباب لهذا التدني في إنتاج الكتب و يعزيها إلى ارتفاع معدلات الأمية في بعض البلدان العربية و ضعف القوة الشرائية للقارئ العربي إضافة إلى قيود النشر بسبب الرقابة المشدّدة على كل ما يكتب. في هذا الصدد يقول السيد فتحي خليل نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب: " تفرض على المؤلف و الناشر قيود كثيرة أهمها مراعاة أمزجة 22 رقيبا عربيا، فيؤدي ذلك إلى عدم انتقال الكتاب العربي بين أسواقه الطبيعية بيسر". ومن المفارقات الرقابية التي أوردها التقرير (في احد الهوامش!) أن روايات الأديب الذي حاز على الجائزة الأولى في أكبر معارض الكتاب العربية في العام 2000 كانت ممنوعة، كما أن الرواية التي حازت على جائزة الإبداع لعاصمة الثقافة العربية في العام 2002 منعت من التوزيع من قبل الرقيب في العاصمة ذاتها.

أما الترجمة فان التقرير السابق يشير إلى وجود حالة من الركود والفوضى في هذا المجال، فرغم ازدياد عدد الكتب المترجمة إلى العربية من حوالي 175 عنوانا في السنة في النصف الأول من السبعينيات إلى ما يقرب من 330 كتابا في نهاية التسعينات، وهو ربع ما تنتجه اليونان، ويعادل تقريبا كتاب واحد لكل مليون من السكان في السنة بينما يبلغ في المجر مثلا 519 كتابا و 920 كتابا في أسبانيا لكل مليون من السكان. ومن المقارنات

في التقرير نقلا عن كتاب للدكتور شوقي جلال هي " أن العدد الإجمالي التراكمي للكتب المترجمة إلى العربية منذ عصر المأمون حتى الآن (1000عام تقريبا) يقدر بحوالي عشرة آلاف كتاب و هو ما يوازي ما تترجمه أسبانيا في عام واحد.

لدى إشهارها تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 ، لخصت الدكتورة ريما خلف هنيدي، الأمين العام المساعد للأمم المتحدة و المدير الإقليمي لبرنامج الأمم المتحدة في كلمتها، تحسين الوضع المعرفي الذي يدعو إليه التقرير بالاستناد إلى مبادئ بسيطة وواضحة وهي " الدعوة إلى تطوير المواقف و الحوافز المجتمعية حتى تصبح رحما للإبداع و أرضا خصبة للابتكار، وفيهما تتمكن البلدان العربية من خوض غمار المنافسة في الأسواق القائمة على المعرفة. وعليه ينبغي أن ينصب تغيير آليات النظام الاجتماعي باتجاه توفير الحوافز للبحث والإبداع والابتكار، و إتاحة الفرص الحقيقية للتميز في المكانة الاجتماعية لمكتسبي المعرفة و الباحثين عن التجديد و التطوير.

إن إدراك منزلة المتفوقين في الميدان المعرفي و العلمي رهن بتوفير علته و إيجاد أسبابه ولن يسوق العلماء و الفنانين والمتخصصين و الطلبة إلى ميدان الإبداع مراسيم تذاع وأوامر تتلى وإنما آفاق مفتوحة للعمل تقودها إلى مجاريه الصحيحة و قنواته السليمة إجراءات و قوانين مسهّلة و حافزة. وقد أشار التقرير إلى أن فجوة المعرفة وليس فجوة الدخل هي التي أصبحت المحدّد الرئيسي لمقدرات الدول في عالم اليوم. لذلك جاء تقرير التنمية الإنسانية الثاني (عام 2013) مرّكزا على التنمية المعرفية و العلمية فنشر تحت شعار (نحو إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية). إن تكاليف تحسين نظم التعليم كبيرة جدا، إلا أن تكلفة استمرار الجهل لا حدود لها، ورحم الله الشاعر الذي قال[(6)]:

العِلمُ يَبنـي بيوتَاً لا عِمادَ لَها .. وَالجَهِلُ يَهدمُ بيوت العِزَ وَالشَرفِ.

أما من حيث ترتيب طلاب دول العالم من حيث الأفضلية في مادة العلوم فان الطلبة العرب لا ذكر لهم فيها،فقد أوضح بحث حديث أن الطلاب الفنلنديين هم الأفضل في مادة العلوم من بين طلاب 57 دولة، وجاءت النتائج عقب اختبارات شارك فيها أكثر من 400 ألف طالب، في سن الـ15، من 57 دولة، وفق تقرير منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي

العالمية ،وركزت الاختبارات على مادة العلوم، إلا أنها تضمنت كذلك مادة الرياضيات وقراءة الإنشاء.

وحاز طلاب هونغ كونغ وكندا، وتلاهم نظرائهم في تايوان واستونيا، واليابان، ونيوزلندا، وأستراليا، على المرتبة الثانية وفق الدراسة. وقبع الطلاب الأمريكيون في المرتبة الـ29، خلف طلاب بريطانيا الذين حازوا على المركز 14، فيما نال طلاب فرنسا المرتبة 25.

ويشار أن منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، التي يبلغ عدد أعضائها 30 من دول العالم المتقدم، تجري الاختبارات السنوية على طلاب مدارس الدول الأعضاء كل ثلاث سنوات.

وتفوق طلاب تايوان، وفنلندا، وهونغ كونغ في اختبار مادة الرياضيات، فيما حاز نظرائهم في كوريا الجنوبية على المرتبة الأولى في اختبار القراءة، وتلاهم طلاب فنلندا وهونغ كونغ.

وتأخر التلاميذ البريطانيون عشرة مراكز في اللائحة العالمية الأشهر، التي تبين المستوى العلمي لتلاميذ المدارس في العالم، حيث جاءوا في المرتبة 14 ألمانيا التي تعتبر أكبر منافس اقتصادي لبريطانيا، أحرزت على العكس تقدماً كبيراً، بعد أن جاءت متأخرة كثيراً عن متوسط مستوى البلدان الغنية.

وكانت أحدث قائمة خاصة ببرنامج تقييم مستوى الطلبة على الصعيد العالمي مخيبة لآمال الحكومة البريطانية، خاصة أنها عززت ميزانية التعليم بمليارات الجنيهات في السنوات الأخيرة، وجعلت التعليم واحداً من أولى أولويات عملها!!!

وقال وزير التعليم البريطاني جيم نايت: إننا فوق المتوسط بكثير، ولكننا ندرك أننا بحاجة إلى عمل المزيد كي نكون في مصاف دول العالم حقاً.

وتعتبر اللوائح الخاصة ببرنامج تقييم تلاميذ العالم، والتي تصدر عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية العالمية مرة كل ثلاث سنوات، أشمل وأقوى مقياس لقدرات تلاميذ المدارس في سن 15 عاماً.

وشكلت القدرة العلمية الجزء الأكبر في اختبار الساعتين الذي خضع له الطلبة، من أجل إصدار اللائحة الخاصة لعام 2011. وتركز المنظمة المذكورة في كل مرة على ناحية مختلفة من نواحي المعرفة.

وحلت كندا محل اليابان في المركز الأول بين مجموعة الدول السبع الكبار، رغم أن الفائز بالمركز الأول على جميع الدول كانت فنلندا مرة أخرى. وبينما شغلت دولة أوروبية واحدة

مركزاً قيادياً، جاءت ثلاثة بلدان آسيوية من بين أعلى ستة بلدان ، أما البلدان الثلاثة فهي هونغ كونغ، تايوان، واليابان. وجاءت الولايات المتحدة مرة أخرى، دون متوسط البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

وبقيت إيطاليا في المركز الأخير بين الدول السبع الكبار، محققة النتيجة التي حققتها في العام السابق. وصرحت وزارة التربية فيها بأن النتائج السيئة للمسحين السابقين، أدت إلى تشكيل حكومة يسار الوسط لجنة خاصة لدراسة هذا الموضوع.

وبموجب نظام جديد تم اعتماده، سوف تجبر المدارس على إعطاء دروس تقوية للطلبة الذين يرسبون في مادتي الرياضيات والعلوم. وصرح متحدث الحكومة قائلاً: إن إيطاليا تخاطر بفقدان قدرتها على التنافس في هذا المجال.

وكان أداء تلاميذ عدة دول شرق أوروبية، من بينها استونيا التي حلت في المرتبة الخامسة جيداً، وما عدا ذلك، كان أداء معظم الدول الفقيرة التي شملتها الدراسة سيئاً. وفيما بين الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية – وغالبيتها

غنية نسبياً – كانت هناك علاقة بسيطة بين النتائج التي حققها تلاميذها، وبين الأداء الاقتصادي للبلد في المدى الطويل.، اليابان، على سبيل المثال ما زالت تعيش حالة من تباطؤ النمو الاقتصادي، ولكن المستويات العلمية لطلبتها عالية.

ودعا السكرتير العام لاتحاد جامعات العالم الإسلامي الدكتور عبد العزيز التويجري إلى تأصيل المفهوم الإسلامي للجودة والاعتماد في التعليم الجامعي بما يطور بحوثه وينوع أنماطه التعليمية ويصون مناهجه من آفات الاستلاب والتغريب. وشدد على أهمية إيجاد تعليم من شأنه إيقاف نزف العقول المهاجرة والاستفادة من ايجابيات المستجدات العلمية والتكنولوجية المعاصرة حماية لخصوصيته وتحقيقا لعالميته.

المبحث الثالث :واقع الدراسات العليا

هناك حقيقة ثابتة أن لكل عمل مهما كان نوعه ومستواه يتولد عنه مشاكل، وعلى كافة الأصعدة، فإذا كانت مشاكل العمل الوظيفي (الإداري) والعمل الزراعي أو الصناعي هي مشاكل لا تخرج عن إطارها ألموقعي، وبالإمكان إيجاد الصيغ والسبل لعلاجها، إلا أن المشاكل على مستوى العلم والتعليم والعلماء، فأنها مشاكل توالدية، أي أن المشكلة يتولد عنها مشاكل لا حصر لها، لان العلماء وبخاصة طلبة الدراسات العليا الذين سيصبحون بعد نيلهم للشهادة العليا قياديين في المجتمع، عليهم يقع أزر الأجيال اللاحقة بكاملها، فمن المؤكد أن تعكس المشاكل التي يواجهها طالب الدراسات العليا على هذه الأجيال ثم على المجتمع برمته، وبذلك تتلكأ حركة المجتمع وتشل مواهب الأجيال بشكل أو بآخر.

لذلك، فان الاهتمام بمشاكل طلبة الدراسات العليا في الجامعات، يعني وبشكل مباشر الاهتمام بحضارة البلد ومستقبل الأمة، ولا غرابة في أن العلم في حد ذاته مجتمع، مجتمع يحتوي على شيء رائع: هو امتلاكه موهبة عالمية، وبذلك فهو يعد ويشكل إنسانية الغد، لكن لا يستطيع هذا المجتمع البزوغ في أي سياق كان! وبهذا يمكننا الدلالة بقول ((روين ماهو Rene Maheu)) مدير عام منظمة اليونسكو في عام 1963 ((لا علمية للمعرفة ألا بالروح التي هي (أي المعرفة) من نتاجها، والتي وحدها تعطيها معنى لدى الإنسان، ومغزى حيث تطبيقها على الأشياء، فالعلم ليس شكلاً من الصيغ والوصفات التي من تلقاء ذاتها، تمنح الإنسان سلطات مجانية على المخلوقات)).

أولا: التكوين الفكري للطلبة قبل مرحلة الدراسات العليا

أضحت قضية التفكير السليم، أو التفكير العلمي أحدى القضايا الملحة على العقل العربي المعاصر. وهي قضية تربوية واجتماعية في آن واحد، وأصبح من المألوف لدينا التفكير الخاطئ أو التفكير السلبي، وألفينا (منظرين) غاية علمهم نتف شاردة من بعض كتابات السلف والخلف بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وإذا كان ذلك يعد وارداً على مستوى الطبقات الاجتماعية العامة، فانه من المؤسف حقاً أن ينطبق على طلبتنا في مستويات تعليمهم المختلفة.

ولعل ما أوصلنا إلى هذه الحالة المؤسفة إننا لم نقدم واحداً من المناهج المهمة الأساسية لطلابنا حتى الآن على مقاعد الدراسة في التعليم العام، أو الجامعي وهو منهج: أهميته القصوى أن نتعلم كيف نفكر! وربما لم نفعل ذلك لأننا حينما (نقلنا) مناهج التعليم الحديث لم يكن فيها درس: تعلم كيف تفكر.

ثم أن المؤسسة عندنا وقعت طريدة في فخ التعليم بالتلقين، بدلاً من التعليم المتفاعل ولأننا تأخرنا عن تطوير نظام التعليم ومناهجه، رغم أن ديننا الإسلامي الحنيف جعل العقل مصدراً للتكليف، والتفكير وسيلة للتدبر، والحوار طريقاً للوصول إلى الحق، وهي عناصر مهمة في صياغة التفكير السليم. ولن يتعب المستقصي من الباحثين أن يجد من النصوص باتجاه العقلنة ما يفيد ويؤكد هذا المنهج[7].

ولا شك أن هناك تسلسل منطقي فيما بين التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وصولاً إلى مستوى الدراسات العليا، وهو ما نسميه بالمعرفة التراكمية لدى الطالب، هذه المعرفة التي أصابها الضمور بعد أن افتقد الطالب الشخصية الفكرية الذاتية الناضجة. ولعل اللوم لا يقع مباشرة على التعليم الثانوي الذي يختلف جذرياً من حيث الكم والنوع عن التعليم الجامعي، بل يعود إلى الإخفاق في التعليم الجامعي الذي لم يوفر الأرضية المناسبة والتدريجية لنقل الطالب من مرحلته الثانوية إلى مرحلة التعليم الجامعي، مع ضرورة فتح آفاق علمية جديدة له تمكنه من تحقيق الهدف الأساسي في المرحلة الجامعية من خلال[8]:

1. أتباع أساليب علمية وتربوية وإرشادية تساعد الطالب على الإحساس بان التعليم الجامعي ليس مجرد استمرار للمرحلة التعليمية السابقة، بل أنها نقلة نوعية وفلسفية وفكرية من مرحلة إلى أخرى.
2. الكف عن الحوار الموضوعي والوضعي مع طلبة المرحلة الجامعية والتركيز على الحوار والأسئلة الفكرية التي تبث فيهم روح الحرية في التعبير عن أفكارهم ذاتياً طالما أن هذا يمكن أن يعكس المعرفة الدقيقة التي يود أن يلمسها الأستاذ الجامعي.
3. أعداد المقررات الدراسية وطرق التدريس ووسائل التوصيل بما تتلاءم والمستوى الحضاري الذي بلغه العالم والذي يتمشى مع روح العصر، أي أخراج الطالب من بوتقة التلقين الثابت وإمكانية نقله إلى أجواء علمية باستخدام التقنيات العلمية

الحديثة، بعبارة أخرى أخراج الطالب من وضعه النفسي المتأثر بالمحاضرات المملة من خلال ترغيبه بالأساليب العلمية الحديثة والدراسات الميدانية العلمية.

الاهتمام بالأبحاث القصيرة إلى جانب المحاضرات وابتداء من السنة الجامعية الأولى، بعد تعيين مشرف لكل مجموعة من الطلبة يسير معهم خلال السنوات الأربع من الدراسة الجامعية. إذ أن لذلك فوائد كبيرة على مستوى التكوين الفكري للطالب، إذ أن من الأمور المهمة التي شدت وميزت المجتمعات الأوروبية اعتمادها على نموذج واحد للتفكير العلمي والذي قام على:

أ. المشاهدة Abserveation . ب. المنطق العلمي Scientific Logic

ج. التجريب Experimentation وذلك للوصول إلى النتائج القابلة للنشر[9].

4. ضرورة حث طلبة التعليم الجامعي ودفعهم نحو معرفة آفاق التطور العالمي وانعكاساته على التعليم، فهناك علاقة تفاعل، تأثير وتأثر بين التطورات العالمية والتعليم[10].

ثانياً: مرحلة القبول في الدراسات العليا

يواجه طلبة الدراسات العليا مشاكل عديدة في هذه المرحلة يمكن إدراجها كالآتي:

1. لجان القبول: من النظام الثابت في الجامعات العراقية تشكيل لجنة في كل قسم تتألف من مجموعة من الأساتذة، مهمة هذه اللجنة اختبار الطالب المتقدم للدراسات العليا، من خلال توجيه أسئلة عامة علمية وفكرية لغرض معرفة مدى كفاءته وقدرته على فهم السؤال والإجابة عليه. ولكن المسألة المهمة في هذا الجانب هي: هل أن جلوس الطالب لفترة وجيزة تكفي لمعرفة جوانب شخصية الطالب ومقدرته العلمية ؟ وبالرغم من أن الطالب عند تقديم أوراقه يخضع لاعتبارات المعدل، ألا أن شخصية الطالب ومستوى ذكاءه وقدرته على المحاورة تعد ضمن نطاق عمل الجامعة والتدريس أهم بكثير من المعدل الذي حصل عليه وانه سيدخل بعد تخرجه من الدراسات العليا للعمل كتدريسي في الجامعة أو حتى لو عمل في مجال آخر.

ثم أن هذه اللجان ليست لديها معايير علمية ثابتة للقياس والحكم على قبول الطالب من عدمه، ومن هذه المعايير نذكر على سبيل المثال:

أ. الخلفية العلمية للطالب: إذ من المفروض أن تطلع اللجنة الفاحصة على سجل الطالب خلال سني دراسته في الجامعة لغرض التعرف على سلوك الطالب وسيرته ومدى تفانيه في حب العلم والمعرفة، أي أن لا يكون مجيئه إلى الدراسات العليا جزءاً من الترف العلمي والشأن الاجتماعي فحسب[11]، والاهم من كل هذا المجال العلمي الذي تميز فيه لغرض تحديد التخصص الذي سيتخصص فيه، وعندئذ يمكن التخلص من مشكلة اختيار التخصص والإشكالات التي يقع فيها الطالب فيما بعد.

ب. أن تتوفر في اللجان العلمية القدرة والكفاءة العلمية في كيفية مناقشة ومحاورة الطالب وان تكون على قدر عال من الجدية، وبعيدة جداً عن الميول العاطفية، ومن المشهود لهم في القسم والكلية

2. ضرورة أن تتلافى الكليات والأقسام العلمية مسألة الاختناق الإداري الذي يتعرض له العديد من طلبة الدراسات العليا، وبالتالي يؤدي إلى إضاعة وقت الطالب وإرباكه ذهنياً ونفسياً خاصة في مراحل أعداد خطط الدراسة التي يرغبون في إنجازها.

أن نظرة بسيطة إلى الجامعات العربية المعاصرة تؤكد أن المناخ الاجتماعي والتقدير الأدبي والمادي والإداري للعالم لا يزالان بعيدان عن توفير البيئة الملائمة للإبداع العلمي والتفوق التقني[12].

3. ضرورة فك التداخل الذي يحصل في كثير من الأقسام العلمية من حيث اقتراب التخصصات من بعضها، على سبيل المثال، الجيولوجيا والجيمورفولوجيا في قسم الجغرافية، أو التخطيط الحضري والإقليمي وجغرافية المدن، أو الجغرافية السياسية وجغرافية العلاقات الدولية وغيرها.

4. يفضل تعيين مشرف علمي أو مستشار أكاديمي academic counselor ولو بطريقة مبدأيه لكل طالب منذ بدء مرحلة المقررات المطلوبة في برنامج الدراسات العليا تكمن مهمته في مسايرة الطالب لغرض الكشف عن ميوله واتجاهاته العلمية والكشف عن رغباته، ولا ضير في أن يكون الأستاذ نفسه مشرفاً علمياً له في مرحلة إعداد الرسالة إذا لزم الأمر ذلك.

ثالثاً: مرحلة أعداد الرسالة

هناك عدة مشاكل يواجهها طلبة الدراسات العليا في هذه المرحلة، منها يتعلق بالطالب نفسه ومنها ما يخص القسم العلمي وأخرى تتعلق بالأستاذ المشرف، فضلاً عن المشاكل ذات الصلة بإعداد خطة الرسالة وصلاحية اللغة وجمع المعلومات. وتم مناقشتها كالأتي:

1. تتمثل المشكلة الأولى بالقصور في إعداد طالب الدراسات العليا وبخاصة ما يتعلق بالجدية Seriousness of Furpose وذاتية التفكير Independent Thinking إذ أصبحت اللامبالاة العلمية والتهاون وضعف البناء العلمي للطالب سمات بارزة لأغلب طلبة الدراسات العليا.

2. تقع على الأقسام العلمية مسؤولية بلورة وغربلة طلابها المقدمين إليها وان شح عددهم لغرض انتقاء الأصلح والكفء للانتساب إلى الدراسات العليا، فضلاً عن دور القسم في تسهيل إعداد خطط بحوث الطلبة من حيث إجراءاتها الإدارية المطولة ابتداء بلجنة الخطط في القسم ثم مجلس الكلية ومن بعدها يتم قبولها أو رفضها بعد أن تستغرق وقتاً ليس بالقصير من وقت الطالب

3. مشكلة الإشراف: أضحت هذه مشكلة تؤرق الكثير من طلبة الدراسات العليا. وهي ذو فرعين[13]: الأول، حينما يعين للطالب مشرف من غير تخصصه الدقيق، وبالتالي يقع الطالب ضحية المنافسة غير الاعتيادية بين أساتذة القسم، ويبقى الطالب خاصة مرحلة الماجستير فريسة الآراء المتضاربة بين الأساتذة الذي يدور عليهم لأخذ رأيهم بموضوعه أو بمشكلة علمية تعارضه أو حتى وضع خطة البحث الرئيسة لموضوعه.

أما الفرع الثاني من المشكلة فقد لوحظ في أغلب الأقسام أن أساتذة معنيين قد أقحموا أنفسهم بالإشراف على عدد كبير من الرسائل في آن واحد وبالتالي لن يجد الوقت الكاف لمتابعة بعض طلابه.

4. مشكلة اللغة الأجنبية: يفتقر طلبة الدراسات العليا إلى اللغة الأجنبية، الأمر الذي يحد من درجة استفادتهم مما هو متوافر من معلومات باللغة الأجنبية، لذلك تبقى ضرورة اكتساب الطالب قدر معقول من الكفاءة اللغوية حتى يستطيع مسايرة التطورات العلمية المنهجية منها وطرق البحث والتي عادة ما تزخر بها الدوريات بصفة خاصة[14].

رابعاً: مرحلة مناقشة الرسالة

قبل البدء بمعرفة تفاصيل هذه المشكلة واللجنة التي تشكل لغرض المناقشة، لابد من معرفة الخصائص العلمية التي يجب أن تتوفر في الرسالة لغرض قبولها للمناقشة، أي أن الرسالة يجب أن تتسم بما يأتي[15]:

1. أن تكون الرسالة ذات بناء موضوعي متكامل من حيث الخطة والمشكلة والهدف والمنهج، وان يكون موضوعها يقدم خدمة علمية للجامعة أو يعالج قضية تنموية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، وان يكون الموضوع ذات أصالة وخال من التشعبات التي تخل أو تضعف الهدف الأساسي للرسالة.

2. إن تتضمن الرسالة منهجية علمية واضحة ضمن التخصص العام أو الدقيق، ومطبق فيها طرق البحث العلمي والتمثيل الكارتوجرافي والصيغ البيانية والأساليب الكمية بشكل علمي ودقيق أن احتاج أعدادها إلى ذلك.

3. دقة النتائج التي يتوصل إليها الباحث في ضوء الأهداف المعلنة وطبيعة مشكلة الدراسة والفروض العلمية التي افترضها الباحث لموضوعه.

4. أن تكون بصمات الباحث واضحة في رسالته من حيث امكاناته العلمية والخبرة التي اكتسبها وأسلوب مناقشته للموضوعات والمشكلات التي تضمنها موضوعه.

وفيما يخص لجنة المناقشة والتي يتم تعيينها من قبل القسم المعني وبموافقة مجلس الكلية، فانه من الثابت أن يكون رئيس وأعضاء اللجنة ممن ينتمون إلى التخصص الدقيق للطالب، ألا أن الملاحظ أن قسماً كبيراً من المناقشات لا تخضع لهذا الأساس، وإنما يتم إدخال أعضاء من اللجنة من غير التخصص الدقيق[16].

خامساً: لمحة عامة عن الدراسات العليا في الوطن العربي

الجامعة في أي بلد لها ثلاث مهام رئيسة هي: التدريس والبحث العلمي، وخدمة المجتمع. وإذا كان التدريس هو المهمة التي تحتل مكان الصدارة في كل جامعاتنا العربية، فان للبحث العلمي والدراسات العليا وما يرتبط بهما من منجزات تصب في مجال خطط التنمية الشاملة، دوراً هاماً في بعض الجامعات. إذ أن البحث العلمي في عصرنا هو الركيزة الأساس لأي تقدم يسعى إليه المجتمع، ولاسيما المجتمعات التي تخلفت عن الركب، ولابد

لها من أن تلهث جاهدة سعياً وراء ما فات، ومجاراة العصر، ومن ثم إضافة لبنة إلى الصرح الإنساني المتكامل في إطار منظومة البحث العلمي العالمية.

ولكي نستطيع أن نزن وبدقة منظومة البحث العلمي العربي، لابد من ألقاء نظرة على سمات البحث العلمي العالي لغرض المقارنة ليس إلا. يتسم البحث العلمي العالمي بالاتي[17]:

1. البحوث الحديثة تتميز بالتقاء عدد من العلماء في اختصاصات مختلفة، ومن هنا فان الاتجاه في الجامعات العالمية يشجع البحوث المشتركة ما بين الاختصاصات المختلفة.
2. أن البحوث تميل إلى التعقيد، والى استعمال الأجهزة المتطورة والمتقدمة.
3. تزامن وترابط التطور بين أنظمة المعلومات العلمية والبحث العلمي، بحيث أصبحت مكملة ودافعة لهذا التطور. ولم يكن ذلك ممكناً دون تطور المكتبات وإدخال الحاسبات الالكترونية لاستخدامها في خزن واستدعاء المعلومات.
4. نتيجة لحصول الاندماج والانفتاح ما بين الفروع العلمية المختلفة، فقد انتهت عزلة العلماء، وانتهى الزمن الذي يسمح بولادة العباقرة المنفردين، وابتداء عصر المجاميع العلمية.
5. أن ما يسمى بالبحوث من أجل المعرفة، والتي كانت جامعات الدول المتقدمة تتميز بها لم تعد منفصلة أو منعزلة عن الإنتاج، إذ أن الكثير من نتائج الأبحاث التي تجريها الجامعات تتحول وبمدة قصيرة، وبتأثير وحدات البحث والتطوير، إلى الإنتاج وتتسارع هذه العملية بمرور الوقت.
6. لقد أدركت الدول الأوروبية بان عزلة علمائها ستؤدي إلى هيمنة الولايات المتحدة في مختلف النشاطات العلمية، لذلك بدأت، ومن خلال منظمة الدول الأوروبية، بإنشاء لجنة للبحث والتطوير، وخصصت مليارى دولار كل سنة لهذه البحوث[18]. لقد بدأت فرنسا، وضمن هذا الاتجاه الأوروبي بإقامة تعاون علمي عالمي. ففي برنامج سمي ((علم Science)) ويهدف إلى تشجيع البحوث الأساسية في علم الوراثة، تم التعاون ما بين (19) مختبراً أوروبيا[19]. أما مجلس

البحث العلمي الفرنسي فقد انشأ علاقات مع الولايات المتحدة والدول الأوروبية واليابان.

أما على مستوى الدول العربية فلا يزال الجدل دائراً حول فاعلية تطوير مؤسسات عربية مشتركة للدراسات العليا يتم بشكل نظري، ولم يتم حتى الآن الخوض في هذا الجانب من جوانبه العلمية المرتكزة على دراسات ميدانية متعمقة. فقد اقترح عبد الله عبد الدائم في ورقة قدمها إلى المؤتمر الأول للوزراء والمسئولين عن التعليم العالي في الوطن العربي ((أنشاء جامعة عربية للدراسات العليا تكون بمثابة نموذج وتجربة رائدة، توفر لها الإمكانات المادية والبشرية بجعلها في مصاف الجامعات العالمية المتقدمة، ويكون من بين أهدافها إعداد القوى البشرية اللازمة للتعليم العالي في الوطن العربي))[20].

أما عن سمات البحث العلمي العربي سواء كان على مستوى الباحثين أو طلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية، يمكن أدراجها كما يأتي[21]:

1. يتسم البحث العلمي في الوطن العربي بأنه أكاديمي، وغرضه زيادة المعرفة، ونتيجة للتبعية العلمية العربية للعالم المتقدم، فقد قامت الجامعات العربية على نمط تبعي، منها يتبع النظام الإنجليزي والأخر يتبع النظام الفرنسي في نظم التعليم. هذا الوضع أدى إلى أضعاف التعليم العالي والبحث العلمي بشكل كبير.

2.بالنظر لانشغال أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العربية وصعوبة حصولهم على المصادر العلمية، فان نوعية بحوثهم تتدنى حتى يصابون أخيرا بحالة اليأس والانكفاء نتيجة الصعوبات المادية والعلمية التي تعترض حياتهم، فيتوقفون عن البحث العلمي.

3. تعاني معظم الجامعات العربية من تدني مستوى الخدمات العلمية نتيجة لسياسات التنمية الخاطئة التي اعتمدتها الكثير من الدول العربية.

4. التخلف الإداري المسئول عن أجهزة العلم والتكنولوجيا، فهذه الأجهزة تتميز بتخلف أداري وعلمي، ومن هنا فهي تحتمي بإجراءات بيروقراطية حتى أصبح الباحث يهاب الإداري لتميزه بحماية مديره له.

5. ضعف ارتباط الأبحاث العلمية وبخاصة لطلبة الدراسات العليا عن عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

6. في الوقت الذي تنفق فيه الدول الكبرى ما بين 2% و4% من إجمالي ناتجها القومي على عمليات توظيف البحث العلمي من أجل التنمية، نجد إنفاق دولنا لا يتعدى 0.3% على ضخامة الدخول القومية في الدول الكبرى وضآلتها في الدول النامية، وعلى ذلك ، فان مجموع إنفاق الدول النامية _ومنها دولنا العربية بالطبع، لا يمثل أكثر من 1.6% من مجموع إنفاق دول العالم على عمليات البحث العلمي وتوظيفه في تطوير التنمية[22].

سادساً: صورة التكامل بين الجامعة والتنمية الشاملة

تبرز أهمية الجامعة بوصفها المنبر الذي تتوافر فيه أفضل الأجواء للتفاعل والبحث العلمي ضمن الأهداف المرسومة والموارد المتاحة لها. وللجامعة علاقة ديناميكية مع بيئة توطنها (Environmental Location) تتسم بالحركة والتفاعل باتجاه خلق المناخ الموائم لتطوير واستنباط العلوم المختلفة، تخدم الاحتياجات التنموية الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الكادر البشري المؤهل علمياً وفكرياً لخدمة المجتمع.

أن الجامعات تزداد عاماً بعد عام حجماً وعدداً، ألا أن مدى تأثيرها باتجاه خدمة قضايا التنمية لا يتناسب وحجم الدور الملقاة على عاتقها، وقد لا يكون السبب في ذلك كثرة الأعباء الملقاة على عاتق الباحثين كما يتصور البعض، وإنما هو ضعف قنوات الاتصال، إضافة إلى عدم وجود برنامج تعاوني بحيث يظهر وبشكل جلي دور الجامعة في خدمة قضايا التنمية بكافة إشكالها، وإذا كان الأمر كذلك، فأنها تؤدي إلى ظهور عقبات أساسية تحول إلى حد ما دون تحقيق الجامعة لرسالتها وأهدافها في المجتمع[23].

أن أهمية التكامل بين الجامعة والتنمية لا يقتصر فقط على مدى الاستفادة الممكنة من قدرات وإمكانات الجامعة لخدمة التنمية، بل يساعد على زيادة الخبرات وتوسيع وتنمية القدرات والمعارف العلمية والفكرية للباحثين، مما يؤدي إلى زيادة مهارة الباحثين البحثية.

ومن هنا يدخل الإسلام كميزان للبرهنة على صدق النيات من عدمها، من خلال خصائصه الرئيسة التي تقوم على أساس انه عقيدة، وعبادة، وخلق، ومادة ثقافية، وقانون للحياة، وسياحة، وقوة، ومرشد وهاد إلى الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه، وانه نظام كامل، يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمور الدنيا كما ينظم أمور الآخرة[24].

والقيم الإسلامية حينما تطبق على الواقع العملي دون النظري، هذا يعني أن الحق يوضع في نصابه، وان الرجل المناسب يوضع في مكانه المناسب، وان العدل قائم في كل شاردة وواردة صغيرها وكبيرها، في المدرسة وفي المعمل وفي الجامعة وفي كل مكان، وبالتالي يمكننا النظر إلى نواتج إعمالنا وكأنها قد حققت أهدافها، وكيف لا وأنها اكتملت برعاية الخالق العدل في المكان الذي يقام به العدل فقط.

فالجامعات عبارة عن نظام يتألف من مجموعة من العناصر المعقدة في تفاعل متبادل ولكي يتم فهم ذلك النظام فلابد من فهم أهم مكوناته التي تعد حلقات مستمرة ومتكاملة من المدخلان والعمليات والمخرجات الشكل (2).

الشكل (2): مكونات النظام الجامعي

المدخلان	العمليات	المخرجات
الحاجات، الموارد الإمكانات المالية هيئة التدريس، الطلبة، الإدارة والبرامج	العملية التعليمية، التربوية، الخدمات العلمية، النشاط البحثي والأكاديمي، الخدمات الطلابية، الخدمات الإدارية. التغذية العكسية البحث والتطوير العلمي	الكوادر (الخريجون) التأهيل العلمي (النتاج العلمي)، السلوك، المعلومات، الاستشارات والخدمات العلمية

فان مكونات النظام الجامعي تعتبر مكملة للنظام التنموي والعكس صحيح، إذ لا يمكن للجامعة أن تنمو وتزدهر دون أن تكون هناك أسس تنموية سليمة في البلد، وفي الوقت ذاته تعتبر مكونات التنمية مادة علمية ومصدر الهام الباحثين بالفحص والتحليل، إلى جانب كونها ميداناً لمحاكاة التطبيق الجامعي ووسيلة لخدمة المجتمع، فضلاً من أنها تمثل مادة للإبداع الفكري (انظر الشكل 3).

شكل (3): مكونات النظام التنموي

المدخلات	العمليات	المخرجات
-قاعدة الموارد الطبيعية الموقع، الجيولوجيا، المناخ، مظاهر السطح. -قاعدة الموارد البشرية السكان، النقل، موارد اقتصادية، بنية اجتماعية. -قاعدة لرأس المال. - قاعدة إدارية كفوءة.	التخطيط للتنمية، برامج التنمية، المحافظة على مكونات البيئة، العمليات الاستثمارية، الفكر التنموي، الوسائل التكنولوجية، الإبداع. التغذية العكسية إشباع حاجات الإنسان	- حضارة جديدة (قيم، عادات سلوك، أساليب إنتاج، أوضاع اجتماعية، نظم سياسية، تقدم علمي، تجدد أدبي وفني). - هياكل اقتصادية جديدة (زيادة الناتج القومي، زيادة دخل الفرد، تقنية اقتصادية، مكننة الإنتاج). - رخاء ورفاهية. - قوة

		المنافسة.

خلاصة الفصل

أن المشاكل التي يعاني منها طلبة الدراسات العليا في اي بلد عربي لن تختلف عن المشاكل التي يعانيها طلبة الدراسات العليا في الوطن العربي ككل، ولكن برغم من تعدد هذه المشكلات وأثرها على تدني المستوى العلمي للطلبة وبحوثهم العلمية ورسائلهم، ألا انه بالا مكان وضع حلول جذرية لها إذا توفرت الإرادة والإخلاص، خاصة وان العرب استطاعوا أبداع العلم في الماضي، وشاركوا في تطوير الكثير من العلوم وفي صنع الثقافة المتقدمة، ولسنا اليوم بأقل من الأمس، والقضية الآن في اعتقادنا ليست هي: هل نستطيع الإبداع العلمي أم لا ؟! ولكنها قضية: كيف يمكننا ذلك الآن ؟ ذلك لأنه من الثابت الآن أن في العالم الغربي المتقدم الآلاف من العلماء العرب ((ممن فرضوا بعطائهم العلمي المبدع الراقي احترامهم على العالم شرقه وغربه)). وان في الوطن العربي في مختلف أقطاره الآلاف من أمثال هؤلاء.

وعليه، فان النظام التربوي ونظام التعليم العالي العربي ينبغي أن يتلاءم ويتوافق مع الاستراتيجيات التي نسعى لاستنباتها داخل الوطن العربي للتقدم العلمي والثقافي، ومن ثم ينبغي التركيز على تنمية القدرات العلمية لطلاب المدارس والجامعات، ويمكننا ذلك بأكثر من صورة منها على سبيل المثال: إدخال مقرر علمي على كل الطلاب وفي كل المراحل يهدف إلى بث الروح العلمية والتفكير العلمي والمنهجي وليكن تحت اسم ((منطق التفكير العلمي)) أو في مسمى آخر، بحيث يشتمل على التعريف بالعلم ومعناه وضرورته للفرد وللمجتمع، وكذلك يشتمل على معنى البحث العلمي وأساليبه وأدواته وأخلاقياته. أن اكتساب الشباب العربي حب البحث العلمي ومعرفة مهاراته المختلفة وكيفية استخدامها في حياته العلمية والخاصة، مسألة ضرورية وحيوية من شأنها أن توفر ولو بشكل جزئي، الوعي الجمالي لدى الشباب العربي بأهمية العلم والبحث العلمي، بل أهمية الإبداع العلمي وضرورته الوطنية.

مصادر ومراجع الفصل الثالث :

1- محمد صالح ربيع العجيلي،البعد الإسلامي في ظاهرة التحضر العربي،مجلة آفاق الثقافة والتراث،العدد 47،دبي 2004،ص20.

2-إبراهيم الأيوبي،الحوار المتمدن ، العدد، 2197 ، شباط 2008 .

3- صحيفة جولف نيوز (عدد 2004/1/11).

4- وجيه عويس (نقلا عن دورية Chronicle of Higher Education عدد مارس 2004).

5- صحيفة الوطن القطرية ،العدد 720 ،في 2005/1/18.

6-بتصرف من مقال للدكتور زياد العاني بعنوان دراسة لواقع التعليم العالي و البحث العلمي في الجامعات العربية والمنشور على شبكة المعلومات العالمية.

7- محمد الرميحي، هل نحتاج إلى أن نتعلم كيف نفكر، مجلة العربي، العدد 372، نوفمبر، تشرين الثاني، 1989، ص9.

8-محمد بن بهجت الفاضلي، البحث العلمي وتنمية المعرفة الجغرافية، بحوث مختارة من الندوة الثانية لأقسام الجغرافيا في المملكة العربية السعودية، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، 23-25 أبريل 1985، ص158.

9 - *** Rosenberg and L. E. Birdzeu: Scientific American,vol.263, No.5, p.18, Nov.1990.

10-أماني قنديل، تقرير عن ندوة ((الرؤى المستقبلية للتعليم في الوطن العربي التي عقدت في البحرين للفترة 3-5 تشرين أول / أكتوبر 1987، المستقبل العربي، العدد 108، شباط 1988، ص152.

11-راجع في هذا الموضوع:

المهدي المنجرة، الالتحام بين العلم والتقانة مفتاح القرن الحادي والعشرين، المستقبل العربي، العدد 136، حزيران 1990، ص18-20.

12-مصطفى النشار، العقلية العربية بين إنتاج العلم واستيراد التقانة، المستقبل العربي، العدد 200، تشرين أول 1995، ص120.

13-الدراسة الميدانية للباحث في فترة أعداده البحث للعام الدراسي 2004-2005.

14-فاروق بن محمد الجمال والسيد بن البشري محمد، بعض المشكلات المرحلية لطلاب الدراسات العليا في قسم الجغرافيا- جامعة الملك سعود، الندوة الثانية لأقسام الجغرافيا في المملكة العربية السعودية، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، 23-25، ابريل 985، ص195.
15-نبية عاقل، البحث العلمي في الوطن العربي، دور الجامعات ومسؤولياتها، شؤون عربية، العدد72، ديسمبر / كانون أول 1992، ص40.
16-الدراسة الميدانية، الأسئلة التي وجهت لطلبة الدراسات العليا في بعض الجامعات العراقية، جامعة بغداد، الجامعة المستنصرية، جامعة البصرة، جامعة الموصل.
17-سلمان رشيد سلمان، الاتجاهات العلمية العالمية الحديثة والبحث العلمي العربي، نظرة أولية، شؤون عربية، العدد 78، يونيه / حزيران 1994، ص78.
18-Science, vol.256, 24 April 1992, p458.
19 - I. B. I. D, p459.

20-عبد الله عبد الدائم، تكامل الأقطار العربية والتعاون العربي الدولي في مجال التعليم العالي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989، ص209.
21-سلمان رشيد سلمان، مرجع سابق، ص84.
22-زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، سلسلة كتاب الأمة. 20 (الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، 1988)، ص83-84.
23- Kast, F,E., and Rosenx weing, J. E., "Organization and Manegement", System Approach, (Mc Graw-Hill Book Co., New york, 1990), p.538.
24 -محمد صالح رييع العجيلي، أصالة القيم الثقافية في المدينة العربية والغزو الثقافي الأجنبي، مجلة آفاق الثقافية والتراث، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، المحرم 1423هـ، نيسان (ابريل) ، 2002، ص51.

الفصل الرابع
التخلف الاقتصادي

هناك مشكلات كثيرة في العملية الاقتصادية تستحق الإشارة إليها هنا منها العلاقات التجاريَة العربيَة البينيِة، وما يمثله العرب في الميزان التجاري الدولي، وطبيعة الصادرات والواردات وغير ذلك كثير، ولكن حسبنا أن نشير هنا إلى ما يختصرُ كثيراً من الكلام وهو ما كشف عنه تقرير التنمية البشرية سنة 2008 الذي بين أنَ النَاتج المحلِي الإجمالي لكلِ الدول العربيَة و هي 22 دولة بلغ في سنة 1999 **(531)** مليار دولار أمريكي فقط بما فيه النفط الذي يمثل نحو 70%. ولكن في الوقت ذاته ومن طرف آخر نجد أن أقلَ دولة أوروبية في ناتجها المحلي وهي إسبانيا تفوق الدَخل القومي العربي كله مجتمعاً إذ بلغ النَاتج القومي الإسباني **595.5** مليار دولار وهي التي لا يزيد عدد سكانها عن 40 مليون نسمة، فيما كان عدد سكَّان الوطن العربي 280 مليون، وفي الوقت ذاته لا تعدُّ إسبانيا من الدُّول المتقدِّمة كثيراً في الغرب انظر المؤشرات الآتية عن البلدان العربية.

مؤشرات عربية عامة

-نسبة مساحة العالم العربي تشكل 10.2% من مساحة العالم.

-يقدر مجموع سكان العالم العربي بأكثر من أربعمائة مليون نسمة5% من سكان العالم .

-تتوفر للبلدان العربية موارد مائية ولأغلبها نوافذ على البحر.

-احتياطي النفط المؤكد في الدول العربية يبلغ 59% من إجمالي احتياطي النفط العالمي.

-احتياطي الغاز المؤكد في الدول العربية يبلغ.29.4% من الاحتياطي العالمي.

-تقدر القوة العاملة الكلية بنحو 112 مليون شخص .

-معدل البطالة في الدول العربية وصل إلى 15% من إجمالي القوة العاملة

-تريليون دولار أميركي الناتج المحلي الإجمالي العربي تقريبا.

-حصة الفرد العربي من الناتج المحلي تزيد على 3558 دولارا.

-بلغ معدل نمو الأسعار الجارية 21.4% في سنة 2006، مقارنة بنحو 17.8% عام 2005

يتوزع النتائج المحلي العربي إلى:

-الصناعات الاستخراجية بنسبة 38.38%.

-قطاع الخدمات بنسبة 36.8%.

-الصناعات التحويلية بنسبة 9.8%.

-الزراعة بنسبة 6.7%.

-تبلغ رؤوس الأموال العربية في الخارج قرابة 1500 مليار دولار أميركي

-يقدر فائض الادخار على الاستثمار في البلدان العربية النفطية بنحو 35%

-الديون العربية المتراكمة منذ 2005 تصل إلى 149.3 مليار دولار أميركي

-نسبة الدين إلى الناتج المحلي العربي 36.1%

-نسبة خدمة الدين مقارنة مع حصيلة صادرات السلع والخدمات العربية إلى 10.8%.

-تشكل التجارة البينية العربية نسبة 10% من إجمالي التجارة العربية.

وفي حين أنَ إسبانيا لا تشغل مكانا متقدماً بين الدول الأوربية نجد أن النَاتج القوميَ الإجماليَ للدول الأوربية الإحدى عشر المنتمية لاتفاقات اليورو تمثل مجتمعة 80% من النَّاتج الوطني الإجماليِّ الأمريكي. فكم يمثل إذن مجمل النَّاتج القوميِ العربيِ من الناتج القومي الأمريكيِ؟

لعله من الطرافة بمكان أن نعلم أن أحد أساتذة شركة I T M في الولايات المتحدة الأمريكيَّة «أسَس شركات كان إنتاجها 600 مليار دولار سنوي، أي ما يعادل الناتجَ القومي الإجماليَّ للوطن العربي كلِّه». فهل يكفينا ذلك لمعرفة ما يمثله الناتج االقومي العربي من مجمل النَّاتج القومي الأمريكي؟

لا شك في أننا أمام مأساةٍ جديدةٍ لأننا نعلم من معطيات تقارير التنمية البشرية المتتالية أنَ الولايات المتَّحدة وأوروبا واليابان وحدها تساهم بأكثر من ثمانين بالمائة من مجموع الصادرات العالميَة، وبقية دول العالم ومنها الدول العربية تساهم بنحوٍ من عشرين بالمائة من الصادرات العالميَة. فإذا ما علمنا أن نمور آسيا وحدها تساهم بالنِّسبة الأكبر من هذه العشرين بالمائة فكم سيبقى للدول العربية مجتمعة وحدها من جهة ومع بقيَّة دول العالم الأخرى من جهةٍ ثانيةٍ؟

ولذلك لا عجب في أن نجد أن موقعَ الوطن العربيِ من ناحية البنية الاقتصادية موقعاً يدعو للأسى والحسرة والأسف.

ولكي تتضح الصورة أكثر سنعرض باختصار واقع دول العالم على خريطة التصنيف من جهة البنية الاقتصادية، إذ وزعت دول العالم، على خمسة أصناف هي على النحو الآتي:

أولاً: دول مبتكرة للتقانة Innovative technology ؛ مستويات عالية لبراءات الاختراع. وكانت الدول المندرجة تحت هذا الصنف هي الشمال الأمريكي؛ الولايات المتحدة وكندا، والشاطئ الغربي من أوربا أو أوروبا الغربية باستثناء إسبانيا، وأستراليا، واليابان.

ثانياً: دول مُصنِعة مصدرة. والدول المدرجة تحت هذا الصنف هي البرازيل والمكسيك وتركيا وشرق آسيا وبعض جزر المحيط الهندي، ومن الدول العربية كانت تونس والمغرب فقط.

ثالثاً: بلدان انتقاليَة. وهي حصراً حسب التَصنيف دول أوروبا الشرقية أَو ما كان يسمى بلدان المنظومة الاشتراكية.

رابعاً: دول مصدرة للوقود (النفط والغاز). هنا تكاد تكون الدول العربية وحدها هي التي تندرج تحت هذا الصنف. إذ نجد دول الخليج العربية، وكذلك ليبيا والجزائر. ومع العرب نجد إيران وفنزويلا وثلاث دول على الساحل الشرقي لأفريقيا الجنوبية هي نيجيريا وأنغولا والغابون.

خامساً: دول مصدِّرة للمواد الخام غير الوقود. وهنا تندرج بقية الدول العربيَة التي هي كل دول الطرف الغربي من البحر لأحمر؛ مصر والسودان والقرن الأفريقي. ثم الأردن وسوريا ولبنان واليمن. وإلى جانب الدول العربية نجد أفغانستان وبقية دول أفريقيا كلها، وبقية دول أمريكا اللاتينية وهي دول الشاطئ الغربي من القارة.

وفي هذا السياق من الضروري أن نشير إلى أن « النفط يشكل 70% من الصادرات العربيَة، وكان نمو الصادرات بنسبة 1.5% وهي أقل كثيراً من المعدل العالمي (6%) وبقيت الصادرات المصنعة راكدة، ويقل دخل 20% من السكان عن دولارين يومياً».

هذا التموضع للدول العربيَة على الخريطة الدولية من ناحية البنية الاقتصادية لا يدعو إلى الفخر أبداً، بل يدعو إلى كل أسى وأسفٍ وحسرة لأنَه تموضع غير مشرف بأي حالٍ من الأحوال، لأنه يوحي لنا بصور مَسْخِيَّةٍ للعالم العربي أكثرها تهذيباً هي أننا نشبه العاطل عن العمل الذي يبيع أثاث بيته رويداً رويداً ليأكل ويستمتع حتَى لم يبق عنده ما يبيعه فراح يبيع أبواب البيت ونوافذه وأحجاره!!وسنعرض فيما يأتي أهم الملامح الرئيسة للاقتصاد العربي .

أولا-البطالة The unemployment

هي إحدى أبرز الانعكاسات الخطيرة الكثيرة الناجمة عن هذا الوضع بحقائقه المشار إليها، على الرغم من أن الافتراض النظري يقول بأن العالم المتقدم هو الذي ينبغي أن يحتوي النِسب الأعلى من البطالة لأنها تقوم على اقتصاديات تقانية Technical Economics متطورة جدًّا وتستغني عن العدد الأكبر من الأيدي العاملة خلاف الدول المتخلفة التي تحتاج أكثر إلى الأيدي العاملة.

جاءت البلدان العربية ضمن عشر مناطق جغرافية في العالم سجلت فيها أعلى معدلات البطالة بين الشباب لسنة 2016، وكانت الوحيدة التي بلغ فيها معدل بطالة الشباب 30% في السنة المذكورة، أو ما يعادل ثلاثة أضعاف متوسط المعدل العام لبطالة الشباب في العالم تقريبا.

وبحسب بيانات أصدرتها منظمة العمل الدولية في جنيف سنة 2016، ستحافظ البلدان العربية على مركزها كأعلى موطن لبطالة الشباب في العالم، رغم أن هناك توقعات بأن النسبة ستنخفض بمقدار أقل من نقطة مئوية (0.9%") في سنة 2017 لتصل إلى 29.7.% ثم أن بطالة الشباب في الدول العربية كانت قد سجلت النسبة ذاتها (30.6%) في سنة 2015.

وتواصل التوترات الجيوسياسية في المنطقة إلقاء ثقلها على آمال زيادة فرص العمل للشباب في كثير من بلدان المنطقة، لكن المنظمة قالت إن تحسنا طفيفا ظهر في أرقام مصر وتونس خلال سنة 2016، إذ شهد البلدان انخفاضات، لكن معدلات بطالة الشباب فيهما لا تزال مرتفعة.

وتوقعت المنظمة أن يرتفع معدل البطالة في البلدان الناشئة من 13.3% سنة 2015 إلى 13.7% في 2017، وهو رقم يتوافق مع 53.5 مليون من العاطلين عن العمل في 2017 مقابل 52.9 مليون في سنة 2015.

وفي أميركا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، فإنه من المتوقع أن يرتفع معدل البطالة من 15.7% في سنة 2015 إلى 17.1% في سنة 2017؛ وفي وسط وغرب آسيا، من

16.6% إلى 17.5%؛ وفي جنوب شرق آسيا ومنطقة المحيط الهادئ، من 12.4% إلى 13.6%.

ووفقاً لتقديرات منظمة العمل الدولية، فمن المتوقع أن يبلغ معدل بطالة الشباب العالمي 13.1% في سنة 2016، وسيظل على هذا المستوى حتى سنة 2017 (صعودا من 12.9% في 2015سنة) الجدول (7) ، ونتيجة لذلك، فإن عدد الشباب العاطلين عن العمل على الصعيد العالمي سيرتفع بمقدار نصف مليون عاطل هذا العام ليصل إلى 71 مليونا انظر خريطة (6)، وهي أول زيادة من هذا القبيل في ثلاث سنوات إذ كان عدد العاطلين عن العمل في حدود 70.5 مليون في سنة 2015.

ومما يثير القلق في تقرير المنظمة هو أن 156 مليونا من الشباب العامل في البلدان الناشئة والنامية يعيشون في فقر مدقع، أي على أقل من 1.90 دولار للفرد في اليوم، أو في فقر معتدل أي بين 1.90 و3.10 دولار في اليوم، على الرغم من حصولهم على وظيفة يعيشون منها وهم غير مسجلين ضمن العاطلين عن العمل، ويمثل الرقم 37.7% من الشباب العامل في العالم. وتقول المنظمة إن قرابة أربعة من كل عشرة (39 في المائة) من الشباب العامل في البلدان العربية يعيشون على أقل من 3.10 دولار يوميا.

وعلى مستوى البلدان العربية، تتصدّر جيبوتي والصومال نسب البطالة مع 59%و58.5% لكل منهما على التوالي ، تليها موريتانيا بنسبة 42.9%. وفي اليمن بلغت البطالة نسبة 29.8% ،ليأتي العراق بنسبة 28% ثم فلسطين الشكل (4) .

جدول 7

النسبة المئوية للبطالة في أعلى الدول واخفضها على المستوى العالمي

الدول الأقل نسبة للبطالة أقل من 10%				الدول الأعلى نسبة للبطالة أكثر من 10%			
الدولة	نسبة البطالة %	الدولة	نسبة البطالة %	الدولة	نسبة البطالة %	الدولة	نسبة البطالة %
اندورا	0	روسيا	10	أفغانستان	40		
الأرجنتين	8.8	السلفادور	6	البوسنة والهرسك	29	ليتوانيا	13.8
أرمينيا	7.10	فنلندة	8.6	الكاميرون	30	مقدونيا	33.8

استراليا	5.8	ألمانيا	7.6	الرأس الأخضر	21	مالي	30
النمسا	4.8	اليونان	9	جيبوتي	59	جزر مارشال	30
أذربيجان	0.8	غواتيمالا	3.2	روسيا البيضاء	15.2	الجبل الأسود	14.7
بلجيكا	7.9	غيانا	9	كولومبيا	13.5	موزنبيق	60
بوليفيا	7.5	هونغ كونغ	5.3	دومينيكان	23	نيبال	42
بوتسوانا	7.5	المجر	9.7	غينيا الاستوائية	30	كاليدونيا الجديدة	17.1
بروناي	4	أيسلندا	7.7	استونيا	13	بورتوريكو	16.5
البرازيل	8.1	الهند	7.2	الغابون	21	السنغال	48
بلغاريا	7.6	اندونيسيا	8.2	جورجيا	13.6	صربيا	18.8
بورما	9.4	إسرائيل	7.6	غانا	11	سلوفاكيا	12
كمبوديا	3.5	اليابان	5.5	غرينادا	24.5	إسبانيا	19.3
كندا	8.5	كازاخستان	7.4	هندوراس	27	جنوب أفريقيا	23.5
تشيلي	9.1	ماليزيا	3.5	إيران	12.5	سريلانكا	18.3
الصين	9	مالطا	7.2	أيرلندا	13	سوازيلاند	40
ج/أفريقيا	8	المكسيك	5.2	جامايكا	12.7	طاجيكستان	60
كرواتيا	9.6	ناميبيا	5	كينيا	40	تركيا	13.4
كوبا	1.8	بابوا غينيا	1	قيرغيزستان	18	تركمانستان	70
قبرص	5.9	باكستان	5.2	لاتفيا	19.7	زامبيا	50
الدنمرك	4	بنما	6	ليستو	45	زيمبابوي	90
الإكـــوادور	8	الفلبين	7.5	ليبيريا	85	ألبانيا	12
فرنسا	10						

1. https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/rankorder/2129rank.html The World Fact book

2. ^ Economist.com | Country Briefings: Britain

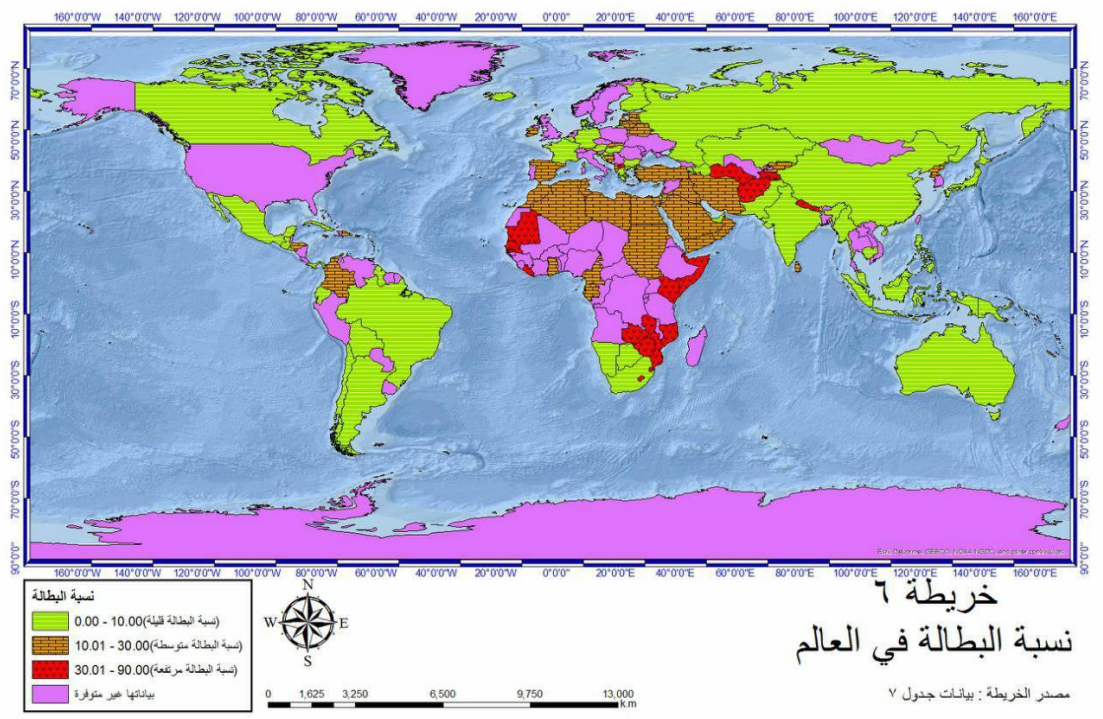

خريطة ٦

نسبة البطالة في العالم

مصدر الخريطة : بيانات جدول ٧

الشكل 4

نسبة البطالة في الدول العربية لسمة 2016

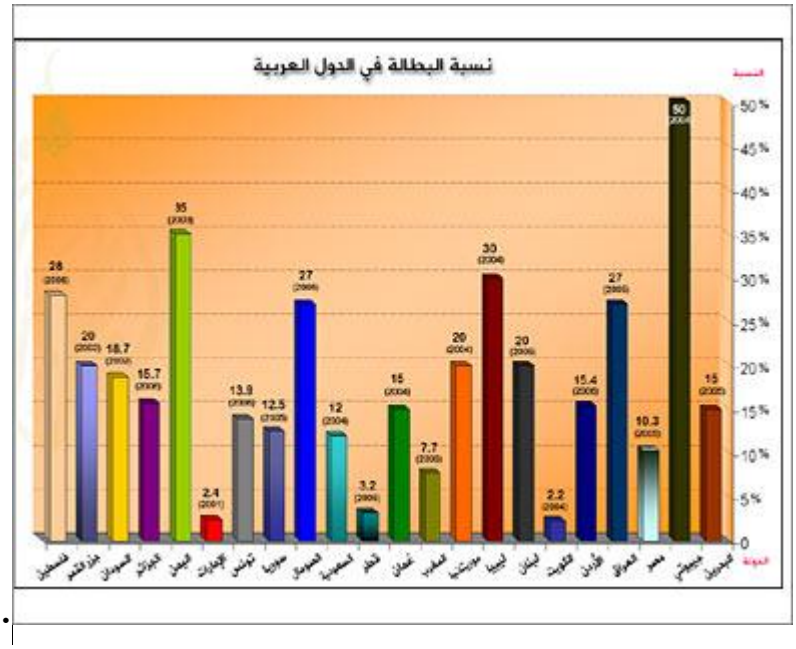

وفي مصر زادت نسب البطالة نحو 12.6% خلال العقدين الماضيين، إذ ارتفعت النسبة من 29.4% في سنة 1991، لتصير 42% في سنة 2014. كذلك الأمر بالنسبة لسوريا التي زادت فيها نسب البطالة بنحو 11.6% خلال المد الزمنيّة ذاتها الجدول (8).

جدول 8

النسبة المئوية للبطالة بين السكان في الدول العربية لسنة 2017.

الدولة	نسبة البطالة	الدولة	نسبة البطالة
قطر	1.5	الجزائر	12.3
البحرين	4.1	الصومال	58.5
الإمارات	9.9	فلسطين	26.9
المغرب	10.7	عمان	16
الكويت	15.7	ليبيا	20.7
لبنان	11	موريتانيا	42.9
السودان	24.5	مصر	16
السعودية	12.7	العراق	28.1
اليمن	29.8	الأردن	18.2
جزر القمر	14.3	تونس	15.3
جيبوتي	59		

المصدر :تقرير صندوق التنمية الدولي لسنة 2017.

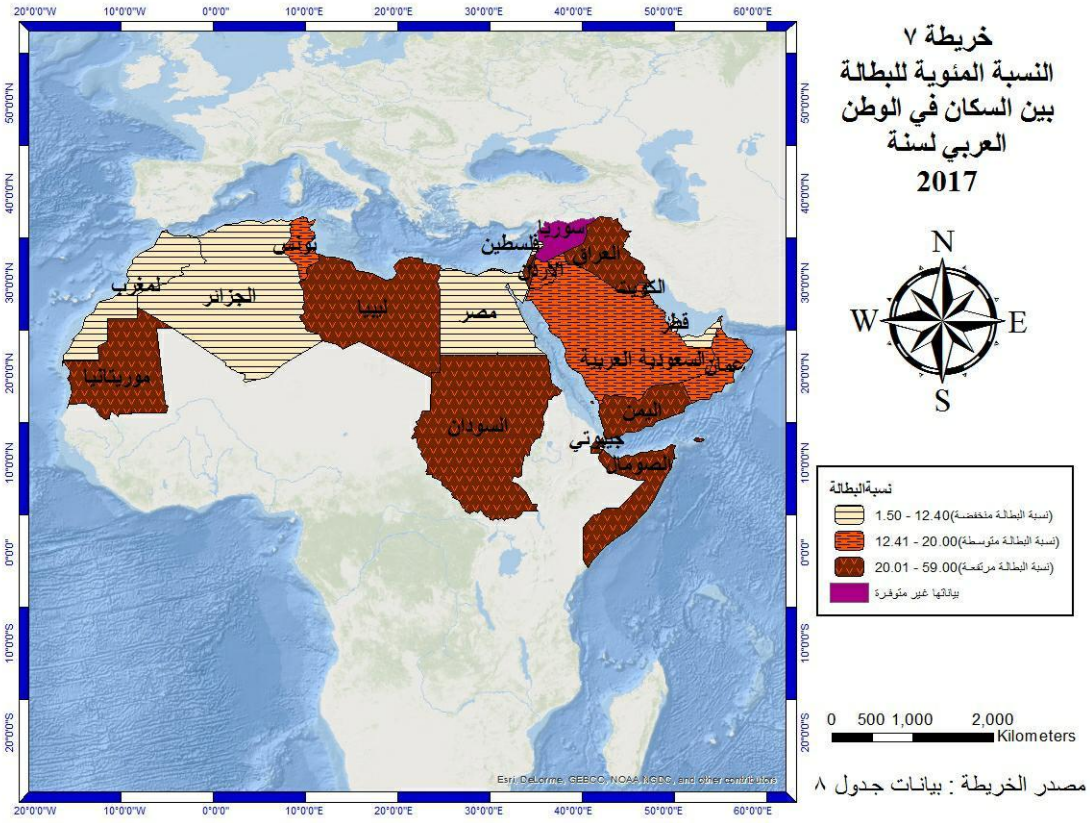

أما في قطر، فتكاد البطالة أن تكون معدومة، ويشكّل العاطلون عن العمل 1.3% من نسبة القوى العاملة الشابة الخريطة (7)، ما يجعلها من أقلّ الدول معاناة من المشكلة في العالم بجانب بنين (1.7%)، وغينيا (1.7%)، وكمبوديا (0.9.%)

تعدّ البطالة من أبرز التحديات الاقتصادية والاجتماعية، لا سيما بتركزها اليوم في فئة الشباب والمتعلمين والداخلين الجدد إلى سوق العمل. الأسوأ في التقرير هذا، أن البطالة بين الشباب تصل إلى نحو 28% من مجمل السكان في الشريحة العمرية 15–24، مقارنة بنحو 12.4% للمتوسط العالمي لمعدلات بطالة الشباب. إلى ذلك، نسبة البطالة للإناث 43.4%، وهذا ينعكس على حجم الطاقات الإنتاجية غير المستغلّة في الكثير من البلدان العربية.

تتصدر ليبيا 77%، ثم مصر 71% ، وسوريا 66%، ثم العراق 59%، لائحة بطالة الإناث في الفئة العمرية 15–24، بحسب بيانات إحصائية منظمة العمل الدولية. هنا

نـذكر مـا قالـه الـرئيس الأميركـي بـاراك أوبامـا: أي دولـة لا توظـف نسـاءها ستفشـل اقتصادياً.

هذا التقرير الصادر عن صندوق النقد العربي، كمؤسسة فعّالة على الصعيد العربي، ومهتمة بالشأن العربي، لم يركّز على توطين الوظائف كأحد الحلول الجذرية: مدى إمكانية تبديل العمالة الآسيوية بعمالة عربية، وما قد ينتج عن ذلك من مخاطر اجتماعية، إن استوعبت دول مجلس التعاون الخليجي 22 مليون عربي بدلاً من 22 مليون عامل آسيوي أو إفريقي، حسب أرقام إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة لسنة 2013.

التوصيات كثيرة في هذا الجانب، كيف تعالج بطالة الشباب في الدول العربية؟ فهي أبرز التحديات في الـ22 دولة عربية، على اختلاف هياكلها الاقتصادية. الطاقة المهدورة في العالم العربي تقدّر بنحو 45 مليار دولار سنوياً، بحسب مؤسسة التمويل الدولية التي تؤكد:

أهمية دور السياسات الاقتصادية كمحرّك للنمو .

أهمية تبني سياسات وطنية للتشغيل.

أهمية إصلاح قطاع التعليم.

مراجعة تشريعات أسواق العمل وإصلاحها.

أهمية مساهمة القطاع الخاص .

أهمية دمج المرأة في سوق العمل.

التنظيم الأسري كحل ضروري للتوازن الاقتصادي، والاستقرار السياسي والاجتماعي على المدى الطويل، لم يرد في التقرير، كما لم يرد في التقرير إمكانية خفض البطالة عبر تقليص حجم الطاقة المهدورة، وغيرها من الوسائل الضرورية اليوم.

وكما قال الرئيس بيل كلينتون في خطاب المؤتمر الديمقراطي الوطني سنة 2012: الفقر، والتمييز، والجهل تلجم النمو. والاستثمار في التعليم والتكنولوجيا يخلق وظائف تساهم في النمو. خطاب كلينتون، الذي أطلق حملة أوباما الانتخابية الثانية تمحور على الوظائف، فالوظائف أهم شيء لدى كل الناخبين. فأين العرب من إدارة حياتهم؟ الاتكّال على الله دون عمل لا يكفي.

وأشارت مدوّنة نشرت على موقع "البنك الدولي" إلى أنّ ثلث شباب العالم عاطلون عن العمل ولا يحصلون على التعليم أو التدريب. ومن بين المليار شاب الذين سيدخلون سوق العمل في العقد القادم2020–2030، فقط 40% يُتوقع أن يحصلوا على وظائف متوفرة حالياً. وسيحتاج الاقتصاد العالمي إلى خلق 600 مليون فرصة عمل في السنوات العشر المقبلة لمواكبة المعدلات المتوقعة لتوظيف الشباب.

أظهرت دراسة أعدها باحثون سويسريون نشرت في صحيفة Lancet Psychiatryأن البطالة تتسبب بنحو 45 ألف حالة انتحار سنوياً في 63 بلداً، فيما تتوقع منظمة العمل الدولية أن تصل معدلات البطالة بين الشباب في العالم إلى 212 مليون شخص سنة 2019 من 201 مليون شخص سنة 2017.

وأوضحت الدراسة، التي ارتكزت على معطيات عن الوفيات بين السنتين 2000 و2011 والتي شملت الدول الغربية ذات الاقتصاد المتطور، باستثناء البلدان ذات أعداد السكان الكبيرة جداً مثل الصين والهند، أن هذه الدول سجلت 233 ألف حالة انتحار كمعدل سنوي، منها حالة واحدة من خمس متصلة بالبطالة، أي حوالي 45 ألف حالة انتحار. ومع أن المرحلة بين سنتي 2000 و2011 شهدت ازدهاراً نسبياً، جاء الاضطراب الاقتصادي الأكبر سنة 2008، فتسببت الأزمة المالية بانتحار خمسة آلاف شخص.

ثانيا–الديون Debts

أظهر تقرير المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، الذي نشر سنة 2017، أن حجم الديون الخارجية للدول العربية سجل قفزة كبيرة سنة 2016، ليصل لأكثر من ضعفي حجم الديون ذاتها سنة 2000.

ووفقاً للتقرير، فإن إجمالي الدين الخارجي لـ20 دولة عربية ارتفع من 426.4 مليار دولار سنة 2000. إلى حوالي 1.14 تريليون دولار خلال سنة 2017.

وكانت نتيجة الزيادة إقدام العديد من دول المنطقة على الاقتراض وإصدار سندات دين سيادية لتمويل العجز في موازنتها العامة، نظراً للارتفاع المتواصل في حجم

الإنفاق. والديون الخارجية التي سجلتها مصر، تونس، الأردن، المغرب ولبنان والعراق حتى اليوم انظر الشكل (5).

الشكل 5: حجم الدين الخارجي لخمسة دول عربية لسنة 2017

بلغ الدين الخارجي للعراق نحو 70 مليار دولار، وفق تصريحات رسمية، من دون احتساب ديون دول الخليج. في حين قدرت تقارير محلية الدين الخارجي بـ82 مليار دولار، بينها 49.8 مليار دولار تم اقتراضها قبل العام 2003. وكشفت اللجنة المالية في البرلمان العراقي عن وصول الدين الداخلي والخارجي للعراق إلى 122 مليار دولار سنة 2017.

فيما كشف البنك المركزي المصري عن ارتفاع الدين الخارجي للبلاد بنسبة 7.8% ليصل إلى 60.152 مليار دولار في نهاية الربع الأول من العام المالي الحالي 2016/2017 (يوليو/ تموز – سبتمبر/ أيلول)، مقارنة مع الربع الأخير من العام المالي 2016. وكان الدين الخارجي 55.764 مليار دولار حتى نهاية الربع الأخير من العام 2016 (إبريل/ نيسان – يونيو/ حزيران 2016).

وتوقع صندوق النقد الدولي اتساع الفجوة التمويلية 35 مليار دولار خلال السنوات الثلاث

المقبلة، ليصبح إجمالي الدين الخارجي المصري 102 مليار دولار، ولتصل تلك الديون إلى أكثر من ربع الناتج المحلي المصري بحلول سنة 2020.

وأظهر تقرير المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، أن حجم الدين الخارجي للمغرب بلغ نسبة 30% من الناتج الداخلي الإجمالي وارتفع بأكثر من ضعفين منذ سنة 2000، وذلك نتيجة لجوء المملكة إلى الاقتراض لتمويل العجز ودعم الإنفاق. وتوقع التقرير أن يرتفع الدين الخارجي للمغرب خلال 2017 إلى 35.7 مليار دولار، على أن تصل نسبة المديونية الخارجية للمغرب إلى 32.2% من الناتج الإجمالي المحلي.

وحتى نهاية تشرين الأول/ أكتوبر 2016، زاد حجم الدين العام الإجمالي في لبنان إلى 74.5 مليار دولار بزيادة نسبتها 7.2% منذ نهاية العام 2015. وقد زاد الدين الداخلي بنسبة 5.2% إلى 45.5 مليار دولار، كما زاد الدين الخارجي بنسبة 7.2% إلى 29 ملياراً خلال المدة ذاتها.

ارتفع حجم الدين الخارجي في تونس ليصل إلى 65 مليار دينار (28.7 مليار دولار) في 2016. وكان رئيس حكومة الوحدة الوطنية يوسف الشاهد، قد أعلن أن نسبة التداين الخارجي ارتفعت بنحو 62% منذ ثورة 2011 حتى 2016.

وكان حجم الدين الخارجي لتونس في 2010 عند مستوى 13.4 مليار دولار، لكنه سرعان ما ارتفع إلى 21.3 مليار دولار في 2014 مع نسق تصاعدي في 2015 و2016.

وقدّرت المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات في الأردن أن حجم الدين الخارجي في سنة 2016 بـ26.6 مليار دولار، متوقعة ارتفاعه إلى 27.8 مليار دولار في 2017، مقارنة مع 24.7 مليار دولار في 2015. ورتّب التقرير المملكة بالمركز 12 عربياً بحجم الدين الخارجي.

وعلى أساس ذلك فانه على المدى القريب والبعيد على العرب الأخذ بنظر الاعتبار ما يأتي :

1-إن عصر القوة سيكون لمن يمتلك المعرفة في كل النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية .

2-في مجال الصحة وما سيحدث فيها من تقدم في معرفة التركيبة الجينية لكل فرد ستكون هناك في شريحة صغيرة توضع في جزء من جسم الإنسان ويغلق عليها ويمر الطبيب عليها بجهاز فقط يوضح كل شيء عن الحالة المرضية للشخص والأمراض التي أصابته والتي ستصيبه!!!!

3-في جانب الطاقة وظهور مصادر عديدة لها غير البترول منها الطاقة الشمسية والرياح والنبات بتحويل محصول معين إلى كحول عن طريق هندسة ميكروب معين باستخدام الهندسة الجينية ويمكن أيضا عمل هندسة لميكروب مؤذي ،وهذه هي المشكلة ،وإذا لم يكن لنا دراية ومشاركة في هذه الأبحاث ستكون عواقبه وخيمة علينا.

4-في مجال الفضاء فان عمر الكون يقارب 13.7 بليون سنة وما نعرفه عنه 4% فقط وفيه 22% مادة مظلمة تماما لا نعرف عنها شيء ،ستتجه الأبحاث في ال50 سنة القادمة نحو فهم مكنونات هذا الكون من طاقة ومادة وعلاقة كل هذا ببقاء الإنسان على الأرض والجاذبية والثقوب السوداء ،ومن المتوقع أن يكون هناك مستعمرات على الكون ويوجد الآن شركات عالمية لديها الباخرة الفضائية لزيارة الفضاء مقابل 100000 دولار.

5- اتساع الفجوة بين الدول المتخلفة والمتقدمة الأمر الذي يؤدي إلى نزاعات مسلحة في مواقع عديدة وان العولمة تخدم القادر على فهم العولمة فمن لا يملك تعليم جيد ومنظومة جيدة لن يستطيع الاشتراك في العولمة فالعالم يسير بسرعة الضوء والآخرين بسرعة السلحفات .

6-يتجه العالم على فهم قضايا علمية مصيرية كقضية الاستنساخ على سبيل المثال ،فان استنساخ خلية جذعيه مفيدة لعلاج أمراض معينة ،أما استنساخ الإفراد فهو محل جدل ،وان مشاركة العرب في هذه المجالات تكاد أن تكون صفرا!!!!

والسؤال الذي نطرحه كيف سيكون وضع العرب في ال50 سنة القادمة لو استمرت مشاركتنا العلمية بهذه الصورة ؟وفي وقت من الأوقات كنا نتندر على الشخص الذي يحاول خداعنا ونقول له (هو أنت فاكرني هندي؟)والآن وبعد أن تقدمت الهند وكل الدول من حولنا وسارت بسرعة الضوء هل سنصل لدرجة أن يتندر علينا العالم بقوله(هو أنت فاكرني عربي)؟ تلك هي المصيبة بعينها!!

بل المتوقع هو أسوا من ذلك في أن يستعمرنا الآخرين فضائيا واقتصاديا وثقافيا وسنتحول إلى دمى في أيديهم يقذفونا من يد إلى يد لو لم نتفق على فكر واحد ونغلب مصلحة الأمة على مصالحنا الشخصية وننهي النزاعات فيما بيننا وتكون لنا إستراتيجية موحدة ونبدأ فورا في إنشاء السوق العربية والعملة الموحدة ليكون لنا كيان اقتصادي يسعى الشرق والغرب لحماية مصالحه لدينا ومساندة قضايانا وبالطبع سيخلق هذا الكيان نهضة علمية شاملة ومشاريع علمية عملاقة تتسابق كل دول العالم للمساهمة في ازدهارها هذا لو أردنا أن يكون لنا وجود في ال50 سنة القادمة؟

ثالثا- الفقر Poverty

تشير توقعات للبنك الدولي إلى أن عدد من يعيشون في فقر مدقع في أنحاء العالم سينخفض على الأرجح دون نسبة 10 في المائة من سكان العالم في سنة 2018، وهو دليل جديد على أنه مع التراجع المتواصل على مدى ربع قرن لأعداد الفقراء فإن العالم يقترب من بلوغ الهدف التاريخي لإنهاء الفقر بحلول سنة 2030.

ويستخدم البنك خط الفقر الدولي المُعدَّل البالغ 1.90 دولار للفرد يوميا والذي يتضمَّن معلومات جديدة عن الفروق في تكلفة المعيشة فيما بين البلدان (أسعار الصرف وفقا لتعادل القوة الشرائية). ويحتفظ الخط الجديد بالقوة الشرائية الحقيقية في الخط السابق (البالغة 1.25 دولار للفرد يوميا بأسعار سنة 2005) في أشد بلدان العالم فقرا. وباستخدام هذا الخط الجديد (وكذلك بيانات جديدة عن مستويات المعيشة على مستوى البلدان)، يتوقع البنك أن ينخفض عدد الفقراء في العالم من 902 مليون شخص أو 12.8 في المائة من سكان العالم في سنة 2012 إلى 702 مليون أو 9.6 في المائة من سكان العالم سنة 2017 الجدول 9 .

وتأتي بيانات الفقر المجملة من البلدان منخفضة الدخل مُتأخِّرة مدة طويلة، لكن المؤسسة التي نشرت هذه المعلومات عشية اجتماعاتها السنوية في ليما ببيرو أقامت توقعاتها على أساس أحدث البيانات المتاحة .

واعتبر باحثين من البنك الدولي أن تحديد 1,92 دولار كعتبة للفقر، من شأنه أن يرفع معدل 148 مليوناً عدد الأشخاص الذين يعيشون في الفقر المدقع.

في مطلع الألفية الثالثة، حقق العالم النامي على الأرجح أول الأهداف الإنمائية للألفية، أي تخفيض أعداد الفقراء بحلول سنة 2015 إلى نصف ما كانت عليه سنة 1990 انظر الخريطة(8).

وقد انخفضت أعداد الفقراء في 1990 وذلك باستخدام خط الفقر البالغ 1.25 دولار يومياً بأسعار عام 2005 إلى النصف تقريبا في 2008، وأشارت التقديرات الأولية لسنة 2010 إلى إنجاز هذا الهدف من الأهداف الإنمائية للألفية بالفعل قبل الموعد النهائي المقرر في 2015. ويمثل خط الفقر الدولي البالغ 1.25 دولار في اليوم متوسط خطوط الفقر الوطنية في أفقر 10–20 بلداً.

جدول 9

نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر على مستوى دول العالم

الدولة	النسبة	الدولة	النسبة	الدولة	النسبة
ألبانيا	25.4	إثيوبيا	44.2	منغوليا	36.1
أرمينيا	50.9	غامبيا	57.6	موزنبيق	69.4
أذربيجان	49.6	جورجيا	54.5	نيبال	30.9
بنغلاديش	49.8	غانا	39.5	نيكاراغوا	47.9
روسيا البيضاء	41.9	غواتيمالا	56.2	النيجر	63
بنين	29	غينيا	40	نيجيريا	34.1
بوليفيا	62.7	هاييتي	65	باكستان	32.6
البوسنة والهرسك	19.5	هندوراس	50.7	بنما	28.6
البرازيل	21.5	المجر	17.3	بابوا غينيا الجديدة	37.5
بلغاريا	12.8	الهند	28.6	باراغواي	21.8
بوركينا فاسو	46.4	اندونيسيا	27.1	بيرو	53.1
بوروندي	36.4	جامايكا	18.7	الفلبين	36.8
كمبوديا	35	كازاخستان	34.6	بولندا	23.8

الكاميرون	40.2	كينيا	52	رومانيا	21.5
تشاد	64	قيرغيزستان	41	روسيا	30.9
تشيلي	17	لاوس	38.6	رواندا	60.3
كولومبيا	64	جمهورية مقدونيا	21.7	السنغال	33.4
كوستاريكا	22	مدغشقر	71.3	سيراليون	70.2
الدومنيكان	42.2	مالاوي	65.3	سريلانكا	25
الإكوادور	46	ماليزيا	15.5	تنزانيا	35.7
السلفادور	37.2	مالي	63.8	تايلاند	13.6
اريتريا	53	المكسيك	17.6	توغو	32.3
أوكرانيا	19.5	مولدافيا	48.5	تركيا	27
أوزبكستان	27.5	أوغندا	37.3	فيتنام	28.9

المصدر : Human and income poverty: developing countries / Population living below the national poverty line (%), تقرير التنمية البشرية 08/2007، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي accessed on 3 فبراير 2008.

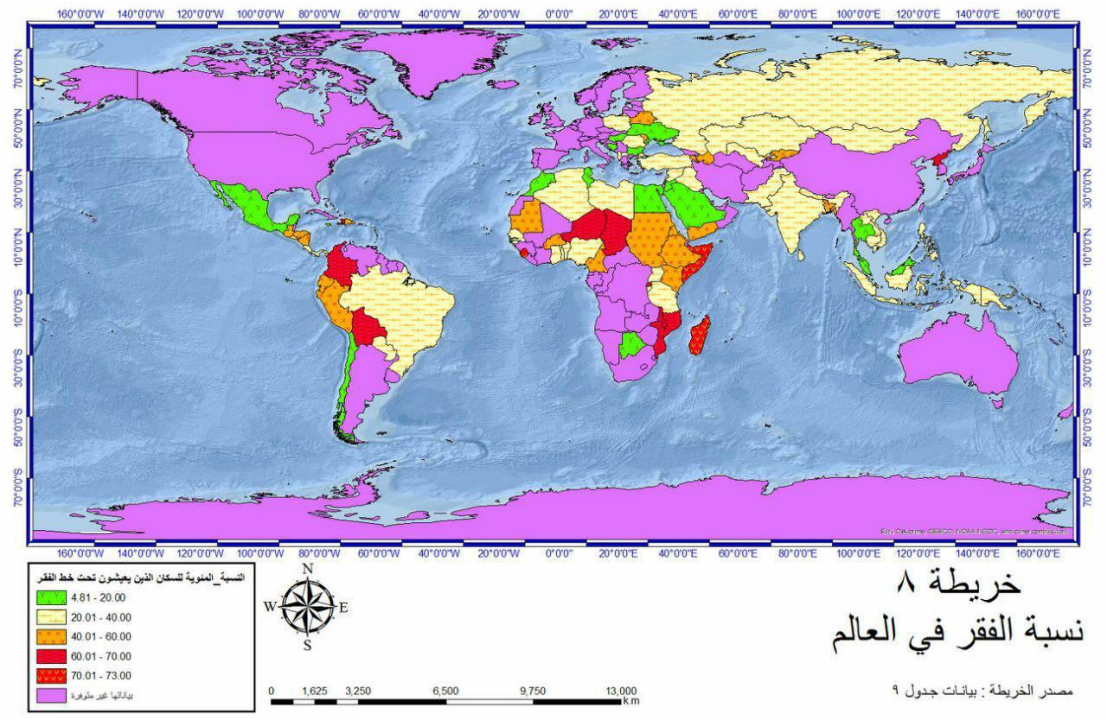

كانت نسبة سكان العالم النامي الذين يعيشون على أقل من 1.25 دولار في اليوم 22 % في سنة 2008، بعد أن كانت 43 % في سنة 1990، و52 % في سنة 1981. وفي ما يتعلق بعدد الفقراء، كان 1.29 مليار نسمة يعيشون على أقل من 1.25 دولار في اليوم سنة 2008، مقارنة مع 1.91 مليار في سنة 1990 و1.94 مليار في سنة 1981. لكن وعلى الرغم من ذلك، وحتى مع معدل التقدم الحالي، سيبقى نحو مليار شخص يعيشون في فقر مدقع في سنة 2015.

وفي سنة 2008، كان 1.29 مليار شخص يعيشون على أقل من 1.25 دولار في اليوم وهو ما يوازي 22 % من سكان العالم النامي. وكان نحو ثلاثة أرباع هذا العدد يعيشون في جنوب آسيا (571 مليونا) وأفريقيا جنوب الصحراء (396 مليونا). بينما كان 284 مليونا آخرين يقيمون في شرق آسيا، وأقل من 50 مليونا يعيشون في مناطق أمريكا اللاتينية والكاريبي والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وشرق أوروبا وآسيا الوسطى مجتمعة. وبالمقابل، في سنة 1981 كان 1.94 مليار نسمة (52 % من السكان) يعانون من فقر مدقع.

وبينما تراجعت حدة الفقر في شتى مناطق العالم، كان هناك تفاوت في إحراز تقدم صوب هذا الهدف. فقد شهدت منطقة شرق آسيا أكبر تراجع في معدل الفقر، إذ انخفضت أعداد الفقراء الذين يعيشون على 1.25 دولار في اليوم من 77 % سنة 1981 إلى 14 % في سنة 2008. وتشهد منطقة جنوب آسيا أدنى نسبة لمن يعيشون في فقر مدقع منذ سنة 1981 إذ تراجعت من 61 % إلى 36 % بين سنتي 1981 و2008. وانخفضت نسبة من يعيشون على 1.25 دولار في اليوم إلى 47 % سنة 2008 – وهي المرة الأولى التي يتراجع فيها المعدل لما دون 50 في المائة. كما تقلص عدد الذين يعيشون في فقر مدقع في المنطقة منذ 2005، ما عكس اتجاه الزيادة طويلة الأجل من نحو 200 مليون في1981 إلى نحو 400 مليون في 2005.

وبينما انخفضت أعداد من يعيشون على دون 1.25 دولار في اليوم في الصين وحدها نحو 663 مليونا في سنة 2008 مقارنة بسنة 1981، إلا أنه في الوقت الذي بدأت فيها مدة الإصلاحات في البلاد كان معدل الفقر عند 1.25 دولار في اليوم بالنسبة لباقي بلدان العالم النامي (مع استبعاد الصين) لا يزال منخفضا من 41 إلى 25 في المائة بين سنتي1981 و2008. من ناحية أخرى، ونظرا للنمو السكاني كان إجمالي عدد الفقراء (ما

عدا الصين) نحو 1.1 مليار نسمة في سنتي1981 و2008، بالرغم من أن العدد ارتفع وانخفض بين هذين العامين.

وخط الفقر هو أدنى مستوى من الدخل يحتاجه المرء أو الأسرة حتى يكون بالإمكان توفير مستوى معيشة ملائم في بلدٍ ما. ومن هنا يظهر مصطلح الفقر المدقع وهو مستوى من الفقر يتمثّل بالعجز عن توفير تكاليف المتطلبات الدنيا الضرورية من حيث المأكل والملبس والرعاية الصحية والمسكن. وبعبارة أخرى فإن الناس الذين يعيشون تحت خط فقر محدد هم أناس يمكن أن يوصفوا بأنهم يعيشون في حالة فقر مدقع.

خط الفقر المتعارف عليه عالمياً كان حوالي دولار أمريكي واحد في اليوم للفرد، لكن البنك الدولي عاد في سنة 2008 ورفع هذا الخط إلى 1.25 دولار عند مستويات القوة الشرائية لسنة 2005. ومع ذلك فإن العديد من الدول تضع خطوط فقر خاصة بها وفق ظروفها الخاصة. فمثلاً سنة 2009 كان خط الفقر في الولايات المتحدة للفرد دون سن 65 هو 11,161 دولار يوميا، ولعائلة من أربعة أفراد من بينهم طفلين هو 21,756 دولار يوميا.

ويتم تحديد مستوي الفقر من خلال المجموع الكلي للموارد الأساسية والتي يستهلكها الأفراد البالغون في خلال مدة زمنية معينة غالباً سنة. كما أن الاقتصاديين في الدول المتقدمة يهتمون كثيراً بأسعار العقارات وتكاليف استئجار المساكن وذلك لأهميتها في تحديد خط الفقر.

وبتاريخ 3 يناير 2014، قالت منظمة «غالوب Gallup » العالمية إن أكثر من خُمس سكان العالم يعيشون تحت خط الفقر المدقع، مضيفة أنه في آخر إحصاء أجرته حديثاً على نحو 131 دولة حول العالم، أن 22 % من سكان العالم يعيشون على 1.25 دولارا في اليوم أو أقل.

ومنظمة «Gallup » هي منظمة تقدم الاستشارات الإدارية والموارد البشرية والبحوث الإحصائية، وتمتلك ما يقرب من 40 مكتبا عبر دول العالم بينما يقع مقرها الرئيس في واشنطن ويقع مقر العمليات في أوماها بولاية نبراسكا الأمريكية.

الفقر الأفريقي

ويعرّف البنك الدولي الفقر على أنه الحالة التي يكون فيها واحد من بين كل 3 أشخاص يعيشون على 2 دولار في اليوم – بما يعني نسبة 34 % –.

وقد أظهرت إحصائيات غالوب، أن 16 % من سكان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يعيشون على 1.25 دولارا أو أقل في اليوم، بينما يعيش 28 % من سكان المنطقة ذاتها على 2 دولارا أو أقل في اليوم.

تشير النتائج كذلك إلى أن مناطق أفريقيا تعيش أسوأ أنواع الفقر في العالم، حيث يعيش 54 % من تعداد السكان في 27 دولة مختلفة من أفريقيا في فقر مدقع ، وهي مناطق جنوب الصحراء أو إفريقيا السوداء – كل الدول الأفريقية باستثناء دول الشمال الإفريقي وهى (الجزائر، ومصر، والمغرب، والسودان، وليبيا، وتونس) ويصل عددها إلى 42 دولة.

من جهة أخرى، لا يتجاوز عدد السكان الذين يعيشون على 1.25 دولار في اليوم نسبة 1% في المناطق المتقدمة اقتصاديا مثل أستراليا، نيوزيلندا، الولايات المتحدة، كندا وأوروبا – باستثناء منطقة البلقان.–

أما في الصين وهي إحدى أكثر دول العالم من حيث تعداد السكان فقد انخفض معدل الفقر فيها نظراً للنمو الاقتصادي الذي تشهده، حيث انخفضت نسبة أولئك الذين يعيشون على 1.25 دولار في اليوم من 26 % في سنة 2008 لتصل إلى 7 % في 2012.

ويسعى البنك الدولي كما هو معلن، لتقليص معدل الفقر في العالم بحيث لا يتجاوز 3 % في حلول سنة 2030 مما يتطلب العمل على تنمية حقيقية وإيجاد فرص عمل، بحسب مركز غالوب، إضافة إلى مواجهة خطر السلم الاجتماعي الذي يهدد كثيراً من المناطق، فضلاً على أنه بحاجة إلى إرادة سيّاسيّة حقيقة وحلولاً جادة تعيد التوازن لرأس المال العالمي دون الضغط باتجاه زيادة مشكلة الفقر في العالم.

يمثّل الفقر أحد أكبر التحديات التي يواجهها العرب مطلع القرن الحادي والعشرين، والتي تقبع بصورة أساسية وراء التطرف الراهن في الوطن العربي. فقد أشارت الدراسات المعاصرة إلى انهيار الطبقة الوسطى التي مثلت شريحة أساسية في المجتمعات العربية أواسط القرن العشرين، الأمر الذي أدى إلى تراكم الفقراء في أحزمة الفقر المحيطة بالمدن التي باتت تشكّل، وفق تقرير التنمية الإنسانية العربية 2014، أكثر من نصف العرب سنة 2010، واستنتج التقرير أن العالم العربي شديد الفقر في غالبية سكانه، فيما أشار تقرير التنمية البشرية لسنة 2006 إلى اتساع الفجوة بين الـ10 في المائة الأفقر والـ10 في المائة الأغنى،

حيث باتت تشكّل 2.3 إلى 31.5 في تونس، و2.7 إلى 30.6 في الأردن، و2.8 إلى 26.8 في الجزائر، و3.7 إلى 29.5 في مصر، و2.6 إلى 30.9 في المغرب، و3 إلى 25.8 في اليمن.

ويستوطن الفقر متلازماً مع الأمية، الأرياف العربية حيث هناك 20 % عاطلون من العمل و15 مليوناً يعانون من سوء التغذية. وبصورة عامة، هناك 65 مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر، ولم يحدث أي انخفاض في متوسطات الفقر خلال السنوات العشرين الماضية، بل إن بلداناً شهدت زيادة في معدلاته. وقد بلغت نسبة الفقر البشري في العالم العربي سنة 2007، 22.7 %بالتلازم مع نسبة أمية 29.6 %. وبلغت نسبة الفقراء في الريف 85 % في السودان، 40 % في اليمن، 27 % في مصر، 15 % في سورية والمغرب والجزائر، في حين وصلت نسبة الفقر المتعدد البعد إلى 81.2 % في الصومال.

ووفق باتريك كوكبيرن، إن غالبية السوريين ترى أن رواتبها في ركود، وأن ما بين مليونين وثلاثة ملايين سوري يعيشون في فقر مدقع، وأن أفراداً من بين هؤلاء يحاولون البقاء على قيد الحياة براتب 200 دولار شهرياً.

تشكل كل هذه الوقائع والأرقام في حد ذاتها، بيئة حاضنة للتطرف، وتبين أن العرب يعانون من حرمان ولادات للثورة والانتفاض على الظلم، والتطرف الأصولي الذي ذهب إلى أقصاه في الأرياف السورية والعراقية والمصرية، حيث الحد الأعلى من الفقر والتهميش، كما في أحزمة البؤس في المدن العربية، فضلاً عن اليمن والسودان والصومال التي تعرف حداً مرتفعاً من الفقر والحرمان، يهدد وحدتها الوطنية ومعها الأمن القومي العربي.

ثمة خلل كبير إذاً، يهدد المجتمعات العربية من داخلها وينذر بأفدح الأخطار على الأمة العربية وأمنها السياسي والاجتماعي، ما يجعل الحديث عن الديمقراطية والتحديث السياسي والحريات غير ذي جدوى، الأمر الذي نبه إليه تقرير التنمية البشرية لعام 2016، إذ رأى أن «المستويات المرتفعة لفقر الدخل تساهم في انعدام الحريات الحقيقية في العالم».

وفقا لإحصائيات البنك الدولي في سنة 2012، يبلغ عدد سكان الوطن العربي حوالي 400 مليون شخص، ويبلغ إجمالي الناتج الملحي للدول العربية مجتمعة تريليون و490 مليار دولار. إلا أن نصيب الفرد من هذا الناتج لا يزيد عن حوالي 3500 دولار في السنة.

ويعيش في الوطن العربي 11 مليون شخص على أقل من دولار واحد في اليوم وهو ما تصنفه الأمم المتحدة باعتباره "فقرا مدقعا." ووفقا للصندوق الدولي للتنمية الزراعية (إيفاد) فإن الفقر في بلد عربي مثل اليمن على سبيل المثال يؤثر على نحو 42 % من سكان البلاد. ويعيش 80 % من فقراء اليمن في مناطق ريفية، ويعيش نصفهم على الأقل على أقل من دولارين في اليوم.

أما في مصر، أكبر الدول العربية من حيث عدد السكان، تزيد نسبة الفقر عن 16.7%، بل إن ثلثي السكان في صعيد مصر يعانون الفقر.

وحتى في بلد نفطي مثل العراق، تبلغ نسبة الفقر، وفقا للبنك الدولي 25%، في حين تصل في الأردن المجاور إلى 14.2 %، وفي لبنان تزيد لتصل إلى 28.6 % انظر الجدول (10) أما الدول التي تنخفض فيها هذه النسبة مثل تونس والجزائر، فتصنف وفقا للصندوق الدولي للتنمية الزراعية كدول ذات دخل متوسط انظر الخريطة (9). ولا تزال الدول ذات مؤشرات التنمية البشرية العالية مثل الكويت والبحرين والإمارات وقطر أقلية بالنسبة لبقية الدول العربية.

جدول 10: النسبة المئوية لمستوى الفقر في الدول العربية لسنة 2015.

الدولة	النسبة المئوية للفقر
الصومال	73
اليمن	41.8
السودان	46.5
موريتانيا	46.3
سوريا	35.2
ليبيا	33.5
لبنان	28.6
مصر	16.7
العراق	25
الجزائر	23
المغرب	19

تونس	7.6
الأردن	14.2
السعودية	25
البحرين	12

المصدر: تقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لعام 2015

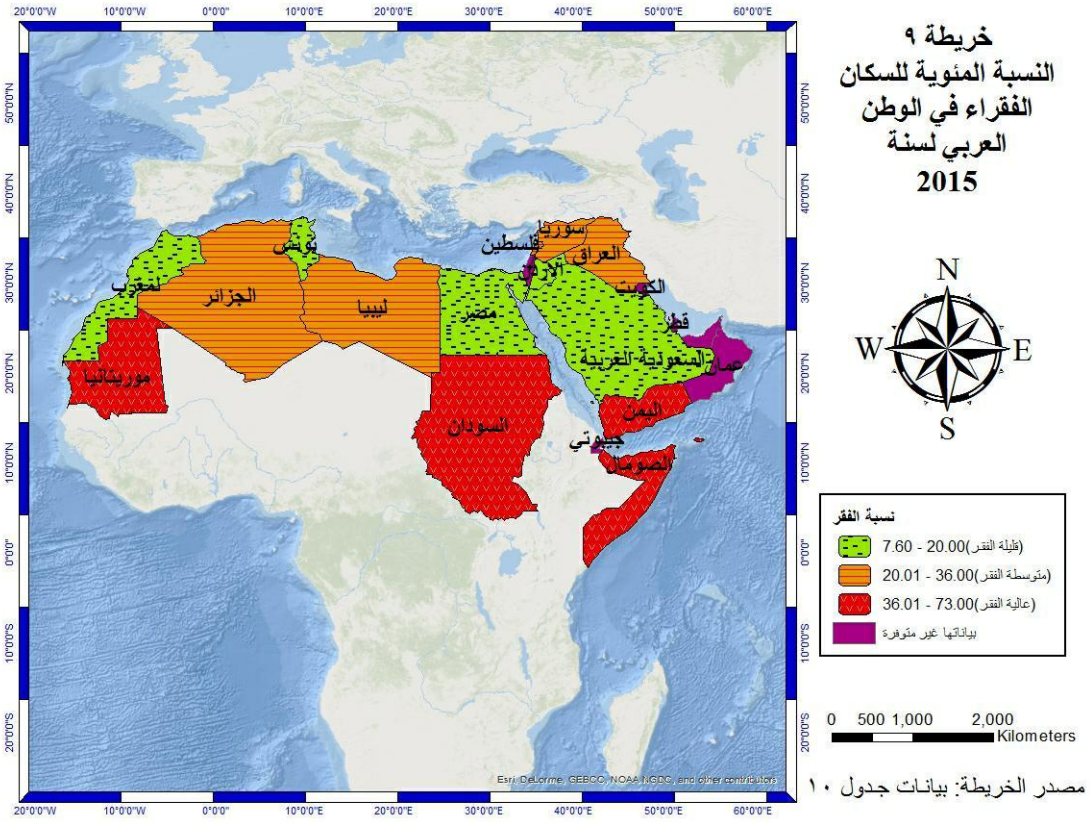

مصدر الخريطة: بيانات جدول ١٠

وترتبط بالفقر في الوطن العربي عدة ظواهر اجتماعية من بينها على سبيل المثال: العمالة الهامشية وغير المنتظمة. وعلى صعيد الإسكان، يخلق الفقر تجمعات سكانية عشوائية وهو ما يتبدى بشكل واضح في بلدان مثل مصر ولبنان. أما على مستوى التعليم، تبرز ظاهرة عمالة الأطفال وخروجهم من المدارس في سن مبكرة، إذ يقل معدل الالتحاق بالتعليم في مراحله المختلفة في بلد كالمغرب عن 48 %. وتوصي الأمم المتحدة بالتصدي للفقر من خلال زيادة الإنفاق على قطاعات أساسية مثل الأمن الغذائي والتعليم والصحة.

تتفاوت مستويات الفقر في أغلب البلدان العربية والمستقاة من تقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لسنة 2015، وكتاب حقائق العالم الصادر سنوياً عن وكالة الاستخبارات الأميركية، ومن مصادر حكومية وغير حكومية.

وتؤكد تقديرات منظمات وهيئات مختصة، دولية ومحلية، أن نسبة الفقر المدقع أكبر بكثير من النسبة التي ذكرتها منظمة (الفاو) في تقريرها،لأن (الفاو) تعتمد على جهات حكومية رسمية معنية بتقديم الإحصائيات، غالباً ما يشوب عملها غياب الشفافية، كما أن خط الفقر لا يتم تحديده بدقة. لكن رغم ذلك، فإن وجود 33 مليون جائع في البلدان العربية يعني أن ما نسبته أكثر من 10% من إجمالي عدد السكان لا يجدون ما يأكلونه.

ومنعاً للخلط، الحديث ليس عن الفقر بدرجاته المتعددة، بل العوز الشديد، فهناك عشرات الملايين أيضاً يقبعون على عتبة الفقر، وفي ظل الأزمات التي تعصف ببعض البلدان العربية، وعدم التساوي في التوزيع والتنوع الاقتصادي بين المناطق، الريفية والحضرية، في غالبية البلدان العربية الأخرى، والفوارق والعوائق الاقتصادية وانتشار الفساد والمحسوبية وثقافة الإفلات من العقاب، من المتوقع أن تشهد السنوات القادمة ارتفاعاً أكبر في أعداد الفقراء.

وكشفت دراسة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الأسكوا Ascoa) أن 18 مليون سوري يعيشون تحت خط الفقر، بينهم أكثر من 4 ملايين تحت خط الفقر الأدنى يعانون من الجوع، في سابقة هي الأولى في تاريخ سوريا الحديث، "الأمر الذي سينعكس على تشوه النسيج الاجتماعي وسيتطلب عدة سنوات لإصلاحه"، على حد ما أكدته (Ascoa).

المتحدث باسم وزارة التخطيط العراقية، عبد الزهرة الهنداوي، أقر بأن نسبة الفقر في العراق ارتفعت بعد أحداث احتلال تنظيم (داعش الإرهابي) لمناطق واسعة في العراق صيف سنة 2014، بسبب نزوح 2.5 مليون شخص من محافظات شمالي وغربي البلاد. وأشار الهنداوي إلى ارتفاع نسبة الفقر في العراق إلى 30% سنة 2014، بعدما كانت 19% نهاية سنة 2013.

وأثار تحديد عدد الفقراء في الجزائر مؤخراً خلافات ومشادات بين الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان وممثلي الحكومة الجزائرية، على خلفية تقرير نشرته الرابطة، وقالت فيه إن 10 ملايين جزائري يقعون تحت الفقر، لكن مسئولين رسميين اعترفوا بأن هناك 600 ألف عائلة فقيرة تحتاج إلى مساعدة. وفي الأردن أصدرت دائرة الإحصاءات العامة تقريرا قالت فيه إن نسبة الفقر بين الأسر في المملكة بلغت نحو 10.5%. في حين ذكر تقرير للبنك الدولي نشر في مطلع سنة 2014، أن 13 مليون مواطن مغربي يعيشون على عتبة الفقر، منهم 5 ملايين يعانون العوز الشديد بشتى ألوانه.

واستناداً لتقرير جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني، حتى الربع الأول من سنة 2014، وتقرير المكتب الإقليمي للبنك الدولي، ارتفعت نسبة الفقر إلى 60 % في قطاع غزة، وفي إحصائية لاحقة إلى أكثر من 70% بعد الحرب الإسرائيلية الأخيرة على القطاع. ووصلت نسبة الفقر الشديد في الضفة الغربية إلى أكثر من 20% في العام نفسه.

وهي بمجموعها نسب عالية ومقلقة، بيد أن إشكالات المجتمعات العربية تتعداها، فإذا طبقنا المؤشرات الثمانية التي حددتها الأمم المتحدة لقياس الفقر، يظهر لنا الوضع أكثر سوءاً، من حيث المسكن والتعليم والصحة والمياه الصالحة للشرب والقانون والمجتمع والخدمات الائتمانية والحصول على المعلومات، تجاهلها وعدم وضع برامج لمعالجتها سيزيد من معدلات الفقر.

وبالمقابل هناك مليار دولار أموال الأغنياء فقط في دول الخليج أي أن الزكاة في الدول العربية تقدر ب 100 مليار دولار ويصل 300–400 مليار مع الدول المسلمة لو أخرجت ووزعت سوف لن نجد هناك فقيرا ليس بالدول المسلمة بل في العالم اجمع. إذن المسالة لها علاقة بالإيمان والأخلاق.

رابعا–دالة الرفاهية

يعد المستوى المعيشي للأسرة تحصيل حاصل للفرق بين الدخل والإنفاق، فزيادة الأول على الثاني تعني زيادة في الرفاهية والعكس صحيح، لكن الفرق الرئيسي في المعادلة هو أن الدخل غالبا ما يتميز بالثبات فيما تتعدد أوجه الإنفاق ، ويبقى على الأسرة أن تتحكم في دخلها بغية موازنته مع النفقات .

وينتج عن التفاوت بين ركني المعادلة (الدخل والإنفاقIncome and expenditure)ما يعرف بالفقر وهو حالة تعبر عن النقص أو العجز في الاحتياطات الأساسية والضرورية للإنسان ،واهم هذه الاحتياجات :الغذاء،والصحة،والتعليم والسكن ،وتوفر الاحتياطي لمواجهة الأمور الطارئة أو الأزمات التي قد تتعرض لها الأسرة أو الفرد.

تعتمد أدبيات المنظمات الدولية في قياسها للفقر في الدول النامية مفهومين أساسيين هما [1]:

1– الفقر المدقع : هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الغذائية لتامين عدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة .

2– الفقر المطلق : هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله، الوصول إلى إشباع حاجاته الأساسية المتمثلة بالغذاء والمسكن ،والملبس ، والتعليم ،والصحة ،والنقل .

تعكس نسبة الفقر المدقع تدهورا كبيرا في مستوى المعيشة في العراق، فقد كانت منخفضة جدا عام 1988 إذ بلغت 3.9% لعموم العراق ، وكان المستوى متقاربا بين الحضر والريف ،إذ كانت نسبة الفقر المدقع فيهما 3.6% و4.7% على التوالي . ثم تدهور المستوى المعيشي بشكل كبير بعد ثلاث سنوات من فرض الحصار الاقتصادي على العراق،فقد ارتفعت نسبة الفقر المدقع الى21%وتبع ذلك تدهور كبير في مستوى الفقر المطلق إذ قدر ب 72% وهذا يعني أن ثلاث أرباع سكان العراق كان يعاني من نقص أو عجز في تامين الاحتياجات الأساسية كالغذاء والمسكن والملبس والتعلم والصحة والنقل .

أما المؤشرات المقدرة سنة 2005 فقد عكست تحسننا نسبيا في نسبتي الفقر المدقع والمطلق ، إذ انخفضت الى9% و 40% على التوالي، أي أنها حققت تحسننا نسبته 50% تقريبا

مما كان عليه خلال الحصار ، غير أن هذا التحسن وان كان يبدو كبيرا إلا انه يعكس أن تلك النسبة ما زالت تزيد على ما كان عليه الحال قبل فرض الحصار بنسبة 100% تقريبا .

تشير نتائج المسح السريع لميزانية الأسرة المنفذ سنة 2005 إلى إن وسيط دخل الأسرة الشهري بلغ 325000 دينار ، أما المتوسط العام لدخل الأسرة الشهري بلغ 449290 دينار، إذ يلاحظ إن وسيط دخل الأسرة اقل من متوسط دخلها ،ذلك لان المتوسط يتأثر بالقيم المتطرفة لا سيما الدخول العالية ، أما الوسيط فهو يعتمد المستوى الذي يتوسط القيم ولا يتأثر بالقيم المتطرفة ، أما من حيث مصدر الدخل فان الدخول المتأتية من الأجور والرواتب المستلمة من كافة القطاعات (عام +حكومي+خاص) ساهمت بنسبة46% من مجموع الدخول، ويعود سببها الرئيس إلى تحسن رواتب وأجور العاملين في أجهزة الدولة ،إذ لم تزد هذه النسبة خلال الثمانينات والتسعينات عن 25%.

وبالمقارنة مع وسيط الأجرة لسنة 2003 البالغ 185833 دينار ولسنة 2004 البالغ 211000 دينار ، يلاحظ انه ضعف زيادة نسبته سنة 2005 قدرها 75% عن سنة 2003 و45% عن سنة 2004 .

تصدرت نسبة الأنفاق على المواد الغذائية المرتبة الأولى حيث بلغت 46.8% من مجموع الأنفاق العام . أما الأنفاق على النقل فشغلت المرتبة الثانية إذ بلغت 18.5% وهي مرتفعة مقارنة بنسبتها للسنوات 1993 و2002 البالغة 5% و 4% على التوالي . وارتفعت نسبة الأنفاق على التجهيزات والمعدات المنزلية بنسبة 9.6% مقارنة بمثيلها في عام 1993 البالغة 4% .

وتشير نتائج المسح بان الفئات التي تحصل على متوسط دخل شهري يقل عن 120 ألف دينار تشكل الأسر فيها نسبة 7.6% من مجموع الأسر ، لكنها تتسلم 1.3% من أجمالي دخول الأسر . في حين أن الفئات التي يتراوح متوسط دخلها الشهري ما بين 1.1–1.8 مليون دينار فأكثر تشكل 3.9% من مجموع عدد الأسر لكنها تتسلم 21.5% من إجمالي دخول الأسر في الحضر والريف .

وظهر من المسح أيضا بان أدنى 10% من الأسر تتسلم 1.9% فقط من إجمالي دخول الأسر ، وان على 10% من الأسر تتسلم 32.6% من إجمالي دخول الأسر في العراق ،

وان ادنى50% من الأسر تتسلم 22.4% في حين أن أعلى 50% من الأسر تتسلم77.6% من أجمالي دخول الأسر في عموم العراق [2] .

ويتميز توزيع الدخول في العراق بصفة عامة بان التفاوت فيه منخفض نسبي وان دخول الفئات الدنيا أكثر تأثرا بمستوى الأسعار من فئات الدخول العالية وبالتالي يقلل من أهمية الدخل بشكل أو بأخر . والأمر لا يتوقف على العراق فحسب فان درجة الهشاشة الناتجة عن انخفاض الدخول وما يترتب عليه تشمل معظم الدول العربية انظر الجدول (11) والخريطة (10).

وتوصف الدولة بأنها دولة هشه حينما تفتقد أعمدة صلبة للاقتصاد وبنيان اجتماعي رصين وقيادة سياسية مخلصة وخدمات مفقودة وموارد غير مستغلة ويصنف شعبها ضمن أدنى المستويات وليس لديها القدرة والإمكانية في معالجة الانخفاض في مستوى معيشة الشعب وخدش كرامته نتيجة العوز والحرمان الذي يعانيه ،وحينما يرى مواطن تلك الدولة الهشة بأنه يقع ضمن المراتب المتأخرة ضمن سلسلة قياس كرامة المجتمع ومكانته وإنسانيته وآدميته على السواء.بعبارة أخرى يشعر مواطني هذه الدول بالبؤس والانكفاء والمهانة قياسا مع غيرهم من شعوب العالم المتقدم.

جدول 11

تصنيف الدول العربية من الأكثر هشاشة إلى الأقوى حسب تصنيف صندوق السلام سنة 2014 ، والعمود الثالث يوضح الدرجات من (120–0) حيث كلما زادت الدرجة زادت هشاشة الدولة.

ت	قائمة الدولة من الأسوأ	العلامة من 120
دول ذات إنذار عالي جداً		

1	جنوب السودان	112.9
2	الصومال	112.6
3	السودان	110.1
4	العراق	102.2
5	سوريا	101.6
6	موريتانيا	93.0
دول ذات إنذار عالي		
7	اليمن	105.4
دول ذات إنذار		
8	مصر	91.0
9	ليبيا	87.8
10	جيبوتي	87.1
11	لبنان	86.9
12	جزر القمر	85.1
13	الجزائر	78.8
14	تونس	77.5
15	الأردن	76.7
16	المغرب	74.4
دول ذات تحذير		

17	البحرين	64.7
دول ذات استقرار بسيط		
18	الكويت	59.0
19	عمان	53.1
دول مستقرة		
20	قطر	48.9
21	الإمارات	47.6

المصدر : http://www.aljazeera.net/news/international/2014/9/29

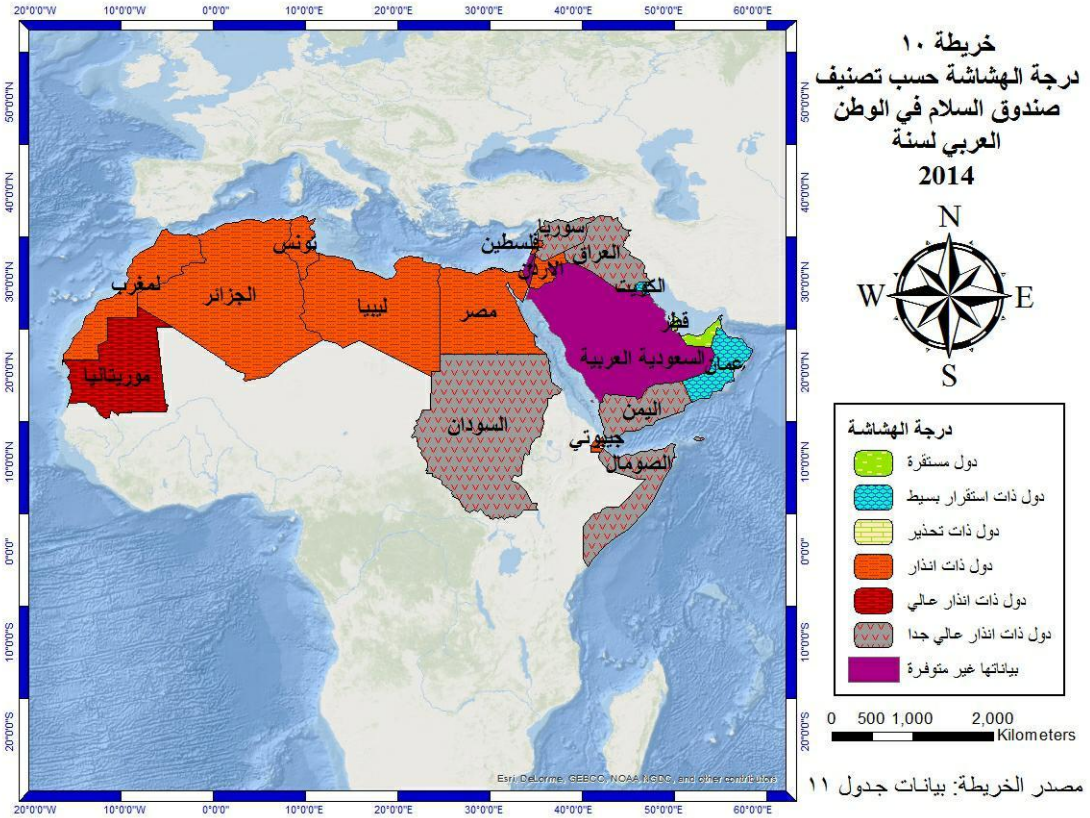

مصدر الخريطة: بيانات جدول ١١

أما درجة الهشاشة على المستوى العالمي فيوضحه الجدول 12 والخريطة (11). إذ تم إدراج 18 كأعلى مستوى في مؤشر جودة الحياة لسنة 2015 و18 بلدا لأدنى مستوى لجودة الحياة .

إذ تم استخدام تسعة عوامل لنوعية الحياة لتحديد درجة البلد .وهي مدرجة أدناه بما فيها المؤشرات المستخدمة لتمثيل هذه العوامل :

1-**الصحة** : العمر المتوقع عند الولادة (في سنوات.) المصدر : مكتب الإحصاء الأميركي.

2-**الحياة العائلية** : نسبة الطلاق (لكل 1000 من السكان) ، وتحويلها إلى رقم قياسي من 1 (أدنى معدلات الطلاق) إلى 5 (أعلى). المصادر : الأمم المتحدة ؛ Euromonitor.

3-**الحياة الاجتماعية** : متغير القيمة 1 إذا أخذ البلد حقوق المواطنة أو لعضوية النقابات العمالية أو الأمن الاجتماعي ؛ صفرا على خلاف ذلك. المصدر : مسح القيم العالمية.

4-**الرفاه المادي** : الناتج المحلي الإجمالي للفرد الواحد ، وتعادل القوة الشرائية بالدولار. المصدر : وحدة الاستخبارات الاقتصادية.

5-**الاستقرار السياسي والأمن العام المصدر** : وحدة الاستخبارات الاقتصادية.

6-**المناخ والموقع الجغرافي** : خط العرض ، للتمييز بين الدافئة والباردة نسبيا. المصدر : وكالة المخابرات المركزية الحقائق العالمية.

7-**الأمن الوظيفي** : معدل البطالة (٪) المصدر : وحدة الاستخبارات الاقتصادية.

8-**الحرية السياسية** : متوسط المؤشرات السياسية والحريات المدنية. المصدر : دار الحرية.

9-**المساواة بين الجنسين** : تقاس باستخدام متوسط نسبة الذكور والإناث على الدخل. المصدر : تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

جدول 12: مؤشر جودة الحياة لأعلى 18 دولة وأدنى 18 دولة على مستوى العالم لسنة 2015 .

الدول ذات مؤشر الجودة الأعلى	الدول ذات مؤشر الجودة الأدنى

المرتبة	الدول	من أصل 10	المرتبة	الدولة	من أصل 10
1	ايرلندا	8.333	94	البوسنة	5.218
2	سويسرا	8.068	95	غانا	5.174
3	النرويج	8.015	96	قزغيزستان	5.082
4	لوكسمبورغگ	8.051	97	سوريا	5.052
5	السويد	7.937	98	أوكرانيا	5.032
6	أستراليا	7.925	99	مولدوڤا	5.009
7	أيسلندا	7.911	100	بلاروس	4.978
8	إيطاليا	7.810	101	أوغندا	4.879
9	الدنمرك	7.797	102	تركمانستان	4.870
10	إسپانيا	7.727	103	قيرغيزستان	4.846
11	سنغافورة	7.719	104	بتسوانا	4.810
12	فنلندا	7.618	105	روسيا	4.807
13	U.S.A	7.615	106	أوزبكستان	4.767
14	كندا	7.599	107	طاجيكستان	4.754
15	نيوزيلندا	7.436	108	نيجريا	4.505
16	هولندا	7.433	109	تنزانيا	4.495
17	اليابان	7.392	110	هايتي	4.090
18	هونگ كونگ	7.347	111	زيمبابوي	3.892

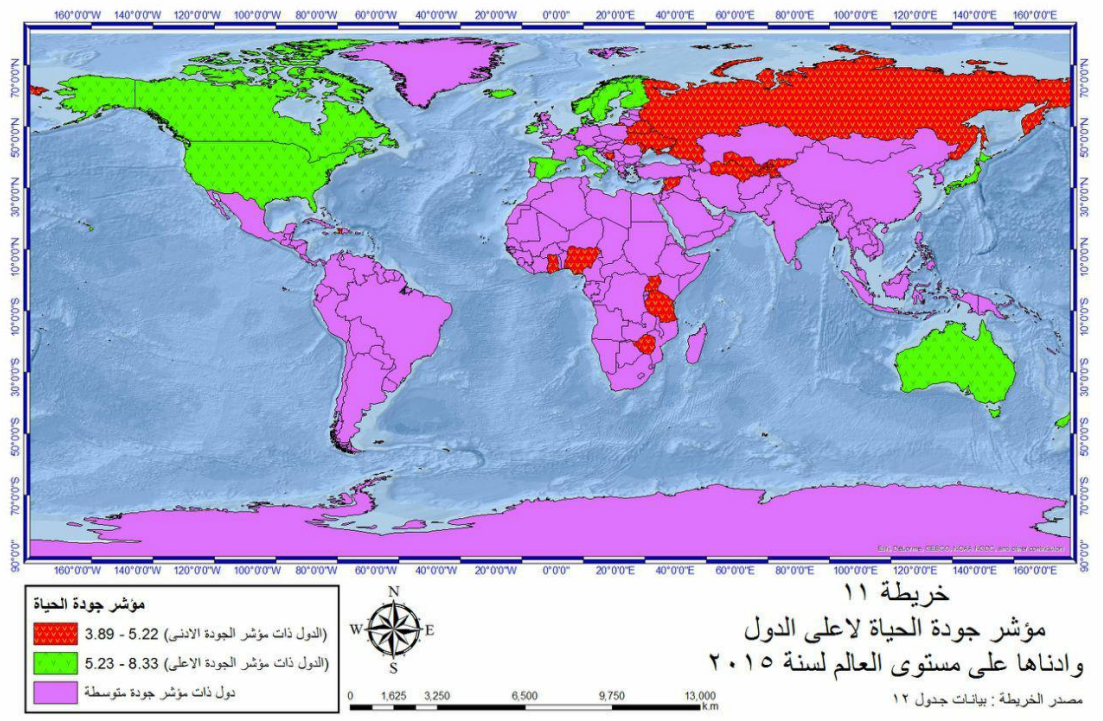

خريطة ١١
مؤشر جودة الحياة لاعلى الدول وادناها على مستوى العالم لسنة ٢٠١٥
مصدر الخريطة : بيانات جدول ١٢

خامسا–الإنتاج الزراعي في الوطن العربي

تبلغ المساحة الإجمالية للوطن العربي حوالي 1402 مليون هكتار أي بنسبة 10.2% من إجمالي مساحة اليابسة في العالم ، وتقدر الأراضي القابلة للزراعة بحوالي 197 مليون هكتار (14.1%) من المساحة الإجمالية ، فيما تشكل الغابات 2.1% ، والأراضي المخصصة للرعي تشكل 22.3% ،إلا أن الزراعة لا تشكل سوى 13% من الإنتاج المحلي للوطن العربي.

بينما تبلغ مساحة الأرض الصالحة للزراعة في فرنسا نحو 32.5% من مجمل مساحة الأرض الفرنسية، وقد دخلتها مكننة متطورة جداً، وأصبحت توفر نحو 4% من قيمة الناتج العام في البلاد، وهو موزع بين 52% للمنتجات النباتية و48% للمنتجات الحيوانية. وتبلغ المساحة التي تغطيها الغابات في فرنسا 26.9%.

بلغ إنتاج فرنسا من القمح نحو 15 مليون طن في عام 1972، ثم تطور الإنتاج حتى وصل إلى 30582 ألف طن في عام 2003، شاغلة المرتبة الرابعة في العالم بإنتاج القمح، والذي تنتشر زراعته في مختلف الأقاليم الفرنسية، لكنه يجود بوضوح في المناطق الشمالية حيث الترب الخصيبة، أو حيث تستخدم الأسمدة على نطاق واسع، كما في سهول الفلاندر الفرنسية، وشمالي الألزاس، وشمالي بريتاني.

كان الناتج المحلي الإجمالي لكل ساعة عمل في فرنسا 47.2 دولار أمريكي، حيث صُنِفت فرنسا بعد بلجيكا (48 دولار أمريكي لكل ساعة)، وقبل الولايات المتحدة (43.5 دولار أمريكي لكل ساعة)، وألمانيا (40.6 دولار أمريكي لكل ساعة)، والمملكة المتحدة (37.7 دولار أمريكي لكل ساعة)، واليابان (30.9 دولار أمريكي لكل ساعة) .

على الرغم من أن معدل الإنتاج أعلى من الولايات المتحدة، الناتج المحلي الإجمالي لفرنسا لكل فرد أوطأ من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي لكل فرد. في الحقيقة، في 2003، 41.5% من سكان فرنسا يعملون، مقابل 50.7% في الولايات المتحدة، و 47.3% في المملكة المتحدة.

عودة إلى البلاد العربية إذ تنتشر الأراضي الزراعية في الوطن العري حول الأنهار الداخلية الكبرى : النيل والفرات ودجلة ، وفي المناطق الساحلية المتوسطية والأطلسية. وذلك لتوافر المناخ المناسب والمياه الغزيرة في المناطق المذكورة ، بخلاف المناطق الداخلية والصحراوية التي لا تمتلك تلك المزايا المناسبة للزراعة ، ومن جهة أخرى فان معظم القوة العاملة والموارد البشرية في الوطن العربي تعمل في مجال الزراعة .إذ تبلغ نسبتها 65% من إجمالي القوة العاملة ، وكذلك تشير البيانات المتوافرة إلى أن القوة العاملة في البلدان العربية تمثل 32% من مجموع السكان أي ما يعادل 92 مليون عامل .ويستحوذ قطاع الزراعة على نسبة 30 % من مجموع القوة العاملة وهو ما يعادل 27.4 مليون عامل .

وتعتبر الزراعة المطرية هي الأكثر انتشارا في الدول العربية بالرغم من الأنهار الموجودة فيها ، إذ تشغل الأراضي التي تعتمد على الزراعة المطرية نسبة 53% من مساحة الأراضي التي تزرع بالمحاصيل الموسمية ،فيما تشغل الأراضي المروية نسبة 16% والأراضي التي تترك بورا بدون زراعة 31% من المساحة الإجمالية للأراضي التي تزرع بالمحاصيل الموسمية .

يمكننا تقسم المحاصيل الزراعية في الوطن العربي إلى الأقسام الآتية :

1-الحبوب الغذائية :وأهمها القمح والرز والشعير والذرة، تتصدر القمح محاصيل الحبوب من حيث المساحة وكمية الإنتاج وأنتجت البلدان العربية من القمح 29 مليون طن سنة

2013 ، وتمثل المساحة المزروعة بالحبوب 64% من مجموع المساحة العربية المزروعة . وتتصدر مصر والمغرب والسودان الدول العربية المنتجة للحبوب الغذائية.

2-الخضر والفاكهة : وأهمها الطماطم والبطيخ والفواكه الحمضية وتشغل المركز الثاني بين المحاصيل الزراعية في الوطن العربي من حيث المساحة المزروعة والبالغة 15.6 % من إجمالي المساحة العربية المزروعة ، واهم الدول المنتجة لها هي مصر والمغرب وسوريا والعراق، وأنتجت الدول العربية سنة 2013 من الخضر حوالي 52 مليون طن ،ومن الفاكهة حوالي 33 مليون طن .

3- المحاصيل الزيتية : وأهمها الزيتون والفول السوداني والسمسم وفول الصويا ، وتمثل الأراضي المزروعة بها حوالي 15% من المساحة المزروعة في الوطن العربي،ويتركز إنتاجها في المغرب ومصر وسوريا والسودان .

4- المحاصيل السكرية: وأهمها قصب السكر الذي يتركز في مصر والسودان ، والشاهبندر السكري الذي يتركز في مصر والمغرب وسوريا ،وهي من اقل المحاصيل انتشارا في الوطن العربي .إذ لا تتعدى المساحة المزروعة بها 0.9% من إجمالي المساحة المزروعة في الوطن العربي.

وفيما يأتي نسبة مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي على مستوى بعض الدول العربية :

1- السودان 34.2%

2- العراق 32.1%

3- سوريا 25.6%

إذ تختلف الأهمية النسبية لهذا القطاع في الاقتصاديات العربية اختلافا واضحا تبعا لاختلاف توزيع الموارد بينها.بينما بلغت نسبة مساهمة الزراعة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة 1% لكل منهما ،فيما بلغت 2.2% في فرنسا وايطاليا وكندا و12% في الصين.

ونظرا للتفاوت في أهمية القطاع الزراعي في الهيكل الاقتصادي للدول العربية فان أهمية هذا القطاع في استقطاب وتشغيل اليد العاملة تتفاوت كذلك بين الدول العربية ، إذ يظهر التوزيع القطري للسكان الزراعيين تباينا واضحا بين المجموعة العربية ، استقطب قطاع الزراعة حوالي :

1- 72% من مجموع القوى العاملة الكلية في الصومال .

2- 62% في السودان .

3-53.4% في موريتانيا .

4-52.6% في اليمن .

5- 40.2% في عمان .

6-37% في المغرب.

7-30% في مصر .

8- 28.3% في سوريا.

ويعمل 60 ٪ في بنغلاديش في الزراعة كمثال للدول المتخلفة ،ويعمل 52 ٪ من مجموع القوى العاملة في الزراعة في الهند على الرغم من الانخفاض المطرد من حصته في الناتج المحلي الإجمالي، وبصورة عامة يلاحظ تراجع السكان الزراعيين في البلدان العربية في الآونة الأخيرة ولو بنسب متفاوتة.

ويتفاوت متوسط نصيب الفرد من الناتج الزراعي في الدول العربية حيث بلغ 1000 دولار في العراق ويتراوح بين 743و244 دولار في الإمارات والسعودية ولبنان وسورية وتونس ويقل عن 100 دولار في البحرين واليمن والكويت والأردن .

من جانب آخر تقدر الموارد المائية المتاحة في الدول العربية من كافة المصادر بنحو 259 مليار $م^3$، ويبلغ متوسط نصيب الفرد من تلك الموارد حوالي 890 $م^3$ /سنة، وتقدر الموارد المائية المستغلة حوالي 19 مليار $م^3$ أي 75% من إجمالي الموارد ، وتستحوذ الزراعة على 87% من استخدامات المياه.

وعلى الرغم من عمليات التوسع الزراعي في الوطن العربي في السنوات الأخيرة فان الوطن العربي ما زال يحتاج إلى الاستيراد الخارجي لكثير من المحاصيل الغذائية. إذ يستورد العرب نحو نصف حاجتهم من المواد الغذائية الرئيسة، وهذا يتطلب تعزيز الإنتاج الغذائي العربي بحزمة تدابير. لخص ذلك بالتقرير السنوي للمنتدى العربي للبيئة والتنمية »أفد« 2014 عن حالة الأمن الغذائي العربي.

وأوضح التقرير أن العجز الغذائي من خلال نسبة الاكتفاء الذاتي تبلغ نحو 46 %

للحبوب، و37 % للسكر، و54 % للدهون والزيوت، أي إن العجز يصل إلى نحو نصف الحاجة من المواد الغذائية الأساسية.وفيما يأتي إدراج أهم سمات الإنتاج الزراعي العربي:

1-تدني إنتاجية الحبوب

تدني إنتاجية الحبوب في المنطقة العربية بشكل إجمالي، لاسيما الحبوب الرئيسة، إذ تبلغ نحو 1133 كغم/ للهكتار في خمسة من البلدان الرئيسة في إنتاج الحبوب (الجزائر والعراق والمغرب والسودان وسورية)، مقارنة بمتوسط عالمي يبلغ نحو 3619 كغم للهكتار. وتبين بحوث المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (إيكارداICARDA) زيادات جديرة بالاعتبار في غلة القمح في حقول تجريبية، مقارنة بحقول المزارعين في كل من الأنظمة المروية والمطرية في بلدان مثل مصر والمغرب والسودان وسورية وتونس.

وثمة أهمية حاسمة لتحسين إنتاجية المحاصيل في الأراضي المطرية التي تشكل أكثر من 75% من الأراضي المزروعة في المنطقة العربية. وتشير «الفاو» و»إيكاردا» إلى أشكال مختلفة لجمع مياه المطر، تشمل الحفظ في الموقع الزراعي، والري بمياه السيول، والتخزين من أجل الري التكميلي. واظهرت برامج في بعض البلدان النامية أن الغلال قابلة للزيادة بمعدل ضعفين أو ثلاثة أضعاف من خلال استخدام مياه المطر المجمعة، مقارنة بالزراعة الجافة التقليدية. ويمكن لزيادة متوسط غلة الحبوب المطرية من مستواها الحالي البالغ نحو 800 كغم للهكتار إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف، أن تضيف ما بين 15 و30 مليون طن من الحبوب إلى الإنتاج السنوي الحالي البالغ نحو 51 مليون طن في المنطقة العربية. ولتعزيز غلة الحبوب في المناطق المروية والمطرية إمكانية جديرة بالاعتبار لتحسين الاكتفاء الذاتي الغذائي في المنطقة العربية، من خلال زيادة البحوث الزراعية، ونقل التكنولوجيا، والاستثمار في الزراعة المطرية. ويعد تطبيق أفضل الممارسات الزراعية حاسما، وهي تشمل الاستخدام الأمثل للأسمدة والمبيدات وغيرها من المدخلات، إلى جانب الإدارة الجيدة للموارد الزراعية المتوافرة. لكن تأثير تغير المناخ في المنطقة العربية يُتوقَع أن يظهر من خلال تراجع حاد في إنتاجية الحبوب، وتتطلب مواجهته تبنيا لتدابير فاعلة على صعيد التأقلم مع الظاهرة والتخفيف من تداعياتها.

2-تدني كفاءة الري

يعد إنتاج مزيد من المحاصيل الزراعية بمياه أقل خيارا يحمل أهمية كبرى في تعزيز الأمن الغذائي للبلدان التي تعاني ندرة في المياه. وهو يعتمد على اختيار النوع الصحيح من القنوات لنقل المياه إلى الحقول، واعتماد وسائل أكثر فاعلية للري مثل الرش أو التنقيط.

ويقل متوسط كفاءة الري في 19 بلدا عربيا عن 46 %. ويقدر أن رفع هذا الرقم إلى 70% كفيل بتوفير 50 مليار متر مكعب من المياه سنويا. وفيما يقدر أن الري المطلوب لكل طن من الحبوب يبلغ 1500 متر مكعب، يمكن للكمية الموفَرة من المياه أن تكفي لإنتاج أكثر من 30 مليون طن من الحبوب، أو 45% من واردات الحبوب بقيمة 11.25 مليار دولار وفق أسعار 2011.

هناك مليار ونصف مسلم نترك نصفهم كأطفال يبقى مليار مسلم ، مليار مسلم يعني 15 مليار وضوء في اليوم بالعالم، لأنه ممكن حفظ الوضوء لصلاتين 5 لتر ماء لكل وضوء يعني 5 مليارات لتر /يوميا ،وهذا يكفي ل:6000 مسبح اولمبي و 430.000.000 مكعب من الفواكه والخضر و 5.000.000 كيلو غرام رز و 1000000 كغم لحم و2000000 فرد يتغذى و11000000 كغم ذرة .

3-تحسين إنتاجية المياه على الصعيد الاقتصادي والعملي

فضلا عن زيادة كفاءة الري، يمكن رفع إنتاجية المياه على أي من الصعيدين الاقتصادي أو العملي، من خلال تخصيص المياه لمحاصيل أعلى قيمة أو إنتاج محاصيل أكثر في مقابل كمية المياه نفسها. ويعتمد انتقاء خيار من الاثنين على الأهمية التي تعلقها البلاد على قيمة المحاصيل أو كميتها في السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي الأوسع.

ويمكن تعزيز إنتاجية المياه بمزيج من العوامل التي تشمل الممارسات الزراعية المحسنة، مثل أساليب الري الحديثة، والتصريف المحسن، والزراعة الحمائية أو الزراعة من دون حراثة، والبذور المحسنة المتوافرة، والاستخدام الأمثل للأسمدة، والتقنيات المبتكرة لحماية المحاصيل، وخدمات الإرشاد الفاعلة. ولا تقتصر فوائد ممارسات زراعية مثل جمع المياه، والري التكميلي والناقص، وحفظ المياه، والزراعة العضوية، على زيادة إنتاجية المياه فحسب، بل تكتسب أيضا أهمية كبيرة في تعزيز الاستدامة الزراعية. كذلك يمكن تعزيز إنتاجية المياه

أكثر من خلال تغيير عادات الاستهلاك باتجاه محاصيل ذات استخدام أقل كثافة للمياه وذات قيمة غذائية مماثلة.

4-ضرورة تطوير الثروتين الحيوانية والسمكية

تملك البلدان العربية موارد جديرة بالاعتبار على صعيد الثروتين الحيوانية والسمكية. وهي شبه مكتفية ذاتيا على مستوى الأسماك، لكن نحو 25 % من الطلب على اللحوم يلبى عن طريق الواردات. ويتوقع أن تزيد هذه النسبة في المستقبل بسبب زيادات السكان والثروة والتحضر.

تواجه إنتاجية قطاع الثروة الحيوانية في المنطقة العربية عقبات بسبب ضآلة الموارد، خصوصا تدهور المراعي وعدم كفاية الأعلاف والمياه. وأثر غياب الدعم عن البنية التحتية والخدمات والسياسات العشوائية وآثارها السلبية على قطاع الثروة الحيوانية. وأدى إنتاج الأعلاف محليا إلى تدهور الموارد المائية غير المتجددة وتراجع المراعي وموارد الأعلاف، ما أدى إلى فقدان التنوع الحيوي وتدهور التربة وبالتالي إلى تراجع إنتاجية الثروة الحيوانية. وفي مواجهة الجفاف الشديد والمساحات الكبيرة للأراضي الهامشية، يبقى النظامان الرعوي والمطري لتربية الثروة الحيوانية الأكثر مرونة، لذلك ثمة حاجة إلى سياسات تدعم حركة هذين النظامين ووصولهما إلى المراعي. كذلك تقدم الأنظمة المتكاملة لإنتاج المحاصيل والثروة الحيوانية فرصا لزيادة الإنتاج الإجمالي والتنوع والاستدامة الاقتصادية للقطاعين معا. وتوفر الثروات السمكية في البلدان العربية إمكانات كبيرة، ليس لتلبية الطلب المحلي فحسب بل كذلك للتصدير. وقد بلغت صادرات الأسماك 912,460 طنا بقيمة نحو ثلاثة مليارات دولار في 2013. لكن يمكن زيادة هذه الصادرات أكثر، ويتطلب إطلاق العنان لإمكانات قطاع الثروة السمكية معالجة المشاكل والاختناقات المختلفة التي تواجه تطويره. والأهم أن ثمة حاجة إلى الاستثمار في هذا القطاع، إلى جانب أمور أخرى تشمل تطبيق قوانين وتشريعات على الصيد وعلى نشاطات تربية الأسماك، وذلك لضمان استدامة القطاع ومساهمته في رفاهية البلاد. وتعد الحوكمة المشتركة لمخزونات الثروة السمكية في البلدان العربية حاسمة أيضا، فالحدود العابرة للبحار تتأثر بسلامة تجمعات مائية كاملة.

ولا تقل الأسماك كمصدر للبروتين الغذائي أهمية عن اللحوم. ويجب التشجيع على استهلاك الأسماك للحد من الاستهلاك المفرط للحوم لأسباب اقتصادية وصحية، وكذلك التفكير في تأثير إنتاج الثروة الحيوانية على الموارد المائية النادرة والبيئة. وثمة حاجة عموما إلى حملة توعية لتشجيع المستهلكين على تكييف عاداتهم على صعيد استهلاك الغذاء باتجاه أنماط صحية أكثر، تؤمن في الوقت عينه استدامة الموارد الزراعية.

5-استخدام مياه الصرف المعالجة زراعيا

لا تزال مياه الصرف غير مستغلة إلى حد كبير في الاستخدام الزراعي عبر البلدان العربية. فالكمية المعالجة سنويا من مياه الصرف البلدي تساوي نحو 48 % فقط من نحو 14,310 مليون متر مكعب سنويا، فيما الكمية الباقية ترمى من دون معالجة. ولا تتجاوز كمية مياه الصرف المعالجة المستخدمة في الري الزراعي 9 % من الإجمالي في بلدان مثل مصر والأردن والمغرب وتونس، فيما بلدان مجلس التعاون الخليجي تستخدم نحو 37 % من مياه الصرف المعالجة في الزراعة.

ويعود ارتفاع نسبة مياه الصرف المعالجة المستخدمة زراعيا في بلدان مجلس التعاون مقارنة بالبلدان العربية الأخرى إلى الندرة الحادة في موارد المياه العذبة، والضغط الهائل على هذه الموارد من خلال السحب للاستخدام الزراعي، إلى جانب تبني معايير محسنة للمعالجة من أجل ضمان الاستخدام الآمن للمياه المعالجة. لكن مع المستويات المختلفة للمعالجة المناسبة، يمكن إعادة استخدام مياه الصرف كمصدر لنشاطات متعددة، زراعية وصناعية ومنزلية، ما يخفف الضغط على موارد المياه العذبة والبيئة.

وإذ يعتمد إنتاج الغذاء في البلدان العربية بشدة على الزراعة المطرية وتتناقص موارد المياه العذبة بسرعة، يجب تشجيع البديل المتمثل بإعادة استخدام المياه للري. وتؤكد «الفاو» أن التحول من الزراعة المطرية إلى المروية لا يقتصر على زيادة غلال معظم المحاصيل بنسبة 100 إلى 400% فحسب، بل يمكن أيضا أن يسمح بزراعة محاصيل بديلة تحقق دخلا أعلى وتعطي قيمة أكبر.

6-خسائر ما بعد الحصاد

تعزى الأسباب الرئيسة لهذه الخسائر إلى وسائل غير مناسبة مستخدمة في حصاد المحاصيل ومعالجتها ونقلها وتخزينها، إلى جانب خدمات لوجستية غير فاعلة على صعيد

سلسلة إمدادات الواردات. ويقدر أن الخسائر السنوية للحبوب في البلدان العربية بلغت نحو 6.6 ملايين طن في 2012. كذلك تصل خسائر القمح المستورد في بعض البلدان العربية إلى نحو 3.3 ملايين طن بسبب خدمات لوجستية غير فاعلة على صعيد الاستيراد. وتبلغ القيمة الإجمالية لخسائر ما بعد الحصاد للحبوب وخسائر واردات القمح إلى نحو 3.7 مليارات دولار وفق أسعار 2011، ما يمثل 40% من القمح المنتج في البلدان العربية كلها في حساب القيمة. وهذا يساوي قيمة نحو أربعة أشهر من واردات القمح.

إن لتقليص الخسائر في الحبوب على امتداد سلسلة الإمداد الغذائي أهمية كبرى. فخسائر كهذه تمثل هدرا في الإمداد الغذائي وموارد طبيعية أخرى، تشمل الأرض والمياه والطاقة والأسمدة والمبيدات والعمالة. ويتفاقم الأمر بضرر بيئي يشمل انبعاث مفرطة من غازات الدفيئة تصدر عن النشاطات الزراعية على امتداد السلسلة الغذائية.

يعاني العالم العربي من فجوة غذائية كبيرة بين إنتاج الغذاء والطلب عليه، حيث يستورد نحو 55% من احتياجاته من المواد الغذائية، وقدر العجز الغذائي في العام 2012 بحوالي 35 مليار دولار.إذ تساهم الزراعة بنحو 13% من الإنتاج المحلي في الوطن العربي وهي نسبة متدنية جدا.

ويشكل الأمن الغذائي في السودان الأقل على مستوى الوطن العربي حيث تجاوزت النسبة 50% في البلد الذي من المفترض أن يزود الوطن العربي والعالم بمنتجاته الزراعية وليس سكانه فحسب. ويُذكر أن الصراع الدائر في السودان مثل دومًا عائقًا أمام تحقيق الأمن الغذائي بالإضافة لعدم توجيه الموارد المالية الكافية أو رسم السياسات المالية المناسبة التي تؤدي إلى تنمية القطاع الزراعي بالشكل المنوط به .

طوال السنين لم يستفد قطاع الزراعة في العالم العربي من الخطط الخمسية التنموية الموضوعة من قبل الحكومات ولا من تدفق الاستثمارات الأجنبية عليها، إذ لم يكن القطاع الزراعي إحدى أهم أولويات الحكومات المتعاقبة لتحسينه وسد العجز الغذائي ولم تنجح أيًا من الدول العربية بأن تتصدر العالم لتكون سلة العالم الغذائي، علمًا بأن أهمية قطاع الزراعة تحتم على اقتصاديات العالم العربي وضع كل وزنها لتطوير هذا القطاع والريادة فيه.

تكثر الأسباب التي ساهمت ولا تزال في ضعف الإنتاجية الزراعية على مستوى الوطن العربي وتزايد العجز في سد احتياجات السكان من المواد الغذائية على المستوى القطري وعلى مستوى الوطن العربي ويمكن إجمالها بما يأتي[3]:

1 – معوقات في مجال استعمال الموارد في إنتاج المواد الغذائية، وهذا يشمل مياه الري وأنظمة الصرف، خصائص الأرض الزراعية واستعمالاتها، النمط المحصولي وقابلية الأرض لإنتاج محصول دون آخر، ضعف الإجراءات والتشريعات لحماية مصادر إنتاج الغذاء.

2 – معوقات في مجال التسويق والسياسات التموينية وهذا يتضمن السياسات السعرية للمنتجات الغذائية وخاصة الزراعية، (انخفاض الأسعار بصورة عامة)، اللجوء إلى سياسات تموينية مهنية على الاستيراد، ضعف الإمكانيات المتمثلة بعدم توفر الأسواق المركزية المنظمة وانخفاض مستوى الخدمات التسويقية، صعوبة تبادل المنتجات الغذائية والاتجار بها بين أقطار الوطن العرب بسبب القيود التي تفرضها السلطات المحلية في كل قطر.

3 – معوقات في مجال استخدام المدخلات Inputs أو مستلزمات الإنتاج بما في ذلك البذور والأشتال، الآلات الزراعية، الأسمدة الكيماوية والمبيدات.

4 – معوقات في مجال استخدام العلوم والتقنية الحديثة في عمليات الإنتاج، وهذا يتضمن عدم وجود مؤسسات أو ضعف دورها في تقديم الخدمات التقنية مما يؤدي إلى استيراد التقنية من خارج الوطن العربي.

5 – تخلف اقتصاديات الإنتاج الحيواني.

6 – عدم وجود تنسيق وتكامل بين قطاعي الزراعة والصناعة والضعف في تأمين الحاصلات الصناعية من الزراعة.

7 – إغفال السياسات الزراعية الحكومية في حال وجودها . لأهمية دور الدولة في ضبط إيقاع التنمية الزراعية لتتوافق مع التنمية الشاملة والاحتياجات الفعلية لتأمين الأمن الغذائي . وبخاصة السياسات الآتية :

– سياسات التسعير.

– السياسات المالية وبخاصة المتعلق منها بالضرائب.

– سياسة الدعم وتشجيع الزراعة.

– سياسة التصنيع الغذائي.

– سياسة استخدام المكننة الزراعية.

8 – ضعف مؤسسات إدارة النشاط الزراعي ، وتداخل الصلاحيات.

9 – عدم مراعاة برامج الإصلاح الاقتصادي التي تم اعتمادها في بعض الدول العربية خصائص الزراعة العربية.

10 – ضعف وسائل التسويق للمنتجات الزراعية ، وبخاصة المحاصيل الموسمية.

11 – تدني الإنتاجية في قطاع الزراعة.

12 – ضعف سياسات التخزين وبخاصة وسائل التخزين من الاهراءات والصوامع، ووسائل التخزين المبرر للخضار والفواكه والمنتجات الحيوانية (اللحوم والألبان) . مما قد يؤدي إلى هدر أو تلف قسم من الغلال.

13 – ضعف التصنيع الغذائي في الوطن العربي.

14 – ضعف استخدام المكننة الزراعية والنقص في الآلات والمعدات الزراعية في معظم الدول العربية. فضلا عن تدني المستوى التعليمي والمعرفي والثقافي للفلاح العربي جعله يعتمد كليا على قاعدة التجربة والخطأ للوصول إلى تحسين الإنتاج بدلا من استخدام المعايير العلمية في ذلك، وتتحمل الحكومات العربية هذا التخلف والتأخر في الإنتاج،بسبب اهتمامها أولا بمصالحها الخاصة والنهب والسرقة من أموال الشعب بدلا من الاهتمام بتنميته ، أو أنها تريد أن يبقى الشعب جاهلا لكي تكرس تبعيته لها وبقاءها في الحكم وقتا أطول[4].

كما واجه الاستثمار الزراعي العربي ثلاثة أنواع من المعوقات التي حدت من إمكانيات تطويره وأهمها:

1 . الظروف الاستثمارية المناوئة التي تمثلت في قصور السياسات الزراعية والاقتصادية والمالية والنقدية والمؤسسية والمرفقية بالإضافة إلى نقصان القوانين والتشريعات المناسبة، والمعوقات الناجمة عن الضرائب والرسوم والتعريفات الجمركية .

2 . نقص المعلومات الكافية عن فرص الاستثمار، وإقامة المشاريع بصورة عفوية من دون دراسة الأسواق والاحتياجات والمتطلبات قبل الشروع بالاستثمار. والسبب الرئيسي في ذلك

هو ضعف وتخلف هياكل وخدمات المؤسسات الحكومية العاملة في القطاع الزراعي وخاصة التسويقية منها .

3 . القيود القطرية المعرقلة لحركة الاستثمار الزراعي البيني العربي وأهمها محددات الاستثمار التشريعية والقيود التجارية التعريفية والإدارية الأمر الذي أدى بدوره إلى إهمال تطوير مرافق الربط الأساسية بين البلاد العربية" [5].

الأيثانول ... البديل المنتظر

بالمقابل تتجه الدول الآن لا سيما الصناعية – على خلاف ما نعتقد – إلى الاهتمام بزراعة المحاصيل الزراعية(القمح – الذرة – قصب السكر .. الخ) ليس بسبب الغذاء فقط و لكن لاستخراج المادة الحيوية المعروفة (الايثانول) لاستخدامها كبديل للطاقة أمام البترول الذي يبدو انه يحتضر ، هذا ما تتنبأ به الأخبار العالمية بانتهاء عصره في غضون السنوات القليلة القادمة.

ومن مبشرات هذا الوقود الحيوي انه متوافر جدا في الإعشاب بصفة عامة، وفى عشب النجيلة الذي ينمو بغزار على ضفاف الترع.

ومن عشب النجيلة قام فريق من العلماء في أمريكا باستخراج مادة الايثانول ذلك الوقود الحيوي الواعد الجيد صديق البيئة ,مما يقلل من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون في الجو فيؤدى ذلك إلى الإقلال من الانبعاث الحراري في الجو بالمقارنة بالوقود البترولي ومشتقاته وبنسبة تصل إلى90%.

وان مادة الايثانول المستخرجة من هذا العشب نبات النجيلة توفر طاقة تزيد بنسبة تقترب من 540% على الكميات المطلوبة لإنتاج الوقود. أن فدان واحد من هذا العشب سريع النمو ينتج في المتوسط 320 برميل من الايثانول إلا أن عملية استخراج هذه المادة الواعدة بالخير تمر بتجارب عدة لتوفيرها بصورة اقتصادية وذلك بمقارنتها بمصادر محصولية أخرى كالقمح والذرة حيث يؤخذ من المحصول الحبوب فقط عكس عشب النجيلة يؤخذ منه النبتة بكاملها لاستخراج الوقود الحيوي.

والاتجاه الآن إلى الاهتمام بزراعة هذه الأعشاب لتوفير الوقود الحيوي المطلوب للمصانع، ومجالات الاستثمار المتشعبة، فمعظم الدول الصناعية تتجه الآن إلى العودة للزراعة بتوسع

لتـــــوفير الغـــــذاء و الوقـــــود معـــــا فـــــي وجـــــود بيئـــــة نظيفـــــة.

سادسا-الإنتاج الصناعي في الوطن العربي

كانت الصناعة في الوطن العربي حتى القرن التاسع متأخرة إلى درجة كبيرة؛ لأنّها كانت مختصرة على تزايد عدد السكان، وتوفير ما هو ضروري من احتياجات الناس كالملابس والأغذية وبعض الأدوات المنزلية، والتي كانت في مجملها بسيطة، يمكن التحكم فيها بواسطة الأيادي العاملة والقسم الآخر بواسطة الحيوانات، لكن تنشيط الصناعة وخروجها من دائرة التخلف يرجع إلى محمد علي الكبير، الذي أدخل العديد من المصانع إلى مصر، وأصبحت هي القطر العربي الوحيد المتطور صناعياً، لكن زوال محمد علي سياسياً أدى إلى تراجع بعض الصناعات المحلية، وأصبحت عاجزة عن منافسة الصناعات الأجنبية. وعندما تطورت وسائط النقل والمواصلات وأصبح التواصل بين الأقطار العربية متاحاً، بدأت بإرسال بعثات علمية لتدريب واكتساب الخبرات، بسبب حاجتها الملّحة لبعض الصناعات، علماً بأنّ معظم الصناعات العربية هي صناعات استهلاكية؛ بسبب الحصول على المواد الخام التي تدخل في إنتاجها وتوافر المعدات و المهارات الفنية والإدارية اللازمة لإدامتها.

هناك دول عربية يسهم الدخل الصناعي فيها بنسب عالية في إجمالي الناتج المحلي كما هو الحال في عشر دول عربية على الأقل ، ففي السعودية 55.4% وقطر 54% والجزائر 49% واليمن 46.6% والكويت 46% وليبيا 43% والإمارات 33.85 والبحرين 33.4% والمغرب 32% ،ويغلب على هذه الدول جميعها فيما عدا المغرب الاعتماد على تكرير النفط وتصدير مشتقاته والتوسع في صناعته والاستثمار فيه بجانب صناعة الغاز الطبيعي واستثماره أيضا.

إلا أن مساهمة هذا القطاع الصناعي في احتواء العمالة تعد قليلة فهي لا تتعدى 11% في السعودية و7.5% في قطر و22.1% في الجزائر و12.7% في عمان و1.01% في اليمن و30.5% في ليبيا و33.8% في الإمارات و31.5% في البحرين و21% في المغرب ، الأمر الذي يدل على أن قطاع الصناعة ولا سيما البترولية آلية لا تعتمد على العمالة الكثيفة.

ولا يعد الارتفاع في نسبة مساهمة الدخل الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي بنحو نصف الدول العربية عن 30% مؤشرا على التقدم الصناعي العربي ، ولكن يغلب على معظم هذه الصناعات الصفة الاستخراجية بصورة تزيد على التحويلية في اغلب الدول العربية ،كما أن الإنتاج الصناعي التحويلي في المنطقة العربية لا يتجاوز 4.5% من الإنتاج الصناعي التحويلي في الدول النامية ، ويتركز نحو نصف نشاط الصناعة التحويلية في ثلاث دول عربية فقط هي مصر والسعودية والجزائر.

أنواع الصناعات في الوطن العربي

أكثر الصناعات انتشارا في الوطن العربي هي:

*الصناعات البدائية: وهي الصناعات القديمة والبسيطة التي لا تحتاج إلى خبرات، ولا معدات ثقيلة وأيادي عاملة قليلة، مثل المواد الغذائية، وصناعة التحف وصناعات الحفر على المعادن.

*الصناعات المتوسطة: تهدف إلى مساعدة الصناعات الحديثة، وهي الصناعات التي تحتاج إلى أيادي عاملة، وخبرات متوسطة وكذلك معدات، مثل الغزل والنسيج والأسمدة الكيماوية.

خصائص الصناعة في الوطن العربي ومشاكلها

ينتج عن الصناعات في البلدان العربية مشاكل كثيرة بسبب عدم استخدام تقنيات التخلص من نواتجها ندرجها كالآتي:

-التلوّث الجوي الحاصل نتيجة انبعاث الغازات الضارة من المصانع، وعدم وجود آليات سليمة للتخلص منها، لا سيما وأن الكثير من المصانع في الوطن العربي قريبة من المناطق السكنية، ومصادر المياه والزراعة، وبالتالي التأثير السلبي على الإنتاج الزراعي.

- غلاء أسعار المواد الخام اللازمة لتسيير القطاع الصناعي، فضلا عن ارتفاع التكاليف الإنتاجية.

-استنزاف واستهلاك الكثير من الموارد الطبيعية، لا سيما المياه التي تهدر بشكل كبير.

- خوف أصحاب رؤوس الأموال، وقلة إقبالهم على الاستثمار في المجالات الصناعية.

-التهرب الضريبي والجمركي من أصحاب المصانع.

– رداءة الجودة للمنتجات الصناعية.

–التكاليف الزائدة لمصادر الطاقة؛ مثل: الكهرباء والنفط. نقص ذوي الخبرة والكوادر الفنية المختصة.

–هجرة أصحاب العقول إلى خارج الوطن العربي.

– إلقاء المخلفات السامة الناتجة عن بعض المصانع في المصادر المائية، مما يؤدي إلى تلوث المياه، وموت الثروة السمكية.

– كثرة الواردات، وقلة الصادرات، والاعتماد على الصناعات الخارجية والتبعية الاقتصادية.

–قلة الاهتمام بتطوير القطاع الصناعي.

–قدم ورداءة التقنيات المستخدمة في قطاع الإنتاج الصناعي، والاعتماد بشكل كبير على الأيدي العاملة.

–ضعف وقلة التمويل للمصانع القائمة بسبب ضعف المنطقة اقتصادياً.

–عدم وجود مراكز الخدمات الصناعية التي تعنى بتقديم المشورة بكل ما يتعلق بتطوير الصناعة؛ كالأمور الفنية والمالية.

– قلة الأجور، وضعف الرعاية الصحية للعاملين في القطاع الصناعي.

– ضعف المردود المادي نتيجة غلاء الأسعار، فضلا عن محدودية دخل الأفراد.

عوامل ضعف الصناعة العربية

توجد مجموعة من العوامل التي أدت إلى ضعف الصناعة العربية في بعض الدول، وهي:

*غياب دور المشاريع الإنتاجية الابتكارية؛ بسبب معاناة بعض الدول من قلة الموارد الاقتصادية مما أدى إلى قلة وجود أفكار مبتكرة في المجالات الصناعية، وصار الاعتماد عليها مرتبطاً في الصناعات الخارجية، مثل: صناعة السيارات.

*عدم نجاح معظم الأفكار الإنتاجية المستوردة، بمعنى أن أغلب المصانع اعتمدت على مجموعة من الأفكار الدولية، وحاولت أن تطبقها في مجال الإنتاج المحلي، ولكنها لم تنجح كما كان متوقعاً، مما أدى إلى توقف الإنتاج عن العمل.

* تأثير الحروب الأهلية والإقليمية، ويعد من العوامل الرئيسة؛ إذ إن الحروب التي واجهتها بعض الدول العربية أدت إلى التأثير سلبياً على مواردها الاقتصادية، وتدمير أساسات أغلبها، مما أدى إلى ضعف في الإنتاج المحلي الخاص في هذه الدول.

*ضعف الربط بين الإنتاج، والسوق المحلي، أي أن بعض المصانع الإنتاجية تقوم بصناعة منتجات غير شعبية، أي لا تتناسب مع أغلب فئات السكان مما يؤدي إلى ضعف في معدلات الاستهلاك، وزيادة في عدد المنتجات غير المباعة.

* غياب دور التسويق الفعال؛ لأن الدعاية، والإعلام يساهمان في تطوير الطبيعة الإنتاجية في مؤسسة، أو شركة ما، وعند غياب الوسائل التسويقية المناسبة للسلع المنتجة، سوف تقل معدلات الطلب عليها بشكل واضح.

* الاعتماد على الاستثمارات الأجنبية، أي أن أغلب المصانع العربية تعتمد على دور المستثمرين الأجانب في تقديم الدعم، والحلول الإنتاجية لصناعتها، مما يؤدي إلى تغيير الاسم التجاري المحلي للمصنع، واستبداله باسم تجاري أجنبي.

* غياب الهيكلة الصناعية، بمعنى أن بعض المصانع المحلية لا تعتمد على خطط بحثية، وتطويرية، وإنتاجية تساهم في توزيع المهام بين الموظفين، والعاملين فيها مما يؤدي إلى الحد من العمليات الإنتاجية، والاعتماد على المنتجات الرئيسية، والثابتة للمصنع.

استراتيجيات معالجة ضعف الصناعة العربية

توجد مجموعة من الاستراتيجيات التي تساهم في معالجة ضعف الصناعة العربية، ومنها[6]:

1-توفير الدعم المالي

إن توفير الدعم المالي المناسب للمصانع المحلية يساهم في تحسين المستويات الإنتاجية فيها، لذلك تسعى أغلب هذه المصانع، وخصوصاً التي تعاني من الضعف الإنتاجي إلى استقطاب دعمٍ لرأسِ مالها من أجل البدء بتحديد العمليات التشغيلية المرتبطة بمجالها الصناعي، فيتم اللجوء أيضاً إلى فكرة طرح الأسهم المشاركة لدعم الأفكار الإنتاجية، ومن الأمثلة عليها: مصانع المنتجات الغذائية المعلبة، والتي يطلق عليها مسمى شركات المساهمة العامة.

2-إعداد دراسة جدوى اقتصادية مناسبة

إن إعداد دراسة جدوى اقتصادية تتناسب مع الأفكار الإنتاجية في المصانع، يساهم في توفير مجموعة من الخيارات، والبدائل المناسبة للبدء في تطبيق العمل فعلياً في المجالات الإنتاجية، وإن بعض أسباب ضعف الصناعة العربية مرتبط بغياب دور دراسة الجدوى

الاقتصادية الصحيحة لأي مشروع إنتاجي؛ لأنها تساهم في التعرف على عوامل النجاح، والفشل المرتبطة فيه.

3- جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية واستعادة قدرة الصناعة على توفير فرص عمل جديدة . وزيادة مساهمة النشاط الصناعي في إجمالي الدخل المحلي وعوائد الصادرات.

4- تحفيز الاستثمار في المجالات الآتية:

أ-الصناعات ذات القيمة المضافة العالية.

ب-تطبيقات الطاقة الجديدة والمتجددة.

ج-الصناعات التعدينية.

د-الصناعات ذات المكون التكنولوجي المرتفع .

هـ-تطوير العناقيد الصناعية داخل المناطق الاقتصادية.

و-تطبيقات إعادة تدوير المخلفات.

مصادر ومراجع الفصال الرابع:

1-محمد صالح ربيع العجيلي،ظاهرة الفقر في الوطن العربي –الواقع والأسباب والنتائج- الطبعة الأولى/ بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة ، 2007،ص11.

2-مهدي العلاف ،قياس الفقر في العراق رؤية مبسطة،بحث نشور في صحيفة الصباح في 13 مارس 2005.

3-مصطفى العبد الله الكفري، الحوار المتمدن، العدد: 723 في 24 كانون الثاني 2004.

4- انظر، د. إبراهيم سعد الدين ورفاقه، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص 73.72.

5-مي دمشقيه سرحال ، آفاق الأمن الغذائي العربي في ضوء المتغيرات العالمية في مجالي الإنتاج والتجارة، الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية،بيروت 1996 ، ص 4.

6- انظر : http://mawdoo3.com

الفصل الخامس
التخلف السياسي

أولا– في التجزئة

لعل الحقيقة الأولى التي لا يجوز إلا أن ننطلق منها من دون أن تكون بالضَّرورة أساساً لمصداقية ما بعدها، هي أن العرب أمَة واحدة. لا شك في انه سيكون هناك من يرفض هذه الحقيقة، ولا شكَ في وجود من يعترض عليها، ومن يعمل ضدها، ولكن على الرغمِ من ذلك كله فإنَ حقيقة أن العرب أمَة واحدة أمر ترفده كل الحقائق وتؤيِده كل الأدلة والبراهين. والإيمان بقوة هذه الأمَة إذا كانت موحدةً هو الذي حرَض القوى المتضررة من هذه الوحدة على العمل على تجزئتها.

تجزئة الأمَة العربية هي إذن التحقق الواقعي لإرادة المتضررين من هذه الوحدة وليست إرادة أبنائها على الإطلاق وإن وجد من أبنائها من يعمل ضدها.

لقد أدركت أوروبا هذه الحقيقة إدراكاً مباشراً في القرن التاسع عشر عندما كانت تخطِط لانهيار الدَولة العثمانيَة، فوجدت من أن من سيخلف الدولةَ العثمانيَةَ دولة عربية واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج، وتشكل بوحدتها قوة تحُد من الامتداد الأوربي والقوة الاستعمارية لهذه الدول، وتبعتها في ذلك مباشرة الولايات المتحدة الأمريكيَة الوريث الشرعي للإمبراطوريَة الأوروبيَة، تماماً كما كانت روما الوريث الشرعي للإمبراطوريَة اليونانية.

ولا عجب لذلك أن تعقد المؤتمرات والندوات والمشاورات للتعامل مع هذه الأمة. ولعل من أبرز هذه المؤتمرات المؤتمر الذي أشرف عليه وتابعه رئيس الحكومة البريطانية **كامبل بينرمان وَحَمَلَ اسمه**، وانعقد هذا المؤتمر في لندن ما بَيْنَ 1905 و1907 لدراسة وضع الوطن العربي وآفاقه المستقبلية وكيفيَة التعامل معه. وبعد سنتين من الدراسة المفصلة، والمناقشات التي شارك فيها كبار أعلام الفكر الأوربي وعلماؤه في مختلف الميادين، والمسؤولون السياسيون والاقتصاديون، خرج المؤتمرون بقائمة طويلة تبَين «كيفية تمزيق الوطن العربي جغرافيًا، وإضعافه اقتصاديا، وعلميًا وثقافيا، وتمزيق وحدته بشريا، لأنها رأت في وحدته وقوَته نفياً لوجود الإمبراطوريات الاستعمارية. وقد حدد المؤتمر مجموعة من الوسائل والأساليب المختلفة التي يجب إتباعها والعمل على تنفيذها من قبل الدول الاستعمارية مجتمعةً، **وهي إقامة حاجزٍ بشريي قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم**، ويربطها معاً بالبحر المتوسط، ويجب أن تقوم في هذه المنطقة، وعلى مقربةٍ من قناة السُويس، قوةٌ عدوةٌ

لشـــــعب المنطقـــــة، وأن تكـــــون صـــــديقةً للـــــدول الأوربيَـــــة».
وقبل ذلك بسنوات ثلاث فقط ظَهَرَ لأوَّل مرة اصطلاح الشرق الأوسط كما بين **سمير مرقص في كتابه الحماية والعقاب**، وكان ذلك على لسان أحد ضُباط البحرية الأمريكيَة سنة 1902 الذي «أكد توجهاً سياسيًّا يستهدف تغييب حقيقة الوطن العربي بوصفه كتلة بشرية مميَزة بثقافتها وعاداتها ووحدتها الجغرافية بإضافة أطر أخرى إليها مثل تركيا وإيران (وإسرائيل لاحقاً) لجعل المنطقة لوحةً من الفسيفساء لا يجمع بينها رابط، بما يرسخ الاستراتيجيا التي استهدفها الغرب بتدعيم كل ما يُفرِق ويشتت لنسف أي وحدةٍ سياسيةٍ أو أي توجهات مشتركة».
وعلى هذا الأساس جاءت الاتفاقيَة الإنجليزية الفرنسية سان . ريمون وبعدها اتفاقيَّة سايكس– بيكو المعدِلة لها سنة 1916 التي جزأت المشرق العربيَ ووزعته إلى مناطق نفوذٍ بَيْنَ فرنسا وإنجلترة، وعلى إثرها جاء وعد بلفور في الثاني من تشرين الثَّاني سنة 1917 تجسيداً لهذا المخطَّط.
هذه العقلية الغربية في التعامل مع الأمة العربية ظلَّت هي ذاتها منذ ذلك الحين وحَتى يومنا هذا، **وبالكاد يمكن أن نجد رئيساً أمريكاً منذ تلك المرحلة لم يطرح صراحةً فكرة العداء للأمَـة العربيـة**، وإذا تتبعنا تصريحات القادة والأوربِّيين لا سيما منهم الإنجليز والفرنسيين لوجدنا الكثير جدًّا مِما يكشف عن هذه الحقيقة، ومن ذلك على سبيل المثال ما كتبه الرَئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه: الفرصة السانحة، إذ قال: «ليس لنا في الشرق سوى النِّفط وإسرائيل".
التجزئة إذن فرضت على الوطن العربي فرضاً ولم تكن أبداً خياراً عربيًّا، وعلى الرغْمِ من محاولات تجذير القطرية التي نَشِبَتْ أظفارُها في المنطقة منذ تلك المدة وحَتى اليوم لا يمكن القول أن هذه التجزئة خيار عربي فحَتى الحكام العرب أنفسهم الذين يجذِرون القطريَة لا يجرؤون على إعلان ذلك بل تجدهم ملزمون أمام الجماهير بالإعلان الدائم عن التكامل العربـــــيِّ وضـــــرورة هـــــذا التكامـــــل وأحيانـــــاً الوحـــــدة.

هذه التجزئة *فرضت على الوطن* العربيِّ *فرضاً* لتحجيم الفعل العربيِّ والتحكم *به* وضبطه وَفق ما تقتضي مصالح الأقوياء (الدول الاستعمارية) ويتناسب معها في كلِّ مرحلةٍ زمنية،

وبالفعل فقد حجَّمت هذه التجزئة قُدْرَةَ العرب على الفعل وردِّ الفعل والمبادرة والتَّخطيط حَتَّى ولو كانت هناك مستويات عالية من التَّعاون والتَّكامل بَيْنَ أقطار الوطن العربي، لأن كلَّ ذلك سيدور في دوائر ضيقة من المصالح والحاجات وإمكانات الفعل والتخطيط التي يمكن أن تتعارض أَو لا تتوافق، ناهيك فوق ذلك كلِّه عن أن التجزئة ذاتها وفق ما خططَ لها قامت على أساسٍ من الصراع والتناقض وتضارب المصالح والاحتياجات والطُّموحات بَيْنَ الأقطار العربية... وهذا ما تحقق واقعيا منذ بدء التجزئة وحَتى يومنا هذا، حَتى إنهُ من شبه المتعذر أن تجدَ علاقة طيبة أَو حسنةً بين قطرين عربيين دامت أكثر من سنةٍ تنتكس بعدها إلى التَّدهور ثُمَّ لتتحسن.. وهكذا دواليك.

هذه التجزئة إذن حجَمت الفعل العربي وقدرت العربِ على الفعل وساهمت إلى حدٍ جد كبير في وضع العرب في الموقع الذي هم فيه على خريطة الفعل الحضاري الدُّولي بمختلف مستوياته وأبعاده، وتكاد تكون التجزئة من غير مبالغةٍ أسَّ التَّهميش الذي يعيشه العالم العربي وأساسه.

ثانياً: في عدد السكان المقارن

التأسيس الثاني لمعرفة عدم استخدام واستثمار العرب لعددهم وأثره في موقعهم في الفعل الحضاري الدولي هو عدد السكان والمساحة الجغرافيَة والثروات التي يمتلكها العرب لتكون المقارنة مع الدول أَو الأمم الأخرى ذات دلالة إحصائية علمية وليست أرقاماً أَو معطيات خالية من المعنى أَو الدلالة. قد لا يكون عدد السكان مؤشِراً كافياً لاستنتاج الفعل والقدرة عليه لأنه لا توجد نظرية أَو حتى فرضية تقوم على أن زيادة عدد السكان موجب لزيادة الفعل والتصدر فيه على الأمم الأقل سكاناً، وإلا لكان من المفترض أن تكون الصين دائماً هي الأولى في كلِ شيءٍ، أو ربما الهند. ولكن عدد السكان يقدم لنا بعض المؤشرات المهمة على هذا الصعيد.

يقترب عدد سكان الوطن العربي من 400.373.000 مليون نسمة لعام 2015وبنسبة 5% من عدد سكان العالم ، وهذا العدد يعادل تقريباً عدد سكان دول الاتحاد الأوربي قبل توسُعه شرقاً، وهو مساوٍ تقريباً أيضاً لعدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية، كما يعادل نحو ربع عدد سكان الهند، وأكثر من ربع عدد سكان الصِّين.

هذه المئات الأربع من الملايين موزعة على أقطار الوطن العربي توزيعاً متفاوت النسبة من العدد الكليِ، وكان هذا التفاوت هائلاً ما بين الدولة والأكبر والأصغر في عدد السكَان فكان عدد سكان مصر 90 مليوناً وهي الأكبر، وكان عدد سكان جزر القمر وهي الأقل سكاناً في العالم العربي 783.000 نسمة أي 0,87% من عدد سكان مصر. فيما اقترب عدد سكان السودان من 38 مليون نسمة، والجزائر 40 مليون نسمة، والعراق من 36 مليون نسمة، وسوريا من 23 مليون نسمة... الأصل في الوطن العربي هو توزعه على أربعة أقاليم كبرى هي الشام (سوريا الكبرى)، والجزيرة العربية (الحجاز أَو الخليج العربي)، ووادي النيل (مصر والسودان وبعض القرن الإفريقي)، والمغرب (المغرب العربي من ليبيا إلى الأطلسي). وتوزع السكان بين هذه الأقاليم توزيع غير متكافئ انظر الخريطة (10).

ما تجدر ملاحظته هنا هو أن اللعبة الاستعمارية حكمت توزيع عدد سكان الوطن العربي هذا التوزيع اللامتكافئ أَو العشوائي المتفاوت تفاوتاً كبيراً من أجل تحقيق عدَة أغراض دفعة واحدة. أبرزها خلق صراع أدوار غيرِ متكافئة مع الإمكانات وعدد السكان، وإدخال المنطقة في دوامة صراعٍ لا ينتهي بين فرقٍ متفاوتة الإمكانات والقدرات وعدد السكان بشدَة، إذ يجب أن تجلس هذه الدول إلى جانب بعضها بندية وأدوار متساوية بزعم السيادة والاستقلال والتساوي أمام منطق القانون الدوليِ. وهذه مسألة تستحق الوقوف عندها مليا من زوايا متعددة.

وعلى أي حال فأن لا يكون عدد السكان مؤشِراً أكيداً أَو ضروريا على الفعل الحضاري للأمَة فإنَه لا ينفي إلى أن عدد السكان ينطوي على الكثيرِ من المؤشِرات الأخرى لهذا الفعل الحضاري، خاصة إذا ارتبط بالمؤشرات الأخرى مثل الإمكانات المادية والثروات والمساحة الجغرافيَة وغيرها، ناهيك فوق ذلك عن المسؤوليات المترتبة على الحكومات العربية.

خريطة 12

الكثافة السكانية في الوطن العربي لسنة 2017

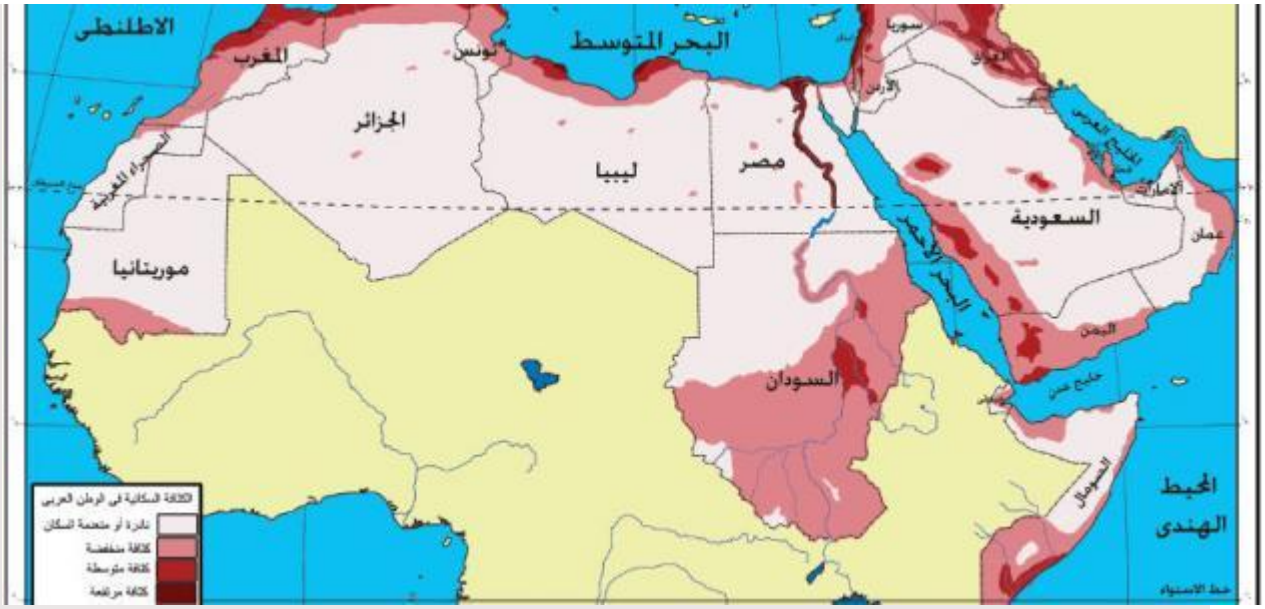

المصدر: https://www.magltk.com/arab-countries-population/

يشكل الوطن العربي من ناحية المساحة بجملته أكبرَ مساحةٍ جغرافية لأمة واحدة في الأرض، بعدما كان الاتحاد السوفيتي يشغل هذه المرتبة قبل تفككه من دون أن يكون أمة واحدة أَو على الأقل قومية واحدة، وفي هذا وحده ما يجعل من التقصير العربي في الفعل الحضاري دلالة على مدى التردي الذي هو فيه والتقصير في السعي. فإذا ما أضفنا إلى ذلك الطبيعة الجغرافيَة والخصائص البيئية للوطن العربي من جهةِ الاستقرار الطبيعي والاعتدال المناخي وتوزع الأرض حول خط الاستواء بما يؤمن أفضل الظُروف البيئيَة للحياة... خلاف الدُول الكبرى في المساحة الجغرافية مثل روسيا التي تأكل الثلوج دائماً أجزاء كبيرةً من مساحتها، والولايات المتحدة وكندا التي تعاني دائماً من كوارث طبيعة؛ زلازل وأعاصير... لأمكننا أن نستنتج أنه من المفترض أن تكون فرص الفاعلية البشرية في العديد من المجالات أكبر بكثير من غيرها من الأمم التي تكافؤها في المساحة وعدد السّكان. ستعظم مشكلتنا أكثر إذا ما علمنا أن الوطن العربي يقوم على أرض تحتوي نسباً متميزة وعاليةً جدًّا من مخزون الأرض من الثروات الطبيعية المختلفة من المعادن والمواد الخام وعلى رأسها جميعاً النِّفط الذي يمكن القول إنه أكثر هذه المواد الخام أهميَّة، ويحتل

المخـــزون العربـــي منـــه أعلـــى نســـبة وأعلـــى احتيـــاطي فـــي العـــالم... هنـــا سنقول من دون أيِّ تردد إن تردي الأداء العربي في أسوأ ما يكون من حال بل أسوأ ما يمكن أن يكون. بعد هذه الحقائق تصبح قراءة موقع العرب في الفعل الحضاري الدولي أكثر وضوحاً، وأكثر دلالة.

ثالثا- الفساد السياسي في الوطن العربي

يُعرف الفساد السياسي بأنه "فساد طبقة الساسة والحكام وقادة الأحزاب وأعضاء الحكومة (النخب الحاكمة) أياً كان موقعهم أو انتماءاتهم السياسية- حين يقومون بالتواطؤ باستغلال النفوذ السياسي لتوجيه القرارات والسياسات والتشريعات؛ لتحقيق مصالح خاصة بهذه الطبقة، أو أحد أطرافها أو الموالين لها، والإثراء غير المشروع من السلطة، أو الحصول على أموال غير قانونية لزيادة النفوذ المالي والاجتماعي، أو لتمويل حملاتهم الانتخابية وغيرها من الممارسات التي تتجاوز الشفافية"[1].

إذ غالبا ما تنجح هذه الطبقة في بناء القطاع الأمني، وتشكيله على شكل أجهزة قوية تدافع عن النظام الحاكم والمتحكم، وعن الموالين له باعتبارهم رمزا للدولة، مقابل ضمانات وامتيازات لمسئولي هذه الأجهزة، وغالبا ما ينخرط هؤلاء في إطار هذه الطبقة كشركاء أساسيين.

أن الأنظمة الفاسدة اعتمدت وسائل ومقومات متشابهة لضمان بقائها، تقوم على التحكم في القرارات الهامة المتعلقة بالشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخاصة بشعوبها التي أُجبرت على الابتعاد عن المشاركة في إدارة الشأن العام، وتم إشغالها طوال الوقت في البحث عن تأمين لقمة العيش.

برزت في الوطن العربي بيئة وفرص فساد غير مرتبطة بشخص معين، بل بجماعة أو شريحة كالحزب أو العائلة أو الطائفة، وأنه لم تتم مساءلة أو محاسبة المسؤولين عنها؛ بسبب ضعف السلطتين التشريعية والقضائية ومؤسسات المجتمع المدني.

وأدى فساد هؤلاء إلى انتشار حالة من الإحباط في أوساط العامة التي لم تجد حلا لهذه المعضلة سوى الثورة على هذا النظام لإنهائه والعمل على بلورة عقد اجتماعي جديد، يحقق

للمواطن العربي طموحاته في الديمقراطية والتنمية والعدالة الاجتماعية والكرامة ومكافحة الفساد.

أن معظم هذه الدول ما زالت في مخاض مفتوح لإعادة بناء عقد اجتماعي جديد، يعزز مفهوم الفصل بين السلطات وضمان عدم إتاحة الفرصة لإعادة توليد الاستبداد والفساد، وهي مرحلة تتطلب من كافة الأطراف –بمن فيهم المفكرون والخبراء في كل بلد– المساهمة في بلورة رؤية وطنية لشكل الدولة المدنية المعاصرة التي تقوم على أساس المواطنة والحكم الرشيد، وضمان وجود نظام وطني للنزاهة يحول دون العودة لتوفير فرص للفساد وإفلات الفاسدين من العقاب.

أن السيطرة على السلطات أصبحت بديلا عن الفصل بين السلطات، وأن هيمنة السلطة التنفيذية على باقي السلطات (التشريعية والقضائية) في هذه الدول أتاح للسلطة الحاكمة الاحتكار والتفرد باتخاذ القرار، وسمح بـ"اختطاف الدولة"؛ وهو ما يؤدي إلى وجود النظام الاستبدادي، والمس بالحقوق والحريات العامة، لأن اعتماد مبدأ أن رأس السلطة التنفيذية فوق السلطات جميعها جعل مبدأ الفصل بين السلطات لا معنى له.

وبخصوص واقع السلطة التنفيذية؛ فهي تعمل دون قيود أو محددات أو ضوابط فعالة، ودون إلزام قانوني بالعمل بشفافية كاملة، على عدة أصعدة مالية وإدارية، مع ضعف فعالية منظومة المساءلة الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى نقص شديد في قيم النزاهة التقليدية.

أن مُعظم الدول العربية لا يتوفر فيها تشريع خاص وشامل يمنع تضارب المصالح لدى شاغلي الوظائف العليا، إذ يمكن الجمع بين وظيفة أو خدمة عامّة في إحدى مؤسسات الدولة ومصلحة مباشرة أو غيرِ مباشرة في شركة من شركات القطاع الخاص، وأصبح ذلك "أمرا شائعا".

كما أن عدم اعتماد مبدأ إفصاح المسئولين عن ممتلكاتهم عزز قدرتهم على الانتفاع بالسلطة وأتاح لهم التجارة بالنفوذ. ورغم وجود نصوص قانونية صريحة تتعلق بالإفصاح عن الممتلكات، فإن هذه المنظومة غير فاعلة في التطبيق.

وأن الإرادة السياسية لإقرار هذا الحق وتفعيله غير متوافرة. أن "المعلومات والسجلات العامة محتكرة من قبل المسؤولين وممنوعة من العامة"، وأنه ما زالت أغلبية الأقطار المعنية

"تفتقر" إلى قانون ينظم هذا الحق، ولم تعرف مجتمعاتها مبدأ السجلات العامة المفتوحة، بل إن التشريعات تقيد المعلومات متذرعة بعدة ذرائع مثل حماية الأمن القومي.

كما يواجه هذا الحق عدة عقبات كغياب النص الدستوري الضامن لهذا الحق، وغياب التشريعات الحامية له، أو عدم وضوحها وشموليتها.

وبشأن إجراءات تعيين أصحاب المناصب العليا، فأن السيطرة على عملية اتخاذ القرار في تعيين كبار المسؤولين وغياب إجراءات شفافة ونزيهة في تعيينهم، يشكلان قاسما مشتركا في أغلبية الدول العربية.

"إن تحكم رأس السلطة التنفيذية في هذه التعيينات وغياب الجهة التي تشرف أو تتأكد من نزاهة عملية الاختيار، يفتح المجال لاختيار عناصر بعينها وفقا لاعتبارات فئوية أو حزبية أو عائلية، ومن ثم استبعاد الخصوم السياسيين من هذه المناصب أو التنافس عليها".

وبخصوص واقع السلطة التشريعية فأنها تعاني من سيطرة السلطة التنفيذية، كما غابت عنها المعارضة السياسية الفعالة، وهو ما أدى إلى فشل برلمانات هذه الأنظمة في أداء دور أساسي في محاربة الفساد، كما فشلت في كسر الحلقة المغلقة التي يشكلها الفساد السياسي.

ومثلها واقع السلطة القضائية الذي يضع جهاز النيابة العامة في يد المسئول الأول مباشرة، ويستخدم لتعزيز نفوذ النخب الحاكمة، وحمايتها من المساءلة وتسهيل إفلاتها من العقاب.

أما بخصوص الانتخابات العامة، فأن النخب الحاكمة صممت الأنظمة الانتخابية لتمنحها القدرة على التحكم المسبق في نتائج الانتخابات وشكل البرلمان. كذلك، فإن النظام السياسي الحاكم يتصرف في إدارة الأموال والممتلكات العامة باعتبارها ملكا للحاكم أو الحكومة وليس للدولة، علاوة على أن عدم وجود رقابة برلمانية فاعلة على إنفاق المال العام شكل مدخلا لنهبها. كما يتصل بذلك استخدام أو تخصيص أراضي الدولة أو بيعها لصالح شركاء أو وكلاء النظام أو توزيعها على الموالين.

وفي السياق ذاته، هناك تكريس سياسة زيادة أعداد الأجهزة الأمنية وأنواعها، وتوفير الامتيازات لمسئوليها على حساب مؤسسة الشرطة المدنية وسيادة القانون والخزانة العامة. كما أصبحت هذه الأجهزة أداة بيد الطبقة المسيطرة لفرض سيطرتها، وتوفير الحماية لها وقمع معارضيها، ولا تخضع موازناتها ونفقاتها لرقابة فعلية من البرلمان وأجهزة الرقابة الأخرى.

أما الأحزاب السياسية، فأن أغلبيتها تعاني من غياب الديموقراطة، ولا تعقد مؤتمراتها إلا نادرا، ولا يتم التداول على مراكز القيادة فيها، وتمثيل الشباب والنساء فيها ضعيف. إذ أن معظم الدول العربية سمحت بالعمل الحزبي في إطار شروط تقييدية أفرغته من مضمونه.

وبشأن المنظمات الأهلية، فإن سياسة تحجيم ومحاصرة العمل الأهلي واحتواء قياداته وتضييق موارده المالية أضعف المساءلة المجتمعية. أما الإعلام، فإن استخدام الإعلام الرسمي للترويج للنظام وسياساته ورموزه أضعف دوره الاستقصائي وعزز الرقابة الذاتية لدى إداراته.

بالتالي هناك ضرورة التشخيص الواقعي والموضوعي لظاهرة الفساد السياسي في المنطقة العربية وأشكاله وأسبابه؛ تمهيدا للمساهمة في بناء إرادة سياسية فعالة، ومن أجل تطوير إستراتيجيات وخطط تطبق على الصعيد المحلي في كل قطر عربي، لمنع عودة هذا الفساد والوقاية منه، ومن ثم بناء نظام وطني فعال للنزاهة في هذه الأقطار.

رابعا–الفشل في تنمية الموارد البشرية

يسود العالم اليوم سياسة القوة،ولكن ليس بمفهوم القوة العسكرية فحسب وإنما من حيث القوة الاقتصادية ،ورغم أهمية القوة العسكرية للدول لكي تحمي بها سيادتها ،إلا أن القوة الاقتصادية أصبحت ضرورة أيضا ،تحمي بها قرارها ،فالدولة التي تعتمد في مأكلها ،وصناعاتها ،وتجارتها على الغير تفقد الكثير من عناصر التحكم في قراراتها –إن كان بيدها قرار في الأصل–وقديما قالوا "من أكل من فاسه قراره في رأسه"وهذا لا يتعارض مع التبادل التجاري والتقني والزراعي بين الدول القائم على أساس المشاركة لا التبعية ،فالدولة الحرة لا تكون عالة على غيرها ،سواء كانت دولة أو اقتصادا عالميا.

ولم يعد خافيا على احد أن مقياس تقدم الدول هو فيما تنتجه وتقدمه لشعبها أولا،ثم لشعوب الأرض الأخرى.فها هو العالم الموسوم بالعالم المتقدم (7+1) لم يوسم بالتقدم إلا من خلال ما قدمه للعالم اجمع من تكنولوجيا صناعية متقدمة ،أنتج بواسطتها منتجات متقدمة ومتنوعة .

واعتمدت الدول المتقدمة في نهضتها العلمية والعملية على ما تملكه من ثروة بشرية ،فوجهت جل استثمارها نحو تنمية الثروة البشرية وتمكينها ،من أدوات ووسائل العلم النظري

،والتطبيق العملي المتقدم ،وهدفت من وراء ذلك رفع الكفاءة الإنتاجية ،وتمّيز هذه الثروة البشرية وقد حققت هدفها ،والواقع خير دليل على ذلك .

وإذا كان تقدم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ،وهم الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ،طبيعيا فانه من غير الطبيعي أن نجد من بين الدول المتقدمة (ألمانيا واليابان) وهما الدولتان الخاسرتان في الحرب ،وهما خير نموذج للاهتمام بالاستثمار في تنمية الموارد البشرية ،وخاصة اليابان التي لديها ندرة شديدة في الموارد الطبيعية ،وبالرغم من ذلك ،فقد استطاعت بما تملكه من ثروة بشرية أن تبني اقتصادا قويا ،تقف من خلاله بين مصاف الدول الثمان الكبار .

ويرجع الاهتمام العالمي بتنمية الموارد البشرية إلى أن البشر هم الثروة الحقيقية لأية دولة ،ولأي امة، وكلما تمكنت الأمة من الحفاظ على ثروتها البشرية ،وعملت على تنمية قدراتها عن طريق التأهيل والتدريب المستمر ،لإكسابها القدرة على التعامل مع الجديد الذي يظهر على الساحة بين الحين والأخر ،كلما تقدمت الأمة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بين الأمم الأخرى.

فالتنمية البشرية تهدف إلى توسيع قدرات الفرد ،وإيجاد المزيد من الخيارات المتاحة إمامه ،كما تهدف إلى تحسين المستويات الصحية والثقافية والاجتماعية ،وتطوير معارف ومهارات الفرد ،فضلا عن توفير فرص الإبداع واحترام الذات ،وضمان الحقوق الإنسانية ،وضمان مشاركاته الايجابية في جميع مناحي الحياة .

فالاستثمار في تنمية الموارد البشرية أمر هام وضروري ،كما للموارد البشرية من أهمية قصوى ، فهي الثروة الحقيقية والرئيسية للأمم ،والأمم المتقدمة أيقنت تلك الحقيقة ،فأحسنت التخطيط الاستراتيجي ،ونجحت فيما خططت ونفذت ،وها هي اليابان خير شاهد على نجاحها في التنمية البشرية ،وها هي الصين ،صاحبة المليار ونصف المليار من البشر تخطو بخطى ثابتة ومدروسة نحو قيادة العالم من خلال هذه الثروة البشرية الهائلة التي جعلت منها ميزة تميزها عن سائر الأمم ولم تجعل منها عبئا ثقيلا أو شماعة تلقي عليها فشلها كما تفعل كثير من حكومات العالم المتخلف .

ومما لاشك فيه أن الدول التي لا تستطيع –أو تعجز عن– تنمية مواردها البشرية لا يمكنها أن تحقق غاياتها وأهدافها المخططة والمأمولة مهما ابتكرت من وسائل ،وإنما يمكنها أن

تحقق هذه الغايات والأهداف عن طريق تضافر جميع عناصر الإنتاج (الأرض ،والعمل، ورأس المال ،والإدارة).

أن العنصر البشري الذي حباه الله –سبحانه– من عقل وطاقات وجهد بشري يمثل عنصرين من عناصر الإنتاج، وهذا التضافر يؤدي بلا ريب إلى النهوض والتقدم المنشود ،واستغلال الموارد الطبيعية المتاحة الاستغلال الأمثل وفتح الأسواق والقيام بعمليات التبادل التجاري ،فهناك دول تملك موارد بسيطة ومع ذلك فهي دول متطورة كاليابان،وعلى العكس من ذلك تماما دولنا العربية التي تملك مختلف الطاقات والموارد البشرية والمعدنية والطبيعية والاقتصادية وهي عاجزة من اللحاق بدول هي أدنى منها بهذه الموارد والطاقات .

أن تنمية الإنسان العربي مطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى ، وذلك لسببين ،أولاهما إن سلاح العقل والعلم أصبح اليوم أقوى من السلاح الميكانيكي ،وما نلاحظه اليوم من تبجح الولايات المتحدة الأمريكية ليس بسلاحها الميكانيكي المتطور فحسب ،وإنما هي تغزو العالم بسلاحها الاقتصادي والثقافي والإعلامي والحضاري،وهذا السلاح هو أقوى أثرا علينا من السلاح الأول ،بل هو الذي يعطي للسلاح الأول قوته وتأثيره وما حدث للعراق ليس ببعيد عنا .وثانيهما إن وطننا العربي اليوم مهدد من أكثر من طرف والمشكلة أن هذا التهديد لا ينفع معه السلاح الاعتيادي المعروف الذي سبق وان جرب وباء بالفشل بل أدى فيما بعد إلى الخنوع الممقوت الذي هو علينا الآن .

إذن لامناص أمام العرب سوى سلاح العلم والإيمان وما يتمخض عنهما من اهتمام بالعنصر البشري، وهذا لا يتأتى إلا بسلوك طريق الحق والعدالة وعدم الاستئثار بالسلطة الدنيوية الزائفة وعن طريق إشباع الناس ورعايتهم الرعاية الإنسانية الكاملة لكي يتفرغوا للعلم والابتكار والانجازات الحضارية أسوة بسائر أمم الأرض المتحضرة الجدول(13).حينذاك يصبح للعرب الشأن الذي يستحقون، ذلك الشأن الذي ولدوا عليه وترعرعوا إبان بواكير الدعوة الإسلامية وما بعدها ،وحينما كان العالم المتحضر اليوم يعيش في ظلام دامس آنذاك.ولم يكن لهم شان إلا إن زاد اهتمامهم بالإنسان الذي يبني وينتج ويقاتل ويدافع ،وقد دلت التجارب العالمية بما لا يقبل الشك إن قوة الحاكم هي من قوة شعبه،وقوة الشعب تتوفر حينما يشعر بان مكانته وكرامته وحقوقه مصانة. لذا وجب على المسئولين العرب أن يستنهضوا روح الأمة ،ويبعثوا فيها مكامن القوة لكي تعطي ثمارها ويسهل علينا حينئذ

إمكانيـة اللحـاق بـالأمم الأخـرى أو علـى الأقل تقليص الفجوة الحضـارية التـي تفصـل بينـا. انظر الخريطة (13).

جدول 13

تسلسل الدول حسب درجة فشلها لبعض دول العالم لسنة 2016

الدولة	الرتبة	الدولة	الرتب
جنوب السودان	1	الصين	68
الصومال	2	الجزائر	71
جمهورية إفريقيا الوسطى	3	تونس	78
السودان	5	تونس	81
أفغانستان	7	الأردن	83
اليمن	8	البوسنة	86
باكستان	10	المغرب	92
العراق	13	تركيا	93
سوريا	15	السعودية	96
ميانيمار	24	ماليزيا	117
كوريا الجنوبية	26	الكويت	127
مصر	31	عُمان	135
مالي	36	قطر	139
ليبيا	41	الإمارات	143
إيران	44	اليابان	157
لبنان	46	U.S.A	159

مدغشقر	59	فرنسا	160		
إسرائيل والضفة	66	بريطانيا	161		
		ألمانيا	165		

The "failed State" and international law - Daniel Thürer, International Review 2015of the Red Cross (December 12,

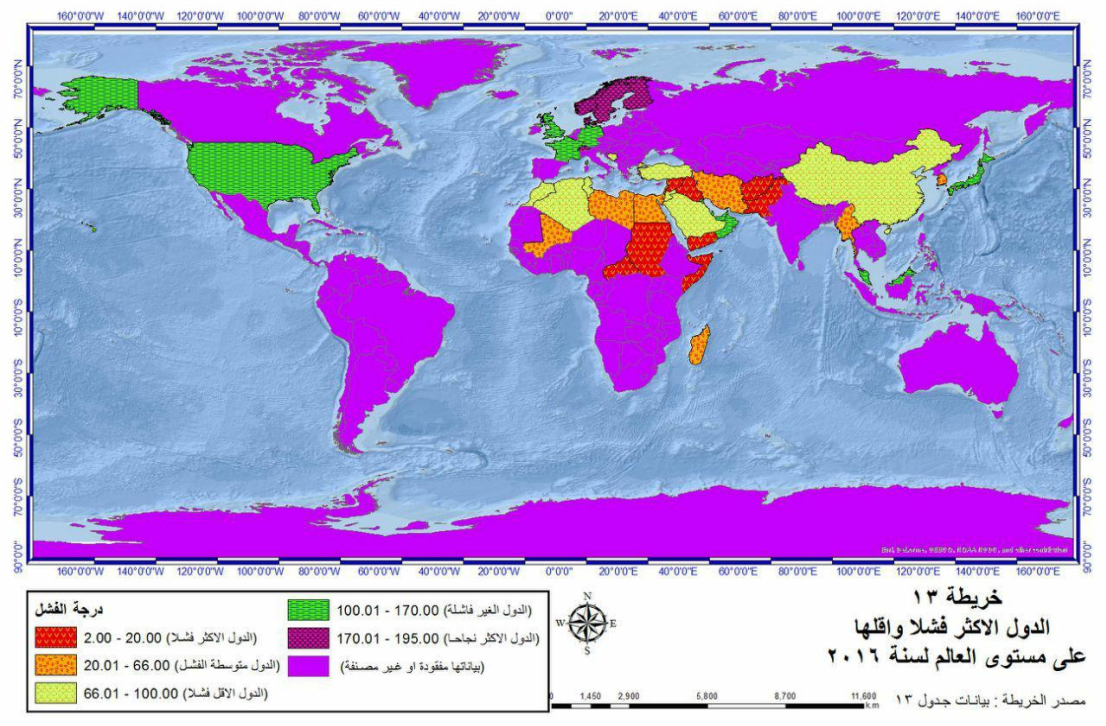

خامسا – الفعل التنموي البشري

تجاوزت التنمية بمفهومها الحديث مفهوم النمو الاقتصادي أو التنمية الاقتصادية لتأخذ مبدأ يعرف باسم التنمية البشرية ، وهذا المفهوم يعيد ربط العلاقة بين البشر والتنمية ، ليس فقط باعتبار البشر عنصرا من عناصر التنمية بل أيضا باعتبار البشر غاية التنمية.إذ كان مفهوم التنمية البشرية المسيطر على فكر الدول بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى بداية السبعينيات من القرن العشرين مقتصرا على كمية ما يحصل عليه الفرد من سلع وخدمات مادية (فسيولوجية)أي كلما استطاع الفرد أن يحصل على المزيد من تلك السلع والخدمات كلما ارتفع مستوى معيشته،ومن ثم زادت رفاهيته ،وهنا تتحقق التنمية البشرية.

إلا إن مع توسيع مفهوم التنمية ليشمل العديد من النواحي النفسية (السيكولوجية)مثل الغايات والأهداف الخاصة بالفرد،والتي يحقق معها ذاته وطموحاته ،إضافة إلى الأهداف الاقتصادية،مما أدى إلى تغيير مفهوم التنمية البشرية من مجرد إشباع النواحي الفسيولوجية للفرد كدليل على وصوله إلى مستوى معيشي كريم إلى مفهوم التنمية البشرية الأوسع ،والذي يرتبط بجودة حياة الفرد بإشباع حاجاته الفسيولوجية والسيكولوجية وليس حاجاته الفسيولوجية فقط.

أصدرت الأمم المتحدة ضمن برنامجها الإنمائي التابع لها في مطلع التسعينات من القرن الماضي تقريرا حول التنمية البشرية التي عرفها بأنها ((عملية توسيع القدرات البشرية والانتفاع بها)) ويظهر من التعريف بان للتنمية البشرية جانبان ، أولاهما يتمثل في تكوين القدرات عن طريق الاستثمار في الصحة والتعليم والتدريب، وثانيهما : الاستفادة من هذه القدرات بما يحقق النفع للإنسان ، أي استخدام القدرات البشرية في زيادة الإنتاج . لذلك فان جوهر العملية التنموية هو الإنسان الذي يعد مقصد التنمية وإحدى دعاماتها الأساسية .

وللتنمية البشرية مفهوم آخر ضمن توجهات تقرير التنمية البشرية بأنها((توسيع خيارات الناس)) وهذه الخيارات من الناحية المبدئية يمكن أن تكون بلا نهاية وتتغير بمرور الوقت ، ولكن الخيارات الأساسية التي لا مناص منها في جميع مستويات التنمية هي:

1- أن يحيا الإنسان حياة طويلة وصحية خالية من الإمراض.

2- أن يكتسب المعرفة.

3- أن يحصل على الموارد اللازمة.

سادسا- معايير التنمية البشرية

تقاس التنمية البشرية بمعامل يطلق عليه : مؤشر أو دليل التنمية البشرية ، والذي صاغه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (1996) ويحتوي المؤشر على ثلاث متغيرات هي: طول الأجل (العمر المتوقع عند الميلاد) ووفيات الأطفال دون الخامسة أو وفيات الأطفال الرضع.

أما التعليم فيقاس التحسن فيه بمتغيرين هما : إدراك القراءة والكتابة ، ومتوسط عدد سنوات الدراسة في المؤسسات التعليمية (عام،عالي).

وتقاس دالة الرفاهية (مستوى المعيشة) باستخدامات الدخل، الذي يتكون من متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي بالأسعار الثابتة معدلا بنسبة الاستهلاك العائلي إلى الدخل[2].

ويفترض أن يكون المؤشر يساوي الواحد الصحيح لتساوي قيمة مكونات البسط مع قيمة مكونات المقام ، ولكن يندر وجود دولة يصل فيها المؤشر إلى الواحد الصحيح ، ويعدل هذا بمقدار الانتقاص من بعض مكونات الصحة والتعليم ورفاهية استخدام الدخل .

ولبناء الدليل حددت قيمتان دنيا وقصوى ثابتتان لكل مؤشر من هذه المؤشرات .وتحدد ترتيب دول العالم بناء على قمة الدليل.

وبناء على تقرير الأمم المتحدة فانه يتم تبني القيم القصوى والدنيا للمؤشرات المكونة للدليل حسب الترتيب وهي:

1- العمر المتوقع عند الولادة(85 سنة ،25 سنة)

2-الأمية للكبار(100%،صفر%)الإلمام بالقراءة والكتابة كهدف.

3- متوسط سنوات الدراسة (15 سنة ، صفر سنة)

ولذلك يتم تصنيف الدول تنازليا وفق الدليل المحسوب كما يأتي:

- الدول ذات التنمية البشرية العالية من (0.800) فما فوق .

- = = = = = المتوسطة من(0.500)واقل من(0.800)

-= = = = الضعيفة تحت(0.500) .

وعند تطبيق هذه المعايير على الدول العربية نجد إن دولنا العربية تقع في مستوى اقل من المتوسط العالمي،غير إن انجازات الدول العربية على صعيد مؤشرات الدخل كانت أفضل منها على صعيد مؤشرات التنمية الأخرى .

تصنف الدول العربية في ضوء دليل التنمية البشرية إلى ثلاث مجموعات وفق ما حققته من انجازات في مجال التنمية البشرية .تضم المجموعة الأولى وهي المجموعة المرتفعة الأداء إلى أربع دول هي حسب الترتيب :البحرين ،والكويت ،والإمارات ،وقطر . أما المجموعة المتوسطة فتضم 11 دولة هي على التوالي :ليبيا،لبنان ،السعودية،سلطنة عمان ،الأردن،تونس ،سوريا،الجزائر ،مصر،المغرب وجزر القمر.فيما أدرج الدليل ثلاث دول في المجموعة المنخفضة هي :السودان واليمن وموريتانيا.

ضم الدليل 18 دولة عربية بعد استبعاد العراق وجيبوتي إضافة إلى الصومال وفلسطين من قبل ،هذا مع التباين بين الدول العربية في مواقعها في دليل التنمية البشرية ،إذ يظهر الفرق الكبير بين أول دولة وهي البحرين وأخر دولة وهي جزر القمر ويبلغ الفرق بينهما 108 مراتب،كما تتوزع الدول العربية من بين دول العالم الأخرى على التصنيفات الثلاثة التي يعتمدها التقرير وهي:تنمية بشرية عالية ،وتنمية متوسطة ،ومنخفضة ،وذلك على النحو الآتي :

أ- تنمية بشرية مرتفعة:

تضم 48 دولة منها أربعة دول عربية التي ذكرت،وهذه الدول حافظت على تصنيفها ضمن الفئة الأولى لكن مراتبها اختلفت ،فقد سجلت دولة البحرين تقدما مقداره مرتبة واحدة ،بينما تراجعت الكويت سبع مراتب وقطر ست مراتب ،وحافظت دولة الإمارات على مرتبتها السابقة .

ب- تنمية بشرية متوسطة :

تضم 78 دولة منها 11 دولة عربية تلك التي ذكرت أعلاه.

ج- تنمية بشرية منخفضة :

تضم 36 دولة منها ثلاث دول عربية تلك التي ذكرت أعلاه.

والدول العربية تتفاوت في مؤشرات دليل التنمية البشرية لكن يتمتع معظم الشعب العربي بمعدل توقع للحياة عند الميلاد أعلى من المعدل العالمي البالغ 67 سنة .وتنفق معظم الدول العربية 4%من الناتج الإجمالي على الصحة ،وهذا اقل من إنفاق الدول ذات الدخل المتوسط التي تنفق 5%،وتؤثر برامج إصلاح القطاع الصحي سلبا على الفئات الضعيفة اجتماعيا .هذا فضلا عن تدني نسب الالتحاق بالتعليم وضعف الأداء الاقتصادي بشكل عام ،إذ بلغ الناتج المحلي الإجمالي لكل البلدان العربية عام 2005(870)مليار دولار وهذا لا يعادل سوى دخل واحدة من الدول الأوروبية الأقل نموا كاسبانيا مثلا البالغ ناتجها المحلي الإجمالي (700)مليار دولار[3].

سابعا – معوقات التنمية البشرية

يمكن إدراج معوقات التنمية البشرية بالنقاط الآتية :

1- عدم وجود إستراتيجية تنمية بشرية ، إذ أن محور التنمية يجب ألا يعني فقط بالنمو في معدلات الناتج المحلي الإجمالي أو التوازن الكافي في ميزان المدفوعات فحسب ، وإنما يجب أن يعني أيضا القضاء على الفقر والبؤس وامتهان الكرامة المقترن بذلك ، وينبغي أن تتاح للمجتمع فرص العمالة وان يكون للمجتمع نصيب في عائدات الرخاء الاقتصادي ، ويجب أن يكون هناك رؤية خلاقة للعنصر البشري واعتباره أداة التنمية وغايتها ، والاستفادة من التجارب العالمية في هذا المجال.

2- انتشار الفساد الإداري وضيق الهامش الديمقراطي وضبابيته ، فبالإضافة إلى التكاليف والخسائر المادية الكبيرة الناجمة عن الفساد وتعطيل فرص التنمية الاقتصادية ، فان الفساد يقتل روح المبادرة والتنافس العلمي الشريف ويحبط رغبة الأفراد في الترقي في تحصيل العلم والمعرفة ، وهو في نفس الوقت يشوه قيم الثقافة الوطنية المجتمعية ، ويولد بالتالي أفرادا ضعفاء لا منتمين غير قادرين على النهوض بأعباء المشروع التنموي والثقافي ،وهم غير قادرين في نفس الوقت على مواجهة التحدي الذي تفرضه العولمة وتحديات بناء القدرات الذاتية.

3- عدم توفر الإرادة السياسية والإخلاص الوطني للعمل على استثمار القدرات البشرية والمعرفة في الدول العربية كافة،خاصة قدرات ومعرفة النساء العربيات.

4- عدم وجود إستراتيجية لإحياء الثقافة الوطنية لإقامة نظام ثقافي مجتمعي ،قادر على توليد ثقافته الوطنية الخالصة ،وان الضعف وانعدام مثل هذه الإستراتيجية حصل الذي حصل في العراق وليبيا وسوريا واليمن من اقتتال طائفي وأهلي أساسه ضعف الرابط الوطني وتراجع قيمه الثقافية .

5- أن تحليل التجربة العربية الطويلة يشير إلى أن: التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، العملية الدستورية ،السياسة النفطية ،تؤسس ثلاثة عناصر مترابطة رئيسة للسياسة الاقتصادية ،فالاستثمارات في البنية الأساسية والفعاليات الإنتاجية عنصر أساس في التنمية ، والإيرادات النفطية محور التحويل والعملية الديمقراطية بضمنها المجتمع المدني توفر المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الضروري للتنمية ،لذلك فان ضعف متابعة التحرير الاقتصادي وعدم الاهتمام اليقظ من قبل الحكومات أدى إلى عدم تفعيل هذه العناصر على أساس من التنسيق وبالعلاقة مع سياقه الزمني ،بل على العكس كانت

الحكومات مسرعة بالجري وراء التحرير الاقتصادي السريع والديمقراطية غير محصنة بأطر علمية وفهم عميق أديا بالنتيجة إلى هزال البناء السياسي وفقدانه لجماهيريته والوقوع في شراك أحبال الاحتلال والتبعية المزيفة .

6- الإهمال الكامل للتنمية الاجتماعية من خلال الإخفاق في تحقيق التوازن بين مزايا السوق وبين استمرار دور الدولة للتخفيف من أعباء الفقر أو تحسين الرفاهية ،إذ تشير التجارب والدراسات صعوبة الأخذ وحيد الجانب بنظام السوق أو تدخل الدولة في الشأن الاقتصادي ،ففي ظل انفراد السوق تسود نظرية الاقتصاد الجزئي وسوء توزيع الموارد والدخول ، في حين أن تدخل الدولة يقود إلى سيادة نظرية الاقتصاد الكلي والعمل على إعادة توازن الموارد وتقليل فجوة الدخل .

7- يعد المعوق الرئيس للتنمية في بعض الدول مثل العراق هو الاحتلال ، إذ بوجوده لا يمكن قيام حكومة وطنية دستورية تأخذ على عاتقها قيادة البلد الذي تفتقده حاليا وفقدت على أثره الالتفاف الجماهيري والشرعية الوطنية ، وبالتالي ادخل الاحتلال هذا البلد في حزمة من الدوامات كلها تعرقل بنيان أساس تنموي ونهضوي بل عطلت حركة الحياة كليا بما في ذلك الاستثمارات الموجهة ،وسبل الاندماج بالتكامل الاقتصادي العربي ، وتعطيل الاستثمار الوطني ، تجدر الإشارة إلى أن الاحتلال أعلن غايته في هدفين أساسيين :نشر الديمقراطية وتثبيت الليبرالية \ الرأسمالية. جاء قرار سلطة الاحتلال رقم 29 خلال السنة الأولى بالامتلاك الأجنبي الكامل في كل الصناعات العراقية باستثناء النفط والموارد الطبيعية الأخرى. المفارقة هنا أن هذا التوجه يناقض ما أقرته سلطة الاحتلال نفسها في ألمانيا المحتلة عام 1945 بتحريم الاستثمارات الأجنبية فيها بداية الاحتلال .

8- غياب القانون وعدم تفعيل نصوصه الجزائية وتلكؤ الجهات التحقيقية والقضائية في إصدار الإحكام الرادعة بحق المجرمين المتجاوزين ، وترتب على ذلك فوضى إدارية حالت دون التفكير بالشؤون التنموية والتخطيطية التي يحتاجها البلد .

9- انكماش الرقابة الشعبية في مستوياتها العديدة مثل وسائل الإعلام والتربية والتعليم ومنظمات المجتمع المدني والهيئات الاجتماعية في تشخيص سلبيات الواقع خشية العقاب.

10- أن أي إستراتيجية للتنمية في البلدان العربية تعد قاصرة إن لم تلتزم بمجموعة من المبادئ تتقدمها : أولوية تنمية الفئات والقطاعات والمناطق الأكثر فقرا(الأقل إنتاجية) وفق

مبدأ التنمية من الأسفل إلى الأعلى ، واستمرار تبني الدولة الحد الأدنى لمعيشة المواطنين ، بما في ذلك حاجاتهم الأساسية ، وتأكيد احتضان الخبرات والمؤسسات العراقية ، وتسريع تنمية بقية القطاعات غير النفطية باتجاه تحقيق الهدف الصعب وهو إعادة بناء وتنويع هيكل الاقتصاد الوطني .

ثامنا-النظام الإداري البيروقراطي العربي

بالرغم من التطورات الكبيرة والجذرية التي شهدها النشاط الاقتصادي العالمي والطفرات التكنولوجية التي وسمت هذا التطور، فإن النظام الإداري البيروقراطي العربي مازال عاجزاً عن مواكبة هذا التطور والمساهمة فيه.

فعسر الحصول على الخدمات والتسلسل الهرمي الإداري أصبح إحدى أهم العقبات أمام النمو الاقتصادي في أغلب الدول العربية، باستثناء دول قليلة تصنف عالمياً ضمن الأفضل في سهولة ممارسة أنشطة الأعمال.

ومن بين أكثر العوامل التي تساهم في تعثر نمو شركات القطاع الخاص في الدول العربية نجد أربعة منها تتعلق بالنظم الإدارية السائدة وهي: الرشوة والفساد، والحصول على الكهرباء، والحصول على التمويل، بحسب مسح أجراه البنك الدولي شمل 6000 شركة عربية في سنة 2013.

ويشير تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2017، الذي أصدره البنك الدولي، إلى أن العوائق التي تقف في طريق تأسيس ونمو قطاع الأعمال في العالم العربي ما زالت كثيرة، منها ما يتعلق بالأوضاع السياسة والأمنية السائدة في المنطقة، ولكن أغلبها مرتبط بالسياسات العامة للحكومات في المجال الاقتصادي والحوكمة والإدارة.

يسجل تقرير ممارسة أنشطة الأعمال، الذي ينشره سنوياً البنك الدولي لقياس الإصلاحات التي تجريها الدول في مجال تسهيل نشاط الأعمال، جميع الإجراءات المطلوبة رسمياً من رواد الأعمال أو المطبقة في الممارسة العملية لبدء نشاط صناعي أو تجاري وتشغيله، بالإضافة إلى الوقت والتكلفة اللازمين والحد الأدنى المدفوع من رأس المال.

وتتضمن هذه الإجراءات استخراج كافة التراخيص والتصاريح اللازمة، واستيفاء أي إشعارات أو إثباتات أو بيانات مطلوب تسجيلها لدى الأجهزة المختصة تتعلق بالشركة

والموظفين. ومن خلالهما نستطيع التعرف على الوقت والجهد الذي يحتاجها إطلاق المشروع التجاري.

1-هاجس الكهرباء

الإقليم الأكثر ثراء بمصادر الطاقة في العالم يعاني أكثر من أي وقت مضى مشاكل كبيرة تتعلق بالحصول على الكهرباء للأفراد أو للمؤسسات، لا يتعلق أكثرها بمشاكل ندرة الطاقة ولكنها متعقلة أساساً بالسياسات العامة للحكومات وضعف الحوكمة وسوء التصرف.

وفقاً لأرقام البنك الدولي فإن أكثر من 39% من الشركات العربية تعتبر نقص الكهرباء وانقطاع التيار المتكرر عائقاً أمام نشاطها ونموها، في منطقة تنتج 30% من النفط وتملك 41% من احتياطي الغاز في العالم.

كما تواجه الشركات الناشئة عوائق بيروقراطية في عملية الحصول على الكهرباء وربط مشاريعها ومكاتبها بالتيار الكهربائي، إذ يتجاوز معدل مدة الانتظار في العالم العربي الـ81 يوماً ويمكن أن يصل إلى 180 يوماً في الجزائر مثلاً.

فعدم موثوقية إمدادات الكهرباء ما زلت تشكل مشكلة كبيرة لدى الشركات في مصر، ولبنان، وتونس، وفلسطين، واليمن، والعراق ،وذلك بالرغم من الجهود التي تبذلها بعض الحكومات لمعالجة تلك المشكلة. وتتسبب إمدادات الكهرباء غير المنتظمة في خسارة كبيرة في المبيعات لدى العديد من الشركات، كما أنها ترتبط بتدني مستويات الإنتاجية، بحسب ما جاء في تقرير "ما الذي يعيق القطاع الخاص في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؟" الصادر عن البنك الدولي في سنة 2016.

2- البيروقراطية

يستخدم مفهوم البيروقراطية في علم الاجتماع والعلوم السياسية و يشير إلى تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة. وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية والعلاقات الشخصية. وهنالك العديد من الأمثلة على البيروقراطية المستخدمة يومياً: الحكومات، القوات المسلحة، الشركات، المستشفيات، المحاكم، والمدارس.

يعود أصل كلمة البيروقراطية إلى *بيرو*(bureau) ، أي مكتب، المستخدمة في بداية القرن الثامن عشر ليس للتعبير عن كلمة مكتب للكتابة فقط بل للتعبير عن الشركة، وأماكن

العمل. وكلمة قراطية وهي كلمة مشتقه من الأصل الإغريقي *كراتُس* (κράτος) ومعناها السلطة والكلمة في مجموعها تعني قوة المكتب أو سلطة المكتب.

البيروقراطية العربية

تدفع الإجراءات الإدارية المعقدة وطول مدة الانتظار من أجل الحصول على الخدمات الأساسية لبدء أنشطة الأعمال العديد من رواد ورجال الأعمال إلى الالتفاف على هذه العراقيل من خلال دفع الرشوة للموظفين في الدوائر الحكومية لتمرير معاملاتهم بأسرع وقت ودون جهد جدول (14) ،إلى جانب أثارها الكارثية على النمو الاقتصادي في الدول العربية انظر خريطة 12.

جدول 14

ترتيب الدول العربية بحسب ظهورها على مؤشر مدركات الفساد لسنة 2016

ت	الدولة	الرتبة	ت	الدولة	الرتبة
1	الإمارات العربية المتحدة	24	9	مصر والجزائر	108
2	قطر	31	10	لبنان	136
3	الأردن	57	11	العراق	166
4	المملكة العربية السعودية	62	12	الصومال	176
5	عمان	64	13	جنوب السودان	175
6	البحرين	70	14	سوريا	173
7	الكويت وتونس	75	15	اليمن وليبيا	170
8	المغرب	90	16	والسودان	

Corruption Perceptions Index 2014. Full table and rankings. Transparency International. 28 يناير 2016.

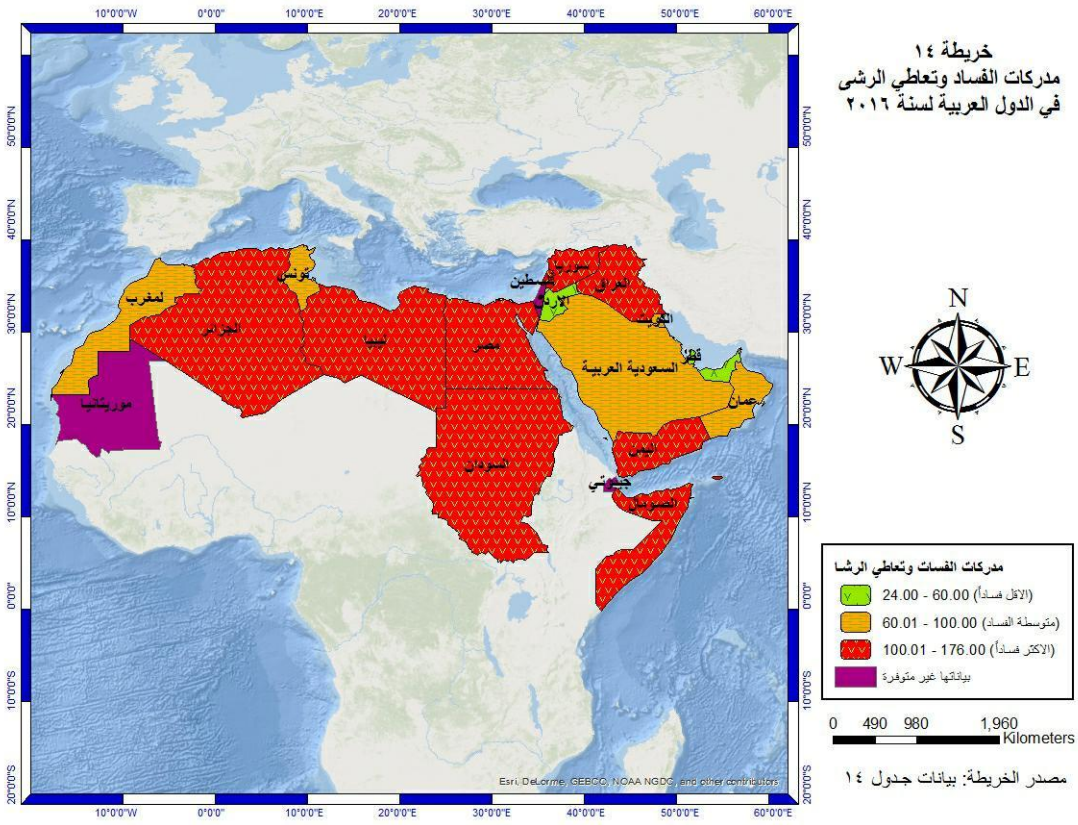

إذ يدفع 50 مليون شخص مقيمون في الدول العربية سنوياً رشوة للحصول على إحدى الخدمات العامة مثل الكهرباء والماء، أو حتى الحصول على وثائق أو تصاريح. وفق تقرير نشرته منظمة الشفافية الدولية بعنوان "الناس والفساد: دراسة مسحية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا 2016."

ويأتي الحصول على التراخيص والوثائق في الخدمات العامة في المرتبة الرابعة ضمن أكثر الخدمات التي تتأثر بالرشوة في الدول العربية بنسبة 23%. ويأتي المسئولون الحكوميون وأعضاء المجالس المحلية، وهم المسئولون عن منح تراخيص البناء، على رأس قائمة المتورطين في قضايا الفساد في المنطقة العربية بنسبة تتجاوز الـ 40%.

وعززت هذه النتائج ما كشف عنه تقرير مؤشر الفساد السنوي لسنة 2017، الذي سجلت فيه أغلب الدول العربية تراجعاً في المؤشر وتفاقماً في معدلات الفساد قياساً لنتائج سنة 2015. وكشفت منظمة الشفافية الدولية عن أن 69% من الدول المصنفة

ضمن الترتيب العالمي وعددها 176 دولة لم تتخطَّ سقف الـ50 نقطة على المؤشر جدول (15) .الخريطة (13).

وتهدر الدول العربية العديد من الفرص الاقتصادية سنوياً بسبب التعقيدات الإدارية والنظام البيروقراطي القديم الذي مازال يحكم جهازها الإداري، ما يدفع العديد من رواد الأعمال إلى البحث عن أماكن أخرى لإطلاق مشاريعهم الريادية ويعرقل تدفق رؤوس الأموال الأجنبية بسبب غياب مناخ ملائم للاستثمار، الأمر الذي يقلل من نسب النمو ويفوت فرصاً للتوظيف عن المئات من الشباب العاطل عن العمل في المنطقة.

تأتي الرشوة في مقدمة السيئات العربية التي دأب عليها المجتمع العربي وتمثل في الوقت ذاته تناقضا حادا بين الدين والمجتمع ما يبرهن درجة الانفصام التي يعاني منها المجتمع العربي وهي :1- الرشوة 2- الكذب 3- الظلم 4- سوء الخلق 5- الزنا 6- أكل مال الحرام 7 الخمر 8- الغرور والكبر 9- الغيبة.

جدول 15

الدول الأقل تعاطيا للرشوة والأكثر تعاطيا لها على مستوى العالم لسنة 2016.

الدول الأقل تعاطيا للرشوة	الرتبة	الدول الأكثر تعاطيا للرشوة	الرتبة
أيسلندا	1		
فلنداه	2	الصومال	176
نيوزيلندا	3	جنوب السودان	175
الدنمرك	4	سوريا	173
سنغافورة	5	ميانيمار	173
السويد	6	غينيا الاستوائية	172
سويسرا	7	وساحل العاج	171
النرويج	8	وانكولا	174

استراليا	9	كوريا الشمالية	174
النمسا	10	أفغانستان	169
هولندا	11	غينيا بيساو	168
بريطانيا	12	وفنزويلا	166
لوكسمبورغ	13	اريتريا	164
كندا	14	هاييتي	159
هونك كونك	15	الكونغو	159
الولايات المتحدة	16		
فرنسا	17		
بلجيكا	18		

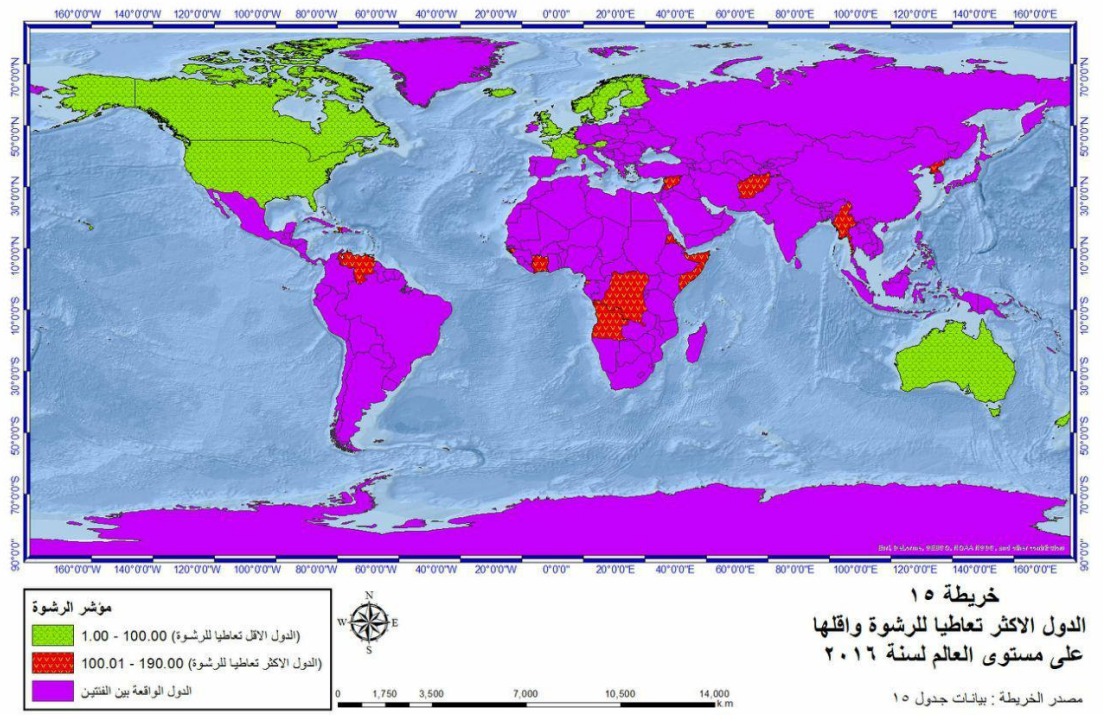

وبالمقابل هناك ثلاث أمور تؤدي إلى إصلاح المجتمع والتي ابتعدت عنها مجتمعاتنا العربية كثيرا هما: 1-التربية 2- المدرس 3- الإعلام

المدرس هو مربي وليس جلاد إذا صلح صلح المجتمع وبالعكس وان إصلاح المدرس هو من خلال قيادته لطلابه علما وثقافة وخلق وكما جاء في قول احد العلماء الأمريكان :

– المدرس الضعيف يقول

–المدرس الجيد يشرح

–المدرس الممتاز يفُهم

–المدرس الميز يلُهم

وتأتي التربية في المقام الثاني كما ورد عن المصطفى إذ شرب الرسول (ﷺ) الماء فأراد أن يمرر القدح لكن على شماله طفل ويمينه أبو بكر وعمر وعلي فاستأذن الرسول من الطفل لكن لم يقبل بذلك فأعطاه وشرب .

ماذا قدمنا للبشرية

بدون خجل أو كذب لابد من هذا التساؤل لكي نرى موقعنا بين الأمم ، حقيقة قدمنا الآتي:

1– الشيشة 2– الرقص الشرقي 3 الأكلات

حينما كنا أسياد العالم فنحن أول من استخدم الصفر في الحساب للخوارزمي ، وكتاب القانون بالطب لابن سينا ، مرجع للغرب لمدة 600 سنة ، ثم قدمنا نظريات ابن الهيثم في البصريان حتى أن دائرة المعارف الانكليزية سمته رائد البصريات بعد بطليموس ، وقدمنا جابر ابن حيان واختراع الورق غير قابل للاشتعال والاحتراق.

أما اليوم حينما أصبحنا على هامش الحضارة ،قدمنا 500 مدرسة لتعليم الرقص الشرقي في العالم خلال ال30 سنة الماضية .

وضع الأمة سنة 2030 مسئول عنه نحن الذين نحدده اعتبارا من اليوم ،إن تغيرنا وغيرنا أنفسنا وحددنا من شهواتنا الجامحة في المال والجنس والرقص قد تصبح امتنا سنة 2030 ذات بصمة في كل مجال وبإمكانها إن تقارع الأمم بالحضارة.

تاسعا–الأداء الحكومي العربي إزاء التأمين الاجتماعي

يعد نجاح المجتمعات أكبر من النجاح الاقتصادي، والنمو المتكامل يبنى على التقدم الاجتماعي كما الاقتصاد، ليس النمو الاقتصادي اليوم مؤشراً كافياً لتقييم أداء

الحكومات وحال المواطن لأنه لا يعطي صورة كاملة أو حتى شبه كاملة عن الوضع العام، المجتمع الذي لا يؤمّن الاحتياجات الأساسية للإنسان ويسلّح المواطن بالمؤهلات لتحسين مستوى عيشه، ويحمي البيئة، ويوفّر فرص للجميع هو مجتمع فاشل[4].

يعطي مؤشر التقدّم الاجتماعي الصادر عن Social Progress Imperative بتاريخ 28 يونيو 2016 صورة متكاملة لقياس ومقارنة أداء الدول بهدف تسريع النمو وتوفير توازنه من دون الاعتماد على الناتج القومي كمعيار وحيد. يعتمد المؤشر على 4 أسس:

-المؤشرات الاجتماعية والبيئية (بالإضافة للمؤشرات الاقتصادية).

-قياس النتائج وليس حال الاستثمار بالقطاع (صحة المواطن وليس حال القطاع الصحي.)

-تقييم صحة المجتمع يتطلب مقاييس جديدة تعتمد على 12 تقييماً و53 معياراً لتكون المقارنة شفافة وموضوعية.

-تقييم كلي للوضع لفهم مكونات التقدم الاجتماعي (الحالة النفسية مثلا لا تقل أهمية عن الدراسة والسكن).

يتمثل التقدم الاجتماعي بمدى قدرة المجتمع على توفير الاحتياجات الأساسية لمواطنيه، ووضع الأسس التي تتيح للمواطنين تعزيز نوعية حياتهم والمحافظة عليها، وخلق المناخ المناسب للجميع ليتمكنوا من تحقيق إمكاناتهم الكاملة.

هذا التعريف يجسد الآفاق الثلاثة لمؤشر التقدم الاجتماعي:

1-الحاجات الأساسية للمواطن (الغذاء والطبابة الأولية، توفر المياه والصرف الصحي، المأوى، الأمن الشخصي).

2-أسس الحياة الصحية (الوصول للمعرفة، المعلومات والتواصل، الصحة، جودة البيئة).

3-توفر الفرص (الحقوق الشخصية، الحرية الشخصية والخيار، التعايش، التعليم العالي).

إذن هذه هي المعايير التي تعطي صورة متكاملة عن وضع المواطن وتقدمه الاجتماعي، فالدخل الفردي حسب الإحصائيات لا يعطي صورة واضحة لحال المواطن.

شملت الدراسة 133 دولة، واستثنت سوريا من بين البلاد العربية لعدم توفر مؤشرات حديثة تعكس الوضع الحالي. في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، جاءت إسرائيل في المقدمة بالمرتبة 37، تليها الإمارات العربية المتحدة في المرتبة 39 ثم الكويت في المرتبة 45. أما الأسوأ، فهما اليمن 127 والعراق 104. إجمالاً، لا تتمتع الدول النفطية، كما الدول التي تشتعل فيها الحروب، بمستويات جيدة في المؤشر، لا سيما على صعيد توفر الفرص، بالمقارنة مع الدول الأخرى ذات الدخل المشابه.

على صعيد الغذاء والطبابة الأولية، تأتي غالبية الدول العربية في وضع معتدل مقارنة بدخلها القومي، لكنها تقع في أسفل القائمة على صعيد الحقوق الشخصية والتعايش. توفر الفرص والوصول للمعلومات والتواصل والحريات الشخصية مجتمعة هي التي أعطت للعالم العربي تصنيفه السيئ، مهما كان مستوى الدخل القومي للدول. ففي المنطقة، فان توفر المعلومات والتواصل ضعيفان نسبة للدخل القومي، إذا ما استثنينا الأردن ولبنان، وأحد أسباب ذلك هو وضع الصحافة الموجهة في غالبية البلدان العربية.

يلحظ التقرير الوضع السيئ للمغرب في مجال توفر المياه والصرف الصحي كما المعرفة الأساسية، ويذكر أن إيران والسعودية في أسفل القائمة بالنسبة لاستعمال الانترنت. تبقى تونس الأفضل نسبياً بين باقي الدول العربية.

في أرجاء العالم العربي، هنالك نسبة عالية جداً تعيش دون أدنى متطلبات حقوق الإنسان، وتواجه التمييز والعنف على أساس أثني أو جنسي أو ديني، بغض النظر عن مستوى الدخل.

دول شمال أوروبا وكندا أتت على رأس القائمة، وحلت الولايات المتحدة في المرتبة 19، وتونس 56، والسعودية 65، ومصر 89، وأفغانستان 132.

عاشرا-العلاقة بين المجتمع المدني والدولة

ينطوي مفهوم المجتمع المدني في الفكر والممارسة على تنظيم الناس لأنفسهم للمشاركة في حل مشكلاتهم والتعبير عن آرائهم ومبادئهم ومعتقداتهم ، والدفاع عن مصالحهم في مواجهة الآخرين بشكل سلمي ، والمدنية Civil التي يشتق منها لفظ مدنيcivilian تعني الأسلوب المتحضر في التعامل والتسامح مع الآخر [6] .

ويمكن الإشارة إلى أن المجتمع المدني Civil society لا يتميز عن السياسة في أنه سياسة ديمقراطية أخرى ، بل في أنه نمط من التنظيم الاجتماعي يتعلق بعلاقات الأفراد فيما بينهم لا بوصفهم مواطنين أو أعضاء في وطن ، أي لا من حيث خلق رابطة وطنية شاملة (الأمة والدولة) ولكن من حيث هم منتجون لحياتهم المادية وعقائدهم وأفكارهم ومقدساتهم ورموزهم ، وهناك تداخل في اهتمامات كل من المجتمع المدني والدولة ، وهذا التداخل يتعلق بطبيعة النظام السياسي السائد ، ويمكن أن ينتقل ما كان من اهتمامات المجتمع المدني في مرحلة تاريخية ، إلى اهتمام الدولة في مرحلة تاريخية أخرى ، والعكس صحيح ، وهناك أمثلة حية على ما نقول : تحول الدين في أوروبا بعد الثورة السياسية إلى شأن من شؤون المجتمع المدني ، وتحول الاقتصاد من اهتمام المجتمع المدني إلى اهتمام الدولة ، ونشوء مفهوم " الاقتصاد السياسيpolitical economy " يتميز المجتمع المدني عن المجتمع السياسي " الدولة " بعنصرين أساسيين :

1- التنظيمات السياسية مركزية ؛ أي تختص بتكوين السلطة المركزية وحمايتها ، بينما المنظمات المدنية قائمة على الخصوصية والاستقلالية والذاتية ، وتنمية التضامنات الجزئية .

2- التنظيمات السياسية رسمية تبنى فيها العلاقات على أساس متين ، قانون ثابت وعام ومجرد وموضوعي ، إلا أن التنظيمات المدنية تخضع لقواعد وقوانين غير رسمية ، هناك مجال كبير للمرونة ، وهذه القواعد غير الرسمية رهينة لتبدل ميزان القوى أو العادة أو الأخلاق أو المصلحة ولا يعني هذا أن التنظيمات المدنية لا قوانين لها ولا سلطة فيها ، ولكنها ليست شكلية ومرسمه كقوانين الدولة [7].

تتضمن السلطة في تنظيمات المجتمع المدني وسيلتي القمع والإقناع لضبط وممارسات سلوك المنخرطين فيها ، إنها سلطة أكثر مرونة من سلطة المجتمع السياسي ، وترتبط هذه السلطة بعدة ظروف وعوامل كجاذبية المصالح المادية ، والتقديرات الشخصية للقادة، إنها

تنظيمات مرنة وقادرة على التلاؤم مع الظروف والمستجدات في الزمان والمكان ، ومن هنا تكمن أهميتها وضرورتها ، في حين أن الثبات والتجريد والعمومية وعدم التمييز في التطبيق تعتبر شرطاً تعريفياً من شروط السلطة السياسية ، والمجتمع المدني يتضمن – الجمعيات – النقابات – التكوينات العشائرية – الطائفية – القبلية – العائلية – الثقافة – الأخلاق ، العادات والتقاليد (8) .

حادي عشر–دور المنظمات غير الحكومية في بناء المجتمع المدني

تقوم المنظمات غير الحكومية بأداء أدوار مهمة وأساسية للمساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وهذه الأدوار تؤهلها لأن تكون قاعدة الأساس لبلورة مؤسسات المجتمع المدني الحديث في الوطن العربي ؛ وهذه المنظمات تؤدي أيضاً دوراً رئيساً في نشر وترسيخ وتدعيم الديمقراطية فكراً وممارسة ، وتساهم في تنمية وترشيد ثقافة المشاركة الاجتماعية عموماً ، والسياسية على وجه الخصوص بين أفراد المجتمع ، وذلك لأن المواطن يتعلم من خلال هذه المنظمات الممارسات الديمقراطية من ترشيح وانتخاب والدعاية والالتزام بقواعد العمل داخلها ، ومن شأن هذه الممارسات تنمية قدراته الفكرية والعقلية والقيمية ، فضلا عن ذلك فإن انخراط المواطن في هذه المنظمات ذات الهياكل والأطر المستقرة لتحديد أهدافها ، وإسناد بعض الأدوار له لممارسة الرقابة الداخلية ، وإعمال مبدأ التسيير الذاتي من شأنها تكوين مقومات بناء " المواطن العضوي " المرتبط بالشؤون العامة ، وتنمية القدرة على النقد والنقد الذاتي والسجال والمناقشة والتعبير عن الرأي بكل حرية وديمقراطية ؛ ويمكن القول بأنه في ظروف تفكك أواصر الدولة المركزية ، وضعف مقدرات البيروقراطية الحكومية حتى في مجال حفظ الأمن العام والوظائف السياسية الأخرى فإن المؤسسات الاجتماعية غير الحكومية تصبح الملاذ الأخير لحماية الهوية والإبقاء على أواصر الاندماج القومي ، ولعل حالات الصومال والسودان ولبنان أمثلة متفاوتة الحدة في هذا الصدد.

إن نمو وازدهار العمل غير الحكومي هما بمثابة المقياس لنضج العلاقة الاجتماعية وعقلانيتها ومؤشرات لدرجة تعانق السياسة بالمجتمع وخروجها من إطار احتكار الإرادة الحكومية ، بل إن نضج المجتمع المدني يعطل لجوء الدولة إلى القهر المادي ، ويساهم في الحيلولة دون تغيير السلطة بوسائل عنيفة ومباشرة وانقلابية ، ويجعل التغير الاجتماعي

مشروطاً بتغير أيديولوجي طويل الأمد ، كما أن ازدهار المنظمات غير الحكومية يساهم في تحصين الدولة ضد الحركات المتطرفة والغوغائية التي تلجأ إلى العنف المنظم أو العشوائية [9] .

هذا الأمر يعتبره البعض مدخلاً إلى نموذج حضاري جديد قوامه حضور سياسي ومشاركة فعلية للمجتمع المدني بتنظيماته ومؤسساته الأهلية والشعبية ، وجدير بالذكر أن المنظمات غير الحكومية غائبة تقريباً في معظم البلدان العربية ، وإن وجدت فهي مخترقة من قبل أجهزة الدولة ، وهناك تفاوت نسبي في درجة وحجم التدخل من قبل المجتمع السياسي – الدولة – في أمور حيثيات وأهداف هذه المنظمات التي تشكل – كما ذكرنا – عماد المجتمع المدني ، وبنيته الأساسية ؛ أما بالنسبة لدول الخليج العربي فإن الجمعيات الأهلية تقوم بنشاطاتها في حرية نسبية بعيدة عن مجال السيطرة المباشرة للدولة بالرغم من التناقض الواضح لمواقف بعضها إيديولوجياً مع خطاب المجتمع السياسي وقد يعود السبب في ذلك إلى انحدار قادة الجمعيات الكبرى من عائلات ذات ثقل اجتماعي وسياسي وكذلك إلى حداثة نشوء الدولة المركزية ، واستمرارية علاقات المجتمع المدني التقليدية ، وإلى ظروف الـــوفرة الاقتصادية ، والاستقلالية النسبية للقوى الاجتماعية اقتصادياً ، ويمكن اعتبار دولة الكويت أكثر بلدان الخليج التي تشهد تسييساً متزايداً ونفوذاً كبيراً لتنظيمات غير الحكومية ، حتى إن بعض المراقبين يتوقعون تحول بعض هذه التنظيمات مستقبلاً إلى أحزاب سياسية – أو على الأقل – أن تؤدي دوراً سياسياً مهماً في النظام السياسي الجديد [10] .

اثنتي عشر–علاقة المجتمع المدني بالمجتمع السياسي – الدولة – :

تعبر أدبيات معظم المفكرين والباحثين العرب عن حالة الانفصام والتنافر بين المجتمع المدني والدولة بالعبارات الآتية : اختراق الدولة للمجتمع المدني – أزمة المجتمع المدني – القبض على المجتمع المدني – الطلاق بين الدولة والمجتمع المدني – وهذا يدل على الهوة الكبيرة الفاصلة بين المجتمع المدني والدولة، إذ إن الدولة تجد في المنظمات غير الحكومية منافسة لها وخطيرة ، تمس أمنها واستقرارها ، لذلك فهي لا تدخر جهداً في تمييعها واختراقها وتخريبها من الداخل وخلق منظمات موازية لها وترغيب وترهيب الناس للانخراط فيها ، للقضاء على منظمات المجتمع المدني فحيثما وجدت دولة مركزية ممتدة الجذور ومجتمع

تضـخمت سـلطة الدولـة وتغلغلـت فـي مختلـف منـاحي الحيـاة الاجتماعيـة ، بحيـث أصبح ظهور منظمات غير حكومية كتعبير عن قوى اجتماعية متمايزة أمراً مرهوناً بإرادة الدولـــــة وخاضـــــعاً فـــــي حركتـــــه لضـــــبط البيروقراطيـــــة الحكوميـــــة.

منذ أوائل السبعينات انبعث التيار النقدي في الخطاب التنموي العربي بحدة غير معهودة ، وأخذ يوجه انتقاداته إلى الدولة المركزية التي قبضت على المجتمع وطلقته في آن واحد ؛ فقد اختلفت شرعيات القبض ، إلا أنها توحدت شكلاً ومضموناً ؛ إن احتكار مصادر السلطة والقوة والاستفراد بهما بعد " تسييس المقدس " غدا إلى إن الدولة قامت " بتقديس السياسي " وكانت النتيجة اتساع الهوة الفاصلة بين الدولة والمجتمع وتشدد سلطوية الدولة في آن واحد ؛ لقد تمكنت الدولة من فرض هيمنتها وتوسيع دائرتها من خلال السيطرة على المؤسسات التقليدية والحديثة ، التقليدية (تلك التي ترتكز إلى العائلة والقبيلة والطائفة والدين وما أشبه) الحديثة ، (تلك التي تتمثل في الأحزاب والنقابات والجمعيات والاتحادات المهنية).

يمكننا – هنا – الاستناد إلى بعض أفكار المفكر العربي برهان غليوي بصدد العلاقة بين المجتمع المدني والدولة ، إذ إنه يقوم بتحليل هذه العلاقة بشكل موضوعي دقيق يبحث المسألة من بداياتها وجذورها ، وفي معرض تحليله لأزمة المجتمع المدني في العالم العربي يتناول التغيرات التي حصلت في هذا العالم على صعيد المجتمع المدني في العصر الحديث مع نمو الرأسمالية وانتشار الاستعمار الذي أعقبها في إدخال أنماط الإنتاج والتفكير والاستهلاك والتبادل الجديدة ، وهذه التغيرات هي انهيار الدول التقليدية ، وعلى مستوى الإنتاج انهيار الصناعات الحرفية التي حلت محلها – تدريجاً – قنوات التجارة الداخلية ، تعاظم دور المدن ، تقلص دور الريف ، الهجرة من الريف إلى المدينة ، تبدل أشكال الدين ، ظهور تصورات أساسية نابعة من التفسيرات العقلانية ، والإنسانية الجديدة للمعاني الدينية ، ومن التحليلات العلمية أو التقدم في النظرية التاريخية ؛ هذه التغيرات لا تعني أن المجتمع العربي أصبح عصرياً بالرغم من أنه أصبح حديثاً ، فالحداثة لا تعني المعاصرة ، الحداثة تعني الاستهلاك واقتناء التكنولوجيا وعدم إنتاجها ، وعدم التحرك بها ، لقد حصل انهيار شامل لمنطق اشتغال فاعلية النمط المدني القديم وإفساد عميق لآليات عمل اشتغال

النمط المدني العصري ، ومن هذا الانهيار وهذا الإفساد قام البنيان الجديد المدني والسياسي للمجتمع العربي [11] .

إن هذا البنيان الجديد ليس عصرياً ولا قديماً لكنه نمط هجين قائم بذاته ، هو نمط المجتمعات / مقطوعة الرأس / التي فقدت توازنها ورشدها واتساقها الداخلي ، وفقدت وتيرة تقدمها وتحولها الخاصة ، وأصبحت حركتها مرهونة بحركة غيرها.

إن المجتمع المدني العربي الجديد يتسم بـ (عدم الثبات – التقلب السريع والمتواصل – غياب المقومات الذاتية والاتساق الداخلي – انعدام آليات تحقيق لتوازنات الكبرى المادية والمعنوية). إن بقاء المجتمع المدني في حالته المتناقضة بين القديم والمعاصر يؤدي إلى تدخل الدولة بأجهزتها البيروقراطية والإجهاز على منظمات المجتمع المدني بغية تحسين مواقعها في النظام الاجتماعي العام .

لقد حولت البيروقراطية الحكومية المجتمع المدني إلى مجتمع سياسي وتدخلت في كل (شاردة وواردة) وأحلت السياسة محل الاقتصاد والثقافة في المجتمع ، وأحلت بيروقراطية الدولة المتشابهة والمتماثلة محل العناصر الفاعلة في كل ثنايا المجتمع.

ويمكن القول بأن الدولة في الوقت الراهن تهاب مؤسسات المجتمع المدني أكثر مما تهاب المعارضة السياسية وذلك لأن الدولة استطاعت – عبر أجهزتها البيروقراطية – والسياسية – والإعلامية – أن تجعل من المعارضة السياسية إما هزيلة وهشة وفاقدة للدعم الشعبي أو تابعة – ذيلية أو على الأقل – منفية ومطاردة ، ولكن منظمات المجتمع المدني إذا ترسخت وانتشرت وتعمقت في الأوساط الشعبية فبإمكانها إحداث تحولات نوعية في علاقة المواطن بالحاكم وبالتالي في علاقة المجتمع المدني بالدولة ، وذلك بمشاركة الشعب مشاركة فعالة في تسيير شؤون المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث لا تقتصر هذه المهمات على الدولة والحاكم فحسب وإنما مساهمة المواطنين والمواطنات مساهمة فعالة وحرة ضمن إطار مؤسسات حرة ومستقلة أي في النقابات العمالية والجمعيات المهنية ، والمنظمات التطوعية .

ثلاثة عشر –إعادة بناء المجتمع المدني

إذا كان المجتمع المدني مأزوماً ومخترقاً ومقبوضاً عليه من قبل الدولة ، كما تعبر عنه أدبيات النخبة الفكرية والثقافية العربية ، فلا بد إذن من فك أزمته وتحصينه وإطلاق سراحه من قبضة الدولة. أما كيفية ذلك فيتوقف على طبيعة الحالة الواقعية للمجتمع المدني ومستوى علاقتها بالدولة ، وفي كل الأحوال لا بد من تدعيم مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني ، ولا بد أيضاً من نشر مفاهيم الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان بين أوسع قطاع جماهيري لإدراك معنى المشاركة السياسية والثقافية والحضارية ، عبر مجمل الفعاليات لتدعيم وتنشيط حركة المجتمع المدني ، وهذا لا يعد عملاً أو مهمة كافية – وبخاصة في الظروف الإقليمية والدولية الراهنة – طالما أن الدولة تقوم بشكل مستمر بتشويه وتمييع وتخريب منظمات المجتمع المدني ، لا بد من وجود حل يرتبط بالسياسة ، يتناول مسألة الدولة ، هذه الدولة التي ينبغي تحديد نوعيتها التي تستطيع إعطاء جواب صحيح والطرق الكفيلة بتحرير المجتمع المدني من تناقضاته وتفجير طاقاته وإمكاناته التي تشكل الطاقات المادية والمعنوية للمجتمع ، لا يكمن الحل إذن في رفض الدولة ولا في المعارضة بين الدولة والمجتمع المدني ، ولكنه يكمن في تغيير الدولة ذاتها من الداخل أي تبديل نمط الإرادة التي تسيرها وتحولها من إرادة خارجية مرتبطة بعصبة أو عصابة إلى إرادة داخلية نابعة من المجتمع ذاته وتابعة له .

ويمكن القول بأنه لا يوجد مجتمع مدني بدون نظام سياسي قادر على حمايته من التخريب والتشويه والاحتواء الداخلي ، وكذلك لا توجد سياسة في إطار التنافس الراهن من دون تجاوز الدولة كما هي قائمة الآن ، إن التغيرات الدولية الكبرى وثورة المعلومات والاتصالات في عالمنا المعاصر اليوم ، تفرض على دول وشعوب العالم التفكير بمعايير قارية كبرى ، وليس بمعايير الدول القطرية ، والتكوينات الرسمية المجردة ، ويمكن الإشارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي قامت بتوحيد اقتصادها مع اقتصاد المكسيك وكندا ، واليابان التي تضم حولها النمور الآسيوية الجديدة ، وأوربا التي خطت خطوات كبيرة في اتجاه التوحيد الاقتصادي / والاتحاد السوفيتي السابق (روسيا الحالية) التي تسعى بشتى السبل إلى الاحتفاظ بالوحدة المهددة ، إن هذه المساعي والجهود تأتي في سياق التفكير بتشكيل المدنية الأمريكية – المدنية اليابانية – المدنية الأوروبية – المدنية الروسية .

وإذا كانت تلك انبثقت من مفهوم القارية وبنت تكتلاتها التي اشرنا إليها فان الدول العربية أو الشعوب العربية يكفي بما لديها من لبنات القومية العربية والدين الإسلامي والثقافة العربية الواحدة كأسس بنيان رصينة لبناء تكتل عربي رصين وبناء حضاري خالد بإمكانه أن ينضم إلى تلك التكتلات بقوة وحزم ويكون له بصمته الحضارية كبقية الأمم.

استناداً إلى ذلك فإن بناء المجتمع المدني العربي وفي كل قطر يستلزم اليوم بناء السياسة العربية في ما وراء سياسة الأقطار ، وبما يمكن من تجاوزها والجمع بينها في الوقت نفسه أي بناء الجماعة العربية نفسها من حيث هي علاقة تجمع بين أفراد متعددين ومن حيث هي علاقة مع العالم ، تعبر عن آمال وطموحات ومصالح مشتركة (للدول العربية) ولا يعني هذا إلغاء أحد سواء على صعيد الدول أو على صعيد تعددية الأطراف في المجتمعات ، ولكن إيجاد القاعدة التي تعمل معاً في سياقها في سبيل هدف واحد بدل عمل الواحدة ضد الأخرى.

ويمكن القول – أخيراً – بأن المشكلة ليست مشكلة مدنية (مجتمع مدني) ولا سياسية (الدولة) وإنما هي جيو– سياسية أي لا بد من بناء إستراتيجية المدنية العربية المعاصرة كنتيجة لجمع وتفاعل وتضامن الشعوب والأقطار العربية في المواجهة الحضارية .

مصادر ومراجع الفصل الخامس:

1- محمود فطافطة، الفساد السياسي في الوطن العربي، مطبعة الائتلاف من اجل النزاهة والمسائلة ،القدس، الطبعة الأولى ،2014.

2- محمد صالح ربيع العجيلي ،الإشكالية بين التحضر والخصوصية الحضرية في الوطن العربي، مجلة كلية التربية –العدد الثاني لعام 2002،ص89.

3- محمد عابد الجابري ،هل يظل تطبيق الحدود مقصورا على المستضعفين ؟ نقلاً من مجلة العربي،العدد505، كانون الثاني(ديسمبر) 2000 ،ص 162.

4- موقع المنبر الإعلامي لرصيف 22.

5- حواس محمود، العالم العربي والمجتمع المدني، الحوار المتمدن ، العدد2005،1371.

6-علي الصاوي " التنظيمات غير الحكومية والتحول الديمقراطي في الوطن العربي " مجلة شؤون عربية ، العدد 75-1993ص105.

7- برهان غليون : " بناء المجتمع المدني ، دور العوامل الداخلية والخارجية " مجلة المستقبل العربي ، العدد 158- 1992 ص 109.

8- المصدر السابق- ص 109 .

9-علي الصاوي ، مصدر سابق ، ص 108 .

10-المصدر السابق ،ص106.

11-برهان غليون ، مصدر سابق ، ص 112.

الفصل السادس

اِنحدار في القيم وهمجية في السلوك

تتغير الأزمان وتغير معها الإنسان وتغيران معهما جميع مفردات الحضارة وجزئياتها من فنون وآداب وفلسفة وتشريع وقيم وعادات وأفكار ،وهناك نوعان من التغير حدثا على مر التاريخ أولاهما: ايجابي رافق عصور الأنبياء وما يدعون إليه بإيعاز من رب العزة، وثانيهما سلبي رافق البشرية بعد أن انتقلت رسلهم إلى رفيقهم الأعلى، فانقلبوا إلى ما دعوا إليه ،وهكذا دواليك إلى إن جاء عصر النبي الخاتم(ﷺ) فغير وجه التاريخ باتجاه الإصلاح والبناء إلى حين نزل قول الحق جلا وعلا في الآية 3 من سورة المائدة" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" ولكن بعد ذلك ابتعد الناس رويداً رويدا وبخاصة المسلمين ابتعدوا عن دينهم ،ووصل الابتعاد ذروته في عصرنا الحالي الذي أطلقنا عليه جاهلية القرن الحادي والعشرين ،لأنه يفوق بهمجيته وبشاعته العصور السالفة التي كانت لديها الكثير من القيم والأعراف والتقاليد شكّلت في حينها ركيزة حضارية فذة رغم أنها عاشت قبل الإسلام.

ولا غرابة في ذلك بعد أن وصف رب العالمين الإنسان بقوله تعالى في سورة الأحزاب الآية 72 "إِنَّا عَرَضنَاَ الأَمَانَة عَلَى السَّماوَاتِ وَالأَرِض وَالجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَملَهَا الإنَسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً" وهو وصف صريح بجهالة الإنسان وظلمه وتعسفه حتى على نفسه بعصيان ربه.

وإذا كان الغرب يتبجح بتقدمه وتطوره حضارياً فان ذلك هو تقدم مادي فقط، فما هو تعريفه لهذا التقدم المبني على دماء الشعوب وإقصاءهم وتهميشهم ،وكيف يسمى تطور وقد سرق مادته وأدواته من شعوب بائسة مقهورة!!وما شكل حضارته المضيئة وقد اطفات سراج البشرية ليعيشوا بظلام دامس!!حضارة قامت لتنتج لنا العولمة ذلك الفخ الذي أُسقط فيه شعوب الأرض بقيمهم وتقاليدهم ،حضارة أنتجت لنا القرية الكونية التي استباحت أخلاق الناس وحولتهم إلى قطيع يسير خلف الركب!بعد أن سلب منهم كل شيء،حضارة أنتجت اليورانيوم المنضب وهيروشيما وناكازاكي المحطمتين ،إنها حقاً الجهالة وليست الحضارة التي عرفناها في بغداد إبان عزها ومجدها والتي أنارت العالم واحتضنت العلماء وأفشت السلام بين الناس فشتان بين حضارة الأمس وحضارة اليوم.

أولا- مفاهيم عامة

1- القيم

تؤدي القيم في حياة الإنسان دوراً مهماً وأساسياً لأنها موجِهة لسلوكه ومنظِمة لرغباته ومحققه لاحتياجاته وطالما وجدت قيم وأصبحت شائعة في الأنشطة اليومية فقد أصبحت تمثل شريعة الحياة في المجتمع ومؤشراً إلي أن سلوك الإنسان مرتبط بهذه القيم ولا يستطيع الخروج عليها. وللقيم أهميتها في إحداث التوازن في المجتمع بين المادة والروح خاصة في القرن الحالي الذي طغت فيه المادة على الروح وتخلى الفرد عن قيمه أو بعضها في مقابل المادة مما أدى إلى تفكك المجتمع وعدم رقيه والنهوض به.

تعد القيم الأخلاقية في هذا القرن من أعظم الغايات التي تسعى كلا من الأسرة والمدرسة وجميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية للعمل على غرسها وتنميتها عند كل طفل ولعل هذا الاهتمام لم يكن وليد الصدفة بل دعت إليه الحاجة وهذا ما يؤكده الكثير من الباحثين حيث يرون أن معظم مشكلات مجتمعاتنا الراهنة هي مشكلات أخلاقية[1]، والقيم الأخلاقية تمتد لتشمل الصدق ' الأمانة ' الوفاء ' العدل' والرحمة ....الخ.

ولقد أصبح الاهتمام بالقيم الدينية في العصر الحالي أمراً ضرورياً ،إذا صبح من الصعوبة بمكان مواجهة المشكلات التي يتعرض لها المجتمع الحديث إلا إذا أدركت المؤسسات التربوية والاجتماعية وفي مقدمتها وسائل الإعلام بمختلف أنواعها أهمية القيم الدينية.

كان الدين ولا يزال من عوامل تحريك السلوك الإنساني ووضعه في صيغة معينة، ويُجمع دارسوا السلوك الإنساني على أن الدين يعد من أقوي الركائز التي تقوم عليها أخلاق الناس وبخاصة المراهقين وسلوكهم ولقد اخطأ الذين زعموا إن من الممكن أن تقوم أخلاق بغير دين وحتى إذا قامت فإنها تكون أخلاقاً سطحيه وجوفاء.

الواقع إن الدين يتصل أكثر ما يتصل بصلب شخصيه الإنسان وخاصة الشباب، ولذا فان الأخلاق التي تقوم على الدين هي أخلاق متصلة بالشخصية وترتبط بمحور كيانها ،وبناء على ذلك نجد أن الأسرة التي تهتم بالدين والتي تنشأ فيها الروح الدينية الحقيقية أكثر الأسر قدرة على تنشئه صالحة قويمة.

تعد القيم المعرفية والثقافية قيمة إنسانية واجتماعية لا تقدّر بثمن، فكيف إذا افتقدت، أو تجدها كسيحة، وهى تترجم حالات عقيمة، ومضامين خاطئة، لقد هزلت المعرفة العربية تمامًا على أيدي أناس أخذوا يتطفلون على مجال العلم وهم بلا تخصص وبلا منهج وبلا أسلوب وبلا فكر، بل تجد بعضهم بلا أية أخلاق عندما يريد فرض وصاياه على المختصين

والعلماء الأكاديميين الحقيقيين[2]، إننا نعيش اليوم انحدارًا معرفيًا لم تشهده حياتنا كالتي تربينا على مناهجها في القرن العشرين، بل نشهد اليوم فوضى عارمة في الكتابة والنشر والتأليف في كل التخصصات ، وفى مجمل التصانيف.

المعرفة الحقيقية اليوم مفتقدة في مجتمعاتنا، لقد غابت القيم المعرفية والأخلاقية والمنهجية عن مجتمعاتنا وضاعت معها العادات والتقاليد الأصيلة، وضاع التمييز بين الغث والسمين، وأخذ الجيل الجديد يفرض أجندته السياسية والعقائدية على المعرفة، وسجنت كل الإبداعات، وتم تقييدها بالأغلال ليس من قبل الأنظمة السياسية، كما كان في الماضي، بل أمست اليوم مقيدة من قبل الأنظمة الاجتماعية التي تسودها الفوضى وفقر الأخلاق، أصبحت موضوعات خطيرة يعبث بها طفيليون لا يقيمون للمعرفة وزناً، ولا للمناهج قدرًا، ولا لأصحاب التخصص من العلماء قيمة، وإذا ما انتقدوا على أخطائهم، فهم يردون بحماقة ردودًا سيئة ومن دون أية أخلاق ، إذ لا حجة عندهم، ولا رأى لديهم، بل ينحدرون إلى مستوياتهم الضحلة كي يشتمون ويسبون، إذ ليس لديهم أي سلاح إلا البذاءات التي تعبّر عن انحطاط تربيتهم ، وقلة أدبهم ، وسوء أخلاقهم ، ورعونة تصرفاتهم !

2-الحداثة Modernity

سواء قلنا إن الحداثة هي الخروج عن السائد المستهلك، أو أنها وعي المتكلم المبدع والمثقف بخصوصيات عصره ولغة خطابه الثقافي وتركيبته المعقدة الراهنة، أو هي . كما يراها المنطق الغربي . العداء للتراث والاحتكام للعلم المادي والعقل وخصوصيات الحاضر. فالحداثة ليست حتمية تاريخية كما يراها المنطق الغربي بظروفه وتركيباته الفكرية والنفسية، على جميع الشعوب أن تتجه نحوها، بل هي مرحلة من مراحل التاريخ الغربي وتصور خاص عن قيمة ثقافية عالمية من الممكن أن تصاغ وفق عدة تصورات مع الحفاظ على جوهر الحداثة ومبادئها، ومن الممكن أن يبرز الإسلام نظريته تجاه هذه الظاهرة بطريقة تغاير تلك النظرية الغربية التي عادت بإنتاج أزمات أخلاقية ونزعة الهيمنة والاستغلال للشعوب المستضعفة المتطلعة.

نستطيع القول بأن الحداثة . وفق المنظور الإسلامي . هي ليست رفعا لشعار الحرية والعلم والتقدم وحقوق الإنسان، وليست تلفيقاً بين الإسلام وهذه الأشياء، بل هي صيغة معاصرة

لتفعيل هذه المبادئ الموجودة أساساً في منظومة الفكر الإسلامي بما يتلاءم مع الخصوصيات العلمية والثقافية للواقع الراهن[3].

3-الحِضارة والحَضارة

هي الإقامة في الحضَر،والحضَر خلاف البادية ،وهي المدن والقرى والأرياف،سميت بذلك لان أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار وعمران،بخلاف الباد الذي هو في البادية فهو في تنقل دائم يبحث عن الكلأ والماء ،لا يعرف القرار ولا العمران.

أما اصطلاحاً: فالحِضارة هي عبارة عن مجموع المفاهيم، والقيم، والتصورات، والعقائد، والقوانين، والمبادئ، والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم، والعيش، والحياة،والتعامل مع الآخرين،فالصدق مثلاً:خلق ومفهوم وقيمة حضارية يهدي إلى البر ،ويترتب عليه سلوك ايجابي متحضر على مستوى الفرد والمجتمع،بخلاف الكذب فهو خلق مذموم غير حضاري،لأنه يهدي إلى الفجور والفساد ويشكل سلوكيات سلبية متخلفة مدمرة تسيء للفرد والمجتمع سواء[4] .

4- الهمجية barbarism

الهمجية حالة حيوانية أو قريبة من الحيوانية، يعيشها الأفراد، وتعيشها المجتمعات وتتميز بالبساطة والعفوية، والخضوع التام للغرائز الطبيعية البدائية للنفس البشرية فتطبع سلوك الهمجي بطابعها في كل ما يفعل ويدع.

لقد ارتقى الإنسان من حال الهمجية التي تشبه الحالة الحيوانية عبر قرون متطاولة من الجهد والإبداع الإنساني والقيادة الرشيدة[5] (الرشد حالة تتعلق بمستوى التحضر الذي بلغته البيئة التي ينتمي إليها الفرد الرشيد) ، ولما كان الجهد والإبداع الإنساني أمران ميسران لكل البشر بحكم تساويهم في الخلق والإمكانيات الذهنية والبدنية مع فروق طفيفة، فإن القيادة الرشيدة هي في رأيي أهم أسباب التقدم كما أن القيادة غير الرشيدة أهم أسباب ديمومة التخلف،هذا مع ندرة القيادات الرشيدة في عالمنا الحالي،بدليل انه بعد أحداث تونس ومصر انبرى اغلب الحكام العرب بالتواضع والتذلل لمجتمعاتهم ومحاولة إرضاءهم بالمال والوعود،فلماذا لم تقوموا بذلك قبل هذه الإحداث لو إنكم كنتم فعلا على هدى ورشاد.

ثانياً- بعض سمات عصر الجاهلية الأولى

ظهر مصطلح الجاهلية مع ظهور الإسلام ، يشار فيه إلى المدة التي سبقت الإسلام وتربطها بالجهل من الناحية الدينية، أما من الناحية الحضارية والفكرية قبل الإسلام، فإن الواقع العربي على سبيل المثال في تلك الحقبة شهد تنوعاً فكرياً إبداعياً وحضارياً تثبته الآثار والمخلفات الأدبية العديدة في منطقة شبه الجزيرة العربية، من الأمثلة العديدة نذكر سد مأرب في اليمن كدليل على التقدم العلمي والعمراني، والقصائد العديدة والمؤلفات ومن أشهرها المعلقات السبع كدليل على التقدم الفكري والثقافي،والعادات والتقاليد العربية الأصيلة كالكرم كما هو حال حاتم الطائي،والشجاعة والنبل كما هو حال عنترة بن شداد،والعلاقات العاطفية العفيفة كما في قصة قيس بن الملوح مع ليلى العامرية وهكذا.

والإسلام حينما أطلق مصطلح الجاهلية على حياة العرب قبل أن تهبط إلى أرضها كلمة الله ، ورسالة الإخلاص ، ودعوة التغيير والبناء الإنساني الجديد ، إنما أطلقه ليشخص طبيعة هذه المرحلة العقائدية ، وليضعها في صف أخواتها من جاهليات الأمم والشعوب ، باعتبارها إحدى مصاديق الجاهلية الأممية التي ظهرت في مختلف أدوار تاريخ البشرية ، وفي شتى مراحل حياتها ، بل سماهم جاهليين لصدق انطباق المفهوم الجاهلي في عرف الإسلام عليهم ، لذلك حكي القرآن عن أمم تمتعت بأسباب العلم والمدنية ، وامتلكت وسائل التطور والرفاهة الاقتصادية والاجتماعية ، فوصفها بالضلال ، والتيه ، والانحراف ، كما وصف أمة العرب ، بالضلال ، والتيه ، والضياع وهي تغط في ظلام الجهل والتخلف لبعدها عن هدي الإسلام وشريعته البيضاء كما في قوله تعالى: "وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُم مِن قَرْن هُمْ أَحسَنُ أَثاثاً وَرِئْياً ، قُلْ مَن كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدَّاً حَتَّى إذا رَأَوا ما يُوعَدُونَ ، إمَّا العَذَابَ ، وإمَّا السَّاعَةَ ، فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً" (مريم/ 74 . 75).

ولغرض الكشف عن حضارة هذا العصر بكل جوانبها تم تبويبها كما يأتي:

-من الناحية الدينية

كانت الوثنية هي السائدة في الجزيرة العربية، والوثنية هي عبادة الأصنام والأوثان، وكانت الأصنام على أشكال متنوعة، منها ما هو على صورة إنسان أو حيوان أو طير، ومن أشهرها (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، واللات والعزى، ومنآة، وهبل..)وقد كان عدد من القبائل يعبدون بعض الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب، ومنهم من كان يعبد (الشعرى).

وكانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله لاعتقادهم أن الله عظيم ويجب أن يكون هناك واسطة بين العبد وربه، فإذا كان الأولون يعترفون لله بالإلوهية والربوبية الكبرى، كان الآخرون يشركون آلهتهم مع الله ويعتقدون فيهم قدرة ذاتية على الخير والشر والنفع والضر والإيجاد والإفناء مع معنى غير واضح عن الله كإله أعظم ورب الأرباب[6].

ومن العرب من رفض عبادة الأصنام، ومنهم من صنع أصناماً من التمر فإذا جاع أكلها، وكان بعض العرب على دين إبراهيم، ومنهم من اتبع النصرانية، وكذلك انتشرت اليهودية كما في خيبر ويثرب، وعبد بعض العرب الجن وبعضهم عبد الملائكة،وهكذا استمر حالهم إلى أن جاء الإسلام.

-من الناحية التاريخية

يطلق اصطلاح العهد الجاهلي على حال العرب قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً مع العهد بعد البعثة النبوية وظهور الإسلام والذي يمتد من حيث الزمن إلى أبو البشرية آدم (عليه السلام)، ويختلف ذلك العصر عن العصر الإسلامي الذي يليه من جميع النواحي دينياً واجتماعيا واقتصاديا وفكريا،فمن عبادة الأوثان المتعددة إلى عبادة الله الواحد الأحد، وكان يسود النظام القبلي فقد كانت القبائل تقاتل بعضها بعضا من أجل العيش في حالة فوضوية يرثى لها، حتى جاء الرسول محمد(ﷺ) برسالة الإسلام وانتشل العرب من هذه الحالة،إذن الدين الإسلامي وفق ذلك يعتبر فاصلاً تاريخياً بين حقبتين ،حقبة تدين للأصنام والأزلام دينياً وفوضى اجتماعية ،تليها حقبة الإسلام التي يدعو فيها هذا الدين إلى عبادة اله واحد لا اله غيره والى تنظيم اجتماعي فاق في آليته حد الوصف .

-من الناحية الاجتماعية

اعتمدت حياة العرب على الطابع القبلي الأقل استقراراً من الحياة الملكية حيث يمكن للحروب أن تشب بين القبائل بشكل مستمر لمختلف الأسباب سواء الاقتصادية مثل داحس والغبراء وحرب حليمة أو للحماية من اللصوص كيوم السلان أو للشرف أو لدفع الظلم مما يولد حروبا مستمرة توقدها نار الثأر،وعلى الرغم من ذلك، فقد كان في المجتمع الجاهلي صفات النبل كالكرم والإجارة وغض البصر والغزل العفيف كما ذكرت أمثلة عن ذلك في الصفحات السابقة.

كانت العصبية القبلية والدموية شديدة جامحة، وكان أساسها جاهلياً تمثله الجملة المأثورة عن العرب: "انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً"[7] فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين(رغم إن معناها حسب قول رسول الله(ﷺ) حينما سألوه قالوا:يارسول الله ننصر أخانا مظلوماً ، كيف ننصره وهو ظالماً قال: أي قوّموه)، وكانت في المجتمع العربي طبقات وبيوت ترى لنفسها فضلا على غيرها، وامتيازاً، فتترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة حتى في بعض مناسك الحج، فلا تقف بعرفات وتتقدم على الناس في الإفاضة و الإجازة وتنسأ الأشهر الحرم كما ورد قوله تعالى في سورة البقرة الآية 199(ثُم أفَيضُواْ مِن حَيثُ أفَاضَ النَّاسُ واستَغفِرُوا الله إنَّ الله غَفُوُر رَّحِيمُ) ، وكان النفوذ والمناصب العليا والنسيء متوارثاً، يتوارثه الأبناء عن الآباء، وكانت طبقات مسخرة وطبقات سوقة وعوام، فكان التفاوت الطبقي من مسلمات المجتمع العربي.

أما المرأة فكان مهضوماً حقها في الجاهلية إذ كانوا يحرمونها من الميراث الذي هو حق شرعي لها، وكانوا يرغمونها على الزواج من فلان بعينه دون أن يعطونها حق الاختيار ،وأيضا كان سائدا لديهم بأن الفتاة قد تجلب العار لأهلها لذلك كانت تؤد وتدفن وهي حية ، وهذه عادة قضى عليها الإسلام، إذ كرَّم المرأة ورفع مكانتها وشرفها فأصبحت ترث وتختار زوجها بمحض إرادتها، وأمرها بالاحتشام ونهاها عن التبرج والسفور صونا لعفافها، وحفاظاً لشرفها، فذكر القرآن: "وَقَرنَ فيِ بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِّيةِ الأُولَى".صدق الله العظيم.

- من الناحية الأدبية

اهتم العرب بالأدب كثيراً ،إذ كان لكل قبيلة شاعراً أو أكثر يتغنى بأمجادها، وكان لكل قبيلة خطيباً أو أكثر، وكانوا يقدمون أدبهم في أسواقهم، ومنهم من عرضه على أستار الكعبة.

عبر العرب في العهد الجاهلي بشعرهم عن بعض الصفات الحميدة والتي اشتهر بها العرب أكثر من غيرهم من الشعوب والأمم في ذلك الوقت، كالكرم والشهامة والفروسية والنخوة ، وكان الشعر من أبرز سمات العصر الجاهلي حتى سُمي ديوان العرب. ومن أسواق العرب الأدبية في الجاهلية سوق عكاظ (حول الحوية شرق الطائف) وذي المجاز وذي المجنة

وكانوا كذلك يستغلون موسم الحج للشعر والخطابة، وكان هناك حكام بين الشعراء كدلالة على الانتظام في تسيير أمور الشعر والشعراء.

– خلاصة منطق الجاهلية

كانت الجاهلية تحب النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ،تحبه وهو لا يعكف على أصنامهم ، ولا يشهد مشاهدهم ، ولا يستقسم بأزلامهم ، تحبه وهو يتعبد الليالي ذوات العدد في غار حراء ،والدليل على حبهم له إنهم رضوا بحكمه حينما اختلفوا على وضع الحجر الأسود وحينها كانوا يلقبونه بالأمين، وحين قال لهم "إني نَذيُر لَكُم بين يَديَّ عذابُ شَديِد" " قولوا لا إله إلى الله تفلحوا " سَبُّوه وآذوه وفي الشِّعْبِ حاصروه ، ثم أخرجوه وقاتلوه.

والنبي صالح عليه السلام يناديه قومُه "قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا" (هود : 62) ومعلوم أن صالحا . عليه السلام ـ لم يكن مرجوا لمشاكلة قومه وإنما لحسن سيرته بينهم ، أحبوا صدقه وأمانته وحسن فعاله ، وحين تكلم بالرسالة راح رجاءهم وجاء تهديدهم وتكذيبهم.

وموسى عليه السلام تربّى في قصر فرعون ، وبالطبع لم يكن على دين فرعون ، وما آذاه فرعون ولا سعى في قتله حتى تكلم بالرسالة فكان ما كان.

وهكذا حال الأنبياء جميعهم ، فالصحيح عند أهل العلم أن العصمة ثابتة لأنبياء الله قبل وبعد البعثة النبوية ، ومع ذلك لم تبدأ العداوة بين نبي وقومه إلا بعد أن بدأ يتحرك لتغير واقع الجاهلية.

فالجاهلية إذن ما كانت تعبأ بشخص صالح ، وإنما بشخص مُصلح ، بل هي تفرح بالصالحين المنشغلين بأنفسهم ،تنظر إليهم بعين الاحترام والتوقير،ترجوهم وتخلع عليهم أرفع الألقاب ـ الصدق والأمانة مثلا ـ أما حين يتحركون لتغير الأوضاع في المجتمع حينها تشتد الجاهلية وتتنكر لكل معروف عندها قبل غيرها ، وتبذل كل جهدها في الحفاظ على مجتمعها.

فمنطق الجاهلية مع كل الحركات الإصلاحية الجادة : (لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) هذا هو قول جميعهم كما يحكيه ربنا تبارك وتعالى على لسان كل الجاهليات من يوم كانوا إلى حين نزول القرآن ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إبراهيم : 13.

إذن هذا المنطق يقوم على أساس الآتي:

أن الجاهلية مجتمع ذو عادات وسلوك ، وهي تحافظ على مجتمعها وسلوكها ضد كل محاولات التغيير ، وهي تتنكر لكل الأعراف والقوانين التي سنتها هي لتسير عليها حين ترى في الأفق بشائر التغيير ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنه لا بد من المواجهة بين الجاهلية وكل حركات التغيير الجادة ، وأن (القنوات الشرعية) ضيقة مسدودة لا يمكن الوصول منها إلى المجتمع الصالح الذي يريده الله ورسوله . فالجاهلية تقف غير بعيد تخاطب السائرين في (القنوات الشرعية) وغير (الشرعية) بما قالته كل الجاهليات من قبل(لنخرجكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا)وحينها إما أن تسيس حركات (الدعوة السلمية) التي تسير في قنوات الجاهلية الشرعية وبالتالي تسلك السبل التي تضلها عن الصراط المستقيم فتتبنى خطابا مَدَنِيّا ، وتراعي حق (الآخر) الذي لا يرضى أبدا أن يكون مواطنا من (الدرجة الثانية) كما أمر الله ورسوله ، والذي يطالب بمساحة واسعة من حرية إقامة الكنائس و (التبشير) بكفره بين أظهر المسلمين، وإما أن تتصادم مع الجاهلية وتقف في وجهها ،هذا هو ما يقوله تاريخ الصراع بين الحق والباطل منذ تحرك ركب الإيمان ، من نوح إلى نبينا الأعظم محمد عليهما الصلاة والسلام.

ثالثاً- الحضارة الإسلامية والنهوض

قدمت الحضارة الإسلامية للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان، وتوجهت نحو الفرد باعتباره يمثل اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وإذا صلح صلح المجتمع كله، وأصبح قادرًا على أن يحمل مشعل الحضارة، ويبلغها للعالمين، ومن أجل ذلك جاء الإسلام بتعاليم ومبادئ تُصْلِح هذا الفرد، وتجعل حياته هادئة مستقرة، وأعطاه من المبادئ ما يصلح كيانه وروحه وعقله وجسده، و مع إصلاح الفرد يتوجه الإسلام بالخطاب إلى المجتمع الذي يتكون من الأفراد، ويحثهم على الترابط والتعاون والبر والتقوى، وعلى كل خير؛ لتعمير هذه الأرض، واستخراج ما بها من خيرات، وتسخيرها لخدمة الإنسان وسعادته، وقد كان آباؤنا على قدر المسئولية، فحملوا هذه الحضارة، وانطلقوا بها يعلِّمون العالم كله ويوجهونه[8].

حقيقة أن أعظم وأجل وأرقى مفهوم حضاري على الإطلاق هو مفهوم التوحيد؛ الذي يحمِل المرء على أن يُفرد الخالق – سبحانه وتعالى– بالعبادة، والقصد، والطاعة، والمحبة، والتحاكم ،وبالتالي فإن أسوأ وأخنع وأقبح مفهوم حضاري على الإطلاق هو الشرك؛ الذي يُعبد العبد للعبيد، والذي يحمل المرء على أن يتخذ أنداداً وشركاء يعبدهم ويطيعهم، ويحتكم إليهم، ويضحي في سبيلهم من دون الله –عز وجل– وعلى هذا المفهوم الحضاري دار الخلاف والصراع . على مدار التاريخ كله بين أهل التوحيد من جهة، وبين أهل الشرك والباطل بكل أطيافهم وتجمعاتهم ومسمياتهم من جهة أخرى(9).

هذا الخلاف حول هذا المفهوم الحضاري (التوحيد) أدى إلى خلاف حول مفاهيم حضارية أخرى مرتبطة به؛ كمفهوم " الحرية " مثلاً؛ هل هي مطلقة أم مقيدة، وما هي المساحة المسموح بها، والمساحة الممنوعة، ومن هي الجهة التي تحدد نسبة هذه الحرية ،وكذلك مفهوم السيادة العليا في الأرض لمن تكون؛ من الحاكم، من له الأمر فيُطاع، من له خاصية التشريع والتحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح؛ للخالق أم للمخلوق – لله تعالى وحده أم لعبيد الله – وكذلك القيم الحضارية ذات العلاقة بتحديد خصوصيات وحقوق الخالق – سبحانه وتعالى– وخصوصيات وصلاحيات الإنسان، وحقوقه وواجباته ، فهذا النوع من القيم هي محطة تنازع واختلاف بين أمة الإسلام أو الحضارة الإسلامية، والحضارات الأخرى بكل مسمياتها وصورها .

فإن عُلِم هذا الذي تقدم يُقال: عندما يتصرف المرء بطريقة صحيحة راقية أخلاقية ومسئولة ، يُقال عنه هذا إنسان متحضر ، وإذا تصرف بطريقة خاطئة، متخلفة، غير أخلاقية ولا مسئولة ، يُقال عنه هذا إنسان متخلف – همجي – غير متحضر . فالسلوك الإنساني – أيَّاً كان نوعه – وكانت نتائجه – ليس هو الحضارة – وإنما هو عبارة عن نتاج المفاهيم والتصورات الحضارية التي ينتمي إليها هذا الإنسان ويعتقد بها – والتي أفرزت عنده هذا السلوك – فإن كان سلوكاً إيجابياً ممدوحاً فهذا دليل على وجود قيم حضارية إيجابية وممدوحة ، وإن كان سلوكاً سلبياً مذموماً فيكون ذلك دليلاً على عدم وجود قيم حضارية إيجابية معتبرة عند هذا الإنسان ، وإنما يكون دليلاً على وجود قيم وأخلاقيات متخلفة غير متحضرة ولا راقية ، فالسلوك الإنساني . أيا كان نوعه . هو التعبير الصادق عن نوعية ومدى جودة تلك القيم الحضارية التي ينتمي إليها الإنسان .يقول الخليفة الراشد أبو

بكر الصدّيق(رضي الله عنه)(وجدنا الكرم في التقوى ،والغنى في اليقين ،ووجدنا الشرف في التواضع) هذه دلالة على الحضن الإسلامي –الحضاري الذي وفَّر أجواء إيمانية كانت سبباً رئيساً في صنع حضارة إسلامية عريقة.

ويعتبر الإسلام بان الإنجاز العلمي التجريبي . قديماً وحديثاً . يشترك فيه جميع بني البشر ، وأسبابه مبذولة للجميع ، وبالتالي فهو ليس دليلاً ولا مقياساً على تحضر أو حضارة شعب من الشعوب ، وإنما هو دليل على وجود جزء من تلك المفاهيم والقيم الحضارية التي ينتمي إليها ذاك الشعب أو غيره ،ألا وهي قيمة الاهتمام والحرص على العلم التجريبي التطبيقي.

وكذلك الآلة المصنَّعة ، مهما كانت ضخمة وهامة ومتطورة ، ليست هي الحضارة ،وإنما المفاهيم والقيم والتصورات ،التي كانت سبباً في وجود هذه الآلة ، والتي تحكم وتحدد الطريقة التي تُستخدم بها هذه الآلة ، هي الحضارة، ومن خلالها يُحكم على صاحبها بالتحضر أم لا، أو كم هي نسبة التحضر التي يتحلى بها!

فالذي يصنع سلاحاً متطوراً وفتاكاً مدمراً ، لكي يستخدمه لأغراض الشر والفساد والتخريب والدمار في الأرض ، ولأغراضه الشخصية الذاتية أو الحزبية الضيقة ، فهذا رغم ملكه لهذا السلاح الفتاك وتصنيعه له ، فهو إنسان غير متحضر ، لا يُمكن أن يُنسَب إلى الحضارة والتحضر في شيء، ولو نُسب مجازاً فهو يُنسب إلى حضارة متخلفة همجية غير راقية ، ولا إنسانية !لأنه ركز جل اهتمامه على التخريب بالمادة لا الإصلاح بأسلوب حضاري راقي.

فهذا الذي يصنِّع قنبلة ضخمة فتاكة ، ليقتل بها الأطفال والنساء، وغيرهم من الآمنين ممن صان الشرع حرماتهم ، وليدمر البيوت على رؤوسهم ، فهذا رغم تصنيعه لهذه القنبلة الضخمة لا يُمكن أن يُصنَّف بأنه إنسانٌ متحضر أو يُوصَف فعله هذا بالتحضر والرقي، أو أنه ينتمي إلى قيم حضارية راقية معتبرة!

الإنسان الذي ينتهج مبدأ الغايات تبرر الوسائل؛ مهما كانت هذه الوسائل قذرة وسيئة ومنحطة، لا يُمكن أن يُعتبر متحضراً ولا راقياً مهما كان متقدماً في الصناعات والتطاول في البنيان والعمران!

نقول ذلك لأن كثيراً من الباحثين فضلاً عن غيرهم يقيسون الحضارة والتحضر بمدى الإنجاز والتطور العلمي، ويظنون أن آلات التصنيع المتقدمة ، والتطاول في العمران ، التي

يتمتع بها مجتمع من المجتمعات هي الحضارة ذاتها ،وهي دليل على تحضر ورقي ساكني هذه المجتمعات ، وهذا خطأ فاحش شائع لا بد من تصحيحه وتداركه!

المجتمع النبوي الأول في المدينة المنورة لم يكن يعرف التطاول في العمران والبنيان، ولا الصناعات الضخمة والمتطورة ، ومع ذلك فهو أعظم المجتمعات رقياً وتحضراً عرفها التاريخ من قبل وإلى يوم القيامة؛ لأنه كان قائماً على مجموعة من المفاهيم والقيم الحضارية الراقية النبيلة التي لا توازيها قيم ومفاهيم حضارية أخرى في أي موضع أو زمانٍ آخر، سرعان ما أعطت نتائجها، وانعكست آثارها الإيجابية على العالم أجمع، وفي سنوات معدودات ،فغيرت وجه التاريخ من أظلم صورة يُمكن أن تُعرَف إلى أشرق وأعدل وأعظم صورة.

إذن وَجَدَتْ البشرية منذ أكثر من 1432 عاماً قاعدة حضارية متكاملة بمجرد الركون إليها فإنها تحقق لتابعيها غاياتهم وأهدافهم المبتغاة .

ويحدد الإسلام التقدم العلمي والتقني في مجتمع من المجتمعات بمخزون المعرفة المتاحة لهذا المجتمع في وقت معين، وبقدرة ذلك المجتمع على توظيف مخزونه العلمي وقدراته التقنية في عملية تنموية شاملة تحقق العمارة المادية للحياة بمستوى العصر، مع القدرة على تحسين وتطوير هذا المستوى، والنهوض المستمر بالمعرفة العلمية، وبالتقنيات المتاحة، فان ذلك يتسع في الإسلام ليشمل النمو الإنساني بجميع أبعاده حتى يصل إلى مقام التكريم الذي وصفه الحق – تبارك وتعالى – بقوله: "وَلَقَدَ كَرَّمنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلنَاهُم فِي البَّرِ وَالبَحِر وَرَزَقنَاهُم مِّنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلناَهُم عَلَى كَثِيرٍ مّمَّن خَلَقنَاَ تَفضيلاً" الإسراء: 70.

وإذا كان مفهوم التقدم العلمي والتقني اليوم قد حدد بحدود ضيقة لا تتسع إلا لعدد من المفاهيم المادية الصرفة التي يقتصر مردودا على التقدم الاقتصادي والعمراني والسياسي والعسكري البحت، وما يرتبط بذلك كله من نشاط عمليات التصنيع، والزراعة وزيادة الإنتاج، والسيطرة على الأرض والاستفادة بثرواتها، ومحاولة التحكم في بيئاتها، فانه في الإسلام يشمل ذلك كله بالإضافة إلى التركيز على جميع أبعاد النمو بالإنسان أفراداً وأسراً ومجتمعات نمواً متكاملاً لمختلف المواهب والملكات ابتداءً بالقدرة على توفير الاحتياجات المادية التي تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وعمارة الحياة على سطحها،

وانتهاءً بتطلعاته الروحية والفكرية والأخلاقية والسلوكية والعقيدية التي تربطه بخالقه وتعينه على تحقيق ذاته عبداً لذلك الخالق العظيم وعلى فهم حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة.

فالمسلم لا يرى في البحث العلمي مجرد جري وراء الكشف عن أسرار الكون، وقوانين الله فيه لتطبيق تلك الكشوف والقوانين في استثمار ثروات الأرض وأحكام السيطرة عليها فقط بل يرى فيه – فوق ذلك – طريق المتكيف إلى الله تعالى، ووسيلته للتعرف على شيء من صفات خالقه العظيم من خلال التعرف على بديع صنعه في الأنفس والآفاق[10].

لقد اكتسب الفكر الإسلامي هوية تنتسب إلى الفروع الوسيطة، بسبب أن المسائل المعاصرة مسائل متعددة الأصول، وتكرّس في ارتباط متقابل مع سائر فروع البحث الديني، فهذه الفروع في الوقت التالي نحتت للفكر مسائل جديدة، ساعدت من ناحية أخرى على إثرائه بأدوات وأسس جديدة.

إن الهوية الفكرية المتشابكة مع باقي العلوم تؤدي فضلاً عن تخصص المفكر الإسلامي في فهم النصوص الدينية، إلى إلمامه بعلوم الفيزياء والمعرفة والأخلاق والأساطير والاجتماع والنفس و...الخ، مما يمكنه من صياغة الفكر على أساس تحاور وتبادل لوجهات النظر مع باقي العلماء، فكيف يتسنى للمفكر بدون الاطلاع على باقي العلوم أن يطلق آراء واضحة حول التدين وأشكاله ومصادره وظروفه، تقع موقع القبول في الذهنيات العارفة بمعطيات العلوم المختلفة؟

إن دراسة الفروع العلمية المختلفة تعد من أهم مقومات الفكر الإسلامي المعاصر ذات التأثير في تشكيل الهندسة المعرفية له، فبهذا التوجه نُدخل في الحساب مناهج متنوعة ومباني مختلفة ولغات عصرية مؤثرة[11].

رابعاً– بعض سمات جاهلية القرن 21

تعاني المجتمعات المعاصرة الكثير من المشكلات والصعوبات الناجمة عن تغير القيم ،فقد تغيرت القيم الأصيلة وظهرت بدلاً منها قيم أخرى بعيدة كل البعد عن كل ما كان المجتمع يتمتع به، فالصدق أصبح كذباً والأمانة أصبحت سرقه والاتفاق أصبح مجاملة، وفى هذا الصدد يرى الكثيرون إننا لن نكون مبالغين إذا قلنا إن كثير من مشكلات مجتمعنا الراهنة هي مشكلات أخلاقية في صميمها وما يدور حول الحديث على كل لسان الآن من

تملق الكثيرين من الناس ومظاهر الإهمال والتسيب واللامبالاة واستغلال الانحراف إنها هي جميعها تعبر عن أزمة خلقيه وعن قصور في نموها الخلقي.

ومن مظاهر تضاؤل القيم الأخلاقية في الجيل الناشئ عدم احترام أراء الآخرين وعدم احترام ملكية الغير وحقوقهم والتنكر لحقوق الوالدين واللامبالاة بالنظم والقوانين وأصبح المجتمع أكثر عنفاً وأقل انضباطا وأكثر تساهلا ولعل هذا الانهيار أدى إلي جعل شباب اليوم أكثر سوءاً في طباعهم وأكثر استخداماً للغة البذاءة، ومعايير السلوك لديهم انحدرت إلى أدنى درجاتها.

إن مجتمعاتنا اليوم أمام منعطف خطير جدًا في تاريخ القرن الحادي والعشرين، لقد انشغلت الأجيال الثلاثة السابقة في القرن العشرين بهمومها النهضوية والاستقلالية والوطنية والقومية والفكرية والأيديولوجية، كانت تحث الخطى نحو التقدم، ولكن لاحتها الهزائم العسكرية والنفسية وقمع السلطات وجور الحكومات، فعاشت تناقضات متنوعة، ولكن بقيت الانقسامات السياسية والفكرية، أما الأجيال التي ستحيى في القرن الحادي والعشرين، فإنها ستحيى تناقضات من أنواع أخرى، إن جيل اليوم وهو عند بدايات قرن جديد لا يفكر تفكيرًا عقلانيًا أو رومانسيًا أو جدليًا أو نضاليًا أو تقدميًا،إنه منشغل اليوم بالأوهام و الانقسامات والكراهية وعبادة الذات ونشر الانتماءات، وقد غلبت الذات على الموضوع، والأوهام على الحقائق، والكراهية على التسامح، مسخت الثقافات الجديدة والفكر الحر إلى أقنية وأزقة وانغلاقات، تحولت الأوطان إلى سلعة من الدرجة الخامسة وغلبت النزاعات العرقية والطائفية على التفكير، بحيث نجد الأب لا يكره أي شعب أو أي مجتمع، ولكن ابنه مشبع اليوم بكراهية هذا الشعب أو ذاك العرق أو هذه الطائفة أو تلك الملة!!

-حينما تشاجر مهاجرا مع أنصاري غضب النبي (ص) وقال دعوها إنها منتنة .

-عندما تكون فيك عصبية لدينك أو لطائفتك فاعلم انك تقلد إبليس حينما قال لربه أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فمن قال أن النار أفضل من الطين.

- التفاضل يوم القيامة بالقربات وليس بالجنسيات .

العرب دائما العصبية بدمهم منذ الأزل ولحد الآن ولم تعالج إلا في فترة الرسول والخلفاء وأيام عز الإسلام، والحل لهو الرجوع إلى مفهوم الإخوة في الدين .

- لابد من تغيير السياسات وتحديث الأنظمة والقوانين،لابد من تجديد الأفكار وتغيير المناهج بإصلاح الإعلام والتربية والتعليم، لابد من تطوير الجامعات ومضامينها وعناصرها،مجتمعاتنا إن بقيت على حالها، فهي ستدفع أثمانًا باهظة في المستقبل. فكيفما نكون يكون أبنائنا :
- ذهبت امرأة هندية إلى غاندي تشكو له أن ابنها يحب الحلوى ولا تستطيع ردعه فقال لها غاندي تعالي بعد شهر ، وبعد شهر جاءت إليه وقالت له شكوت لك من ابني أنه يحب الحلوى ،فقال له غاندي يابني اترك الحلوى فإنها مضره لك ،فقالت له قلت لي بعد شهر تعالي لكي تقول له هذه الجملة!!!! لماذا لم تقولها له قبل شهر؟ فقال غاندي: لأني قبل شهر كنت أنا أحب الحلوى فكيف لي أن انهره وأنا لم انهر نفسي، أما اليوم فقد تركت الحلوى ،وبالتالي نصيحتي له تكون مؤثرة ليس كما قبل شهر ، الحكمة من ذلك انه : أن فاقد الشيء لا يعطيه .
- كما تكونوا يكن أولادكم

ينبغي التفكير بتأسيس إستراتيجية جديدة لتغيير مجتمعاتنا نحو الأفضل[12] ،إن أجيال الأمس سترحل في غضون 10- 20 سنة، وليس أمام الأجيال الجديدة إلا مشكلات الدواخل وأزمات ميراث صعب إزاء عالم يتقدم بسرعة مذهلة، فهل آن الأوان لاستيعاب ما حصل؟ ولكي يتم فهم وإدراك ما تقدم يمكن توزيعه حسب الحالات وكالآتي:

-من الناحية الدينية

لعل من أشد مظاهر الفساد الأخلاقي التي بدأت تنخر في مجتمعاتنا بشكل مريب هي عدم الخوف من الله ،وعدم التفكير بالآخرة وبالتالي كثرة الذنوب وإعلان المعصية،وإظهارها ،بل والتباهي بها جهاراً نهاراً عياناً بياناً من دون مراعاة لمشاعر أو التزام بآداب! وهذا ما كان يوجد في العصر الذي سبق الإسلام. والجهر بالسوء مخالفة واضحة لتعاليم المصطفى(صلى الله عليه وسلم) حينما قال "كل أمتي معافى إلا المجاهرين،وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول:عملت البارحة كذا وكذا ،وقد بات يستره ربه ،ويصبح يكشف عنه : متفق عليه.

وهذا من فضل الله تعالى في أن كل الخطاءون يُعفَونَ من ذنوبهم بشرط توبتهم باستثناء المجاهرين منهم لجهرهم بالمعصية وما أكثرهم اليوم ،لا بل وصل الأمر في أن قنوات

فضائية كثيرة تبيع المعاصي بيعاً للناس ليلاً ونهارا .إن هذا المجاهر بالمعصية فقَدَ حياءه من ربه ومن رسوله ومن المسلمين والناس جميعاً،وفقَدَ المبالاة بالقول والفعل"وهذا معنى المجانة" قال تعالى"إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ أَمَنُواْ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الُّدُنياَ والآخِرَةِ واللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ"(النور:الآية 19).ولعل اخطر ما في الذنوب أنها تحرم صاحبها من العلم(قراءة القرءان) وتقلل من رزقه وتنزل عليه النقم وتزيل منه النعم،والمتتبع لعالم اليوم يرى إن نسبة الفقر بين الناس كبيرة والنعم شحيحة وسطوة الحكام أضحت كبيرة على رقاب الناس وما كان ذلك ليحدث إلا بكثرة الذنوب.

وتأتي ظاهرة فقدان الحياء بالمرتبة الثانية التي مَقتَهَا الإسلام ومقتتها العرب قبل الإسلام ،وقد لعن رسول الله (ﷺ)المخنثين من الرجال ،والمترجلات من النساء ،لان هؤلاء يشوهون صورة المسلم الحق النظيف في أقواله وأفعاله وسلوكه ،وهؤلاء النسوة والفتيات ملعونات،لأنهن يمزقن ثوب الحياء الذي هو زينة الفتاة والمرأة المسلمة ،ملعونات ،لأنهن من جنود إبليس ،فهن سبب في فساد الشباب المسلم وتجرئه على انتهاك حرمات الله،واللاتي شملهن حديث النبي(ﷺ)" صنفان من أهل النار لم أرهما :قوم معهم سياط كإذناب البقر يضربون بها الناس ،ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ،رؤوسهن كأسنمة البُخت ،لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ،وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا "رواه مسلم.هذا فضلا من أن النبي الكريم(ﷺ)قد لعن الكثير الذين يشوهون صورة الإسلام والمسلمين وهم كثر في يومنا هذا!

وتعد ظاهرة الزنا بالمحارم من أخبث الظاهرات التي يشهدها هذا القرن،والتي انتشرت حتى بين المسلمين،ففي إحدى مدارس مدينة عربية استغاثة إحدى الطالبات ذات ال11 ربيعاً بمدرستها تشكو من تناوب أبيها وأخيها على اغتصابها،وكشفت والدة الطفلة إن الأمر نفسه وقع مع بناتها الأخريات قبل تزويجهن .والأمر نفسه يتكرر مع رجل عربي مسلم آخر حينما حاول إجراء عملية قيصرية لابنته التي حملت منه لاستخراج الجنين وتوفيت الفتاة على أثرها! واعترف الجاني انه كان يمارس الجنس مع ابنته منذ خمسة سنوات وزوجته كانت على علم بالأمر.

وإذا كان هذا حال البلدان المسلمة فما بالك بغيرها،فهذا الكولومبي الذي اغتصب ابنته لمدة 20 سنة وأنجب منها ثمانية أطفال ،وبدأ التحرش بها وعمرها خمسة سنوات وأنجبت طفلها

الأول وعمرها 12 سنة، فيما احتجز رجل نمساوي ابنته لمدة 24 سنة مغتصباً لها وأنجب منها سبعة أولاد [13].

وأضحت ظاهرة الزواج المثلي والسحاقي من الظواهر المعترف بها في كثير من الدول فقد ذكرت وكالة رويترز للأنباء في 2008/6/17 أن في سان فرانسيسكو أقامت ولاية كاليفورنيا أول حفل زفاف رسمي للمثليين من الجنسين في الولاية وفتحت أبوابها أمام الأزواج من اللوطيين والسحاقيات من مختلف أنحاء البلاد في تحرك يحتمل أن يشكل تحديا لولايات أخرى تعترف الزواج بأنه رباط بين(رجل وامرأة) ،وضمن السياق نفسه قضت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بأن فرنسا تصرفت بشكل غير قانوني بمنعها امرأة سحاقية من تبَّني طفل وأمرت الدولة بدفع 10 آلاف يورو (14420 دولارا) لها تعويضا.

وذكرت صحيفة الرياض بتاريخ 2008/9/29: أن وزيرة الخزانة البريطانية(أنجيلا إيغيل 47عاماً) هي أول وزيرة تعقد زواجها على عشيقتها التي كانت على علاقة معها منذ18سنة، تعمل عشيقتها ماريا إيكسول مهندسة في شركة الاتصالات الحكومية البريطانية، وكانت الوزيرة قد عقدت قرانهما في مكتب ساو ثراك جنوب لندن،هذا غيض من فيض انقلاب الناس على تعاليم أديانهم وتدني أخلاقهم وتجاهلهم للقيم الإنسانية السائدة المتعارف عليها.

-الله كرم بني ادم بينما الكثير من البشر يعيش في حالة من المهانة أكثر من الحيوانات.

-هناك مهرجانات للأكل مثل مهرجان الطماطم واحد يضرب الآخر بالطماطم .

-هناك دول لديهم احتفال سنوي لدعس الأكل والتضارب فيه.

-هناك مسابقات لسرعة الأكل.

-هناك بشر يبحث عن الأكل في الزبالة.

-البقرة الهولندية تكلف 4 دولار يوميا وهناك بشر يعيش على دولار يوميا تناقض فضيع.

-كيف يترك 24000 بني ادم يموت يوميا من سوء التغذية بينما يصرف على مواد التجميل يوميا 20 بليون دولار في السنة وكثير منه يصرف في دول الخليج فقط .

-كيف يترك 24000 بني ادم يموت يوميا من سوء التغذية والصرف على أفلام الجنس والدعارة 20 بليون دولار سنويا قارة أفريقيا واسيا كلها ممكن أن تغذى على ذلك.

-كيف يترك بشر يناموا في الشوارع وفي دول لها فنادق للكلاب والقطط ويقوموا بتقليم أظافر الكلاب وتجميلها وتدليل لها حلاقة وسشوار واستحمام .

-من الناحية السياسية

الظاهرة الملفتة للنظر انه في بلدان العالم المتخلف وبخاصة بلداننا العربية هي سيطرة السلوك الهمجي على مقاليد الحكم على عكس ما يحدث في مناطق أخرى من العالم، إذ عن طريق التمدن ينتقل أهل الأرياف إلى المدن في ظاهرة اجتماعية متنامية ، ولكن ما يحدث في العالم العربي يشير إلى عملية عكسية يتم من خلالها ترييف المدن بدلا من تحضير الأرياف، وقد أدى تمكن الريفيين من السيطرة على مراكز القيادة العليا في المجتمع إلى استبعاد العناصر المدنية المتحضرة لصالح العناصر الهمجية، التي عملت على طبع المدينة بطابعها أولا، ومن ثم المجتمع كله، لتقوده إلى طريق خطر من التمزق السياسي والعنصري والمناطقي والقبلي العشائري،ويلاحظ في اغلب البلدان العربية عملية هجرة أو تهجير منظمة للعناصر المتحضرة من البلد، والتي لا تستطيع التلاؤم مع همجية الريفيين المسيطرين على مفاصل القوة والثروة فيه، فيبدأ المجتمع بخسارة أكثر عناصره قدرة وتحضراً وعلماً وتقع كل خطط التطوير والتحديث والتنمية، حتى تلك التي يدفع إليها المجتمع الدولي في الفشل نتيجة لطبيعة الممسكين بالسلطة.

فالريفي يتعامل مع ثروة المجتمع وممتلكات الدولة بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع ممتلكات العشيرة أو القبيلة الأخرى ، أي أنها تكون في نظره صالحة للنهب والاستباحة! ويصبح التعذيب والقتل واستخدام القوة العسكرية هي السبل المفضلة لمعالجة المشكلات والتباينات الاجتماعية، وتصبح السيطرة الشخصية والعائلية على مؤسسات القوة الأمنية والعسكرية وأجهزتها المختلفة هدفا رئيساً لدى القادة الريفيين الذي يحملون ثقافة حل المشكلات مع الآخر بالعنف[14].

إن قيادة نخبه متحضرة لبلدانها عامل رئيس في انعتاق البلد من التخلف، والسير في طريق التحضر والرقي، أي إننا لا يمكن أن تتوقع من همجي بعيد عن التحضر أن يقود أي مجتمع إلى الرقي والتحضر، بل إنه على العكس من ذلك يتكفل بالقضاء على بؤر التحضر في المجتمع ويعيده إلى الخلف أشواطا بعيدة في اتجاه الهمجية. يقال أن خالد بن الوليد كان

يخطا بقصار السور وحينما اسلم وضعه النبي(ﷺ)قائدا رغم وجود أبو بكر وعمر وعلي لان الرسول يضع الرجل المناسب في المكان المناسب،لان هدف خالد هو الجهاد وليس شيء آخر . **لذلك قيل يا فصيح تفكيرك يحتاج تصحيح.**

عندما يتولى الريفي مسؤولية أي موقع رسمي، فإنه يسارع إلى التصرف من وحي ثقافته العشائرية، ويسعى إلى ملء المرفق أو الوزارة التي يرأسها بأفراد عشيرته وأقربائه، وفي سبيل ذلك يشرع بمحاربه الكفاءات التي يعتقد أنها تقف عقبة أمام مطامعه الخاصة، وتبدأ سياسات التهميش (والتهجير) تمارس بكل قوة، لتفرغ المرفق أو الوزارة من الكفاءات والقوى المتحضرة لصالح المزيد والمزيد من سيطرة التخلف والهمجية.

إما الحريات التي يطلقها الحكام العرب والتي هي حرية مزيفة وغير شرعية لأنها تخضع لكل إشكال الضغط والتدخل والقهر والقسر التي تفرض على الآخرين تحت ستار تمكينهم من تحقيق قدراتهم تحت ظروف الملائمة التي يهيئها هؤلاء الآخرون ،وكما يقول محمد عابد الجابري أن مأساتنا في الوطن العربي الراهن تكمن في إننا لا نملك الكلمة ،بل أننا محرومون من حق طلب الكلمة ،ودون هذا الحق يفقد الإنسان هويته كانسان ،ولن يكون (حيوانا ناطقا بل سيبقى أنسانا) [15]،ولعل ما حدث مؤخراً في تونس ومصر واليمن إلا دليلاً على حرمان الناس من حق الكلمة والحرية المفقودة .

-من الناحية الاجتماعية

ومن مظاهر جاهلية هذا القرن كثرة حالات الانتحار الذي ترجع أسبابه إلى الفشل والإحباط سواء في العمل أو التجارة أو الفقر الشديد ولكنه في النهاية يصنف على أنه فشل في تركيبة الشخص لسوء تربيته ، وضعف إيمانه وتدريبه على مواجهة الحياة ، وانفصاله عن الدين مما يستوجب الاهتمام بالأجيال القادمة والنشء بتعليمهم الصبر والقوة والتحمل والارتباط بالدين وتعاليمه لأنها جريمة أمام الله ، فإذا كان القانون لا يعاقب علي الشروع في الانتحار فإن الإنسان مكلف من الله أن يعمر هذه الأرض ويرعى نفسه وغيره .

ويؤكد الدكتور محمد عبد الظاهر الطيب . أستاذ الدراسات النفسية عميد تربية طنطا سابقاً واستناداً إلى تقرير أعده مجلس الوزراء المصري في 2009 بمناسبة ظاهرة الانتحار الأخيرة عن طريق الحرق ، وجاء فيه أن نحو42 ألفاً من مختلف المحافظات حاولوا الانتحار

بوسائل مختلفة على رأسها المبيدات الحشرية وقتل الأسرة والنفس في الوقت ذاته ، إضافة لحالات الانتحار بالقفز من أعلى المباني أو في الترع ونهر النيل [16].

ويعتقد الدكتور عبد العظيم العمري رئيس حركة الإصلاح بصنعاء ، ومختص بعلم النفس ، أن مدى قيمة حياة الإنسان عند مجتمع ما ، يقاس بالمشكلات التي تهدد تلك الحياة باعتبارها ظاهرة ، أو أنها لازالت مشكلة ، وقال " في المجتمعات الغربية وتحديداً في الولايات المتحدة أطلقوا وصف " ظاهرة " على مشكلة أودت بحياة أربعة أشخاص فقط ، بينما في اليمن 500 حالة انتحار مثلا في عام 2002 ، ولا نطلق عليها ظاهرة لأن قيمة حيـــاة الإنســـان عنـــدنا مـــا زالـــت رخيصـــة!!

وقد بلغت حالات الانتحار في اليمن في السنوات الأربع ما بين سنتي 2000-2004حوالي 1470 حالة ، منها 316 حالة انتحار خلال الفترة من 1 كانون أول (يناير) ، وحتى نهاية تشرين ثاني (نوفمبر) من عام 2004 فقط.

ومن الظواهر الاجتماعية الأخرى وفي حملة مشتركة تحاول ثلاث من الدول وهي كوستاريكا والصين وبوتان، الترويج لأكل الحشرات، فحتى في المطاعم الفاخرة يجب أن تضم قائمة الوجبات الديدان والعناكب الكبيرة المعروفة بعناكب الطيور.أما في الصين فبعد أكل الكلاب والقطط يجنح الشعب الصيني إلى التهام الفئران! وذهب العالم إلى ابعد من ذلك في جنونهم وخرافاتهم حينما اعتمدوا على الثيران في تنبؤاتهم ،إذ تنبأت الثيران الملكية في كمبوديا بأسوأ حصاد في البلاد منذ عقد من الزمان بعد طقوس احتفالية للحرث، وقبلها اعتمد العالم على تنبؤات الإخطبوط في العاب كرة القدم ،وبالتالي يمكن القول إن هذه الخزعبلات ما كانت تحدث في أي عصر بغض النظر عن مستواه الحضاري.

وقد كثرة في الآونة الأخيرة ظاهرة الطلاق واحتقار المرأة وختان المرأة ومنعها من المشاركة السياسية ،ولأسباب تعود إلى الجهل والتخلف وعدم إدراك المسوؤلية وواجبات الزوجية،وللانحدار الذي وصلت إليه المجتمعات لضعف الاطلاع وقلة الثقافة واللامبالاة والسبب الرئيس تجاهل تعاليم الدين وضوابطه ، وعن رسول الله (ﷺ) قال: "أوصاني جبرئيل بالمرأة، حتّى ظننتُ أنّه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة مبيّنة"، وما أكبر جريمة الإنسان لو أنّه أهمل رعاية أسرته وتسبّب في أذاهم، لذا فالنبيّ (ﷺ) يقول: "ملعون ملعون مَن ضيّع مَن يعول". واستمراراً لهذا النهج، فإنّ رسول الله (ﷺ) قد جعل من نمط سلوك الإنسان في بيته

ومعاملته لزوجته، وعموم أهله، معياراً لشخصية الإنسان وميزاناً لمقدار الخير الذي تحمله، ممّا يدلّ على أنّ الإنسان إنّما يُختبر في نفسه ويُمتحن في دينه ويُفاضل في شخصيته ابتداءً في طريقة تعامله مع نسائه وأهل بيته، ومدى رأفته ورحمته، ومقدار الخير الذي يوصله إليهنّ وإليهم، لذا فإنّ رسول الله (ﷺ) يؤكِّد: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" صدق رسول الله(ﷺ) وتطبيقاً لمشيئة الله تعالى بقوله تعالى﴿ وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾

جاءت عقوبة الله تعالى لهذا القرن الجاهلي والذي قبله بمرض الايدز، وهو أفتك وباء عرفه التاريخ، إذ يواصل الايدز انتشاره في العالم بعد ارتفاع عدد الوفيات إلى أكثر من 25 مليون شخص منذ التعرف عليه سنة 1981 بينها ثلاثة ملايين خلال 2005 ،ومع وجود 40 مليون إنسان على الأقل يحملون الفيروس هناك أكثر من عشرة ملايين منهم بين سن 15 و24 سنة ، ويصاب كل يوم 14 ألف شخص بالايدز بينهم نحو ألفي طفل دون الخامسة عشرة وذلك وفق التقرير الأخير لبرنامج الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية ، ،ويؤكد التقرير إن الايدز يعد أحد الأوبئة الأكثر تدميرا في التاريخ. وفي السعودية قال مصدر في وزارة الصحة انه تم إحصاء 10924 حالة إصابة بمرض فقدان المناعة المكتسبة (الايدز) في المملكة منذ اكتشاف أول حالة في 1984 بالمملكة مضيفا إن ثلث هؤلاء المصابين قد توفوا، وأوضح أن المصابين يتوزعون بين 2005 مصابين سعوديين و8919 أجنبياً مشيرا إلى إن ثلث الإصابات سجلت بين النساء.

تجدر الإشارة إلى أن أعلى نسب الزيادة سجلت في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى والشرقية، ولكن أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تبقى المنطقة الأكثر معاناة حيث يوجد 64% من الحاملين الجدد للفيروس، هذا فضلا عن الفيضانات والعواصف والثلوج والأعاصير والإمطار المدمرة والجفاف،كلها جنود الله في الأرض لمعاقبة المخربين على الناس دينهم وعقائدهم وطمأنينتهم.

-من الناحية العلمية

يمر عالمنا العربي اليوم بأزمة القراءة، حيث يصدق علينا بكل أسف عبارة"أمة اقرأ لا تقرأ" ، حيث إن معدل قراءة المواطن العربي لا يزيد عن ربع صفحة في السنة، بينما يقرأ الأمريكي أكثر من 11 كتاباً، والبريطاني 7 كتب في العام الواحد.

المعدلات المنخفضة جداً لرغبة العربي في القراءة جعلت منه محل تندر ودفعت المؤسسات والمنظمات العالمية لكي تُبدع في شكل تلك الإحصائيات والمعدلات، فتُشير إحداها إلى أن العربي يقرأ لمدة 6 دقائق فقط في العام الكامل، بينما الغربي يتجاوز الـ36 ساعة،وبذلك فان معدل القراءة في الوطن العربي لا يزيد عن 4% من معدل القراءة في إنجلترا. مقارنات هزلية ولكنها في حقيقة الأمر مؤلمة ومفجعة، ولكنها قد تبدو "مفهومة" إذا ما علمنا بأن نسبة الأمية المطلقة في الوطن العربي تزيد عن إل 50%، وهي نسبة معيبة لأبناء لغة الضاد!

وأخيراً وليس آخراً أزمة البحث العلمي في الوطن العربي كأحد أهم الأسباب الرئيسية للتخلف العربي عن ركب الحضارة والنهضة العلمية، هناك تقديرات تُشير إلى أن 95% من علماء العالم ينحصرون في أمريكا وأوروبا واليابان، وبذلك يكون نصيب الدول النامية وعلى رأسها الدول العربية 5% فقط، ولعل هذا التفاوت الكبير يُسهم في تفسير الغياب الخطير للبحث العلمي العربي،وبمقارنة أخرى فان هناك 318 باحثاً عربياً لكل مليون نسمة من سكان الوطن العربي، مقارنة بـ3600 باحث لكل مليون من الدول المتقدمة، ويؤكد العالم الأمريكي المصري أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء عام 1999 في مقابلة تلفزيونية أن ما يُصرف على البحث العلمي في اليابان 110 أضعاف ما يُصرف عربياً على البحوث العلمية. ووفقاً لمعهد المعلومات العلمية ،بلغ مجموع الأوراق العلمية التي نشرت في كل أنحاء العالم خلال السنوات الخمس الأخيرة 3.5 مليون ورقة ،نال الاتحاد الأوروبي 37% منها والولايات المتحدة 34% ودول آسيا والمحيط الهادي 21% والهند 2% وإسرائيل 2.3% أما مساهمة العالم العربي الذي يبلغ مجموع سكانه 320 مليون نسمة فهي تتراوح بين صفر %و 0.03% [17].

إن اخطر ما يعيق النهوض العلمي هو عدم تفهّم المجتمع للعائد الحضاري الضخم من استثمار العلم والتقنية،وهذا هو الذي قاد إلى نتيجة الموقع البائس للعرب على مستوى أمم الأرض من حيث الإسهام في مجال البحث العلمي الذي ذكر آنفا.إذ إن الإبداع في مجال البحث العلمي بحاجة إلى احتضان رسمي وشعبي وكلاهما مفقودان في البلدان العربية حتى وصلت بنا الحالة إلى التفنن في قتل العلماء والمبدعين أو إبعادهم على اقل تقدير!

أما من حيث الإعلام في الوطن العربي يكفي أن نشير إلى إن هناك أكثر من 300 قناة عربية 80% منها غير موجهة سلوكياً وهي أخذت بتلابيب عقول الشباب وانجرارهم نحو الهوى الرخيص لتبعدهم عن الأخلاق الحميدة للعربي المسلم،لا بل تساهم مساهمة فعالة في إضاعة الوقت للناس وإلهائهم ليس إلا،هذا فضلاً عن دور المسلسلات والأفلام الرخيصة المكررة والمنقولة من الفن الغربي المبتذل والتي أخذت مساحة واسعة من وقت الأسرة العربية.

نظم المسلمين الأندلس وبنوا فيه حضارة عظيمة عندئذ طمع به البرتغاليين فأرسلوا جواسيسهم تترى لهذا الغرض ولكن وجدوا الشباب منشغلين بالعلم والدين والنظام وبعد 800 سنة عاودوا الكرة فأرسلوا جواسيس فوجد احدهم شاب يائس فسأله لماذا انت يائس ومهموم؟ قال له :هجرتني حبيبتي!!!! فأدركوا سهولة احتلال الأندلس.حينما أبدل الشباب بناء الحضارة بالحب والعشق.

ولعل اخطر ما ظهر مؤخراً وعلى لسان أكاديميين عرب هو تخليص الجامعات من الأمية ،وبخاصة أمية الأساتذة ،وهل فعلاً أن أساتذة الجامعات أضحوا أميين؟نعم بعد أن كثرة شهادات التزوير أو القبول في الدراسات العليا عن طريق الواسطة والمحسوبية والرشاوى فدخل إلى الجامعات من هم لا ناقة لهم فيها ولا جمل[18] ! وتأن جامعاتنا اليوم من براثن التدخلات غير المحسوبة في شؤونها من قبل مسؤولين في الدولة ،وهذا ما جعل مراتب الجامعات العربية في أسفل السلم على مستوى جامعات العالم.

-من الناحية الاقتصادية

مشكلاتٌ كثيرةٌ تستحقُّ الإشارة إليها هنا منها العلاقات التِّجاريَّة العربيَّة البينيِّة، وما يمثله العرب في الميزان التِّجاري الدُّولي، وطبيعة الصَّادرات والواردات وغير ذلك كثير، ولكن حسبنا أن نشير هنا إلى ما يختصرُ كثيراً من الكلام وهو ما كشف عنه تقرير التَّنمية البشريَّة عام 2008م الذي بيَّن أنَّ النَّاتج المحلِّي الإجمالي لكلِّ الدُّول العربيَّة و هي 22 دولة بلغ في سنة 1999 **(531)** مليار دولار أمريكي فقط بما فيه النِّفط الذي يمثل نحو 70%، ولكن في الوقت ذاته ومن طرف آخر نجد أنَّ أقلَّ دولة أوروبيَّة في ناتجها المحلي وهي إسبانيا تفوق الدَّخل القومي العربيَّ كلَّهُ مجتمعاً إذ بلغ النَّاتج القومي الإسباني **595.5** مليار دولار وهي التي لا يزيد عدد سكانها عن 40 مليون نسمة، فيما كان عدد سكَّان

الوطن العربي 280 مليون، وفي الوقت ذاته لا تعدُّ إسبانيا من الدُّول المتقدِّمة كثيراً في الغرب،

وفي حين أنَّ إسبانيا لا تحتلُّ مكاناً متقدِّماً بَيْنَ الدُّول الأوربيَّة نجد أنَّ النَّاتج القوميَّ الإجماليَّ للدُّول الأوربيَّة الإحدى عشر المنتمية لاتفاقات اليورو تمثِّل مجتمعةً 80% من النَّاتج الوطني الإجماليِّ الأمريكي،فكم يمثِّل مجمل النَّاتج القوميِّ العربيِّ من النَّاتج القوميِّ الأمريكيِّ؟ ولذلك لا عجب في أن نجد أنَّ موقعَ العالم العربيِّ من ناحية البنية الاقتصاديَّة موقعاً يدعو للأسى والحسرة والأسف

ومن جانب آخر بلغت الدِّيون العربيَّة، من دون الطَّفرات والطَّوارئ، في سنة 2008 نحو (262) مليار دولار، ولكِنَّها في حقيقة الأمر زادت عليه بنحو الضعف ،وبلغت قيمة خدمة الديون العربية أكثر من (151.4) مليار دولار[19].

تجدر الإشارة إلى أن الوطن العربي يعد ضمن المناطق الغنية في العالم بفضل موقعه الاستراتيجي لتوسطه العالم وما يحيط به من مسطحات مائية تمثل ممراً مثالياً للنقل على مستوى العالم، وموارده الاقتصادية الكثيرة وخاصة النفط ،وعدد سكانه الكبير وما يتمخض عنه من الأيدي العاملة ،وما تختزنه أرضه من معادن ثمينة ، إلا انه بالمقابل يحتل مراتب متقدمه من حيث الفساد المالي والإداري ،الأمر الذي أدى إلى تبدد هذه الثروات وضياعها دون أن يستفيد منها مواطنوه، وهذا الفساد ذا علاقة متينة بالتحلل الأخلاقي والانحراف الديني والبعد عن الله وعدم الخوف منه،وإلا لكان المواطن العربي اليوم لا يختلف شأناً عن غيره من الأوروبيين لا بل الهنود !

وإذا كانت هذه عوامل داخلية فلا ننسى دواعي العولمة والنظام العالمي الجديد وقبله الاستعمار وما رافقها من مؤامرات على الدول الفقيرة والغنية من حيث سلب أموالها وسرقتها كما حدث لأموال العراق قبل وبعد عام 2003،وما أفريقيا عنا ببعيدة ،تلك القارة الغنية التي سلبت موادها الأولية عن بكرة أبيها من قبل الاستعمار الغربي في القرنين الأخيرين، إذن الدول المتخلفة تقع تحت تأثيرين أولاهما تجاهل الحكام ،وثانيهما تجاهل العالم المتقدم لحقوقهما.

في أفلام هوليود يصوروا المسلمين على أنهم باذخوا للمال محبي للنساء ملابسهم رثه متخلفين فمن المسئول عن ذلك؟ العامل الأول المسئول عن هذه الظاهرة هم العرب والعامل

الثاني هم اليهود لأنه هناك فلم لليهود وكيف عذبوا في الهوليكوس على يد الألمان، ونحن عندنا مئات القصص لكن لا توظف للأسف لكي نوضح للعالم حقيقة أنفسنا .
للأسف تم حصر الإسلام في المساجد واقفلوا عليه بالمفتاح !!! فهل يوجد أسلام في الشوارع ،الصلاة في المساجد فهل توجد أخلاق في الشوارع؟

-من الناحية الفكرية

إن التفكير والتدبير وإعلاء كلمة العقل،منحى أنساني ،عرفه العقل الراجح ،وليس حكراً على فكر غربي أو شرقي،وقد صلح به المجتمع ،ويمكن أن يصلح به أي مجتمع يتبناه ويؤكده ويؤطره، والذي لا جدال فيه إن بدايات التفكير الصحيح تقوم على إن المرء عندما يعمل فكره يخاصم من يقرأ لهم أو يستمع إليهم،مخاصمة في الحق ،فما هو معقول يؤكده الحس والتجربة والخبرة ،وما هو غير ذلك يُشك فيه ويمحّص،وهناك الكثير من الطرق التي يستخدمها بعضهم للتأثير في مسار العقل والتفكير الصحيح ،ومنها اللغة التي يستخدمها الكاتب في مقاله أو دراسته ،أو الخطيب في حديثه للجمهور. الغريب في الأمر انه في عصر ما قبل الإسلام كانت قريش تبعث بابناءها إلى الصحراء لتعلمهم اللغة والمنطق وقوة البدن والفروسية ومنهم نبينا الأكرم(صلى الله عليه وسلم) ،إذن صحة التفكير والتدبر كان حينئذ أفضل من اليوم ،مقارنة بمدارسنا في الوطن العربي [20]،إذ إلى حد الوقت الحاضر لا يوجد حصة في كافة المدارس والجامعات تعّلم الطلبة عن كيفية التفكير قط !!وبالتالي حينما تسال أي عربي عن طريقة التفكير وتعلّمه وماهيته وطرقه تحصل على النفي يالاجابة! لقد غلبت على مقالاتنا وخطبنا وفي أحاديث الناس في ما بينهم التفكير الانفعالي ،فان ثارت قضية ما،وانقسم بشأنها الناس ،وجدنا الكثير من الشحنات الانفعالية لدى هذا الفريق أو ذاك،إذ أن كتابات الانفعال تثير حماساً ولا تنير عقلاً.

لقد غرقت مؤسساتنا التعليمية في برامج التعليم بالتلقين وليس التعليم بالتفاعل،فقد نجحت مجتمعات في تعليم مبادئ التفكير العلمي لطلابها كموضوع خاص أو كجزء من مواد عامة،إلا أن عملية التفكير عملية بطيئة وتراكمية ،تبدأ بالتراكم المعرفي ،فمن لا يعرف لا يستطيع أن يفكر ،وأدوات المعرفة عديدة متشعبة كلها غير مدرجة على جدول أعمال

القياديين العرب اليوم بما فيهم الأكاديميين،غير أبهين بان مهارة التفكير العلمي هي في الحقيقة عملية علمية تصب في مجرى التغير الاجتماعي الهادف إلى تطوير المجتمعات ،فهي ليس مزية عقلية يتحلى بها الأفراد ،لكنها مع التراكم تصبح سمة للمجتمع ككل،فهل هذا جهل في قيادة المجتمع من قبل حكام جهلة أم تجاهل هؤلاء الحكام ليبقى المجتمع يئن تحت وطأة الجهل؟

خامساً- دوافع الترويج للجهل والشذوذ

هناك من يروج للشذوذ سواء كان الشذوذ الأخلاقي أم للشذوذ الجنسي أو للانحراف السلوكي العام أو غيره لكي يوقع الشعوب في متاهات وجهالة قد يحتاجها لأمر ما حسب تصوره،واليهود هم وراء اغلب هذه الرذائل المنتشرة حول العالم يروجون لها عن طريق نفوذهم العالمي وشبكتهم الإعلامية الضخمة، فالمتأمِّل في ملكيَّة وسائل الإعلام ذات التَّأثير في الولايات المتحدة وأوروبا، هي ذات ملكية يهودية مثل روبرت ميردوخ الذي يملك شبكاتٍ كاملةً مِن الصُّحف والقنوات الفضائية من خلال مجموعته "نيوز كورب" التي تملك الـ"نيويورك تايمز" والـ"هيرالد تريبيون"، وإيان روبرت ماكسويل الذي كان يملك صحيفة "ذي إندبندنت" اليوميَّة البريطانيَّة والـ"ديلي نيوز" النيويوركية، والأخير قتله الموساد الإسرائيليِّ بعد تهديده بكشف تاريخ تعامله مع المخابرات الإسرائيليَّة وخططها في هذا المجال من خلال إمبراطوريته الإعلامية.

فقد جاء في بروتوكولاتهم الآتي[21] :

لابد من إغراق الأمم في الرذائل بتدبيرها عن طريق مَنْ نهيئهم لذلك أساتذة وخدم وحاضنات ونساء الملاهي.

– سنتقدم إلى الشعوب الفقيرة والمظلومة كمحررين ومنقذين إياها من الظلم وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والماسونيين ،وبفضل الجوع سنتحكم في الجماهير ونستخدم سواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا.

لابد من أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب وننزع من عقولهم فكرة وجود الله ونحل محلها قوانين رياضية مادية لان الشعب يحيا سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة

الإيمان ،ولكي ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل وبذلك لا يفطنوا لعدوهم العام في الصراع العالمي.

فانتشرت المناهج الهدامة في العالم كله ساعية للتحرر من ضوابط الدين،فالعلمانية الآن تسعى وخاصة في الشرق الأوسط إلى التحرر من الضوابط الشرعية للدين الإسلامي وأسلمة الأفكار الغربية لتتوافق مع مبادئ حركتهم الفكرية الآخذة في الانتشار شرقاً وغرباً،لم يسلم منها احد،فرضت على رقاب الناس بواسطة حكام مأجورين لا دين لهم ووسط سكوت أفواه المتدينين.

كان اليهود وراء جهل الإلحاد ، وفساد الأخلاق ، وفساد التنصر والتكفير ، وفساد الأفكار ، وفساد القوميات والعصبيات ، وفساد الاقتصاد ، وفساد الأسر والبيوت ، وفساد الصحافة والإعلام ولذلك أطلق القرآن وصفه لهم بالسعي في الأرض فساداً ،ولم يخص من الفساد نوعاً معيناً ، ونبه بإطلاقه على أنهم وراء كل فساد، لذلك اخبرنا القرءان عن فساد اليهود في الأرض بآيات قرآنية عديدة نذكر منها:

اليهود وقتل الأنبياء﴿ وَقَتلَهُمُ الأَنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍ﴾ آل عمران الآية: 181.

اليهود وخيانة الوعد" :أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهداً نبَّذَهُ فَرِيقٌ مّنِهُم﴾ البقرة الآية:100"

اليهود والفساد في الأرض﴿"وَيَسعَونَ فِي الأَرضِ فَسَادًا﴾ المائدة الآية:33.

اليهود وبث الفتنه بين الدول﴿"كُلَّمَا أَوقَدُواْ نَاراً لِّلحِربِ أطفأها الله﴾ المائدة الآية:64.

اليهود وسوء الأخلاق﴿كَانُواْ لا يتَنَاهَونَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِأسَ مَا كَانُواْ يَفعَلُونَ﴾ المائدة الآية:79.

تاريخ اليهود منذ أن كانوا إبان أنبيائهم من موسى إلى هارون إلى من قبله، وإلى من بعده، نجدهم سفكوا الدم الحرام، ونشروا الفساد بكل أنواعه، زنا وربا، وطغيانا وتجبرا، ونشرا لجميع خلائق السوء، بما أصبح بذلك جزءا لا يتجزأ من كيانهم وحياتهم .

يقول عبد الوهاب المسيري [22]أن رئيس أول جماعة عالمية للشواذ جنسياً من الذكور هو ماجنوس هير شفيلد(1868–1935) ومساعده كورت هيلر(1885–1972)،وكلاهما كان المانياً يهودياً،وكان هيلر أول من طالب باعتبار الشواذ جنسياً أقلية لابد من حماية حقوقها،ويقول أيضا "وقد بدأت المؤسسات الدينية اليهودية تلحق بالركب ،فاليهودية

الإصلاحية والمحافظة لا تُحرِّمان الشذوذ الجنسي وقد أسست أيضا معابد يهودية للشواذ جنسياً،ورسم حاخامات شواذ من الجنسين".

ويقول أيضا"في عام 1988 اصدر الكنيست قانوناً بإلغاء القانون الذي يجُرِّم العلاقات الجنسية الشاذة،وتوجد في إسرائيل جماعة تسمى جماعة الدفاع عن الحقوق الشخصية أسست عام 1975 ،وبعد عام 1988 ظهرت مجلات للشواذ جنسياً في إسرائيل باللغتين العبرية والانكليزية ،وفي يونيو 1991 عُقد في تل أبيب المؤتمر الدولي الثالث للشواذ جنسياً من الذكور والإناث والمخنثين".

الفكرة الرئيسة عند اليهود هو الانحراف الأخلاقي والاجتماعي، قال الله تعالى في سورة البقرة– الآية 275﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"﴾. وباستثناء الشِّرك والكفر وبعض الكبائر مثل الزِّنا وعقوق الوالدين؛ لم ينزِّل اللهُ تعالى في كتابه العزيز آياتٍ على هذه الشَّاكلة مِن التَّحريم والذَّمِّ المغلَّظَيْن كما أنزل في الرِّبا.

ويأتي ذلك انطلاقًا من العديد من الأمور، أوَّلاها أنَّ اليهود أحلُّوا الرِّبا وافتروا على الله تعالى في ذلك، كما انه يعتبر أحد صور أكل حقوق المُستضعفين، وهي أمور لم يبسط الله تعالى فيها الأحكام، صيانةً لها، باعتبار أن المساس بحقوق الله تعالى من جانب الكافرين والعصاة لا ينقص مِن الله تعالى ولا مِن مُلْكِه شيئًا، أمَّا المُستضعفين فهم أولى بالحماية، لذلك جاء الدم مغلظا في الرِّبا، وتقابل في عقوبتها عقوبة المنافقين والكفَّار والمشركين، وهي الخلود في النَّار.

قال تعالى في سورة الأعراف الآية 33"﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

هذه هي تعاليم الإسلام، التي هي تتَّفق مع الفطرة الإنسانيَّة، ولا تُعْتَبَر لائقةً فقط بالمسلمين أو متوافقةٌ مع عقيدتهم؛ حيث الخمر تضر المسلم وغير المسلم، والربا أكلٌ لحقوق المسلم وغير المسلم، والفواحش تضرُّ المجتمعات المسلمة وغير المسلمة ،وذلك لان كلام الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جاء لجميع خلقه.

ولا يقتصر (النَّشاط) اليهودي في هذا الأمر على الفساد والإفساد الاجتماعي وعلى الربا؛ حيث يؤدي اليهود الدور الأساسي في نشر مختلف ألوان الرذيلة مثل الزنا واللواط وإدمان المخدرات وشرب الخمور، والذي يقرأ البروتوكولات، وهي ثالثة المصادر الأساسية للعقيدة اليهودية المُحرَّفة بعد التَوراة والتلمود؛ يرى عجبًا في هذا الأمر؛ حيث تدعو البروتوكولات إلى نشر الأفكار الإباحيَّة والانحلال الأخلاقي لتحقيق هدف **تحلُّل المجتمعات**، ونشر قيم الاستبداد، كما يعترف اليهود بأنهم كانوا وراء ظهور العديد من النظريَات والفلسفات الهدامة التي تخالف سُنَنِ الخلق الإلهي للكَوْن، مثل نظريَة النشوء والارتقاء للعالم البريطاني اليهودي تشارلز داروين، وفلسفة نيتشه التي كانت وراء ظهور نظام أدولف هتلر الألماني، والتي دفعته إلى خوض الحرب العالمية الثانية.

ولعل اخطر ما يرددونه مِن تعاليمَ في هذا الجانب" :إن منع نكاح المحرمات من الأُمهات والأخوات والبنات، بل والأبناء، ليس إلا مِن مُخلفات الإنسان البدائي الذي احتاج إلى إجراء معاهداتٍ واتفاقيَات خارج نطاق الأُسرة، فقام عند ذلك بمنع نكاح المحارم، وبما أن ذلك لم يعُد له أيَة أهمية، فإن هذا المنع يُصبح أمرًا عفا عليه الزمن."

لكن ومن جهة أخرى إن الله سبحانه وتعالى خلق من كل زوجين اثنين ،فالخير والشر وجدا في الجنة وصية الله لأبونا آدم وصية خير ،في ما يعتبر تغرير الشيطان لهما بأنها إرادة شر،لكن الله أعطانا العقل لكي نتدبر أمورنا باتخاذ طريق الصلاح والابتعاد عن الشر ،فما بال المسلمين الوقوع في شرك الكفر من أول وهلة،ولماذا دائما ننشر غسيلنا على حبال الغير وكأنه تبرير رخيص لأفعالنا المشينة، هل وصل الجهل إلى إننا لا نفرق بين ما هو ضار وما هو نافع؟إذن إن كنا نعرف الخطأ ونتجاهله فتلك مصيبة !وان كنا لا نعرفه فالمصيبة أعظم وأشد!

إذ إن لنا (نحن المسلمون)آذان صاغية للأسف وعيون شاخصة لهذه الأعمال الشاذة وقلوب ملهوفة لرؤية أو سماع أخبار هؤلاء،وكأن الأمر لا يعنينا ونحن نُسَلم أطفالنا وشبابنا لقمة صائغة لهؤلاء القوم ،.إذن نحن بشكل أو بآخر لا نعفي أنفسنا أبداً من المشاركة" أيَّ كان نوعها" في شيوع الرذيلة أو على الأقل السكوت عنها في مجتمعاتنا المسلمة، والساكت عن الحق شيطان اخرس.

الخلاصة :

قمة الجاهلية حينما لا يفرق المرء بين ما ينفعه وما يضره! خاصة ونحن نعيش في قرن كثر فيه قنوات العلوم ومجالات المعرفة وسبل الرشاد للذي يريد أن يتزود بها،فلا مجال للحجج بعدم وجود ما يُعرف وما لا يُعرف،لا بل كل ظاهرة في الكون باتت معروفة للجميع،إذن الذي يحدث هو تحامل على إرادة الكون الصحيحة ،وتجاهل مقصود بمعرفة مسبقة! وهذه هي الميزة الرئيسة التي يتميز بها هذا القرن عن القرون السابقة،والذي يتحمل فيها الإنسان وزر ما يفعله ، وبالتالي فانه من الضرورة بمكان التفريق بين الجاهل والمتجاهل ،ويمكن القول إن عدد الجهلة اليوم بات قليلاً جداً بينما المتجاهلين يشكلون الأكثرية !

وبهذا الصدد يقسم الناس إلى ثلاثة أصناف ،أولاهما؛الذي يفعل المنكرات ويشذ عن القاعدة السوية بسلوك منحرف مرفوض من قبل المجتمعات الفاضلة وكأنه يبارز الله في خلقه، بقصد مسبق ومبيت والتي هي أساس صفة الجهالة كاليهود مثلاً لأجل تحلل المجتمعات من خلال شيوع الرذيلة بينها،وصنف يعمل الجهالات مدفوعاً ومسيراً من قبل الصنف الأول أما لأجل المال أو الفقر أو أن السلوك الشاذ هو جزء من شخصيته وتركيبته ،أما الصنف الأخير الذي يرى الصنفان الأولان ولا يرضى عن سلوكهما ولكن يغض النظر عنهما ،فهو يشاركهما الإثم حسب الشريعة الإسلامية(من رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)وتشمل هذه عامة الناس إلا من هدى الله،لا بل كثير من الناس لم يعد يصل إلى اضعف الإيمان وتلك هي مصيبة الأمة!

هناك فرق كبير بين الشعوب المسلمة والشعوب غير المسلمة من حيث فعل الرذيلة ومحاولة شيوعها بين الناس وبالتالي يمكن الحكم من خلال ذلك على نسبة الجهلة بينهما (على اعتبار إن معيار الجهل هو الإيمان بالله والخوف منه)وقد اتخذ هذا المعيار على أساس المثال الآتي: إذا خيّرت رجل بين دارين بحاجة إلى ترميم لكلاهما لكي يكونا صالحين للعيش ،وتقول له إن الدار رقم واحد إن رممتها فانك ستعيش فيها يوم واحد والدار الثاني إن رممتها فانك ستعيش فيها زمنا طويلاً ،فما بالك بهذا الرجل إذا اختار ترميم الدار الأولى!! ألم يوصف حينئذ بأنه جاهلا؟ ،وهي تعني اهتمامه بالحياة الدنيا وترك الدار الثاني التي هي دار القرار. فالشعوب المسلمة وان انحرفت عن مسار الإسلام الصحيح إلا

أنها تبقى محافظة على بذرة الإيمان في داخلها ،بمعنى إن المسلم يعيش في إطار اجتماعي وأخلاقي وأحضان إيمانية لا تسمح بالانحراف العلني أو أن المنحرف فيها مبتذل ومرفوض من قبل مجتمعه وهذا يقلل من انفلاته واندفاعه على عمل المنكرات ،على العكس من المجتمعات غير المسلمة إذ لا رادع أخلاقي ولا مانع اجتماعي ولا قيود شخصية ولا حياء أو خجل من فعل المنكرات .

إذن وفق المعيار أعلاه لا يمكن درج الشعب الياباني والصيني المتمثل بانضباطه العالي وثقافته الكبيرة أو حكومة سنغافورة التي لجأت إلى تجريم البصاق في الشوارع، وإلقاء العلكة وأعقاب السجائر في الشوارع، واتبعت معايير صارمة في مراقبة السلوك العام للفرد، بغرض مساعدته على التخلص من همجيته، ونقله إلى مدارج التقدم والرقي، حتى أنها وضعت خططاً وتنظيمات لمنع استمرار تزاوج القطاعات المتخلفة والهمجية ببعضها، وعملت على تشجيع الزيجات التي تجمع المتحضر بالهمجي لتعديل سلوكه وقيمه ، هذه البلدان لا يمكن درجهما ضمن المجتمعات المتحضرة ،ذلك لان هذه الخصائص وغيرها تعبر عن حضارة راقية مادية تخلو من أي مظهر روحي أو معنوي يمكن أن يفيد العباد في آخرتهم،بعبارة أخرى ما فائدة هذه الحضارة لمدة وجيزة لا تتعدى يوماً واحدا عند الله،لكن بالمقابل لا يمكن نكرانها أبداً لا بل نحن بحاجة ماسة إليها تضاف إلى خصائص مجتمعاتنا ليندمجا معاً ، فحينما يجتمع العنصر الروحي مع المادي يتكاملان ليشكلا حضارة راقية يشار إليها ، وبفقدان أحد العنصرين تبقى الحضارة ذا ثلمه لا ترقع إلا بتوافر العنصر الثاني!ويندر توفر مجتمع يحمل كلا الصنفين معاً!

المجتمعات المسلمة الآن مصابة بوهن وفق ما تقدم وهذا الوهن لا يعني الموت ،بل توقف قد يدوم وقد يواجه بصحوة إيمانية، وبالإمكان علاجه فيما استمسكت الأمة المسلمة بتلابيب الحضارة المادية أولا،واستكملت جوانب حضارتها الإيمانية التي ابتعدت كثيراً عن قيم الإسلام الحقيقية،فالأمة العربية امة حية مثلما هو ماضيها المشع بحضارة عجزت عن تأتي مثلها الأمم،ونرى على ما يبدو إنها كُبلت بحراس غير أمناء على مصيرها بحيث انحدروا بها إلى هذا المستوى من الجهل والتخلف .

مصادر ومراجع الفصل السادس:

1-عبد الله العروي،ثقافتنا في ضوء التاريخ،بيروت ،دار التنوير للطباعة والنشر،1983،ص177.

2- سيّار الجميل ،انحدار قيم المعرفة والعلم في دولنا ومجتمعاتنا، راجع الرابط الآتي: www.sayyaraljamil.com

3- محمد اسفندياري، ببليوغرافيا وصفية للكلام الجديد، مجلة نقد ونظر، العدد 2، 1995 ،ص ص 211.248.

4- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط5، بيروت- دار القلم، 1984، ص475.

5- مجدي عبد الله أبو عويمر، التطرف والعنف في الفكر اليهودي - دراسة مقارنة- ،القاهرة، مركز الإعلام العربي، سلسلة رسائل علمية، الكتاب رقم4 ، الطبعة الأولى، 2008،ص221.

عبد العزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ،1998، ص 90.

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه المشهور " فتح الباري" نقلا عن المفضل الضبي أن أول من قالها جندب بن عنبر في الجاهلية.

ابن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الثالثة، دمشق،دار الفكر،1986، ص27.

إبراهيم النعمة،رضينا بالإسلام ديناً،ط1،الموصل ،الزهراء الحديثة،1983،ص59.

10-انظر زغلول النجار ،المفهوم الإسلامي للتقدم العلمي والتقني على الرابط الآتي:www.balagh.com

11- رولف هود، التجربة الدينية، علم نفس الدين والإلهيات، ترجمة أحمد قراملكي، مجلة قبسات، 1998.

12- سيّار الجميل ،مصدر سابق.

13- مجلة النهار اللبنانية في 2009/3/30.

14- محمد صالح ربيع العجيلي ،الإشكالية بين التحضر والخصوصية الحضرية في الوطن العربي، مجلة كلية التربية –العدد الثاني لعام 2002،ص89.

15- محمد عابد الجابري ،هل يظل تطبيق الحدود مقصورا على المستضعفين ؟ نقلاً من مجلة العربي،العدد505، كانون الثاني(ديسمبر) 2000 ،ص 162.

16- أذيع التقرير عن طريق وسائل الأعلام المرئية (القنوات الفضائية) بتاريخ 2009/7/2.

17- سليمان إبراهيم العسكري ،مثلث عربي بلا أضلاع،مجلة العربي ،العدد566،كانون الثاني (يناير) 2006،ص12.

18- محمد صالح ربيع العجيلي،واقع الدراسات العليا في الجامعات العراقية- دراسة مقارنة بين منهج الإسلام وتحقيق التنمية الشاملة،منشور في عدد خاص لكلية التربية ضمن وقائع المؤتمر ال16 للكلية لعام 2009،ص189.

19- محمد صالح ربيع العجيلي، المكانة الحضارية للوطن العربي على المسرح الدولي،محاضرة ألقيت على أساتذة قسم الجغرافية في الجامعة المستنصرية ضمن النشاط العلمي السنوي للقسم عام 2010.

20- محمد صالح ربيع العجيلي،طرائق التفكير العلمي ،الطبعة الأولى،بغداد ،دار الكتاب ،2009،ص21.

21-عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الطبعة الأولى ،القاهرة، دار الشّروق ، 1998،ص181.

22- المصدر نفسه ،ص192.

الفصل السابع
مقارنات واقعية

المبحث الأول: هكذا هو سلوكهم فارتَقوا

في السفر in travel

يقف شخصين بمطار طوكيو لتحية الناس الآتين إليهم أي إلى المطار فقط. وفي الطائرة هناك ثلاث علامات إرشادية ترشد الركاب للجلوس علامة الدائرة يعني مكان فاضي

والمثلث يعني أماكن محدودة و x يعني لا توجد أماكن.ولا توجد واسطة أبدا لتغيير المكان أو أي إخلال بالنظام. عندهم المسافر يعان ولا يهان هذه القاعدة موجودة في مطار دبي ،ومطار دبي أفضل 5 مطارات في العالم والأول عربيا ثم تأتي قطر ثم مصر. إذ يتأخر المسافر في مطار دبي 17 ثانية بينما في مطارات عربية أخرى 12 ساعة. و في مطار دبي تاكسي خاص للسيدات والسائقات من نساء. ممكن أن تكون اليابان متطورة ومقبولة ...الخ لكن المقارنة مع الإمارات تبعث عدة علامات استفهام.

أهم معيار في المطار هو السرعة ثم انه يتعامل مع كل الفئات ،مثال على ذلك فان مطار كوريا يؤخر المسافر 10 ثواني فقط . ويتميز مطار كوريا الجنوبية بان سعته 40 مليون مسافر في السنة أما في اليوم يبلغ 110 ألف مسافر، وهناك صالة سينما في مطار كوريا لكي لا يضجر المسافرين الذين إن تأخرت رحلاتهم لإغراض الترانزيتTransit .

في الشارع in the street

تأتي مدينة اسطنبول باعتبارها تقع في دولة نامية في مقدمة مدن منطقة الشرق الأوسط من حيث التنظيم المروري ، إذ تظهر في غرفة التحكم خريطة اسطنبول بكل شوارعها والساحات وكاميرات المراقبة والسيطرة ،بحيث أي شارع في اسطنبول بمجرد أن تضغط عليه بالخريطة يظهر لك شدة الازدحام ومتوسط السرعة وكذلك عن طريق الكاميرا تظهر لك الشوارع بجميعها (الخطوط المرغوبة الآنيةThe desired lines) سابقا كان على الخريطة أما اليوم متحركة الكترونيان، وبالتالي أي مواطن تركي يستطيع أن يعرف شدة الازدحام بالدقيقة واللحظة التي يريدها ومن ثم يسلك الشارع الذي يراه سالكا. كذلك السائق في الشارع يستطيع معرفة الشوارع المزدحمة ليتجنبها عن طريق الهاتف . في الخريطة الالكترونية Electronic Map يعطيك الطريق الذي تريد استخدامه والوقت المستغرق والكاميرات الموجودة عليه وكم تحتاج من وقود لسيارتك ، هذه الأنظمة كلها موجودة على جوال كل مواطن.

وحينما تتصادم سيارتين لابد من انتظار المرور لأخذ المخطط.... لماذا؟ لأنه السمكري لا يصلح أي سيارة إلا إذا كان لدى صاحب السيارة مخطط من المرور ، بالتالي يضطر المواطن بانتظار المرور لأخذ المخطط كأسلوب لضبط النظام المروري.

ترى في غرفة التحكم الحوادث على الخريطة بوقت حدوثها وكل شارع كم حادث تحدث فيه باليوم والسنة كلها تجده موجود على خريطة السيطرة ، وفي الخريطة تعطيك درجة الحرارة وكذلك درجة حرارة الإسفلت خوفا من الثلوج التي قد تؤدي إلى تزحلق السيارات ،فإذا حدث تساقط الثلوج عندئذ تقوم البلدية بوضع كمية من الملح على الشارع لإذابة الثلوج وتلافي التزحلق.

أما إشارة المرور traffic light فانه يتحكم بها عدد السيارات المارة في الشارع فهي تبقى حمراء لا تتحول إلى اللون الأخضر إلا إذا جاءت سيارة في الشارع ،بمعنى إذا من الجانب الآخر لا توجد سيارات يبقى لونها احمر استثمارا للوقت.

في اليابان الشوارع والمولاة كلها معلمة بعلامات إرشادية لكفيفي البصر مُعَلَم باللون الأصفر ومسنن يستطيع الأعمى إتباعه جاء ذلك بعد أن دُعس رجل كفيف سنة 1973 فمات فعممت الدولة شعار الاهتمام بكفيفي البصر . وعند إشارة المرور traffic lightهناك صوت خاص لدليل المكفوفين لكي يعبروا الشارع .

حينما توقف تاكسي taxi في الشارع فان باب التاكسي يفتح أوتوماتيكيا حينما تقترب منه ! ثم ينزل السائق من سيارته لكي يحييك وبعدها يصعد لينطلق .

حينما تريد تزويد سيارتك بالوقود وتصل إلى المحطة فان عامل محطة الوقود يحييك بالانحناء أولا ثم يضع منديل على السيارة لكي لا يؤذيها أو يقع عليها نقط من البنزين؟.فضلا عن تحية العمال لك وأنت تخرج من المحطة .

في الإمارات العربية المتحدة المخالفات المرورية تأتي على الهاتف الجوال عن طريق الرادار ،إذ أن خدمات الدوائر في الإمارات حققت نسبة انجاز 100% ،وهناك توجه اليوم نحو الحكومة الالكترونيةThe electronic government لكن العرب الآخرين بعيدين عنها للأسف.

بينما العمال العرب لا يأخذون إجازة في محطات الوقود ويعملون 12 ساعة باليوم و7 أيام بالأسبوع حتى يُنهك لأنه لا يأخذ مرتب أو أجور يومية بل اعتماده كليا على ما يأخذه من رشوة من الذين يتزودون بالوقود من المحطة.

يوجد في كل شوارع أوروبا لا سيما كوبن هاكن Coben Hacken ممر خاص للدراجات الهوائية For bicycles وتخضع لقوانين خاصة لأنه أيضا تشكل خطورة في الشوارع

بالتالي خصصت لها ممرات ، إذ أن وزير التعليم العالي الدنمركي يذهب إلى مكتبه بالدراجة الهوائية Bicycles ، وعندما يواجه راكب الدراجة مرتفعا يصعب صعوده فهناك مصعد كهربائي خاص للدراجة يصعد بها للأعلى! وفي الصين كارت توفره الدولة مجانا تحمله معك وفي الطريق يمكن أن تستخدم أي دراجة هوائية عن طريقه . وفي أوسلو فنلندا صنعوا سيارة صغيرة تمشي على الرصيف لكبار السن بدلا من الكرسي،إذ أن الكرسي أحيانا يصعب الجلوس عليه أثناء الصعود.

في مواقف انتظار السيارات في دبي للبحث عن موقف فارغ يكون الاعتماد على إشارات ضوئية متعددة، فالضوء الأخضر يعني أن الموقف فارغ، والموقف المشغول يعطي ضوء احمر .فالسائق حينما يروم الدخول يعرف أن كان يوجد موقف فارع أم لا. فهو يوفر الوقت والتنظيم ، ويوجد في دبي 9700 مركبة تاكسي .

وفي تركيا أجهزة لرفع السيارات في أماكن وقوف السيارات Parking spaces أي لاستثمار المكان لتصبح سيارة فوق سيارة بالتالي بدلا من 100 سيارة تصبح المواقف تستوعب 200 سيارة .وان مساحة 4 4x يستخدم ل 13 سيارة بسبب استثمار المكان. مواقف الدراجات الهوائية 13 طابق تحت الأرض يعمل أوتوماتيكيا ،وتستغرق عملية استخراج الدراجة 13 ثانية .

كانت الإدارة البلدية في اليابان تعتمد على المواطنين بالإبلاغ عن الحفر لردمها وتسويتها في القرن الثامن عشر ، بعدها تم صنع سيارات خاصة تجوب الشوارع بحثا عن الحفر لتسويتها في نهاية القرن التاسع عشر أي قبل 100 سنة تقريبا . بعدها صنعوا 20 سيارات مجهزة بالليزر تكلفة الواحدة منها مليونان دولار لا لكي تبحث عن الحفر لردمها فقط بل عن المكان الذي ممكن أن يصبح حفرة بالمستقبل القريب(أي قبل أن تولد الحفرة) من خلال معرفة رخاوة الأرض بالليزر، علما أن استخدام الليزر تم اعتماده لهذا الشأن منذ 20 عامل تقريبا .

منذ 1905 بدأ استخدام العداد في سيارات التاكسي بلندن ، وسائق التاكسي يدخل دورة لمدة أربع سنوات لكي يتخرج سائق تاكسي، و من ضمن الاختبار لابد أن يحفظ 320 مكان في لندن لكي يحصل على رخصة القيادة كسائق تكسي.

وسائق التاكسي بلندن يفخر به أهله وأطفاله بالمدارس ولهم مكانة متميزة بين زملاؤهم لان أباهم سائق تكسي ويقربهم الأستاذ منه ويزداد احترامه لهم ، لأنه أبوهم يمتاز بالذكاء والفطنة والخبرة ويتحمل ويتحلى بالصبر لكي يمتهن السياقة .ثم أن سائق التاكسي لا يصاب بالزهايمر ،وان 80% من الطلبة المتقدمين كسائق تاكسي يرسبون بالامتحان أي أنها تعادل دراسة الطب عندنا!!!

يمر القطار بزيورخ يوميا 2000 مرة أي أن كل 40 ثانية يمر قطار،وهناك 26 محطة للمترو والباصات ، في سويسرا 41000 كيلومتر من الجبال بحيث يخترق القطار 56 كيلو متر داخل النفق أي 56 كيلومتر أنفاق تحت الجبال.

القطارات في طوكيو تنظف من قبل العمال لمدة 7 دقائق، وهناك 300 قطار في اليوم تضم 1400 مقطورة بواقع 750000 راكب في اليوم.

بلد الدراجات Country Bicycles

يستخدم 50% من الهولنديين الدراجات في تنقلهم بحيث يدربون الأطفال على قوانين المرور وهم في الروضة . وتعلموا ركوب الدراجات واستخدامها منذ الحرب العالمية الثانية ،ولها أماكن وقوف خاصة وإشارات مرورية خاصة يوجد فيها صورة الدراجة.

من ضمن الأفكار الواردة التي من شانها تقليل حدة الازدحام في الشوارع هو من خلال تحديد شارع خاص لكل سيارة تحمل أكثر من شخصين مع غرامة 450 دولار من يسلك ذلك الشارع بشخص واحد، ويأتي هذا تشجيعا لركوب أكثر من شخص بدلا من شخص واحد لتقيل الحركة .لان هذا الشارع سيكون خاليا من الازدحام فيغري الناس إلى حمل أكثر من شخص.

حينما يتدرب الفرد للحصول على إجازة سوق في سنغافورة توضع على سيارته علامة تحذير (انه سائق تحت التدريب) لكي يعرف الآخرون ويسهلوا مهمته ،وبدون هذه الإشارة يعاقب المتدرب والجهة التي تقوم بتدريبه.

في هولندا هناك فحص دوريPeriodically check للسيارات سنويا يحدد فيه الوقت والمكان واليوم من خلال خطاب بريدي لصاحب السيارة ليأتي للفحص دون تأخير في الوقت المحدد .ويأتي ذلك من باب ضمان جودة المركبات أولا ولغرض تذكير السائق بضرورة فحص مركبته دوريا ثانيا.يقال إذا عشت 60 سنة فان سنتين منها تقضيه في الشوارع !!!

في الأسواق in the markets

عندما تريد شراء ايس كريم في السوق يسألك صاحب المحل التجاري : متى تأكله؟ يسال عن وقت أكلك للايس كريم، لماذا هذا السؤال؟ لأنه إذا تأخرت بأكله يضع فوقه ثلج جاف لكي يبقى باردا ولا يذوب بسبب التأخير !! إذ أن الثلج الموضوع في إناء الايس كريم يذوب إذا تأخرت ويتحول إلى ماء وبالتالي يتسبب في اتساخ الملابس ، ثم انه يحرص أن لا يضع لك ثلج أكثر من الوقت لكي يدخل في باب التبذير .

وحينما تطلب أكل من كافتيريا يعطيك جهاز خاص ويقول لك حينما يجهز الأكل اتصل بك واذهب اجلس ،وهذا الجهاز بمثابة بطاقة انتظار،الماعون الذي تطلبه ترى صورة له قبل أن تتناوله من حيث الحجم ، وبعد الأكل هناك مكان لتفريغ الأكل الزائد.

هناك جهاز بالشارع خاص لتغليف الشمسية Umbrella حينما تتبلل أثناء المطر تضع الشمسية في الجهاز لكي تغلف بكيس نايلون كي لا تبقى مبلولة وتبلل ملابسك .

لا يوجد في اليابان جوال يرن في الشارع أو أماكن عامة أو مكان العمل وفي المدارس والبيوت احتراما للآخرين من الإزعاج ، إنما يوضع الجهاز وضعية الأخلاق، لأنه وضع الجهاز على الصامت يسمونه وضع الأخلاق .ونفس الحال ينطبق على منبه السيارة إذ لا يستخدم المنبه إلا في الحالات الحرجة والقصوى ،ولدي صديق عمل في ألمانيا لمدة 12 سنة يقسم انه لم يسمع منبه السيارة أبدا.

هناك أماكن مخصصة للتدخين وأن حمل السيكارة لابد وان تكون فوق مستوى رأس الطفل لكي لا تؤذي الطفل وأنت تسير في مكان التدخين. هناك محفظة خاصة لإطفاء السيكائر وتحمل في الجيب وترمي في مكان مخصص لها وتغسل وتستخدم مرة أخرى وهكذا.

في اليابان إذا دخلت محل لشراء الحاجات ونسيت انك تحمل النقود ممكن تشتري بالجوال، إذ يستقطعونه منك من خلال وضع الجهاز على الجوال الذي يسجل الديون. وكذلك الحال في التاكسي أو أي مكان آخر، بالتالي لا توجد مشكلة إن كنت تحمل نقود أم لا .

ما مصير فضلات الكلب في اليابان ؟ إذا أراد الكلب أن يتبرز بالشارع ماذا يعمل صاحب الكلب ؟ الجواب هناك كيس خاص لهذا الغرض وهو لا تخرج منه رائحة!!!!

حينما تخرج من حديقة الحيوانات Zoo في سنغافورة هناك بركة ماء في الشارع الغرض منها هو لكي يتم غسل إطارات السيارات الخارجة من الحديقة لأنها كانت في الحديقة ولربما عَلَقَ بالإطارات شيء من الأوساخ وبالتالي ترمى في الشارع ويتسخ الشارع ويبدل هذا الماء كل يوم .

في الصناعة In the industry

اكبر دولة إسلامية صناعية هي ماليزيا إذ دخلت في البلاد صناعات كثيرة من ضمنها سيارات البروتون ويعمل فيها 10000 موظف ، وتنتج 300 سيارة باليوم أي كل أربع دقائق سيارة ، وتشترك ماليزيا وإيران وسوريا في صناعة سيارة اسمها شام ثلاث دول إسلامية فقط؟ أكثر الدول الإسلامية مشاركة للمرأة في العمل هي ماليزيا وبأسلوب يتماشى مع تعاليم الإسلام فالكثير منهن محجبات . 60% من صناعة السيارات في ماليزيا تتم عن طريق الروبوت أما 40% منها بشري .

لا يوجد طائرة من صنع دولة إسلامية ونحن امة عباس بن فرناس والسؤال هو: لو قاطعنا المنتجات الأجنبية فذلك بأيدينا لكن ماذا لو هم قاطعونا ؟ كيف نذهب ونتصل ونسير بطائرة بسيارة بجوال.

الهند تصنع كل شيء اليوم وهي دولة تصنع الكثير من الصناعات الثقيلة مثل الطائرات والسيارات والبواخر ويتوقع في سنة 2030 ستدخل العالم الأول وعندئذ سيزيد دخل الفرد فيها بحيث يساوي الدخل الأمريكي ويفوق دخل كثير من البلدان.

مُنعت اليابان من صناعة السلاح ومع ذلك غزت العالم وهي ثاني اقوي اقتصاد في العالم.غزت العالم بالعلم الذي لا يقاوم وبالاقتصاد الذي يهزم أمامه التخاذل والتراجع والانحطاط.

في الأمانة In the Secretariat

يقول ﷺ هناك 15 خصلة إذا اختلت واحدة حلت بأمتي المصيبة منها الأمانة بحيث لاشيء يضيع في اليابان أبدا وهم يفتخرون بالأمانة. الأطفال في اليابان يذهبوا بمفردهم للحدائق نتيجة الأمان أما عندنا فيخطف أو يذهبوا به ليصبح متسول أو سرقة أعضاء من جسمه.

الأمام مالك (رحمه الله) يقول إذا وجدت درهم في الطريق يجب ان يبقى عندك سنة كاملة وتعلن عنه إن لم يظهر صاحبه، بعد ذلك ممكن أن تأخذه . سأل أعرابي لمن هذه الدواب التي بين يديك؟ قال هي لله بيدي كذلك المال العام .

يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية كما في البحرين محلات اسمها (أثق فيك I trust you) في أن تأخذ حاجتك وتدفع الثمن دون رقيب كدلالة على زرع الثقة في النفس وترسيخ أسس الإيمان والخوف من الله والضمير وهي إحدى علامات نجاح المجتمعات كما كان عليه الحال في المجتمعات زمن الصحابة.

تأتي سنغافورة بالمرتبة الخامسة الأقل فسادا في العالم بينما اندونيسيا بالمرتبة 118 الأكثر فسادا ، ودخل الفرد السنغافوري 30000 دولار بينما دخل الفرد الاندونيسي 3500 دولار بالسنة .

وفي سياق الفساد نجد أن كوريا الجنوبية الأكثر إنارة بالكهرباء بينما كوريا الشمالية الأقل إنارة ، إذ أن الجنوبية ذات دخل للفرد يبلغ 30000 بينما الشمالية 1000 دولار بسبب الفساد. وأن أكثر عشرة دول فاسدة بالعالم منها 8 دول إسلامية.

احد السودانيين كتب مقالا بعنوان "هل أنا حرامي؟؟" يذكر فيه موقفان حصلا معه.

الموقف الأول: يقول : كان لدي امتحانات للطب في ايرلندا ، وكان رسوم الامتحان 309 جنيه ولم يكن لدي فكه فدفعت 310 ، المهم امتحنت وانتهيت من الامتحان ومضت الأيام ورجعت إلى السودان،وإذا برسالة تصلني من ايرلندا جاء فيها(أنت اخطات عند دفع رسوم الامتحانات حيث أن الرسوم كانت309 وأنت دفعت 310 ، وهذا شيك بقيمة واحد جنيه...فنحن لا نأخذ أكثر من حقنا) مع العلم أن قيمة الظرف والطابع أكثر من هذا الجنيه!!

الموقف الثاني : يقول وأنا أتردد مابين الكلية والسكن كنت أمر على بقاله تبيع فيها امرأة واشتري منها كاكاو بسعر 18 بينس وامضي ،وفي مرة من المرات...رايتها قد وضعت رفا آخر لنفس نوع الكاكاو ومكتوب عليه السعر 20بينس! فاستغربت وسألتها هل هناك فرق بين الصنفين؟؟ قالت : لا ، نفس النوع ونفس الجودة فقلت إذا ما القصة؟ لماذا سعر الكاكاو بالرف الأول ب18 وفي الرف الآخر بسعر 20؟

قالـــت : حـــدث مـــؤخرا فـــي نيجيريـــا التـــي تصـــدر لنـــا الكاكـــاو مشـــاكل فـــارتفع ســـعر الكاكـــاو وهـــذا مـــن الدفعـــة الجديـــدة نبيعهـــا ب20 والقـــديم ب18 فقلت لها إذا لن يشتري منك احد سوى بسعر 18حتى نفاد الكمية ، وبعدها سيأخذون بسعر 20 قالت : نعم ، اعلم ذلك قلت لها : إذا ممكن أن تخلطي النوعين معا بعضهم ببعض وبيعهم بنفس السعر الجديد20 بينس ، ولن يستطيع احد التمييز بينهم. فهمست في إذني وقالت : هل أنت حرامي؟ استغربت لما قالته ومضيت ؛ ومازال السؤال يتردد في إذني...هل أنا حرامي؟ أي أخلاق هذه؟! الأصل أنها أخلاقنا نحن أخلاق ديننا،أخلاق مبادئنا، أخلاق علمنا إياها نبينا محمد (ﷺ)قال احمد ديدات رحمه الله : (نحن لسنا متخلفون عن الغرب ،ولكن متخلفون عن الإسلام ؛ وما تخلفنا عن العالم إلا بعد تفريطنا في ديننا).

في كوريا يسألك الكوري عن "عمرك" قبل اسمك في لقائكما الأول لكي يتحدث معك بلغة تليق بسنّك(حكمة) و في القاهرة يسألك المصري عن مهنتك حتى يناديك بـ "الباش مهندس" أو "البيه"(مصلحة) أما في الخليج فيسألك عن "أصلك و قبيلتك" ليقرّر من خلالها هل يحترمك أم يحتقرك (عنصرية).

في الاستحمام In the shower

حينما تدخل الحمام Toilet في اليابان ستجد العجب ،هناك زر للتشطيب ، وزر لقوة الماء ، وزر للموسيقى !! وزر لشم الرائحة الطيبة!!! وهناك زر يخرج صوت عالي حتى (اختلاط الأصوات) وتشويشها . وفي الحمام تدفئة وهناك حمامات حسب العمر!! هذه إلى جانب حمامات للرجال وأخرى للنساء.

بالمقابل أقدم حمام bathroom تركي بُني منذ سنة 1584 ، وفي البيوت توجد حمامات أيضا دلالة على الاهتمام بالنظافة، وقيل في النظافة من نظف ثوبه زال همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله. وفي اسطنبول هناك دين+علم+نظافة هذا هو الإسلام إذ كانت تعاليمه مطبقة فيها.

ويوجد في بغداد 1400 حمام بينما في بلاد الفرنجة يغتسلون بالسنة مرة واحدة!!! هذا حينما كنا عظماء أيام عز العرب. بحيث من شدة اهتمام العرب بالنظافة والحمامات أصبح فيهم هوس بالحمام.

عملية دخول الحمام إلى الغرب جاءت من خلال رجل هندي اسمه محمد ادخل الحمام إلى بريطانيا والشامبو يعني تدليك الرأس هو الذي ادخله إلى أوروبا .أما المساج جاءت من المس بالحمام وليس المس من الشيطان أي من اللمسTouch .

في المدارس in schools

كتبت إعلامية مغربية في ألمانيا عن سر تقدم دولة ألمانيا تقول: سأخون ألمانيا اليوم و أخبركم عن سبب تقدمها ... سبب تقدم ألمانيا ليس الفوسفات أو الثروات السمكية أو البترول أو المعادن أو المقالع، سبب تقدمها هو النظام التعليمي ، نظام تعليمي يتساوى فيه الغني مع الفقير ابن رئيس الشركة يجلس على نفس الطاولة التي يجلس فيها ابن رجل النظافة (هكذا اسمه وليس الزبال.. لأن الزبال من يرمي الزبالة)هذا النظام مقسم كالآتي :

المرحلة الابتدائية :ومدتها أربع سنوات بعدها يبدأ تقسيم الأطفال إلى جداً مجتهدين ومجتهدين ولا بأس به ومتوسط وضعيف .

جداً مجتهدين والمجتهدين يتم إرسالهم إلى الثانوي،لا بأس به يتم إرسالهم إلى الإعدادي الثانوي،المتوسط يتم إرسالهم إلى المدارس الرئيسة أو المهنية ،الضعفاء يتم إرسالهم إلى مدارس خاص.

خلا ل المرحلة ما بين القسم الخامس والقسم الثاني عشرة وهي سنة الباكلورية، يمكن لأي تلميذ يتحسن مستواه أن ينتقل إلى المدرسة الأفضل.. والذي كان في المدرسة الأحسن وضعف مستواه، سينتقل حتما إلى مستوى أقل. فالأهم أن لا ينقطع التلميذ عن المدرسة .السنوات الإلزامية لأي تلميذ في المدرسة هي تسع سنوات . وبعدها لديه الحق في الانقطاع عن المدرسة... ولكن يجب عليه أن يبحث عن مدرسة مهنية يعني تكوين مهني .

إذا غاب أي تلميذ عن المدرسة في السنوات التسع الأولى فقط لخمس دقائق تتصل المدرسة بالمنزل لتستفسر عن سبب غيابه . إن رفض التلميذ اللجوء إلى المدرسة يتم إحضاره عن طريق الشرطة مع تكليف علماء النفس وعلماء الاجتماع، إضافة إلى الدولة المكلفة في شخص مكتب الشباب لمعرفة السبب... فإن كان السبب أسريا.. يتم حله حبيا.. و إن كان غير ممكن حله، يتم أخذ الطفل من الوالدين لكي ينموا الطفل في ظروف طبيعية لكل طفل

الحق في الترفيه والرياضة وطعام صحي واستقرار أسري وإن اكتشفت الدولة أن سببا من هذه الأسباب فيه خلل تتدخل.

مرحلة الجامعة:

هي مكمن وسر تقدم ألمانيا !! تنتشر الجامعات في ألمانيا في كل مدينة صغيرة كيف ما كان نوعها . كل زاوية من زوايا أي مدينة خاضعة لبحوث جامعية من حيث الاقتصاد والتقنيات والجغرافية وعلم النفس وعلم الاجتماع ، لا يمكن فصل أي فرد من المجتمع عن البحـــــــوث العلميـــــــة الجامعيـــــــة .

أما الجامعات الطبية فهي موجودة في كل مستشفى وفي كل دار العجزة ، ويدرس الأخلاق والرحمة قبل أن يصبح الطبيب طبيبا. ويجب عليه أولا أن يقوم بتمرين تطبيقي أولي لمدة ثلاثة أشهر في دار العجزة، لكي يمسح غائط الرجل والمرأة المسنة ، ولا يعمل الطبيب في ألمانيا بالمستشفى فقط، بل في دور العجزة كذلك وفي مستشفيات الأطفال ومستشفيات الأمراض النفسية والعقلية.

المستشفيات منتشرة على ربوع المدينة وهي متساوية تقريبا كلها في التجهيزات والأطر لأن هذه الأطر هي أبناء الشعب ولا يمكن أن يتدخل وسيط أو دفع رشوة لكي يدرس أحد الطب .

ألمانيا تستثمر في الإنسان لأنه هو مستقبلها. الطالب أو القاضي أو الشرطي أو الوزير أو البرلماني.. لا يحتاج وساطة ولا يولد في ألمانيا طفل وفي فمه ملعقة من ذهب بل ولدوا جميعا متساوون أمام القانون ولديهم جميعا الحق في التعليم والصحة والطب والشغل .

هذا سر تقدم ألماني، فاخبروني يا من تحكمون بلدي ما سبب تخلفنا ؟؟؟ بلداننا فيها ثروات زراعية وثروات معدنية و باطنية وفوسفات وموارد بشرية عاملة وهي من الدول المتخلفة، أرضنا غنية ونحن نركب البحار والمخاطر لكي نحصل على لقمة عيش في أرض غريبة عنا .والغريب في الأمر أن هذه الدول التي نذهب نستجدي منها نعم نستجدي منها لقمة عيشنا وكرامتنا يقول عنها حكامنا إنها دول كافرة ،ونحن إذ نطلب منكم أن تكونوا كفرة مثلهم لكن وفرَّوا لنا كرامتنا وعزنا مثل ما توفره هذه الدول الكافرة لسكانها إن كان تفسيركم للكفر هكذا بموازين مقلوبة ! قيل أن الأمريكان مشوا على سطح القمر في الستينات من

القرن العشرين وعلى العرب أن يمشوا على الرصيف في القرن الحادي والعشرين، على أساس ذلك لا غرابة في أن يحتقرنا العالم !!!

مدرسة مفتوحة في كوبن هاكن الدخول إليها يكون بالجوارب بدون حذاء لكي لا تجلب البكتريا إلى المدرسة، ويوميا في الصباح هناك نصف ساعة رياضة، الفكرة من ذلك لكي لا يحجم الطالب ولا يقيد في الفصل الدراسي ولهم الحرية بالتحرك، العملية التربوية تتم من خلال أن يجتمع الطالب مع الأستاذ كمشروع ثم يأتي الطالب دوريا لكي يقابل الأستاذ ويخبره ماذا أنجز، ومن ضمن العروض المدرسية يقدم الطلبة مسرحية عن طرق الاتصالات المستقبلية على شكل مسرحية. يجتمع المعلم مع الطالب في بداية الدرس يوميا لكي يوزع عليهم الواجبات ثم بعدها يجتمعون لمعرفة ما أنجز في نهاية الدرس.

المدرسة بدون سور أي اندماج المدرسة والتعليم مع المجتمع أي أن المجتمع وصل إلى مرحلة التوافق الذهني بينهما .هناك سور نفسي يمنعهم من الخروج إلى الشارع.بإمكان الطالب أن يهرب لكنه لم يفعل . سقف المدرسة فيه شبابيك تتحسس نسبة ثاني اوكسيد الكربون إذا قل عن الحد تفتح الشبابيك اتوماتيكيا لتغيير الهواء. ويستخدم الطلاب في عمر 7 سنوات السكاكين لتقطيع التفاح والحلوى ولا توجد حوادث!

40% من أبناء (اقرأ) أميين أمية أبجدية أي لا يقرأ ولا يكتب و95% منهم أميين أمية حضارية (غير مثقف) بينما في اليابان احتفلوا منذ عشرات السنين بالقضاء على آخر أمي فيها وبالتالي الأمية صفر باليابان. مكتبة واحدة باليابان تتكون من 9 طوابق كلها كتب يابانية أكثر من نصفها ذات علاقة بالتعليم.

تعتبر المكتبة هي القلب النابض لكل مدرسة ، ويقال أن الخطر ليس في حرق الكتب بل حينما لا نقراها، يوجد في مكتبات هلسنكي بفنلندا بطولات صلاح الدين الأيوبي لكي يطلع عليها الطلبة ونحن طلابنا قليلو المعرفة بهذا القائد العظيم .

أكثر الكتب اليابانية مخصصة لتوجيه الأفكار لمساعدة المدرسين بكيفية إيصال المعلومة للطالب (أي الاهتمام بالتعليم). والياباني دائما يقرأ في السيارة ،في الانتظار ،في الطريق، في البيت ، على طاولة الأكل ، ويقال عن الياباني انه لم يعيرك كتابه أبدا مهما كنت مقربا إليه يقول لك اطلب مني كل شيء أعطيك إلا الكتاب !! أي اعتزاز هذا بالعلم

والمعرفة لدى الياباني؟ عكس العرب إذا أراد العربي أن يضم شيء عزيز عليه يضعه في كتاب لأنه على علم مسبق أن لا احد يمس الكتاب أو يقلبه.

في المدارس يوميا يقف عامل أمام الشارع القريب من المدرسة وبيده علم مكتوب عليه (مدرسة) وذلك لكي يمرر الطلاب ويحميهم من السيارات في الشارع . وعندما يعبر طلاب الابتدائية الشارع ولان قامتهم قصيرة تم تعليمهم بان يرفع الطالب يده للأعلى لكي يراه السائقين في الشارع. ثم يخرج مدير المدرسة وكذلك المدرسين لمسافة 100–200 مترا من باب المدرسة لكي يستقبلوا الطلاب بالتحية مثل ما معمول عندنا !!! السنا مسلمين وأوصانا القران بالتحية الطيبة من عند الله . مدير المدرسة والأساتذة حينما يطلبون طالب لأمر ما في الأول ابتدائي يقولون له أستاذ!!!

وحينما ينتهي الدوام لا يخرج الطلاب أبدا دون أن يُحيوا المعلمين أو المدرسين مثلما نحيي نحن الممثلين بعد انتهاء الفيلم بالسينما ، لأننا نحترم الممثلين والمطربين أكثر من أي مخلوق آخر .

هناك باصات Buses توفرها الدولة لنقل الطلبة مجانا إذ يوجد 3390 حافلة في الإمارات مع سواقها وموظفيها متعهدين بإيصال الطالب من البيت إلى والمدرسة وبالعكس، وهناك مكان مخصص لنزول الطلبة بحيث يكون آمنا! بحيث أطول مسيرة حافلات مدرسية حصلوا على رقم كينتس Kentes في ذلك في الإمارات، هناك مكان خاص لتدريب السائق والمدربات المصاحبات للباص وليس أي إنسان بدون خبرة ودراية لمرافقة الطلبة .

وفي فنلندا والصين واليابان تخصص المدرسة عاملات لاستقبال الطلبة وعبورهم الشارع.

اليابان تسير وفق قاعدة تعليمية هي: قل لي سوف أنسى أرني وقد أتذكر أشركني وسوف افهم.أي أن التطبيق لديهم شيء أساسي للتلميذ لكي يكرس في ذهنه ما تعلمه.بينما تلاميذنا لازالوا لا يعرفوا ما معنى السبورة الذكية ،ويسمعوا عن الأحياء ولا يروها لا بل أن مدن بلدهم لا يعرفون أين تقع لأنهم لم يروا خريطة على السبورة . في اليابان يُرغَّبون العلم من خلال وسائل غاية في البداعة والاختيار مثلا : استخدام الملاعيب للأطفال كوسيلة للتعلم، بمعنى بإمكان تعليم العلوم للأول والثاني والثالث ابتدائي بملاعيب لا تطول أكثر من شهر بدلا من السنة . أو أنهم يضعون صور العلماء في الملاعيب والمدرسة والساحات ويقولون للطفل أبدع كي نضع صورتك هنا.

وزارة النظافة والتربية والتعليم (هكذا تسمى) هناك مادة عن الأخلاق والمبادئ تدرس من الأول ابتدائي إلى السادس من حيث النظافة ، وكذلك العمل التطوعي لمساعدة المسنين ،والعمل الجماعي والاجتهاد ،ويغرسوا الأخلاق عن طريق من هم قدوة للأطفال.

شعار اليابان :علم+أخلاق+عمل = نهضة

نظام وأمانة وتنظيم وتكنولوجيا واحترام لكرامة البشر، هذا ما تعلموا عليه جميعهم .

في كل مدارس سنغافورة عيادة لطب الأسنان مجانا إلى الصف السادس ابتدائي، وفي السعودية مستوصفات جوالة ،وفي الدنمرك في كل مدرسة مركز صحي ويعالج سكان الحي أيضا.

في هلسنكي بالنرويج لا يوجد جرس لان الطلبة والأساتذة يعرفوا أوقاتهم وكذلك في الإمارات لا يوجد جرس . صوت الجرس في الدنمرك ندي جدا ليس كما عندنا . لذلك اختار النبي(ﷺ)بلال للأذان رغم أن صاحب الفكرة عبد الله بن زيد لأنه قال لبلال صوتك أندى أي أجمل. والكتب تبقى في المدرسة في كل مدارس أوروبا ويأخذ الطالب فقط الكتب التي فيها واجب بيتي .وبالتالي الحقائب خفيفة ،أما عندنا الحقيبة تعادل وزن الطالب تقريبا.

في اليابان كل شيء محسوب بوقت محدد وعلى مستوى الثانية الواحدة، قالوا إذا كان العالم يلهو فان الياباني يعمل!!اليابان ليس أذكى من العرب بل الذي يميزه الجد والاجتهاد والإخلاص والالتزام واهم شيء هو العمل الجماعي .لليابانى ضمير يعمل من اجل العمل ويعمل لأنه ياباني .يقول النبي (ﷺ) لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة واستطاع أن يغرسها فليفعل.

يندر وجود الخدم في اليابان ذات ال 27 مليون نسمة ، بينما في بلاد الخليج العربي ذات الأربعين مليون نسمة يوجد مليونين خادمة ويندرج هذا ضمن ما يسمى بثقافة مجتمع.

يقف وراء تطور اليابان أمور كثيرة لعل في مقدمتها هو تطور الشعور لدى الفرد الياباني بأنه ينتمي لبلد ويجب أن يعمل من اجله!! وعلى صعيد التربية والتعليم كان هناك تعاون تام ومنسق بين المدرسة والأسرة كانا سببا في نجاح اليابان. في مدارسنا أصبحت هناك سجلات اسمها (الفصول العشائرية) تختص بفض المشاكل بين المدرسة والأسرة أو بين المدرس وأسرة الطالب!!!

مدير المدرسة يأكل قبل أن يأكل الطلاب بنصف ساعة ضمانا لسلامة الطلبة حتى إذا كان في الأكل شيء مؤذي يموت المدير ولا يموت الطلاب، نعم هكذا هو الشعور الوطني والتضحية من اجل الوطن والناس. في اليابان لا يوجد إصلاح إلا في المدارس !!! فهي أساس النهضة والتطور عندهم. كل طالب مدرسة لديه جزمتين الأولى يرتديها من البيت إلى المدرسة والثانية يستبدلها داخل المدرسة لأنه كل طالب وأستاذ لديه دولاب خاص لمحتوياته وحاجاته من جزم وملابس وكتب داخل المدرسة ، لماذا ؟ لأنه يعتبرها بيته الثاني إن لم تكن البيت الأول له.

لدى الأطفال ثقافة بيئية كبيرة بحيث طفل عمره 9 سنوات يتحدث عن تلوث كوكب الأرض والاحتباس الحراري .بالدول الاسكندينافية في المدرسة تتوفر كل القاعات الرياضية بما فيها المسابح والسلة والقدم والكولف .

فلنداه 5 مليون مواطن حصلوا على 455 ميدا ليا في الاولمبياد أما في الوطن العربي 81 ميدا ليا، في فلنداه كل 11000 مواطن يحصلوا على ميدالية واحدة ،في الوطن العربي كل 4 مليون مواطن يحصلوا على ميدالية واحدة ،أي أن إنتاجية الفرد الفنلندي 363 ضعف إنتاجية الفرد العربي وهي بلد صغيرة حجما ومساحة .

يحتاج البالغين إلى 30 دقيقة رياضة يوميا 5 مرات بالأسبوع وبالتالي أداءهم الدراسي يتفوق بنسبة 30% عن غيرهم ،واحتمال الالتحاق بالجامعة والتفوق يرتفع بنسبة 40% عن الذين لم يمارسوا الرياضة.كلمة رياضة عند العرب هي راضه أي راضه الدابة روضها أي ذللها وعلمها السير .

اغلب دول العالم هناك 5 حصص للرياضة في الأسبوع ونحن نضعها آخر حصة حتى يخرج الطلبة لأهلهم. كل طالب في المدرسة له فرشات أسنانه مرسوم عليه صورته في اغلب دول العالم ويجب تنظيف الأسنان مرتين يوميا.

في المعلم the teacher

يعد المعلم سر نجاح عملية التعليم وبالتالي لابد من أن تتوفر له كل مقومات الراحة ابتداء من غرفة المعلمين التي ضرورة أن يتوفر فيها كلما يريح الأستاذ من ماء وشاي واكلات خفيفة ومساج وهاتف هذا ما يحصل في فنلندا ، إذ توجد هناك غرفة خاصة مغلقة بجانب غرف الأساتذة يكلم الأستاذ فيها ولي أمر الطالب ولكي لا يطلع على أسرار الطالب أحد!

أما راتب المعلم في الدول الاسكندينافية فقد تضعه في أعلى سلم الرواتب وفي طبقة عالية في المجتمع، وهي واحدة من أعلى ثلاث مهن محترمة في الدول الاسكندينافية. إذ يبلغ راتب المدرس في أول تعيينه بين 2000- 4000 يورو وحسب الدروس التي يعطيها وأي صف يدرس ونوع المادة وليس كما معمول عندنا راتب معلمينا مقطوع وثابت. ينظر إلى المدرس نظرة تقدير واحترام.وعلى أن يكون له كيان راقي في المجتمع لأنه هو من ينجح أو يفشل عملية التعليم وبالتالي بيده تقدم المجتمع من تأخره، فالناس يرون إلى أطفالهم من خلال معلمهم. ثم انه من الصعوبة في فنلندا أن تصبح معلم أو مدرس وشهادة البكالوريوس لا تؤهلك كمدرس إلا شهادة الماجستير فما فوق، ويستخدم المعلم أدوات تعليمية عالية التقنية منها السبورة الذكيةsmart board كأداة للعرض .

- راحة الأستاذ في غرفته تزيد من نشاطه التعليمي بنسبة 80% .
- غرفة الأستاذ تزيد في تراكمية المعرفة لدى الطلبة بنسبة 60 %.
- غرفة الأستاذ تزيد في نسبة نجاح العملية التعليمية بنسبة 40%.

لديهم بيئة مشجعة للإبداع والعدل والتعايش والسلم والتعاون والسلام والمحبة ولدينا بيئة تكبت الإبداع كبتا وتشيع الظلم وتشجع على الاقتتال وتنبذ التعايش والعقل والتعقل، يقول المثل : إذا أردت أن تعاقب مثقفا دعه يعيش بين الجهلاء ، المثقفين العرب عندنا يعيشون في بيئة اقل ما يقال عنها أنها عقوبة إن لم تكن إعدام للمثقف!!فهي بيئة متخلفة يعيش فيها الجهلاء فقط أما المثقفون فهم قلة قليلة ضائعة ولهذا لا تعجبوا من تراجع امة العرب ، فالمثقف محارب إن لم يقتل ولا مكان له وليس له صوت مسموع ،وكل ما حوله يعمل ضده فكيف تنهض الأمة ؟فالبيئة العربية طاردة للعلماء محاربة لهم مستقطبة للجهلة والقتلة وأراذل القوم وأشباه الرجال. بالتالي سجلت اليابان 500000 اختراع بالسنة مقابل 300 اختراع عندنا أمة العرب .

قال احد العلماء الأمريكيين في المعلم:

المعلم الضعيف يقول

المعلم الجيد يشرح

المعلم الممتاز يفهم

المعلم المميز يلهم

في النظافة In cleanliness

حاويات القمامة Garbage containers تنظف يوميا من قبل احد البيوت لكي تبقى نظيفة وذو رائحة طيبة، وسيارات النظافة هي أيضا نظيفة تغسل وتنظف على مدار الساعة وليس اليوم . القمامة ليست بها رائحة والسبب في ذلك لأنه ليس فيها بقايا طعام.أي أن القمامة التي توضع بكيس القمامة تخلو من السوائل وبالتالي لا يخرج منها روائح كريهة. لدى أطفال اليابان سيارات لعب على شكل سيارات قمامة يتعلموا من الصغر كيفية التعامل مع المخلفات.

يطلق على عامل النظافة في اليابان مهندس صحة ،وهي ليست وظيفة عادية كباقي الوظائف بل مميزة عن غيرها من حيث المكانية العالية ، والسؤال هو كم راتب عامل النظافة في اليابان؟؟؟؟؟ 8000 دولار بالشهر ؟؟؟؟ أي 100000 دولار في السنة وهو أعلى راتب، لأنه يستحق بدل طبيعة عمل ، بينما في دول أخرى يتقاضى عامل النظافة 50 دولار بالشهر . .في السعودية مثلا 250 ريال بالشهر(1 دولار يساوي 3–4 ريال). من جانب آخر فان بيت عامل النظافة في طوكيو أحلى وأحسن واكبر من بيت الأستاذ الجامعي إذ يتوفر فيه كل شيء .

والسؤال الآن : من أين تأتي الأوساخ في الشوارع والبيوت إذا كان هذا هو اهتمامهم بالنظافة ؟ والسؤال الأهم : هم المسلمون أم نحن؟ وهل خصص خطباء الجوامع في خطبهم التأكيد على النظافة ؟ ألا بالإمكان أن تخصص الخطبة الثانية في كل جمعه عن النظافة؟

كانت امرأة تعمل في مسجد رسول اللهﷺ فاختفت في يوم ما، وسال عنها النبي ﷺ قالوا له ماتت قالﷺ لماذا لا تخبروني ؟ فذهب وصلى عليها كدلالة على اهتمامه بعملها كمنظفة.

في سنغافورة 80% من توليد الطاقة الكهربائية يأتي من حرق القمامة والكهرباء هناك تباع بدخل 70 مليون دولار سنويا من القمامة. وحجم الرماد المتبقي من الحرق هو 10% من حجم القمامة الأساسي بعد الحرق وهذا الرماد يذهب عبر البحر ويحملوه إلى مكان لبناء جزيرة أي أنهم حولوا البحر إلى جزيرة بالقمامة بعد أن ولدوا منها الكهرباء. وفي مدينة الشارقة تكبس القمامة على شكل مكعبات حسب نوع القمامة وترسل إلى محطة إعادة

التدوير ويعتبر ثالث اكبر مكب للتدوير بالعالم. في سنغافورة إذا رميت عود ثقاب في الشارع تسجن أو تغرم وبالتالي تجد شوارع سنغافورة وأرصفتها جدا نظيفة .

وصلت كوريا مرحلة متقدمة من التطور في كافة المجالات، ففي كوريا أصبحت إعادة التدوير للقمامة أمرا إلزاميا وقانونا ،إذ أن أهل الحي يتجمعون كل احد للقيام بعملية الفرز ، ويشاركهم الأطفال في ذلك لغرض تعليمهم على النظام والتخلص من النفايات.

في البيت لديهم ثقافة خلع الحذاء خارج البيت أمر مفروغ منه وكجزء من الحفاظ على نقاوة المنزل، وأي علبة فارغة تفتح وتغسل وتنشف وتضغط قبل أن تذهب إلى سلة المهملات لأنه بضغطها تصبح مسطحة لا تأخذ مكانا كبيرا، وتغسل للتخلص من البقايا وتنشف تخلصا من الرائحة في السلة . أما قوارير العصير فان الغطاء يذهب إلى مكان والعلبة الفارغة إلى مكان آخر لعدم تشابههما ،وتضغط العلبة لكي لا تأخذ مساحة من السلة.في دبي إعادة تأهيل الحاسوب المستهلك بدلا ما يرمى بالزبالة.

هناك اهتمام خاص بالحيوانات لا سيما الأليفة منها بحيث هناك شامبو ضد القشرة للكلاب في اليابان ، وصابون خاص للكلاب ، وأماكن خاصة بالمولاة بشان الكلاب وبقية الحيوانات، وأحيانا يكون المكان المخصص لذلك اكبر من الأماكن المخصصة للبشر ،وهي تستحم يوميا وبانتظام حالها حال صاحبها من حيث الأكل والنظافة والمنام والعلاج. وهناك حجز خاص عند طبيب الكلاب يحجز له بالدقيقة والثانية لكي لا يتأخر وكذلك بالمنتجع ؟

هناك سلة قمامة في جنوب لوس انجلوس تعمل بالليزر صممت بحيث تقوم بالضغط على القمامة لتحولها إلى سائل لكي تستوعب أكثر ،وحينما تمتلئ تعطي ضوء احمر لموظف يجلس في دائرة البلدية ليعرف أن السلة امتلأت فيوعز إلى اقرب سيارة قمامة للمنطقة فتتوجه لتفريغها .إذ يمكن أن يوضع 183 كيس زبالة في مكان مساحته متر مربع واحد لأنه يدخل في جوف الأرض لمسافة 13 متر ولا يشغل مساحة من الرصيف سوى متر واحد إلى جانب استخدامه كدلالة لدرجات الحرارة وجهة أخرى تستخدم كهاتف .

في أمستردام وحدها 7000 حاوية نفايات كل حاوية مخصصة لمواد معينة منها كهربائيات وأخشاب وبلاستك وملابس بالية ومواد حديدية وأعشاب وهكذا .أي أن النفايات مصنفة حسب نوعيتها لكي يسهل التعامل معها من حيث تدويرها إلى مواد أخرى.

ينتج العرب 1.3 بليون طن من النفايات في السنة وتعادل هذه الكمية 176000 مرة برج إيفل ،نصفها غذائية 250000 طن و 17% ورق 11% بلاستيك 4% معادن 5% زجاج .كلها تذهب سدى ، بينما في ألمانيا والسويد يعاد تدويرها مرة أخرى وفي اسبانيا 48% منها تدور وفي الولايات المتحدة 32% يتم تدويرها، أما السويد ولان ما لديها من مخلفات قليلة فإنها تقوم باستيراد مخلفات لكي تقوم بتدويرها مرة أخرى.

في الوقت in time

يقضي الطالب الكوري 55% من وقته في الدراسة و35% للنوم و10% للهوايات رسم ورياضة وتسلية . وبهذا نجحت كوريا الجنوبية بإشغال ال5 الأوائل عالميا فيزياء وقراءة وعلوم وأدب وصناعة بسبب ملئ وقت الطلاب بما يفيد لأنه لا يوجد فساد سواء في التعليم أو بغيره من مفاصل الحياة ،عكس التلميذ العربي الذي يعرف أن نجاحه لا يرتبط بتعليمه لأنه الواسطة عندنا وصلت إلى التعليم وهنا المصيبة التي وقعت على رأس العرب .

يعرف الطالب الكوري جيدا أن قراءته ونشاطه يصنع مستقبله. لذلك الطلاب في كوريا يبقوا إلى ساعات متأخرة من الليل لغرض اخذ دروس إضافية والباصات واقفة تنتظرهم وكأنه الساعة السابعة صباحا ، إلى أن تدخلت الدولة وحددت لهم الساعة 10 ليلا كآخر ساعة للتعلم، لان اليوم التالي لديهم دوام ،أي أن الشعب هو الذي يريد أن يتطور ،والدولة تراقب التعليم وتضع الضوابط ،لذلك كوريا من أسرع دول العالم تطورا في التعليم،رغم انه في سنة 1945 كان هناك80% من شعبها أمي ،أما اليوم فهي رقم واحد في القراءة و4 في الرياضيات و3 في الفيزياء.إذن امة أقرا لا تنهض إلا في أقرا .تجدر الإشارة إلى أن الذين يزودون الطلبة بدروس إضافية هم أساتذتهم نفسهم ومجانا وليس دروس خصوصية كما هو معمول لدينا.

يوجد لدينا 400 مليون عربي لو تطوع 20% منهم فقط، أي 90 مليون لمدة أربع ساعات أسبوعيا ،هذه تساوي 17 مليار ساعة سنويا ،يمكن بناء 5 مليون بيت ،ويمكن تعليم 5. 800.000 طفل منهج سنة كاملة للرياضيات ويمكن زرع مليار شجرة، وبناء 2 مليون مدرسة . هذه إذا تطوع 20% من العرب وفي سنة واحدة .

في حالة استخدام المترو في تركيا بدلا من السيارات الخاصة فان 242 طن من الوقود يتم توفيره أي 700000 دولار . ويتم توفير 316 ساعة على المواطن في السنة في حالة استخدام المترو عوضا عن سيارته .

الجسر الذي يربط آسيا وأوروبا في اسطنبول تم بناءه في سنة ونصف مجانا، إذ طرح اردوغان فكرة بناء الجسر على الشعب للمشاركة في الاستثمار فاندفع الشعب كله فتم جمع الفلوس في نصف ساعة .هكذا تبنى الشعوب وهكذا يتم استدرار عواطف الشعب الوطنية .

وصف ابن بطوطة النيل انه لا يرى الماء من كثرة السفن لذلك ممكن استخدام النقل النهري التاكسي المائي فالفرق ربع ساعة بينهما . إذ أن الباصThe bus المائي يأخذ 495 فرد في اسطنبول ويشمل العبارات والتاكسي والباصات.

أسرع القطارات في العالم بالصين سرعته 450 كم /ساعة ويسير على مجالات مغناطيسية وليس قضبان.أي نصف سرعة الطائرة 800 كم/ساعة. الدقيقة الواحدة في الصين تساوي 285 سنة ،كل دقيقة من دقائق الصين فيها بليون ونص مواطن.إلا أن أسرع الدول نموا في العالم كوريا شرقا وتركيا غربا .

هناك قائمة للدول الأفضل تشجيعا لأفكار الشباب في العالم والتي تصب في تطوير المشاريع وكما يأتي:

1-سنغافورة.

2 – هونك كونك.

3 -نيوزيلندا .

4- الولايات المتحدة.

في الوطن العربي لكي تقوم ببناء مشروع فانك تحتاج إلى 9 خطوات(إجراءات) لبداية المشروع بينما في نيوزيلندا تحتاج إلى خطوة واحدة ،هذا هو الاستثمار الناجح للوقت كما أرشدنا إليه الإسلام قبل 1400 سنة لكننا تركناه فخذلنا أنفسنا.

يفكر الكوري الجنوبي مثل اليابانيين بالضبط وبالتالي يتوقع لها النهوض كاليابان أول شيء فكروا به الكوريين هو الوقت بعد التعليم وهذا أساس نهضة اليابان. فكروا الكوريين كيف يمكن استثمار الوقت بالتسوق فوضعوا صور كل الحاجات بالمترو فيأتي الكوري ويصور الحاجة وهي كصورة على الحائط ويحدد وقت وصولها له إلى البيت، فتأتيه إلى البيت عن

طريق الجوال .إي انه يضع الجوال على المنتج فيصور صورتها ومن ثم تجهز له على العنوان، بالتالي ترى أعمدة المترو كلها عبارة عن صور للحاجات سوبر ماركت.

هذا هو الإبداع الذي يمكن تعريفه بأنه النظر إلى المألوف بطريقة غير مألوفة ،السوبر ماركت مألوف لكن غير المألوف حينما تجعل السوبر ماركت يوصل الحاجة لك إلى بيتك كل ذلك لتوفير الوقت، ويتم الدفع عن طريق الجوال كذلك.

في مدينة سيئول العاصمة هناك 500 حمام يتم تنظيفها دوريا على مدار الساعة وفيها كافة التجهيزات ولكل الأعمار، ويمكن اختبار جهوزية الحمام من الدائرة البلدية دون أن يأتوا إليه من خلال اختبارات المدينة الذكية.

الكوري الجنوبي وهو في طريقه إلى البيت يقوم بفتح السخان ويضعه على درجة السخونة التي يريدها وليس السخان مفتوح على الدوام اقتصادا بالكهرباء وهي جزء من ثقافة الكوري وإلا فان الكهرباء عندهم مبتذلة ولكن هذه من وصايا نبي الإسلام (ﷺ) للمسلمين فاتخذها الكوريين سبيلا لأنها مفيدة لهم حينما قال : إذا كان أحدكم يتوضأ على نهر جاري فلا يبذر بالماء ، وحتى إذا نسى الشخص أن الغاز مفتوح يمكن غلقه عن طريق الجوال. إسلام تجده في ديار غير المسلمين وفي ديار المسلمين لم تجد تعاليم الإسلام.

في السجن in prison

خارج أوسلو في دولة النرويج هناك سجن عبارة عن جزيرة ، وبهذه الجزيرة توجد دورات لتعليم كافة الإعمال ،احد السجناء يقول أنا في السجن والحكومة تعيل أطفالي وخصصت لهم رواتب حكومية بالرغم من أنهم لم يكونوا نرويجيين. فالسجين حينما يخرج هو يتعلم حرفة بحيث من يخرج لا يعود إلى السرقة أو القتل أو أي شيء آخر. الغريب أن السجناء في الجزيرة بيدهم أدوات قاتلة كمناشير الخشب والفأس والسكاكين ،والأكثر من ذلك فان الحارس ليس لديه سلاح أي بإمكانهم أن يقتلوا الحارس ويخرجوا !!أي ثقة وصلوا إليها في هذا البلد.

يتحرك المساجين في النرويج بحرية داخل السجن والذي يدير السجن امرأة وقالوا أن علاقة السجانة بنا كالأم حتى نصيح عليها بكلمة ماما ،والسجانة تقول حينما يخطأوا أقوم

بتوجيههم. علما يوجد في السجن سوبر ماركت وانترنت وغرفة مساج ، وبالتالي فان ثلث من السجناء يعودون للجريمة مرة أخرى بينما الثلثين يتم إصلاحهم.

أما الأكل في السجن فيأكل منه الجميع رغم أن الذي حضروه هم المساجين أي أن السجان يطبخ للحراس، بحيث الحارس يقول ما علينا إلا أن نثق بهم. احد السجناء يقول لو كانوا يعاملوني بسوء لكنت من اخرج اقتل المجتمع على بكرة أبيه أما اليوم لأنني هنا مكرم فكيف لا احترم الآخرين خارج السجن. وللسجناء المسلمين في رمضان استثناء خاص بالنسبة لوجبات الطعام احتراما لهما، إذ أن نظام الحياة في النرويج والدول الاسكندينافية نظام حياة إسلامي . إنهم يوفرون للبشر حقوقهم بنسبة 100% مما أوصى بها الدين الإسلامي عكس الدول المسلمة.

بلغ عدد السجناء في الوطن العربي 300000 أي 113 سجين لكل 100000 مواطن ، في السويد 82 سجين لكل 100000 وفي الدنمرك 77 سجين لكل 100000 مواطن وفي فنلندا 75 وفي النرويج 66 لكل 100000 مواطن .

في الوطن العربي من كل 100 سجين يخرجوا من السجن إلى المجتمع فان 60 من السجناء يعودوا إلى السجن اي60% لم يتم إصلاحهم جيدا، وفي البلاد الاسكندينافية كل 100 سجين يخرجوا ا من السجن 30 منهم يعودوا إلى السجن، وفي النرويج كل 100 سجين يخرجوا إلى المجتمع 20 يعودوا إلى السجن لارتكابهم جنح .نتيجة لنجاح التعامل مع السجناء.

اكبر خمس سجون في العالم في الولايات المتحدة 2.200.000 سجين ثم الصين 1.700.000 ثم روسا 670.000 ثم البرازيل 580000 والهند 400000 سجين واقل الدول فيها سجون هي هولندا 280 زنزانة لا يوجد فيها سجين بسبب انخفاض نسبة الجريمة بنسبة 30% في مطلع الألفية الثالثة .

77 دولة بالعالم فيها اكتضاض بالسجناء ومنها دول عربية . في كل دول العالم السجون تأهيل إلا الدول العربية تعذيب وبالتالي ترسيخ الإجرامية في نفس السجين بدلا من إصلاحه.كثير من الدول تستخدم الخدمة المجتمعية بدلا من السجن ثم تقليل مدد المحكوميات، متوسط السجن في أمريكا 3 سنوات في هولندا 5 أشهر، ثم الاعتماد على

الغرامات بدلا من السجن ،أي في هولندا كل 8 أشهر سجن يستبدل بخدمة مجتمعية كالتنظيف مثلا . السجون في الدولة تعتبر معيار العدل ،أما عندنا التعذيب هو السائد .

أسباب تقليص السجون وعدد السجناء في هولندا هو العدالة الاجتماعية ،ثم الوقاية الاجتماعية عن طريق الكاميرات ،في بريطانيا وحدها 5 مليون كاميرا الشخص الواحد في بريطانيا تصوره 300 كاميرا يوميا ، قيل رقابة الضمير بدلا من رقابة الأمير ،ورقابة الأمير لمن ليس لديه ضمير.

في دوائر الدولة

يبدأ العدل قبل الدخول إلى المحكمة في دبي من حيث تنظيم وتوفير مواقف لسيارات المواطنين ، ودقة وسرعة الانجاز، وضبط الوقائع الكترونيا سواء اسم القاعة أو وقت المرافعة وكل شيء.وهناك شاشه لكل قضية مثل قاعة المطار ووقت وإقلاع الطائرات .

في محكمة نرويجية يجلس القاضي وبجانبيه مواطنين اثنين لكي يراقبوا حكم القاضي، وعندنا القاضي ملك لا يستطيع احد أن يقترب منه أبدا لا بل ولا يستطيع أن يكلمه احد !!

في ماليزيا تجديد جواز السفر في ساعتين فقط، إذ أن هناك جهاز يوضع فيه الجواز ثم يتم الضغط على البصمة للتأكد من الشخص صاحب الجواز ثم يتم دفع رسوم التجديد وبعد ساعتين يتم تسليمك الجواز من الدائرة.

في جوازات دبي امرأة تتعامل بالإشارة للأشخاص الذين لا يستطيعون الكلام ، تحالف بين الداخلية والصحة والجوازات لتقديم الخدمة الطبية للمسافرين. أما في قطاع الخدمات الالكتروني في دبي فان متوسط زمن الرد للمكالمات لا يستغرق سوى9 ثوان فقط. ورفعت دبي شعارا في أن الخدمات هي التي تصل للمواطن دون الذهاب إليها، وبهذا فان دبي تنافس خدماتها خدمات العالم الأول.

وفي دبي رابع أسرع دائرة في ترويج تسجيل الأراضي ونقل الملكية في العالم أي أن المعاملة تتم في 20 دقيقة فقط، والمواطن جالس على التبريد ويشرب شاي بدلا من استنزاف نفسية المواطن وأهانته . وبهذا فان المواطن الإماراتي في غاية السعادة وهو ينجز معاملته وكأنه في نزهة.على العكس في دوائر بعض الدول فان المواطن ينتظر في حر الشمس اللاهب وبرد الشتاء القارص ويتزاحم الناس على شباك واحد والموظف يتمتع تحت التبريد

في الصيف أو التدفئة شتاء ويتكلم مع الناس بوحشية وهمجية لا تليق مع كرامة البشر. وفي دبي يمكن لذوي الاحتياجات الخاصة استخدام مختلف وسائط النقل مجانا.
في اسطنبول غرفة خاصة للنساء المرضعات صاحبة تجديد أو استخراج الجواز وترضع ابنها في الوقت ذاته، وهناك حفاظات خاصة لها مجانا في نفس الغرفة.

في الزعامات In the leadership

بعض الحكومات تحولت من رضا الناس إلى إسعاد الناس وهذا ما معمول به في دبي في ما يتعلق بإصلاح المرور في المدينة .أما في الدول الاسكندينافية فإنها وفرت الرضا للناس منذ مئة سنة ومنذ ذلك الحين هي تعمل على إسعاد الناس ،والمقصود بالرضا هو أن توفر الحكومة كل ما يحتاجه الفرد من الأساسيات سكن وصحة وتعليم ونقل ، بمعنى أن هذه الدول وفرت هذه الأساسيات منذ مئة سنة بحيث لم يعد المواطن بحاجة إلى ذكرها لأنها أصبحت من البديهيات لديهم، المشكلة عندنا هو أن حكوماتنا لا زالت إلى اليوم 2017 لم تستطيع توفير أي من هذه الأساسيات بالرغم من أنها حق من حقوق المواطنة ،والأكثر من ذلك أن الخدمات المتوفرة رغم قلتها وضعف كفاءتها ألا أنها في تراجع مستمر وبالتالي نحن اليوم لا نعمل من اجل التنمية فحسب بل لإيقاف التراجع ومن ثم البدء بالتنمية!!!!
والسؤال المخيف اليوم هو: متى تستطيع دولنا اللحاق بتلك الدول وهي لم تتوقف ولا تتعثر خطاها لا بل تزداد سرعة يوم بعد يوم ،بمعنى آخر متى نوقف تدهورنا لكي نستعد للانطلاق واللحاق بهم؟
أما المقصود بإسعاد الناس هو دأب الحكومة بالبحث عن كل ما يزعج المواطن بحيث عملت استبيان ووزع على الناس لمعرفة أي شيء يعكر حياة المواطن لكي تتدخل الحكومة بمساعدته ،أما إن لم يكن هناك مشكلة على الحكومة آنذاك أن توفر رحلات سياحية إجبارية للناس لكي يروحوا عن أنفسهم ولا يحق لأي موظف بالدولة أن يمارس عمله دون جذب بطاقة السفر التي سافر بها إلى أي مكان هو يرغب بمشاهدته.
مفهوم السعادة يرتبط بالرضا وليس الشراء والصرف ،يقول الشاعر : إذا كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء. سنة 1939 كان هناك قناة تلفزيونية واحدة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي سنة 1960 كان هناك قناتين وهكذا زادت إلى ما وصلت إليه اليوم والتي تعد

بالآلاف . تنتشر في الولايات المتحدة ألفين وستمائة وخمسة وأربعين شبكة بث تلفزيوني وحوالي ثلاثة عشر ألف محطة إذاعية، وقد افتتحت أول محطة بث تلفزيوني في معرض نيويورك الدولي سنة 1939. وتعتبر الشبكات الأمريكية CNN و ABC و CBS وNBC من أشهر شبكات البث التلفزيوني في العالم أجمع.

كانت مدينة اسطنبول سنة 1990 قمة في التلوث بسبب استخدام الفحم في التدفئة وكانت طبقة تلوث سوداء كبيرة فوق المدينة وفي سنة 1994 تولى اردوغان رئاسة بلدية اسطنبول ،عمل اردوغان على تطوير البينية التحتية ووضع الخطط اللازمة لخدمة سكانها من حيث جمالية المدينة والنقل والتدفئة والغاز وتم رفع القمامة السوداء من فوق المدينة.إذ أن95% من اسطنبول مغطاة بالغاز الطبيعي الذي يصل إلى كل البيت.

تركيا Turkey

في سنة 1993 كانت اسطنبول لديها مشكلة في المياه عكس اليوم ،إذ كان الماء يوزع مرتين بالأسبوع وعولجت عن طريق بناء السدود من قبل اقتراح اردوغان في ذلك . كيف حل اردوغان مشكلة المياه؟ كان هناك 4 سدود لا تكفي للمدينة ! فحسب الكمية اللازمة للحاجة 11 سد ، إي انه بنى 7 سدود إضافية لتلبي حاجة المدينة من المياه. ومنذ أن تسنم رجب طيب اردوغان رئيسا لبلدية اسطنبول سنة 1994 لم تنقطع المياه عن المدينة منذ ذلك الحين والى اليوم 2018 .

كانت اسطنبول سنة 1995 مليئة بالقمامة أما اليوم فان 9000 طن من القمامة تفرش بالرمل لمدة سنتين لكي تكبس ثم يشفط غاز الميثان وينقل بأنابيب ليدخل في مصنع لتحويله إلى كهرباء ، إذ يتم إنتاج 200000 كيلو واط من الكهرباء يوميا لتغذي 100000 بيت وتأتي بدخل 8 مليون دولار سنويا يضخ في تطوير البلدية من جديد. حينما تضغط القمامة يخرج منها ماء آسن يدخل إلى المصنع لتصفيته عن طريق أنابيب لفلترته ومن ثم تحويله إلى ماء نقي يستخدم للشرب . الفرق بين مدينة اسطنبول انه القمامة تدر عليهم المال وعندنا تشكل مشكلة بيئية كبيرة (تشغيل العقل). أما حدائق اسطنبول فقد تم استخراج 2000000 طن من الخليج أو القرن الذهبي واستُخدم كسماد في الحدائق. الحلول بالعربي تسمى شزوملار بالتركي وهذا ما دأب إليه اردوغان .

الفاتح اسم مشروع أطلقه اردوغان على التعليم في تركيا

دشن اردوغان مشروع جديد للتعليم عام 2012 اسمه مشروع الفاتح كلفته 7 مليار دولار من خلال شعار : نفتح الغد من اليوم تيمنا ب محمد الفاتح الذي فتح عقول الناس. ومن خلال هذا المشروع تم توزيع 260 ألف لوح ذكي سبورة على المدارس و15 مليون أيباد للطلاب ومليون على المدرسين. الغريب في الأمر أن أفقر المدارس بدؤوا بها ليؤكدوا العدالة في التوزيع.

لم يكتفي اردوغان في إدخال الايباد إلى المدارس إنما حوله إلى مشروع تنموي لصناعة الايباد وهذا هو الفكر الشمولي،فصنعوا على أثرها 10 مليون قطعة.

20 % من مساحة اليابان معمورة والباقي جبال ومياه لكن هذه مستثمرة بدقة ل 124 مليون نسمة إذ أن كل انج مستخدم. ممكن أن تجد ملعب لكرة القدم في الطابق العاشر دلالة على نجاح الإدارة في هذا البلد.

سنغافورة Singapore

كانت سنغافورة سنة 1960 في قمة التخلف بحيث رئيس الوزراء ليكوانيو Likwani بكى حينما انفصلت عن ماليزيا سنة 1965 لأنه قال: كيف استطيع أن أعيش شعبي . يتكون الشعب من الملايو والصينيين واوراسيويون وهنود كان أول هدف لليكوانيو Likwani هو توحيد الشعب، ثانيا أن يكون بلد القانون الصارم ، لذلك قال رئيسهم أنا أتعجب من شخص يبصق على الأرض ، لذلك عمل على ما يأتي:

1- سن قانون غرامة 300 دولار على من يبصق على الأرض .

2- وإذا دخلت المرحاض ولم تنظف المكان غرامة 300 دولار.

3-الاعتداء على الأملاك العامة أما غرامة أو الجلد أو السجن.

4- يمنع العلك تماما لأنه يرمى على الرصيف إذ يرمى 3.5 مليون علكة في السنة وتحتاج 10 مليون دولار لتنظيفها .

لذلك تم نشر القوانين في كل مكان على القمصان وفي المواعين وفي أرضية الشارع وعلى الشوكولاته وفنجان القهوة وفي ملاعيب الأطفال وعلى الرفوف وجداران المباني .

كان دخل الفرد السنغافوري سنة 1960(350) دولار مقابل 300 دولار دخل الفرد الماليزي أما اليوم 2017 دخل الفرد السنغافوري 31000 دولار ودخل الماليزي 12000 دولار

.رئيس الوزراء بعد ليكوانيو هو خولن تيرلي Jules Terley الذي تم انتخابه 8 مرات ، وحينما أراد أن يتنحى عن الحكم فاسحا المجال أمام الأجيال الجديدة تظاهر الشعب على بكرة أبيه ضد استقالته مطالبينه بالعدول عن التنحي!!!هذا لعدم وجود لاصق على كرسي الحكم عندهم كما موجود عندنا !!!

سويسرا Switzerland

تشتهر سويسرا بصناعة الشوكولاته رغم إنها تخلو من الموارد تماما وبخاصة الكاكاو المستخدم في صناعتها ، لكنها بالإتقان استطاعت جني مليون دولار من تصديرها، بعد أن خصصت 1775 بقرة لاستخدام حليبها في صناعة الشوكولاته.

كانت **تركيا وسنغافورة وكوريا الجنوبية** من أفقر الدول في ستينات القرن العشرين .

سنة 1960 طلب ليكوانيو Likuaniu الرئيس السنغافوري مساعدة مصر بعد أن زارها طالبا العون منها، فقال له الرئيس عبد الناصر متهكما: من أنت؟ وأين تقع سنغافورة على الخريطة ؟ أما اليوم فالفجوة بين مصر وسنغافورة بعيدة جدا ،بحيث لو افترضنا توقف سنغافورة عن النمو تماما وزادت مصر نموها لن يلتقيا حتى سنة 2090 !!!!!!

أما كوريا فإنها خرجت بعد الحرب العالمية الثانية مدمرة وتحت الأنقاض ،وقالوا تحتاج إلى 100 سنة لغرض الأعمار، واستعمرت من قبل اليابان 30 سنة ،ثم دخلت بحرب أهلية راح ضحيتها 5 مليون نسمة، بعدها انفصلت عن كوريا الشمالية ،ثم بدأت بالنهضة وركزت على التعليم بحيث راتب المعلم الكوري ضعفين ونصف متوسط دخل الفرد الكوري ، ويصرف على التعليم 65% من الأهل على أبنائهم. ثم تفاعل الشعب مع الحكومة حينما رأوا نزاهة الحكام ،فقامت النسوة الكوريات بالتبرع بصيغهن من الذهب للحكومة وهكذا صعدت اليوم وشغلت مراتب عليا في السلم الحضاري الدولي.

أما تركيا فان المدة التي تطورت بها اقل من كوريا ب 10 سنوات ووضعت هدفا لنفسها في أن تصبح اكبر 10 دول في العالم سنة 2023.أي الارتقاء من مرتبة 26 إلى 16 على مستوى العالم . كان متوسط دخل الفرد التركي عام 2002(2880 دولار) وصل عام 2012 إلى 10990 دولار ويتوقع وصوله سنة الهدف 2023 30000 دولار .والدعاء التركي المشهور لرئيس الجمهورية اردوغان (اللهم يا محول الحال والأحوال حول حالنا إلى أحسن حال).

في اليابان هناك يوم يأتي الشعب الياباني إلى الدوائر الحكومية يسال عن كيفية تسيير أمور الدولة وأين تصرف الأموال ودرأ الفيضانات وتصريف الأمطار وغيرها من أمور ،بمعنى آخر يقوم الشعب بدور الرقيب على أجهزة الدولة لقناعته بان أموال الدولة وحركتها وتسيير أمور الناس ليس فقط من اختصاص الدولة إنما اختصاصه هو أيضا وهذه هي المشاركة الجماهيرية الواسعة في إدارة الحكم .

مقارنة علمية بين كوريا الجنوبية ومصر

كلا الدولتين بدأت قبل 55 سنة تقريبا ،قبل 55 سنة كان المصريون يهتمون بالتعليم اهتمام فوق الحد ، كان فيها من الكتاب والعلماء لم تأتي دولة مثلهم،كان اقتصاد مصر في تلك الأيام يعادل اقتصاد دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة، كان المواطن المصري يسافر إلى أي دولة بالعالم بدون فيزا، وكان المواطن الأوروبي يرغب العمل في مصر بأي عمل كان، وكانت القاهرة أنظف مدينة في العالم وفيها من السيارات الكاديلاكCadillac بآخر موديلاتها، وكان الجنيه المصري يعادل 12 دولار. في ذلك التاريخ كانت كوريا الجنوبية التي عاصمتها سيولSeoul كانت ثاني أفقر دولة في العالم ،وقمة في الجهل والتخلف!!! فما الذي تغير في تلك الدولتين وما الذي حصل؟ الذي حصل هو هجوم إعلامي بشع على التعليم في مصر! تنكيت وسخرية واهانة للمعلم والتعليم ، أصبح الإعلام يعطي للفنانين ولاعبي كرة القدم أهمية كبيرة ويضعهم في القمة، والعلماء والأدباء والشعراء يضعهم في أسفل السافلين،ولم يبقى للكتاب والقلم قيمة في هذا البلد، مثلا أم كلثوم المطربة المصرية أصبحت أهم من الأزهر وعلمائه مجتمعين .،وأصبح العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ معبود الجماهير كما يقولون !!! بالمقابل في كوريا الجنوبية اخذ رجل بزمام الأمور اسمه بارك جونك Park Jonk كان هذا الرجل جازم وحاد بحيث جعل ثلث ميزانية كوريا للتعليم فقط،وركز على الإبداع وعلى الجد وعلى العمل، حتى أن الرياضة ما برزت في كوريا إلا في العشرين سنة الأخيرة ،اليوم كوريا ثامن أغنى دولة في العالم ، وليست لديها بترول أو غاز أو أي موارد، لديها التعليم والاستثمار في التعليم فقط . المواطن المصري أذكى بكثير من الكوري وأشجع لكن الفارق في التعليم،ولو منح الطالب المصري عشر ما منح الكوري من التعليم لاكتسح العالم ،لان المصريين سيطروا على العلم في العالم تقريبا 7 آلاف سنة

إلى أن حوالي 70 سنة الماضية فقط ،اليوم يعيش في أمريكا 24 ألف عالم مصري بعد أن لم يجدوا في بلدهم الحضن الدافئ والداعم للتعليم والتطور والبناء.

في السكن at home

في مدن اسكندنافية لا توجد عشوائيات ولا بيوت متهرئة فأسوا حي عندهم أفضل من أفضل حي عندنا ،الحي الذي لم يطل على البحر فهو أسوا حي . كل دانمركي له بيت فالبيت عندهم يمثل الكرامة.

من الذين أبدعوا بتوفير السكن لشعبه هو الرئيس اردوغان Erdogan أي أن هناك سكن لكل مواطن في تركيا، بعبارة أخرى فان 70% من الشعب التركي يملك بيوت خاصة، الهاجس الأساسي هو حل مشكلة السكن ويوجد إصرار لتبني فكرة أن يكون لكل مواطن منزل يملكه، إذ أسس اردوغان شركة خاصة لغرض الإسكان فخصصت لذلك ارض للمشروع وطرح للشعب كفرصة مشروع بناء سكن بإقساط بسيطة بقيمة 100 دولار ، والنظام قائم على القرعة لمن لا يملك سكن ،والمشروع متكامل الخدمات،ثم جمع خمسين ألف تركي في الملعب ليقول لهم الفائزين الخمسين منهم بالبيت ،وكان وبجوار اردوغان كاتب عدل ليقوم بتسجيل أسماء الفائزين بالقرعة فورا . هناك شركات تركية توفر شقق سكنية للعاطلين عن العمل وبالتالي هي تتحمل بالبحث لفرصة عمل لكل فرد.

تأثير الحديقة على السكان في الحي السكني لا سيما الشباب، إذ أنها تغير في السلوك والتعليم والعبادة والجريمة والخصومات وكما يأتي:

- انخفاض في عدد ساعات مشاهدة التلفزيون بنسبة 40% .
- تحسن في أداء الصلاة بنسبة 12% .
- انخفاض في مستوى المدخنين بنسبة 20%.
- تحسن في مستوى الأداء التعليمي بنسبة10%
- زيادة في نسبة اللياقة البدنية بنسبة 72 %.
- انخفاض في نسبة التحرش بنسبة 8% .
- انخفاض في نسبة المشاجرات بين الشباب بنسبة 6%.
- انخفاض في نسبة الجريمة بنسبة 60%

هناك بيت في دولة هولندا يقسم إلى قسمين قسم يقع في هولندا والقسم الآخر في دولة بلجيكا ، فيه جرسين من كل جانب جرس ،أي إذا قرع الجرس الهولندي يعني القارع من هولندا وإذا قرع الجرس البلجيكي يعني القارع بلجيكي ،وفي البيت ميزانيتين إحداهما لكهرباء بلجيكا والآخر لكهرباء هولندا وصاحب البيت يدفع فاتورتين للدولتين.ولحد الآن لا احد يعرف جنسية صاحب البيت هل هو هولندي أم بلجيكي. ونفس الشيء عن الشارع بين فرنسا وسويسرا أيضا مقسوم نصفين لا يفرقهما سوى نوع التمهيد paving ،أي أن تمهيد هولندا أفضل من تمهيد فرنسا للشوارع.

بلغت مساحة البيت الأمريكي سنة 1950 (100م^2)وكان معدل أفراد الأسرة الأمريكية 4 أفراد بينما أصبحت مساحة البيت الأمريكي سنة 2013 (200م^2) في حين معدل أفراد الأسرة هو 3 أفراد كدلالة على أن الأمريكان بدؤوا يهتمون بالنوع إلى جانب الكم. وندرج هنا معدل مساحة الوحدة السكنية في بعض دول العالم :

- مساحة البيت الياباني 95 م^2
- مساحة البيت الألماني 100 م^2
- مساحة البيت البريطاني 76 م^2
- مساحة البيت السويدي 83 م^2.

ليست هناك مشكلة في المساحة في الوطن العربي فحسب، لكن مشكلة السكان هي الغلاء والسبب يعود إلى ظاهرة (الأراضي البيضاء White lands) أي الأراضي الشاسعة في المدن التي تعود لفرد دون أن تستثمر، وبالتالي ساعدت على ارتفاع أثمان الأراضي والمضاربة بها ، أي أن هناك 45% من المدن العربية تعاني من هذه الظاهرة، وهناك ملايين الأراضي البيضاء في الوطن العربي اليوم.والى جانب الغلاء هناك إهمال حكومي واضح بالتقصير في بناء الوحدات السكنية بحيث تتمشى مع الزيادة في عدد السكان وهذا التقصير يحمل جانبان أولاهما هو الفساد وثانيهما هو الجهل في إدارة الحكم Governance أي فقدان الإدارة والإرادةManagement and will معا.

في زمن النبي محمد (ﷺ) وزعت أراضي للصحابة إلا أن بعض الصحابة لم يستثمرها فانتبه إليها الخليفة عمر(رضي الله عنه) فاستدعى أصحابها قائلا لهم أن رسول الله وزعها لكم لكي تستفيدوا منها وليس تركها في الوقت الذي يوجد فيه ناس كثيرون بحاجتها فقال لهم:

خذوا احتياجاتكم منها وردوا الباقي لبيت المال. لذلك فان من ضمن الحلول الآنية لمثل هذه الظاهرة هو فرض الضرائب عليها لكي يدفع بأصحابها التخلي عنها وبيعها ومن ثم التخلص من احد أسباب ارتفاع سعر الأرض في المدن.

الجميل في البيت الياباني انه يوفر مبدأ الكفاية والكفاءة أي ممكن أن يكون البيت صغير لكن تتوفر فيه كل الإمكانات المطلوبة من خلال استثمار المساحة ، مثال على الاستثمار في المكان :في اليابان بالإمكان استخدام المكتبة كسرير وطاولة طعام في الوقت ذاته،وممكن استخدام الكرسي كمنضدة وشماعة ملابس وهكذا. وفي بريطانيا هناك احد الحلول لمشكلة السكن هي البيوت المتحركة أي البيت ذو العجلات، ويبلغ إيجار البيت 40 جنيه (70 دولار)بالشهر وهو ملك خاص لساكنه.وبإمكانه تغير المكان متى ما شاء حينما يجد هناك مضايقات أو انه غير مرتاح في سكنه كان يكون قريب من مصدر الضوضاء أو إن الحديقة العامة بعيدة عنه أو أن بُعد المسافة التي يقطعها أبناءه إلى المدرسة .

بلغت ديون الولايات المتحدة الأمريكية 17 تريليون و349 بليون دولار ، ومتوسط نصيب الأسرة من الديون الأمريكية هو 150000 دولار.ولديهم كروت كارت هو كارت لشراء أشياء لا نحتاجها بأموال لا نملكها وبأسعار لا نستطيع أن ندفعها. لذلك يبقى الأمريكي يدفع ديون حتى مماته بسبب الفائدة المتراكمة .

في البيئة In the environment

يروج لموضوع البيئة وأبعادها منذ بالحضانة في هلسنكي بفنلندا وليس بالابتدائية لتخليص البيئة من التلوث من خلال إعادة التدوير ، فأصبحت ثقافة مجتمع Community culture ، لذلك حينما تشرب قارورة بيبسي أو ماء في هلسنكي هناك مكان توضع فيه القارورة ويهدوا لك بعض من المال لقاء وضعك للقارورة في ذلك المكان تشجيعا لك لإتباع تعاليم النظافة في البيئة .

أدركوا ذلك بعد أن علموا أن 3 مليون شخص يموتون سنويا بسبب التلوث وان 40%من التلوث بسبب السيارات التي تعمل بالوقود ، إذ تخرج السيارة الواحدة 5 أطنان من ثاني اوكسيد الكربون سنويا ،تعادل حجم 50 فيل، وتحتاج إلى 700 شجرة للقضاء على هذه الكمية من ثاني اوكسيد الكربون، وكلما زادت نسبة ثاني اوكسيد الكربون في الجو يؤدي

إلى زيادة درجات الحرارة ومن ثم إلى ذوبان الثلوج في القطب الشمالي والجنوبي ،ويؤدي ذلك من ارتفاع نسبة المياه وبالتالي يؤدي إلى غرق المناطق الواقعة على السواحل . وان ارتفاع درجات الحرارة يزيد من حدة الجو فتصبح العواصف أكثر عنفا وتزيد من الفيضانات كما حدث في سنة 2010. كما أن ارتفاع درجات الحرارة يؤدي إلى انتشار الإمراض في مناطق لم تنتشر فيها من قبل، لنأخذ بلدا مثل مصر فان 2% من الوفيات في مصر سببها التلوث وهي بحاجة إلى 75 مليون شجرة صنوبر عمرها 25 سنة لكي تقضي على كمية ثاني اوكسيد الكربون الخارجة من السيارات .وهذا حال بلدا واحدا فقط ،فكيف الحال على مستوى الكرة الأرضية ؟

في هلسنكيHelsinki يتم شفط الحرارة التي تخرج من الحاسبات داخل البنايات الحكومية ثم تنقل عبر أنابيب خاصة ويتم استخدامها لتدفئة 700–800 منزل في هلسنكي من كل بناية يستخدم فيها الحاسوب ،وهذا يعني أن التدفئة في هذا البلد لا تكلف شيء بل أن التكلفة تبلغ صفرا ، وان الشتاء الذي يمر على بلدهم رغم برودته لا يؤدي إلى خسارة الدولة مع توفر إمكانات عالية لتدفئة الناس في كل مكان مجانا.

من جانب آخر فان المدارس عندهم تُدفأ بالقش المستخلص من القمح ويستخدم كذلك لتسخين الماء . إذ أن كيلو غرام من القمح يسحب من الهواء 12 كغم من ثاني اوكسيد الكربون،وعند حرق قش القمح لغرض التدفئة يخرج 12 كغم من ثاني اوكسيد الكربون وبالتالي هي نفس الكمية التي سحبها من الهواء وبالتالي يتعادل الداخل من هذا الغاز مع الخارج منه.

حينما تهدد تركيا كوارث طبيعية فان الرئيس اردوغان يأتي إلى مركز أرصاد الكوارث قبل وقوعها بأسبوع مصطحبا معه وزرائه لدراسة الموقف واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك ، كلف بناء المركز 20 مليون دولار، وتم تجهيزه ب 2200 سيارة إنقاذ و6670 شخص جاهزون ومستشفيات متحركة ومطاعم لوجبات مجانية للناس الذين ينقطع بهم السبل . خلال سنة واحدة فقط تم حل مشكلة السيول في اسطنبول عبر مداولات وبحوث على مستوى الدولة والجامعات وتم تخليص الشعب من الأضرار التي ممكن أن تلحق به جراء السيول.

قال احد الرحالة واسمه ناصر خسرو في القرن العاشر بالقاهرة واصفا الوضع البيئي في مدينة القاهرة آنذاك ،حيث غُرست الأشجار فوق الأسطح فصارت منتزهات واستطرد قائلا:

رأيت شخصا زرع سطح بيته بأشجار مثمرة كالنارنج والورد والريحان والموز فتحولت الأشجار إلى زينة وثمر في آن واحد، وكانت معظم سطوح بيوتهم في القاهرة حدائق وأكثرها مثمر كان ذلك منذ ألف عام.

وهذا ما لاحظناه في الهند أثناء زيارتنا لها سنة 2014 رأيت حتى مطار بانكلور وهي مدينة تقع في هضبة التبت جنوب الهند رأيت في سطحه وطابقه الثاني عبارة عن غابة من الأشجار ،وفي البيوت والأرصفة والجسور حتى ظننت أن الشجر في الهند مقدس .تجدر الإشارة إلى أن 15% من مباني ألمانيا مزروعة. فلنبدأ بمشروع زراعة الأسطح فهي استثمار واقتصاد وبهجة حيث أن 60% من الخضرة يمكن الحصول عليها من زراعة سطح منزلك ، إنها فكرة ناجحة فلنجربها .

في الأطفال In children

يتنحى المسئولون في تركيا في يوم اسمه يوم الطفل Children's Day ويتركوه للأطفال اعتبارا من رئيس الوزراء ورئيس النواب،الرسالة أو الهدف من ذلك هو أن يقولوا للأطفال حينما تكبروا فإنكم ستصلون إلى هنا فهو دافع قوي للعمل والجد للطفل ، والمسئولون من الأطفال بدورهم أيضا يُنتخبوا من قبل إقرانهم لكي يتعلموا ويتفهموا فكرة الانتخابات والديمقراطية، بالتالي يصبح رئيس الوزراء طفل صف خامس ابتدائي في ذلك اليوم ، ورئيس الوزراء الحقيقي لا يوقع أي كتاب أو أن يقوم بأي مهام في ذلك اليوم لأنه ليس برئيس وزراء .

من جهتهم فان الأطفال في النرويج يدخلوا المحاكم متى شاءوا ويستمعوا للمرافعات وبهذا يتعلم الأطفال القضاء بشكل عملي وعن نظام المحاكم. وكذلك يأتي الأطفال إلى البرلمان النرويجي الخاص بالأطفال (برلمان مصغر) لكي يؤدوا دور البرلمانيين فيتعلموا الديمقراطية ،ويتم تقسيم الأطفال إلى أربعة أحزاب حسب ما موجودة في البلد ويؤدي أعضاء أي حزب دوره الحقيقي بعد أن يشرحوا لهم المهام وفكرة الحزب وأهدافه . وهناك أربعة غرف لكل حزب غرفة ولكل حزب حقه في الانتخابات ،بحيث الطفل حينما يبلغ يعرف تماما اللعبة الانتخابية وكيفية التصويت والاختيار. ويكون لكل حزب سكرتارية وخبراء بشتى المعارف فهو تمثيل وكأنه حقيقي بحيث يذهب الأطفال (أعضاء الحزب) إلى الشارع

ليشرحوا للناس عن برنامجهم الانتخابي ، وهناك برامج عن كيفية الحوار والمناظرة لكل حزب له 15 ثانية للرد لكي يتعلموا التفكير بهذه السرعة بينما في الواقع الأمريكي الحقيقي كل واحد لديه دقيقة للرد وليس 15 ثانية.

في المدن اليابانية يتم تعليم الأطفال على كل المهن منذ الصغر يعلموهم على التعامل مع التيار الكهربائي، واللحام ،والسياقة، والإسعاف، والعمل الجماعي، والحريق، وحلاقة الذقن ودفع المال للحلاق، وسماع الأخبار وإذاعة الأخبار كمذيع، والنشرة الجوية، وبائع ورد ، ومراسل صحفي، ومراعاة الأطفال الصغار ، وتربية الأطفال وهم أطفال! وعملية جراحية طبية ،وفتح حساب في البنك . وفي بعض المدارس توضع مصاطب أسفنجية في الساحة يقرا عليها الطلاب ويغيروا من كلاسيكية كرسي المدرسة ومن ثم لكي يتشوقوا للدرس القادم بعد أن غيروا شيء في جلوسهم. الطفل الذي يتعلم السباكة يسمى بطل البيت ،ولديهم المهن محترمة كالنجارة والكهرباء والحياكة.

في الصحة In health

مثلث الصحة

يمثل النوم للإنسان كالبطارية للسيارة ، ويتكون مثلث الصحة البشري من : 1- الحركة 2- الأكل الصحي 3- الراحة(النوم)، يشكل النوم 33% من الصحة وفي قلته تزداد جلطات القلب 50% وجلطة الدماغ 15% ويزيد من الكآبة بنسبة 15% ، إذ أن متوسط عدد ساعات النوم للانسسان العادي 7-8 ساعة .

إذا كان عمر الإنسان 70 سنة يقضى منها 23 سنة نوم إذا كان معدل عدد ساعات النوم 8 ساعات / يوم.الأكل الصحي يمثل الجانب الثاني للصحة ، ثم الحركة ،إذ أن 5 ملايين شخص يموتون سنويا بسبب عدم الحركة و5 مليون نسمة يموتون بسبب التدخين.

وما يتعلق بنظافة الفم والأسنان فان متوسط عدد الأسنان المتسوسة في فم الفرد في انكلترا 0.7 وفي الدنمرك 0.8 والفنلندي 1.2 والسويدي سن واحد والصيني سن واحد أما العربي سنين أي ضعف المتوسط العالمي للأسنان المتسوسة وذلك لضعف الثقافة الصحية لدى العرب.

ضرورة أن نعرف انه يوجد في مقبض الحمام 200000 خلية بكتريا ، ويوجد في زر السيفون 160000 خلية بكتريا ، أما ما يتعلق الأمر بطلاب المدارس فان حوالي نصف الطلاب لا يغسلون أيديهم بعد الانتهاء من المرافق ويلمس الطالب انفه أو فمه مرة كل 3 دقائق ، ويد الطالب تحتوي على 18000 خلية بكتريا، بالتالي فان الطلاب والمدرسين يتغيبون 164 يوم بالعمر بسبب الزكام ثم الإسهال بسبب سوء النظافة، وممكن تقليص عدد الغيابات إلى النصف عن طريق غسل اليدين الذي ينتج عنه قتل 95% من الجراثيم.

رغم انه 50% من الطلاب لا يستخدمون مرافق المدارس ،و 50% منهم يتمرضون بسبب عدم توفر النظافة، 1 من 4 طلاب يعاني من إمراض بسبب استخدام مرافق المدرسة ،أهم الإمراض هي بكتريا الإسهال وجراثيم بكتريا فيروس الكبد و فيروس الإسهال . ومن ثم الذي ينظف حمامات المدرسة في الدنمرك لابد من الحصول على شهادة تدريب لمدة 3 أشهر، بالتالي فان المدة التي يقضي فيها الإنسان من حياته في الحمام هي 3 سنوات.

يسكن في دبي مليون فرد وفيها أكثر من 50 مركز إسعاف موزعين في إنحائها لذلك تتميز بسرعة الوصول إلى مراكز الإسعاف بمدة قياسية لا تتعدى 7 دقائق.

ويوجد في كوريا سيارة خاصة لذوي الاحتياجات الخاصة مجهزة بحمام وأدوات غسل الملابس وبانيو، تأتي لعشر بيوت يوميا مجانا وفيها عاملين وطبيب لفحص المعاق وصيدلية متنقلة تقوم بإخراج المعاق إلى السيارة وتقدم الخدمات له مجانا، ويكون الصعود إلى السيارة من خلال عربة خاصة وجهاز متحرك يصعد به إلى السيارة .

يعاني مليار ونصف إنسان من مرض السمنة أي 10% من سكان العالم،وان 65% من سكان الأرض يعيشون في بلدان سبب الموت عندهم هو السمنة أكثر من نقص التغذية . والشخص الذي يعاني من السمنة ترتفع مصاريفه الصحية أكثر من 25% من الشخص الاعتيادي . هناك 43 مليون طفل تحت سن الخامسة وزنه زائدا ، وفي سنة 1980 كان هناك 7% من النساء يعانون من السمنة.وفي سنة 2008 أصبح هناك 13% من النساء يعانون من السمنة.وارتفعت النسبة إلى 20% سنة 2012.

أما في الشرق الوسط فان 70 % من النساء يعانين من السمنة مقابل 50% من الرجال . هناك اليوم مليار إنسان سمين يقابله مليار إنسان يعاني من الجوع. وتعد سنة 2012 أعلى قمة لارتفاع السمنة وبالتالي زادت معها أمراض القلب.

أسباب العمر الطويل هي:

1- النظام الغذائي الجيد.

2- الرياضة اليومية.

3- العلاقات الأسرية الناجحة والمريحة.

4 -أن يكون له هدف في الحياة.

5-العلاقة الروحية مع الله.

ستنخفض أعمار البشرية من 7-8 % بسبب الأكل غير الصحي (التخمة). وضعت قطعتين جبن احدهما طبيعية والأخرى صناعية في كيس وبعد 21 يوم تعفنت الجينة الطبيعية لان فيها حياة فوجدت البكتريا فيها قيمة غذائية أما الثانية فليس لها قيمة غذائية وبالتالي لم تقترب منها البكتريا لأنها عبارة عن قطعة بلاستيك ،إذن الذي نتغذى عليه ونعده سليما هو عكس ذلك ما يتعلق أيضا بالوجبات السريعة التي أصبحنا معتادين عليها.

تأتي بريطاني بالمرتبة الأولى من بين دول العالم من حيث الأنظمة الصحية ،إذ أن كل العلاج والدواء التي تقدمه للناس هو مجانا لأنه محسوب من الضرائب، كذلك الأدوية مجانا وأشعة الرنين والليزر، وذوي الدخل المحدود وللأعمار 60 فما فوق وتحت ال16 سنة والطلبة كلهم أدويتهم مجانا في هذا البلد.

ولم تكتفي بهذا بل إنها تراقب عمل الأطباء عن كثب ليس في المؤسسات الصحية فحسب إنما في عيادته الخاصة أيضا،إذ يحصل الطبيب على اجر وثناء كلما عالج مرضاه بشكل جيد أي أن الحكومة تراقب أداء الأطباء في العلاج وفي الأجور وفي التعامل مع المرضى من خلال توزيع استمارة استبانه للمرضى المراجعين لعيادات الأطباء بشكل دوري لترى مسار التطبيب في العيادات الخاصة .والحكومة تعطي الأجر للطبيب على عدد المرضى الذين يعالجهم الطبيب.

على العكس تماما في الدول المتخلفة فالطبيب يتقاضى من الأجور ما يحلوا له دون حساب أو رقيب ، ودون وازع من الضمير ويتحمل المريض ذلك الذي لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

في التنظيم In the organization

في التنظيم الإلهي أولا

يقول احد العلماء إذا انقرض النحل فان الإنسان سينقرض بعده بأربع سنوات ،فضلا عن منتجات كثيرة أخرى ستنقرض ،وذلك لما للنحلة من دور كبير في التنظيم البيئي. يوجد في عين النحلة 69 ألف عدسة تستخدمها للتنبؤ عن الرياح والنظر لمسافات بعيدة .وفي رأسها ثلاث عيون ، طول حياتها تنتج 12 ملعقة عسل للأكل ،وفي حال عدم وجود النحل سيضطر الإنسان تلقيح شجرة شجرة فكم يكلف ذلك من الوقت وهذا ما حصل في قرية في الصين. إذ تقوم نحلة واحدة باستطلاع مكان الأزهار ولما تعود تقوم برقصة يفهم من خلالها الاتجاه والمسافة ونوع الزهرة .الفرق بين العسل الطبيعي والصناعي هو أن الصناعي حينما تضعه في إناء فانه يسيل بينما الطبيعي يبقى ثابتا.

ملعب برشلونة يعتبر مكان سياحي يسع ل 100 ألف متفرج واكبر ملعب في أوروبا ورقم 11 عالميا من حيث السعة. أما متحف برشلونة فهو ثالث اكبر متحف في اسبانيا، إذ يضم أسماء الأعضاء فيه منذ افتتاحه ويحتفظ بأحذية الفريق وميدالياته وكل ما يتعلق بنشاطات الفريق الرياضية. جدير بالذكر أن تاريخ النادي يبدأ من سنة 1899 أي عبر 112 سنة فيه 170 ألف عضو.

يلتقط لأعضاء النادي 300 ألف صورة بالعام الواحد وبربح يقدر ب 3 مليون يورو من التقاط الصور مع أعضاء النادي وبالنادي. وهناك 3000 مُنتَج عليها شعار برشلونة من الكيس إلى الملابس والكرات والحقائب والأقلام والجبس ومعكرونة وجوارب ومحفظة ومفاتيح وساعات وراديو وغيرها.وهذا يدل على نجاح مؤسسات الدولة ونجاح الإدارة المؤسسية في النوادي ودوائر الدولة الأخرى وتعد أيضا جزء من ثقافة مجتمع.

احد أسرار نجاح كرة القدم البرازيلية هي (الفوت سال Photol) وهي لعبة في ملعب للسلة من عشرة لاعبين وتحتاج إلى مهارات اكبر وحجم الكرة اصغر وأثقل ،وحينما ينتقل اللاعب إلى ملعب اكبر وكرة اخف يبدع في لعبه لأنه تدرب على كرة اشق وأثقل من التي يلعب بها .

في البرازيل 10000 نادي فوتسال وفي هذا البلد يدربوا الأطفال وهم في عمر 2.5 سنة وأول كلمة ينطق بها الطفل هي كرة a ball ،كان ريماريو Rimario من أفقر الناس وبيته

من أفقر البيوت أما اليوم من أفضل وأفخم البيوت، بعبارة أخرى لديهم كرة القدم شيء مقدس بالتالي أبدعوا فيها.

كوكل Google بالانكليزي تعني واحد وأمامه مائة صفر وهو في زيورخ بسويسرا، أساس قواعد كوكل هي الخوارزميات العربية . فكرة كوكل يرتب المعلومات ويسهل وصولها إلى العالم بيسر، فهي معلومات جغرافية وتجميعها ويمكن الاستفادة منها ومتاحة للجميع. وليس البحث فقط وإنما عن المعلومات الجغرافية.

تأسست سنة 1998–1999 ، ومبيعاتها اليوم 38 مليار دولار تساوي الناتج المحلي لليمن ،وأعلى من الناتج المحلي للأردن، وتفوق الناتج الملحي لعشرات الدول الإفريقية، تملك أكثر من 42 مليار دولار أي أكثر من احتياطي مصر. اليوم هناك 15 قسم للبحث في مجالات المعرفة. 20% من وقت عمال كوكل يفكروا بتفكير خارج نطاق العمل (ابتكارات شخصية).وهو احد عوامل النجاح لكوكل ،ياهو yahoo كان عندها بحث كوكل جاءت بإضافات إلى ياهو بملايين الصفحات بنتائج اقل من ثانية.

اسباير Aspire اسم مدرسة أو أكاديمية رياضية تعني الحلم the dream في قطر، تأسست عام 2004 وتقوم على تبني حياة جديدة ونمط صحي متقدم وتقدم للطالب أعلى درجات الخدمة . اغلب دروسها رياضة وفيها درس تعليم القيادة والإبداع والمسؤولية . وتعتبر قاعة الدرس ليست كل شيء للتعليم بل الميدان أصلح وانفع وافهم أي أنها تهتم أساسا بالجانب التطبيقي Application في التعلم.

في مجال التعليم نحن متأخرين جدا مقارنة بالآخرين وأفضل طريقة للتقدم هو أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون لأجل ذلك تأسست مؤسسة قطر سنة1995 ، تقوم المؤسسة على ثلاث محاور:

التعليم –البحث العلمي –التنمية الاجتماعية ، فيها 21 جامعة عالمية منها جامعة تكساس التي مرتبتها رقم 12 عالميا في مجال الهندسة وفرجينيا الأولى على مستوى الفن وجامعة جورج تاون George Town ترتيبها في مجال الاقتصاد الدولى5 في البكالوريوس و 1 في ماجستير الاقتصاد.

تتميز جامعات قطر بأنها بحثية أي أن الطالب يقوم بنفسه بالتطور وهذا هو الاتجاه الصحيح الذي سارت عليه جامعات العالم المتقدم مثل أكسفورد وهارفارد من حيث يترك

المجال أمام الطالب يبحث ويفكر وينجز لترسيخ ثقته بما ينجزه أولا ولتقليل الاعتماد على الآخرين في مجال شق طريقه في الحياة ثانيا. في سنة 2008 خصصت قطر نسبة 2.8% للإنفاق على البحث العلمي وهي الأعلى في الوطن العربي. يوجد في المؤسسة إسطبلات لتربية أجمل الخيول وتم استيراد تربة خاصة للتدريب بحيث لا تثير غبار وتؤثر على صحة الخيول ، وهناك حمام سباحة للخيل علما أنها تعرف السباحة، والإسطبلات مكيفة ومجهزة بكاميرات مراقبة وتغسل بكريمات خاصة.

جاء شخص اسمه جوزيف بازل كيتJoseph Basel Keith ويحمل لقب سير(50 شخص يأخذ هذا اللقب بالسنة في بريطانيا) ، كُرم بازل لأنه نظم المجاري في لندن حينما فكر وعمل نظام مجاري في لندن ولا زالت منذ 150 سنة تعمل بشكل متقن وصحيح ولأجل ذلك حينما توفي هذا الرجل عمل له نصب بالمدينة كدلالة على الخدمة التي قدمها لسكانها ، ذهب بازل إلى أكثف حي في المدينة ثم أكثر فرد يخرج منه فضلات وتم حساب ذلك كحد الأقصى للفضلات وبالتالي حسب لمدة 500 سنة على أن تبقى هذه المجاري عاملة وفعلا استطاع أن يقدم لسكان لندن أعظم انجاز ، تم تحويل بيته الذي سكن فيه كمتحف وتمثاله مشهور،اليوم وبعد 150 سنة على انجاز هذا المشروع الضخم فان سيارة تدخل في المجاري لغرض تنظيفها وهناك حلقات مسلسلات تصور في المجاري بسبب حجمها الكبيرة وتم إدراجها ضمن التراث البريطاني فأصبحت قبلة للزائرين للاطلاع عليها ،هكذا يخلد الرجال العاملون من اجل الإنسانية ومن اجل بلدانهم وأمتهم.

اكتشف بازل كيت مرض الملاريا سنة 1860 في لندن، أصل الموضوع انه في سنة 1854 مات مئات البشر في شارع بورت Port Street دون معرفة السبب بحيث أوقفوا عمل البرلمان وسموه عصر النتانة العظمى ، جاء دكتور بازل كيت ووجد الكوليرا متركزة في هذا الشارع فتوقع أن سبب ذلك الموت هو الماء وفعلا توقفت الكوليرا بعد كسر مضخة الماء ، فاكتشفوا العلاقة بين المجاري وأمراض الكوليرا والإسهال، منذ 200 سنة مات 140 ألف شخص في الأسبوع بسبب عدم وجود صرف صحي جيد، وفي سنة 1832 مات 2% من سكان نيويورك لنفس السبب، يوجد في العالم 10 مليون مصاب بالحمى الصفراء ، وهناك 800 ألف طفل يموت سنويا بسبب الملاريا ، وفي حال معالجة الصرف الصحي يمكن إنقاذ 360 ألف طفل سنويا.

هناك أحواض تقع على مسافة تقدر بين 6–7 كيلو متر تحت طوكيو لاستيعاب وخزن مياه الإمطار لكي لا تذهب سدى والاستفادة منها وقت الحاجة وهذا الأمر دأبت إليه الكثير من الدول مثل ماليزيا والهند وهونك كونك وكوريا لسببين الأول لمنع اختلاط مياه الأمطار بمياه المجاري وبالتالي يتلكأ تصريفها، والثاني للاستفادة منه وقت الحاجة.

الشباب والكلاب

الشباب نعمة وهي الآن في طريقها إلى الزوال في اليابان والدنمرك وكثير من الدول بسبب عزوف الشباب عن الزواج بحيث تقود الدنمرك اليوم حملة ضخمة لتشجيع الشباب على الزواج.

وصل تعداد مدينة يوباري اليابانية سنة 1960 (120) ألف نسمة، أما في سنة 2017 بلغ تعدادها 9 آلاف نسمة ويتوقع أن يكون سنة 2035 (5) آلاف نسمة ، المشكلة في الزواج باليابان انه قرار فردي وليس مجتمعي ،بمعنى آخر ليس كما هو الحال عندنا يشعر الشاب انه من العيب إن لم يتزوج أو ينجب أو يزيد من أفراد أسرته ،أي انه تم رفع الغطاء الاجتماعي من هذا الجانب .

ينجب الزوجين اليوم في اليابان طفلا واحدا ولو فرضنا أنجبا بنتا، وزوجين آخرين ينجبان طفل واحد لو فرضنا أنجبا ولدا ، الولد يتزوج البنت وينجبان طفل واحد ، هذا يعني من أصل أربعة أفراد انجبو طفلين الحصيلة النهائية لهما طفل واحد الذي يرثهما ، وبهذا الشكل تتقلص الأسر والعوائل حتى تصل إلى الفناء.

بسبب ضعف الإنجاب في اليابان تغير كل شي من الهرم السكاني إلى عدد المولاة الخاصة بالأطفال التي تقلصت وزادت على حسابها الحاجات الخاصة بالكبار وهكذا احتياجات كل منهما .بحيث الحفاظات الخاصة بالكبار في اليابان أكثر من الحفاظات الخاصة بالأطفال.

وهكذا إلى انعدام المواليد وانهيار الاقتصاد !!أما البطالة في الشباب العربي بلغت 33% ،أي عكس الشعب الياباني تماما ، كندا ،استراليا ،أوروبا كلها تعاني من مشكلة الإنجاب ،كذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي تواجه كارثة بسبب قلة الإنجاب.

توجه اليابانيون اليوم إلى تربية الكلاب بدلا عن الأطفال ،بحيث تم المبالغة في ذلك بحيث أصبح الكلب اقرب إلى صاحبه من الطفل (أكل ، حفاظات،أدوية وطبيب وغرفة ونزهة، .....الخ).إذ يوجد 20 مليون كلب في اليابان مقابل 15 مليون طفل اقل من 15 سنة

وأصبح 70 متر مربع من كل مول مخصص للأطفال فقط ،وعندما يموت الكلب تقام له جنازة ويصلون عليه ،وللكلاب مقابر خاصة وزيارات منتظمة لها، وورود توضع على قبورهم ، وتبنى قبور الكلاب من حجر الكرانيت المستورد من ايطاليا واسم الكلب وعائلته ، وحينما تسال شخص كم طفل لديك يقول لدي كلب وقطتين أو لدي كلبين وقطة وهكذا حتى أصبحوا أولاد كلاب.

شعب اليابان وأوروبا وصلوا إلى مرحلة عالية من الحضرية **Urbanism** وتعقد الحياة الذي يعني الرقي العالي، وكلما يصل شعب إلى هذه المرحلة كلما يميل إلى أن ينشد الراحة والاستقلالية أكثر ، فضلا عن ذلك السياسة الأسرية المنحلة وصعوبات الزواج . وبما أن الزواج يحدد استقلالية الفرد ويسلب منه حريته وهم يريدون عكس ذلك. كمثال على ذلك ، لو نظرنا إلى أسرتين إحداهما تتكون من 11 فردا والأخرى من 3 أفراد أيهما أكثر راحة ؟أكيد الثانية وهكذا تتدرج الشعوب في سلم الحضرية ،وعكس ذلك نجده في الدول المتخلفة الذين لديهم العشائرية والقبلية هي السائدة بالتالي هم بحاجة إلى جيوش وليس أبناء لإغراض القتال والحرب والوحشية وليست الحضرية .وهم بعيدون في الوقت ذاته عن التفكير بالراحة والسعادة بقدر تفكيرهم بحب التسلط والغلبة والجاه والسطوة ومنطق القوة!!

مدرسة أغلقت تماما بسبب قلة الإنجاب في اليابان بينما في أفريقيا تعاني من مشكلة الإنجاب غير المنضبط ،في حين أن الوطن العربي يقع موقعا متوسطا بين ذلك بحيث بلغ متوسط عدد الأطفال 3 أطفال للأسرة الواحدة وهو الوسط على مستوى العالم.

في بومباي بالهند من متطلبات الانضمام إلى الجامعة لابد من القيام بعمل تطوعي وخاصة تعليم الأطفال المحرومين منه ، لذلك على كل طالب جامعي 60 ساعة سنويا يقوم بتعليم الأطفال .وفي السودان مرتب المعلم 200 جنيه فعملوا لهم مشاريع تجارية سموه (المدرس المنتج) لهم فيها أسهم بحيث يحصل المعلم أكثر من مرتبه ،لأول مرة يدخل التفكير في رؤوس العرب .

في الأخلاق In ethics

يسجل التاريخ كل فعاليات الشعوب بحسناتها وسيئاتها ، ونحن حينما نريد أن نقَّيم أخلاق قوما ما يفترض أن لا نقيمهم من منظور أخلاقنا نحن فلكل قوم مسار ونهج أخلاقي يختلف

عن الآخرين ولكن تقييمنا لهم لابد وان يتوافق مع منهجهم، ومن ثم فان هناك ثوابت تجتمع عليها الإنسانية مثل الظلم والدعارة والخمر والمخدرات والتعدي على أموال الآخرين والاتجار بالبشر والقمار على سبيل المثال لا الحصر.

والدول المتقدمة لا يعني أنها دول ملائكية فهناك الغث والسمين فيها ،وتأتي الأخلاق والتفسخ والانحلال من أكثر سمات هذه الدول، على سبيل المثال لا الحصر نذكر انه في لاس فيجاس بنيت مدينة من الخاسرين ،وهناك مصاصي الدماء وحيتان المقامرين فيها بحيث يصرف الشخص الواحد بين 40–50 مليون دينار في الليلة الواحدة . القمار يستقطب 73% من البريطانيين مثلا يقامرون على أغنية أو أن امرأة حامل يقامرون ماذا يسمون الطفل وهكذا . في لاس فيجاس مكان خاص للانتحار بعد أن تنتهي أموال المقامرين بالقمار. وفي مدينة اتلانتك ستيAtlantic City فتح القمار فيها سنة 1978 بعدها زادت الجريمة بنسبة 107% عما هو عليه في الولايات المتحدة الأمريكية.

هناك أحياء في الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع الوصول إليها في الليل بسبب خطورتها لان أكثر سكان هذه الأحياء هم من المشردين الناتج عن الانحلال الأسري ، إذ أن هناك صفيح وعشوائيات مخيفة بحيث يقوم هؤلاء بحجز الأرصفة من النهار لكي يناموا فيها بالليل لكثرة هؤلاء بحيث أن الأرصفة لا تكفي لإيوائهم.

وعلى العكس في اليابان حتى المشردين منهم ملتزمون بالقانون والأخلاق والانضباط ، إلى درجة تمنى احد رجال الدين أن تصبح اليابان مسلمة لكي تكون قدوة للآخرين .

كانت الأسرة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1950 مترابطة وقوية عكس ما هو عليه اليوم لأنه إن لم توجد أسرة قوية لا توجد دولة قوية(أعظم حضارة هي الرومانية أختلت حينما أختلت الأسرة فانهار المجتمع وانهار الاقتصاد وانهارت الدولة) .وهذا لا يعني أن أغلبية الأسر الأمريكية متفسخة وإلا لكانت قد انهارت الدولة ولكن نسبتها قليلة وليس كما نتصور أن التفسخ عندهم سيد الموقف وإنهم مجتمع منحل على بكرة أبيه أبدا. رغم أن 77% من أطفال الولايات المتحدة هم من علاقة غير شرعية ، والشرعنة هنا فيها خلاف تدخل ضمن مضامين ثقافة المجتمع ،أي أن الرجل والمرأة يتفقان على الزواج دون عقد إلى أن يصلا إلى قناعة بأنهما قادرين على مواصلة الحياة الزوجية معا آنذاك يعقدان ويتم الزواج، وخلال هذه المرحلة ينجبان أطفال بشكل غير شرعي فحينما لا يتفقان على الزواج

يصبح هؤلاء الأطفال غير شرعيين. بمعنى آخر أن العلاقات الاجتماعية والعاطفية لها هذا المسار الذي لا يخل بسير المجتمع ولا يقف عائقا أمام تقدم المجتمع لأنه ولد عن قناعة مجتمعية تامة ،ولكن نحن المجتمع الشرقي ننظر إليه على انه مجتمع منحل ، بدليل انه يسير وفق ضوابط وقوانين تنظم شؤون هذه العلاقات وليست سائبة كما نتصور .

بالمقابل هم ينظرون إلى حجاب المرأة المسلمة بأنه يحد من حريتها بالعمل، وان سبب تخلف المرأة وضعف مشاركتها المجتمعية هو الحجاب بينما نحن نعتبر الحجاب عندنا كمسلمين شيء مقدس ، لذلك اختلاف الرؤى لا يعني انحلال احد الأطراف دون الآخر.هذا في الوقت الذي لا تخلو المجتمعات المسلمة من الفساد الأخلاقي وإلا لكنا قد ارتقينا عليهم بالحضارة لو التزمنا بديننا الإسلامي الحنيف.

وبالتالي فان نسبة الاتجار بالبشر تزيد 5 أضعاف لدى الأطفال من علاقة غير شرعية، وان 80% من المشردين هم من علاقات غير شرعية، و70% من الذين يتركون الدراسة في سن مبكر هم من علاقة غير شرعية .

أما من حيث نسبة تداول المخدرات في المجتمع فان العقل البشري يفرز مادة اسمها الدوبامين Dopamine لغرض النشوة والسعادة للإنسان العادي، بينما للمدمنين تخرج بكميات كبيرة بحيث من شدة الفرح يخرج عن المألوف.وان 99% من العملات المتداولة في بريطانيا عليها آثار كوكايين بسبب انتشار المخدرات بينما عند العرب 5% فيها آثار مخدرات.إذ أن العملات هي احد أدوات قياس نسبة تداول المخدرات في المجتمع.

انتشار الكفر في العالم يتحمل نصف أوزاره متدينون لأنهم بغضوا الله إلى خلقه بسوء أفعالهم مثل الطير الذي اشتكى أمر فقه احد عينيه من قبل رجل ملتحي إلى النبي داود (عليه السلام) إذ غَّر الطير لحية الرجل ، وحينما أراد النبي داود(عليه السلام) القصاص من الرجل طلب الطير على أن يكون القصاص هو قص لحية الرجل لكي لا يخدع غيره من الطير والإنس. وعلى أساس كثرة الملحدين في العالم فانه يوجد في أوروبا كنيسة خاصة للملحدين ، إذ أن النظم الاجتماعية تحتم على السلطات أن تهذب وتنظم حياة الناس حينما يصلون إلى عدد كبير لكي لا يؤثرون على سير حياة بقية أبناء المجتمع.

50% من المجتمع الكوري ملحدين وفي وأرمينيا 90% منم متدينين يؤمنوا بالله واليوم الآخر لكن الفرق للأسف أن دخل الفرد الأرميني هو 6000 دولار/سنة بينما دخل الفرد الكوري

33000 دولار/سنة.أما البطالة فإنها في أرمينيا بلغت 18% سنة 2016 وهي أضعاف ما يماثلهم في كوريا البالغة 3.7% سنة 2016. لكن أيهما أكثر نسبة في الانتحار رغم ارتفاع المستوى ألمعاشي في كوريا إذ تصل إلى 31 شخص/100000 شخص بينما في أرمينيا 100000/2 شخص بسبب الفارق بالإيمان.

في اليابان يكثر الانتحار بسبب ضغط العمل والمرض وعدم القدرة على التعامل مع المشاكل .هناك كتب مؤلفة في اليابان تعلم الناس عن كيفية الانتحار لكن تباع فوق سن 18، وهناك غابة خاصة ينتحر فيها الناس تسمى غابة الانتحار Forest of suicide كل شيء جيد في اليابان فيما عدا الإيمان!!

صناعة الجنس Sex Industry

أصبح بيت صناعة الجنس أكثر شهرة في الولايات المتحدة والغرب عموما ،المشكلة تكمن حينما يصبح ثقافة مجتمع !! مثلما أصبح الفساد عندنا يمثل ثقافة مجتمع ، ظهرت أول مجلة جنسية مرسوم عليها رأس أرنب(كعلامة لها) وفيها امرأة عارية في الستينات من القرن العشرين . اليوم كل 39 دقيقة يضاف موقع جنسي جديد في مواقع الاتصالات والأعلام العالمية !!

جاءت تسمية البكيني bikini من مكان في أوروبا كانوا يقومون فيه تجارب نووية فكانت الأصوات كالصاعقة يسمعونها فسمي كذلك لأنه كصاعقة جنسية مؤثرة .

كانت ممارسة الجنس في بريطانيا قبل الزواج لا تمثل سوى 4% في سنة 1945 ، ثم أصبحت 6% سنة 1950 وزادت إلى 15% سنة 1960 وارتفعت إلى 88% سنة 2008 وبما يسمى بالثورة الجنسية .أما اليوم وصلت النسبة إلى 90% من النساء اللاتي يمارسن الجنس قبل الزواج في بريطانيا.

قبل سنة 1950 لا يوجد شواذ جنسي في الغرب ، ومع بداية الثورة الجنسية سنة 1960 بدا الترويج للشواذ الجنسي خاصة في سان فرانسيسكو التي تسمى (عاصمة الشواذ The capital of the gay).

بومبيPompey مدينة رومانية أكثر مدن العالم انحدارا أخلاقيا ، في سنة 79 ميلادي 14 آب الساعة 12 ظهرا حدثت هزة أرضية بسيطة لم يعر لها أي اهتمام ، بعدها ثار بركان بجبل قريب عن المدينة فخرجت منه اللافا Lava إلى ارتفاع 30 كيلومتر في

السماء خلال ساعة تحول النهار إلى ليل وأمطرت لافا حمما بركانية إلى المدينة فغطتها 6 أمتار ولم يتم اكتشافها إلا قريبا فوجدوا الناس على أوضاعهم مجمدين ومغلفين باللافا.
يقول طبيب ألماني أغلقوا البارات اضمن لكم الاستغناء عن 50% من السجون ومثلها من المستشفيات والمصحات العقلية، ويردف قائلا وصلنا إلى القمر ولا زالت أقدامنا في الوحل ، في الولايات المتحدة 11 مليون مدمن على الخمر و44 مليون يتعاطونه ،وفي بريطانيا مليون حادثة طارئة سنويا بسبب الخمر .هذه الأرقام تسمح لنا بان نقول على الغرب بأنهم أصحاب حضارة مزيفة آيلة للسقوط في أي وقت مثلها كمثل مدينة بومبي الايطالية التي غضب الله عليها .

العبودية slavery

نُقل 15 مليون عبداً من أفريقيا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية عبر اسبانيا وكان معدل الوفاة من هؤلاء 10% وعندما يموت العبد يلقى في البحر كالحيوان إذ أنهم يعاملوه كبضاعة . كان كل تاجر لديه ختم من نار يوشم به عبيده لكي يعرفهم .
أول من حرم العبودية slavery هو أبراهام لينكونAbraham Lincoln الرئيس الأمريكي. كان الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية في المدة ما بين1861 إلى1865 . بالرغم من قصر المدة الرئاسية للرئيس لينكون إلا أنه استطاع قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح بإعادة الولايات التي انفصلت عن الاتحاد بقوة السلاح، والقضاء على الحرب الأهلية الأمريكية.. انتهت العبودية فعليا في الولايات المتحدة في ربيع عام 1865 عندما استسلمت الجيوش الكونفدرالية. أفرج إعلان تحرير العبيد عن جميع العبيد في الكونفدرالية، والذي نص على أن العبيد في المناطق الكونفدرالية أحرارا. كما أفرج عن العبيد في الولايات الحدودية والأجزاء التي يسيطر عليها الاتحاد بقانون الولاية (في 6 ديسمبر، 1865) بالتعديل الثالث عشر. الاستعادة الكاملة للاتحاد نتجت عن العمل لحقبة مستمرة ما بعد الحرب عرفت باسم إعادة الأعمار..
مارتن لوثر كنك Martin Luther King الذي حلم بان تكون حرية للسود في الولايات المتحدة الأمريكية تحقق حلمه في رئاسة اوباما . مارتن لوثر كينغ جونيور ولد في 15 يناير عام1929 ، تم اغتياله في 4 أبريل1968 ، كان زعيم أمريكي من أصول إفريقية،

وناشط سياسي إنساني، من المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد السّود في عام 1964 حصل على جائزة نوبل للسلام، وكان أصغر من يحوز عليها. اغتيل في الرابع من نيسان/أبريل عام 1968، اعتبر مارتن لوثر كنغ من أهم الشخصيات التي ناضلت في سبيل الحرية وحقوق الإنسان.

بعد مرحلة العبودية slavery جاء الفصل العنصري Apartheid بحيث كل شيء في الولايات المتحدة الأمريكية مقسوم إلى نصفين نصف للعبيد والآخر للبيض. ولكن هل انتهى الاستعباد؟ الجواب لا طالما هناك 60% من الأطفال يعملون وهم دون سن العمل وهذا يؤدي إلى إذلالهم والذي هو جزء من العبودية ،وفي الوطن العربي 15 مليون طفل يعمل باجر زهيد اقرب إلى الاستعباد ، وهناك 76 دولة تعاني من عمل الأطفال والنساء التي يعملن 7 أيام في الأسبوع .

وهناك مصانع يعمل فيها النساء والأطفال بخنق واضح للحرية بحيث لا يتوفر سوى حمام واحد لكل 55 عامل.وهناك ظاهرة التهجير في العراق هي أعلى من مرتبة العبودية بعد أن يفقد المواطن كرامته وحريته وماله وأولاده بسبب الإرهاب المقيت.

يقول المفكر الفرنسي اتييان دولا بواسييهEtienne Daula Boissier في كتابه (العبودية الاختيارية)عندما يتعرض بلد ما لقمع طويل تنشا أجيال من الناس لا تحتاج إلى الحرية وتتواءم مع الاستبداد ويظهر فيه ما يمكن أن نسميه المواطن المستقرStable citizen .

في أيامنا هذه يعيش المواطن المستقر عالم خاص به وتنحصر اهتماماته في ثلاثة أشياء هي:

- الدين
- ولقمة العيش
- وكرة القدم.

فالدين عند المواطن المستقر لا علاقة له بالحق والعدل والانصاف وإنما هو مجرد أداء للطقوس واستيفاء للشكل لا ينصرف غالبا للسلوك،فالذين يمارسون بلا حرج الكذب والنفاق والرشوة يحسون بالذنب فقط إذا فاتتهم إحدى الصلوات.وهذا المواطن لا يدافع عن دينه إلا إذا تأكد انه لن يصيبه أذى من ذلك،فقد يتظاهر ضد الدنمرك عندما تنشر رسوما مسيئة

للرسول (ﷺ)لكنه لا يفتح فمه بكلمة مهما بلغ عدد المعتقلين في بلاده ظلما وعدد الذين ماتوا من التعذيب أو يرى شيء طبيعي أن تهان المرأة أو يرى طفلا يتضور جوعا.

لقمة العيش هي الركن الثاني لحياة المواطن المستقر ،فهو لا يعبا إطلاقا بحقوقه السياسية ويعمل فقط من اجل تربية أبنائه حتى يكبروا فيزوج البنات ويشغل أولاده ثم يحج إلى بيت الله استعدادا لحسن الخاتمة.

أما في كرة القدم فيجد المواطن المستقر تعويضا له عن أشياء حرم منها في حياته اليومية ،فكرة القدم تنسيه همومه وتحقق له العدالة التي فقدها ،فخلال 90 دقيقة تخضع هذه اللعبة لقواعد واضحة عادلة تطبق على الجميع.

المواطن المستقر هو العائق الحقيقي أمام كل تقدم ممكن ، ولن يتحقق التغيير إلا عندما يخرج هذا المواطن من عالمه الضيق ،ويتأكد أن ثمن السكوت على الاستبداد أفدح بكثير من عواقب الثورة ضده.

هناك يوم في الولايات المتحدة هو أول جمعه من كل شهر سمي باليوم الأسود the black day لان فيه تخفيضات في الأسعار بالتالي يتزاحم فيه الناس فيؤذي بعضهم البعض ،ولهذا اليوم يصرف تريليون دولار لأغراض الإعلان عنه. معدل الاستهلاك في الولايات المتحدة الأمريكية كان 5% سنة 1930 أصبح 100% سنة 2010 وهذا الهوس في الاستهلاك له آثار جانبية على سعادة الفرد ، إذ كان مؤشر السعادة 70 سنة 1930 أصبح 45 سنة 2010 .

المبحث الثاني : حينما كنا امة راقية

كان الزهراوي أعظم الجراحين العرب وكان كتابه" التصريف" حول الآلات الجراحية من أهم الكتب التي تدرس في كليات الطب في أوروبا، لذلك احد الأطباء الأوربيون يقول أن العرب متقدمين عنا سنين ضوئية في الطب وفي الفلك وفي الرياضيات وعلوم أخرى، في أوروبا كان من يقوم بالعمليات الجراحية هم الحلاقين !!! أي أن العرب برعوا في الطب قبل 400 سنة من الأوربيون الذين كانوا يعيشون بظلام دامس،أي بعد 400 سنة من بداية الطب عند العرب.

أما العلامة ابن البيطار عالم النباتات والعقاقير وضع له تمثال في الأندلس سنة 1248 وكان قد ولد في المغرب وتوفي في دمشق ، وكان من ابرز علماء النبات في زمنه.

قام الرازي الطبيب العربي المسلم قبل 1200 سنة ببناء مستشفى على أساس التجربة أي قام بتعليق قطع من اللحم في أنحاء بغداد ورأى أن اللحم الذي يتعفن بسرعة يعني أن المكان غير صحي فاختار المكان الذي تأخر في التعفن. أما بيمارستان قلوون الذي بناه العرب في الأندلس عام 1403ميلادي أبهر الفرنسيين من حيث التنظيم والمكان والردهات كنموذج طبي عربي حينما كنا عظماء، أما بيمارستان هي كلمة فارسية تعني مستشفى.

يوجد في مستشفى وليد في السعودية تقنية غاية في العجب بحيث يوضع سوار للطفل وللام لا يمكن لأحد أن يلمسه، أي أن هناك اتصال الكتروني بين سوار الأمان للطفل والأم بحيث لا يمكن أن يسرق الطفل لان السوار مزود بجهاز تنبيه سيظهر صوت عال يقول هذا الطفل ليس لهذه الأم!!! هو اسمه جهاز الأمان وإذا أراد احد أن يقطعه أيضا يظهر صوت ،وإذا احد غريب دخل على غرفة الطفل يغلق الباب اتوماتيكيا ولا يفتح إلا بجهاز خاص وذلك للكشف عن السارق.

الأنيق في المناجيق وهو اسم كتاب يتكلم عن أنواع المنجنيق أيام المسلمين الأوائل. وكان أول من اخترع الطوربيد عالم مسلم عربي وكان يمثل وكالة ناسا في زمنه لشدة تقنيته . وأقدم مدفع هو مدفع الدردنيل زمن العثمانيين عام 1464 صنع زمن محمد الفاتح وزنه 100 طن يسحبه 100 ثور و100 رجل ويسمع دويه على بعد 10 كيلو متر ولما سمعه البيزنطيين فزعوا لعدم تعويدهم عليه ، وأول مدفع أهداه الخليفة العثماني للبريطانيين موجود في المتحف البريطاني.

بدأ الأوربيون بصناعة الصلب والحديد بعد الحروب الصليبية إذ أن الجندي البريطاني كان يلبس الحديد في الحرب، إلا أن أفضل السيوف هي السيف العثماني موجود في متحف بلندن ، المسلمون منذ 1000 سنة كانوا هم رقم واحد في صناعة الأسلحة وفن الحروب.

القمرة هي الكاميرا واصلها عربي استخدمت من قبل ابن الهيثم وقمرته (الغرفة المظلمة) الحسن ابن الهيثم ولد بالبصرة ودرس ببغداد وانتقل إلى القاهرة . كان القدماء يتصورون أن العين ترى من خلال إصدار إشعاع إلى الأجسام ثم يرتد إلى العين فترى بينما ابن الهيثم قام بتشريح عين ثور ورأى أن الإشعاع يسير بخط مستقيم من خلال الغرفة المظلمة ،الغرفة فيها ثقب صغير يدخل من خلاله الضوء وبدلا من الضوء يقف شخص لكي تدخل صورته بدل الضوء من خلال العدسة التي تلتقط الصورة وتحولها إلى شاشة بيضاء أو ورقة هذه عبقرية ابن الهيثم.

هناك 21 نوع من آلة الإسطرلابAstrolabe لدى المسلمين وهو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح. وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد. وقد رسمت السماء على وجه الإسطرلاب بحيث يسهل إيجاد المواضع السماوية عليه. بعض الإسطرلابات صغيرة الحجم وسهلة الحمل، وبعضها ضخم يصل قطر بعضها إلى عدة أمتار.

عباس بن فرناس أول من حاول الطيران وهو عالم في الفلك والجغرافية والفيزياء والرياضيات ،وهو أول من فكر بالطيران حينما كان يقرأ القران.وقال طالما الله سمح للطير أن يطير إذن مبدأ الطيران عند الله وارد للبشر هكذا ربط بين الدين والعلم . أول تجربة قام بها من مئذنة قرطبة وفشل لكن لم ييئس وحاول بعد 20 سنة أي بعد أن بلغ عمره 65 سنة وجمع الناس في قرطبة.واقلع من فوق هضبة لمدة دامت من

5–10 دقائق فسقط وانكسر ضلعه حتى مات سنة 800 ميلادي.أما ثاني محولة للطيران كانت من قبل احمد شلبي في القرن 17 وتمت بنجاح في تركيا .

في القرن التاسع الميلادي ذكر كتاب " فتوح مصر وأخبارها " يذكر أن مصر كانت ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبر حتى أن الماء يجري تحت منازلها وأفنيتها يحبسونه كيفا شاءوا ويطلقونه كيفما شاءوا ، أي منذ 1200 سنة كانت هذه التقنية متوفرة لدى العرب حينما كانوا امة عظيمة .

الفزع من الفراغ

الثقافة الإسلامية كانت هي دليل الحضارة لذلك كان الأوروبي يأتي لاشبيلية ينبهر لما يراه من بناء وعمران وتحضر ،مثلا حينما رأى قصر دون بيدرو مكتوب على قصره عز للسلطان أيده الله. المعمار المسلم كان لا يحبذ الفراغ دون أن يستغله لذلك كان يفزع من الفراغ مما يعني أن الوقت لديه محسوب عليه وبالتالي لابد من أن يستغله استغلالا جيدا.

ابكي على مُلك كالنساء لم تحافظ عليه كالرجال هذا الكلام قالته الأم عائشة لابو عبد الله حينما سقطت غرناطة بيد الأوربيين. أبو عبد الله محمد الثاني عشر (15271460 -) هو محمد بن علي بن سعد المستغني ، حكم مملكة غرناطة في الأندلس فترتين بين عامي (14831482 -)(و عامي)1492 - 1486 وهو آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب بالغالب *بالله* .استسلم لفرديناند وإيزابيلا يوم 2 يناير 1492. وسماه الأسبان الصغير، بينما سماه أهل غرناطة **الزغابي** اي المشؤم أو التعيس.

في سنة 1489 استدعاه فرناندو وإيزابيلا لتسليم غرناطة، ولدى رفضه أقاما حصارا على المدينة. فقام عبد الله الصغير بتوقيع اتفاق ينص على تسليم غرناطة، على الرغم من رفض المسلمين لهذه الاتفاقية. وبسبب رفض أهل غرناطة لهذه الاتفاقية، اضطر المسلمين للخروج في جيش عظيم للدفاع عن المدينة ولأن أبا عبد لله الصغير لم يستطع الإفصاح عن نيته في تسليم المدينة، قام بدب اليأس في نفوس الشعب من جهات خفية إلى أن توقفت حملات القتال وتم توقيع اتفاقية عام 1491م التي تنص على تسليم المدينة، وتسريح الجيش ومصادرة السلاح .

حسب الأسطورة والرواية الشعبية فالمكان الذي ألقى منه نظرته الأخيرة على غرناطة ما زال معروفاً باسم(**زفرة العربي الأخيرة** وبكى فقالت له أمه" عائشة الحرة:""**ابكِ كالنساء على مُلك لم تحافظ عليه كالرجال**".

يعد العرب هم أول من صنع الورق في أوروبا وفي مكتبات قرطبة بالذات ،وفي مكتبة الحكم الثاني أكثر من 600000 مخطوط بينما مكتبات أوروبا لا تزيد عن 200 مخطوط . وكانت جودة الورق عالية جدا ، إذ أن صناعة الكتب أصبحت فن عند العرب.

وفي زمن المأمون أنشئ أول مصنع حديث للورق في دمشق سنة 794 ميلادي وواصل مبدأ العلم وانعدمت الأمية بحيث لا تكاد تجد رجل أمي عند العرب.في احد الأيام دخل المأمون على رجل كبير فقال له ألا تتعلم قال وبهذا العمر؟ قال له المأمون نعم، فقال المأمون قولته الشهيرة :لان تموت طالبا للعلم خير لك من أن تعيش قانعا بالجهل .

مدينة فالنسيا بالأندلس كانت تقام فيها محكمة اسمها : محكمة المياه عصر كل يوم جمعه ، أي شخص لديه مشكلة مع أصحاب الماء يقدم شكواه لهذه المحكمة المائية ، وحينما دخل الأسبان إلى فالنسيا بقوا عليها ولا زالت تقام إلى اليوم محكمة المياه قائمة تقليدا للعرب المسلمين منذ 1000 عام تيمنا بما كان يفعله المسلمين .

مكتباتنا العربية اليوم مهجورة وفي ماليزيا حولوا السيارة إلى مكتبة لذوي الاحتياجات الخاصة، إذ أن هناك خدمة توصيل الكتب للبيت مثل ما نحن نطلب أكل من المطاعم ويأتينا إلى البيت، في ماليزيا تطلب كتاب يأتيك للبيت ،وهناك 14-15 سيارة تكسي متطوعين لإيصال الكتب في هذا البلد.

تقييم الحضارات

ثلاث معايير لتقييم الحضارات هما :**العدل و العلم و الحرية** هذه المعايير اتخذت لقياس تقدم أمة محمد عن غيرها خلال 1400 سنة . سنة 622 هاجر النبي ﷺ مكة المكرمة واستطاع أن يؤسس دولة أقيمت فيها هذه المعايير في المدينة المنورة ، ثم جاءت نكسة حروب الردة في زمن أبي بكر (رضي الله عنه) ثم جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عن عمر الفاروق) ففتح مصر سنة 642 ميلادي وبلاد فارس فأصبحت الأمة في أوجهها، ثم جاءت انتكاسة في زمن عثمان وحروب الجمل وصفين بين الإمام (علي بن أبي طالب عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم توحد المسلمون في عملة واحدة فأصبحت ذات قوة اقتصادية بينما سيطرت الكنيسة على أوروبا .

قام الخوارزمي بإدخال الصفر بالحساب وانشغل بالرياضيات والجبر فيما كان والأوربيون مشغولين بالكنيسة وإحراق الكتب ومحاكمة الباباوات حتى نبش البابا من قبره ليحاكم لمخالفته المسيحية انظر التخلف والتفكير الذي كان سائدا في أوروبا.

سنة 1031 ميلادي دخل التخلف وحكم الطوائف عند العرب في الأندلس من دولة واحدة إلى دول فتجزأت إلى 22 دولة متخاصمة!!! فبدا الانحدار السياسي في القرن الحادي

عشر ثم حصل سنة 1085 م سقوط طليطلة ودخلها ملك قشتالة فخرجت من أيدي المسلمين وأول مرة يروا حضارة العرب المسلمين فتعجبوا مما رأوا !! وفي سنة 1099م سقطت القدس والتقاء الأوربيون مع المسلمين وتعرفهم على علومهم فنشأت حركة ترجمة لتحويل الكتب إلى اللاتينية فأمر الخليفة بحرق كتب ابن سينا لكي لا تذهب إلى أوروبا ،فاختلت الموازين.

في سنة 1187م جاء القائد صلاح الدين الأيوبي فحرر بيت المقدس بعدها سقطت الدولة العباسية وهبط العلم وبدأت الفجوة تضيق بين العرب والأوربيون إلى أن فقدنا قيمة العلم رويدا رويدا مقابل تشجيع العلم والاهتمام به عند الأوروبيون.

في سنة 1453 م تم اختراع الطابعة من قبل كتنبرغ وانتشرت الكتب على إثرها وكان سعرها رخيص بينما الدولة العثمانية منعت دخول الطابعة إلى ارض العرب على أساس إنها مفسدة فبدأت المفسدة بعدم دخولها ثم توقفت الحياة عندنا وانطلق الأوربيون بالعلم .بعد أن حرموا الطابعة ، انقلب التفكير الساذج فأصبح مُلكاً لنا فيما بدأ التفكير العلمي البناء لدى الأوروبيون.

ثم اكتشفوا الأوربيون رأس الرجاء الصالح فاستغنوا عن العرب والدوران على إفريقيا، وبدا الصراع بين العلم والدين وضعف فهمنا للدين . في سنة 1492 م سقوط غرناطة فخرج المسلمون من الأندلس فأصبح ضعف جغرافي وعلمي واقتصادي وسياسي لأنه ليس لنا مطابع للكتب فقلت لدينا الكتب وكثرت عندهم قل اهتمامنا بالكتب وزاد اهتمامهم بالكتب وبهذا بدأت الانطلاقة فصار العكس نحن تحت وهم فوق .

أسس الأوروبيون مكتبة مهمة في ايطاليا وترجموا كتاب ابن سينا بالقانون واخترعوا أول سيارة تمشي بالبخار 1600م ، بعدها ظهر نيوتن وقانون الجاذبية وما أفضى إليه ذلك من تطور في مجال العلم. وبعد 200 سنة دخلت الطابعة إلى لبنان ومصر وكأنه كانت محرمة فحللوا دخولها دلالة على بداية انتشار التخلف وانخفاض مستوى التفكير.

سنة 1800 م اخترعت البطارية والكبريت التي تسمى الثورة الصناعية وعندنا حدثت مجازر قامت بها الدولة العثمانية وعدم قدرتها على الاحتفاظ بالأراضي التي تسيطر عليها، وكانت في آخر أيامها دموية جدا أظهرت حالة الانتكاس للمسلمين بينما الأوربيون بدؤوا يصنعون أجهزة التبريد واينشتاين ظهر في هذا الوقت بنظرياته الفيزياوية .ثم سقطت فلسطين سنة

1948 .وانعكست الفجوة بيننا وبينهم بسبب المعايير **العلم والعدل والحرية** وهي موجودة اليوم عندهم أكثر من وجودها لدى العالم الإسلامي والعربي.ومثلما كانت سببا لعزنا أصبحت سببا لعزهم وتخلفنا بعد أن أهملنا هذه المعايير ولم يعد لها مكان بيننا !!!.

كان الخلفاء المسلمين مهتمين بالسفر وتسهيل التجارة وبالتالي تحسن دخل الفرد وتحسنت الحياة عندهم ثم أن المسافر يندرج ضمن ابن السبيل بالتالي لابد من أن تتوفر له كل التسهيلات. فالطريق بين الكوفة ومكة يبلغ 1400 كم وهناك 27 محطة رئيسة على الطريق وبين كل ذلك 27 محطة فرعية بحيث المسافة بين المحطتين لا يتجاوز مسير يوم لكي يرتاح المسافر. وهناك حمامات يستحموا بها من باب الضيافة .

كلمة نحو تعود لابو الأسود الدؤلي ذات يوم قال له الإمام علي(عليه السلام) الكلام يتكون من ثلاث أجزاء فعل وحرف واسم فابحث فيهم لعلك تضع الموازين لقواعد اللغة ، فقال أبو الأسود سأكتب علما نحو ذلك فسمي نحوا .

قالت البنت لأبيها: ما أجملَ السماء؟ فقال لها النجوم ،فقالت: ما قصدت ذلك، فقال لها :إذن قولي من أجملُ السماء لان الضمة تعني ما أجمل ما في السماء وبالفتح ما أجمل السماء تعني السماء نفسها.

90% من اللغات متوقع لها أن تنتهي أما اللغات المتوقع لها الاستمرار هي الانكليزية والاسبانية والصينية والعربية والهندية ،الأمريكيون يعلموا أطفالهم اليوم اللغة الصينية وهي بداية لمعرفة أسرار التنين القادم وهي حكمة عربية مفادها اعرف عدوك ، ولا يمكن معرفة العدو دون أن تعرف لغته وهكذا دأب الأمريكان معرفة الغاز الصين لأنهم يعتبرون الصين عدوهم القادم بعد التقدم الهائل لهذا البلد في التنمية والبناء وعلم النجوم والفلك والاقتصاد.

واغسلوا أيديكم وأرجلكم إلى الكعبين، الاختلاف الفقهي بين غسل الرجل من مسحها هو قراءتها فإذا قرأت أَرجلَكم بالفتح يعني تعود على اليدين أي لابد من غسلهما أما إذا قرأت أرجِلكم بالكسر يعني معطوفة على الرأس أي إنها تمسح ولا تغسل، والسنة والشيعة متقاتلين على الفتح والكسر ويعود السبب في ذلك إلى أبو الأسود الدؤلي .

تدرج إنتاج القطن في مصر كالآتي:

السنة	1820	1828	1882	1920	2013

الإنتاج /طن	45	9150	130000	365000	9000

أي تم التراجع في الإنتاج إلى 100 سنة إلى الوراء بينما استراليا تنتج اليوم من القطن ما يكفي لباس 500 مليون إنسان.

القطن المصري من أجود أنواع القطن بحيث أراد الأمريكان زراعة نفس التيلة الطويلة فيها ولم تنجح إلا في ارض مصر ، ويعتبر القطن المفضل في العالم بحيث يختلط على الناس التفريق بينه وبين الحرير لنعومة ملمسه ،والغريب أن الزبائن يشترون الملابس القطنية في أمريكا هم عرب من السعودية ودول أخرى.

كان العراق

طلبت المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٣٧ الاندماج مع العراق لأن حكومة الأردن ليس لديها موارد مالية للصرف على الدولة والشعب. وفي عام ١٩٣٩طلبت الكويت الانضمام إلى العراق لكي تستفيد من مؤسساته الخدمية ومن المياه الصالحة للشرب ومن نظام التعليم والصحة. وفي عام ١٩٥٢ بلغ حجم الديون المترتبة على ذمة بريطانيا ٥٠ مليون دولار وفي حينها استدعت الخارجية العراقية السفير البريطاني لدى بغداد ووبخته وطالبت الحكومة العراقية نظيرتها البريطانية بسداد الديون فورا. وفي عام ١٩٥٦ بلغ حجم الصادرات العراقية من القمح إلى بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ٣ مليون طن. وفي عام ١٩٥٩ أغلق جمال عبد الناصر قناة السويس أمام السفن العراقية التي تحمل البضائع إلى أوروبا في إطار الضغوطات على حكومة عبد الكريم قاسم لإجبارها لمساعدة مصر .وفي عام ١٩٦١ بلغ عدد العمالة الأجنبية الشرعية وغير الشرعية ٨٥ ألف عامل مقارنة بسكان العراق آنذاك وعددهم ٥ مليون نسمة . وفي عام ١٩٦٤ ارتفعت نسبة مساهمة القطاع الخاص في الإنتاج الوطني الصناعي والزراعي ٦٤ ٪. وفي عام ١٩٦٧ أرسل العراق وعلى وجه السرعة مساعدات إغاثة إلى سكان جزر الإمارات وشملت ٤ مليون متر مكعب من المياه الصالحة للشرب و ٥٠ ألف طن من الدقيق و ١٧ ألف قطعة ملابس ونحو ٥ ألف طن من التمور. وفي عام ١٩٦٨ صدر العراق ألبسة ب ٢٠٠ شاحنة نقل سعة ٥ طن من إنتاج مصانع بابل إلى مصر كمساعدة بعد نكسة حزيران. وفي عام ١٩٧١ بلغ عدد السياح العراقيين في أوروبا ولبنان ٧٠ ألف مقارنة بعدد السكان آنذاك والبالغ ٨ مليون

ونصف المليون نسمة. وفي عام ١٩٧٧ أكدت اليونسكو على أن التعليم في العراق يوازي قرينه في الدول الإسكندنافية وأن الطالب العراقي هو أكثر الطلبة قبولا في الجامعات العالمية من دول العالم الثالث، ودعت العالم إلى أن يحذو حذو العراق!!!! بلغ مستوى الدخل الفردي في العراق عام ١٩٧٨(٧)آلاف دولار سنويا وهو الثالث عالميا بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وحينها قررت الصهيونية العالمية السرية وضع حد للعراق الذي أصبح قوة متنامية في الشرق ويشكل فعلياً خطراً عليهم، وحينها وضعت الخطط الفعلية لتدمير العراق، وبدأ تنفيذ الخطة واقعياً عام 1980 حين أدخلوا العراق في حرب عبثية مع إيران، ومن يومها بدأ العراق بالانهيار حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

المبحث الثالث

نماذج للتراجع

الفساد Corruption

دول إفريقيا كلها فاسدة باستثناء بوتسوانا ومرتبتها 30 الأقل فسادا بينما نيجريا مرتبتها 139 في نفس القائمة الأكثر فسادا ،وتأتي نيجريا بالمرتبة الثامنة مصدره للنفط وعاشر اكبر احتياطي في العالم لكن دخل الفرد فيها 2600 دولار بالسنة بينما بوتسوانا يبلغ دخل الفرد فيها 16000 دولار في السنة،أي أن العلاقة بين دخل الفرد والفساد علاقة عكسية تماما .

تعد زيمبابوي من الدول الأفريقية الفقيرة ونضرب مثال بسيط على الفساد فيها رغم فقرها ، إذ عملوا بطاقات يانصيب ووزعت على الناس ولما اجتمعوا لسحب البطاقة الفائزة فمن بين ملايين البطاقات فاز بها رئيس الدولة موكابي وقيمتها 100000دولارا ، بحيث الفساد هناك جهارا نهارا وبدون حياء أو خجل.

قالوا في القرن الماضي من يملك منابع النفط يسيطر على العالم وفي القرن الحادي والعشرين يقال من يملك منابع الماء يسيطر على العالم . تعتبر النيجر أفقر دول العالم على كافة المستويات وعاصمة البلاد هي مدينة نيامي وهي أكبر المدن في النيجر. ، إذ يبلغ متوسط دخل الفرد فيها اقل من دولار في اليوم وفيها من الفقر والمرض والتلوث تحت خط الإنسانية وليس تحت خط الفقر . إحدى القرى في النيجر ليس لديهم ماء إطلاقا لذلك يسير الناس لمدة ساعة لجلب الماء على الحمير من احد الأنهار وهو ماء ملوث.

تغطي الصحراء الكبرى ما يقرب من 80% من إجمالي مساحة البلاد، في حين تتهدد الأجزاء الباقية مشكلات مناخية أخرى مثل الجفاف والتصحر .ويعتمد اقتصاد البلاد بشكل شبه كلي على تصدير بعض المنتجات الزراعية والتي يتركز إنتاجها في الجزء الجنوبي الخصب من البلاد بالإضافة إلى تصدير بعض المواد الخام ومن أهمها خام اليورانيوم . وبالرغم من هذا تظل النيجر عاجزة عن النهوض بنفسها اقتصاديا واجتماعيا نتيجة لموقعها كدولة حبيسة بالإضافة إلى افتقارها للبنية التحتية المناسبة وتدهور حالة القطاع الصحي بالبلاد، وكذلك انحسار مستوى التعليم والظروف البيئية، ويشكل الإسلام دين الغالبية العظمى في النيجر إذ تبلغ نسبتهم أكثر من 90٪ من عدد السكان البالغ 17 مليون نسمة.

ينبع النيل من أوغندا ومن مدينة جنجا Genja بالذات، يقع هذا البلد على هضبة شرق أفريقيا تعرف أوغندا بأنها "لؤلؤة أفريقيا Pearl of Africa" كان سكان أوغندا صيادين وجامعي ثمار حتى 1700–2300 سنة مضت، توقع السكان 32 مليون نسمة سنة 2009 . العاصمة كمبالا ، تقع أوغندا بشكل كامل تقريبا داخل حوض النيل فضلا عن أربعة أشهر من الغيث شتاء ولكن المياه لا تصل إلى نصف الشعب بسبب الفساد. ورغم فقرها لكن الناس فيها أكثر أدبا ونظاما وأخلاقا وهدوءا ورضا بالعيش لا سيما الأطفال هذا في أوغندا ، يقول الأمام علي عليه السلام ليس الجمال باثياب تجملنا إنما الجمال بالعلم والأدب.

هناك أرقام تنموية مخيفة في هذا البلد منها مثلا 50% من الأطفال يدخلوا المدرسة بين سن 5–6 سنة ، و5% يدخلوا المتوسطة و 6 من كل 10 يعيشون تحت خط الفقر في أوغندا،إذ أن الدخل دولار وربع باليوم . وان 1% من الشباب بين عمر 20 –24سنة يرتادون الجامعات .وان 60% من الشعب أميين!! ولنضرب مثالا على دور التعليم في الصحة انه إذا كانت فتاة أم الثمانية سنوات متعلمة فان نسبة إصابتها بمرض الايدز تقل بنسبة 8% عن سواها، فما بالك بهذه النسبة من الأمية التي تعد حاضنة ذهبية لمختلف الأمراض أن تفتك بهذا الشعب.

هوس الجمال

يحب الرجال في بورما أن تكون رقبة المرأة طويلة بحيث يسحبون الرقبة ويضعوا عليها أساور يصل عددها إلى 50 حلقة. وفي اليابان يحب الرجال صغر القدم فيضعون رجل المرأة في مكان ضيق حتى تشوه القدم من ضيق المكان حرصا على أن تظهر القدم صغيرة حتى يصبح قدم المرأة 15 سم /4 انج . .السؤال ما الذي يأتي بهذه المعايير؟

في موريتانيا يحبون المرأة السمينة والمطلقة بحيث تذهب النساء ببناتهن إلى مربي الجاموس لتسقى لبن الجاموس كي تصبح سمينة إلى درجة يضعون تحت قدميها جمر حار لكي لا تحس بالشرب وتبقى تفكر بالحرارة وهي تشرب اللبن.

امرأة جميلة تزوجت رجل جميل فخرج أبنائهم بقبح فضيع ، فظن أنها تخونه فقاضاها ، لكن حينما قالت له إنها عملت تجميل قبل أن يتزوجها ورأى صورتها الحقيقية وإذا بأبنائهم يشبهون أمهم بشكلها الأصلي ،فقاضاها لأنها لم تخبره بذلك. كل ذلك بسبب التجميل، إذ يوجد في العالم 20000 طبيب خاص بالتجميل .

وفي سنة 2013 تم صرف 40 مليار دولار للتجميل فقط ، هذه الأموال ممكن أن تعالج إفريقيا كلها بمشاكلها !!!!في سنة 2011 هناك 15 مليون إنسان جمّل نفسه، وعملية التجميل بدأت بعد الحرب العالمية الثانية حينما تشوه الجنود نتيجة الحرب وبالتالي فهي ليست للأصحاء إنما لمن هم بحاجة إلى إعادة ما تشوه منه !!

اللاجئين Refugees

يوجد هناك65 مليون لاجئ في العالم واغلب هؤلاء اللاجئين اتو على دول تعاني أصلا من مشاكل وان 70% من المسلمين لا سيما في السودان يأتيها عدد كبير من اللاجئين الاريتريين منذ سنة 1970 بحيث أنجبوا أولاد ولا زال يعيشون في مخيمات في السودان يأكلوا وجبة واحدة باليوم.

وفي تركيا 600000 لاجئ وفي الأردن 640000 لاجئ وكينيا فيها نصف مليون لاجئ أما باكستان ففيها اكبر عدد من اللاجئين حوالي مليون ونصف المليون لاجئ اغلبهم من أفغانستان.

واظهر تقرير شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إن "عدد الأشخاص الذين شردتهم الصراعات قد وصل إلى أعلى مستوياته." وأضافت المفوضية أن عدد اللاجئين بلغ نحو 65.3 مليون شخص مع نهاية سنة 2015، أي بزيادة 5 مليون شخص خلال سنة واحدة.

وتابع تقرير المفوضية أن "واحداً من كل 113 شخصا في العالم مشرد، وهو أما طالب لجوء أو نازح أو لاجئ." ويعتبر نصف هؤلاء اللاجئين من سوريا وأفغانستان والصومال والعراق.

وأظهرت تقارير الأمم المتحدة إنه " بالرغم من التركيز الكبير على أزمة اللاجئين في أوروبا، إلا أن 86 % لا يزالون يقبعون في دول محدودة الدخل، ومتدنية الدخل نسبياً." ونوهت الوكالة الأممية إلى أن " ألمانيا تسلمت أكبر عدد من طلبات اللجوء، بعدما وُصفت بأنها الدولة المستعدة لاستقبال اللاجئين." ووصل أكثر من مليون لأجيء إلى أوروبا عبر البحر خلال سنة 2015، تبعاً للمنظمة الدولية للهجرة.

الجوع ونقص التغذية Hunger and undernutrition

هناك 795 مليون شخص في العالم يعانون من نقص التغذية سنة 2017 ، وهذا يعني أن واحداً من بين كل ستة أشخاص تقريباً لا يحصل على ما يكفي من الغذاء للتمتع بصحة جيدة وحياة نشطة. والجوع وسوء التغذية هما في واقع الأمر الخطر الأول الذي يهدد صحة الإنسان في جميع أنحاء العالم وهو أشد خطراً من أمراض الإيدز والملاريا والسل مجتمعة .

ومن بين المسببات الرئيسة للجوع الكوارث الطبيعية، والصراعات، والفقر، وضعف البنية التحتية الزراعية، والاستغلال المفرط للبيئة. وفي الآونة الأخيرة، دفعت الأزمات المالية والاقتصادية المزيد من الأشخاص للوقوع في شرك الجوع.

وبالإضافة إلى الجوع الذي يتمثل في معدة فارغة، هناك أيضاً جوع من نوع آخر هو الجوع الخفي الناتج عن نقص بعض العناصر الغذائية الأساسية (المغذيات الدقيقة) ويؤدي ذلك إلى جعل الشخص عرضة للأمراض المعدية ويتأثر نموه الجسدي والعقلي، كما يقلل من إنتاجية العمل ويزيد من خطر الوفاة المبكرة.

ولا يؤثر الجوع فقط على الفرد، بل يفرض أيضاً عبئاً اقتصادياً هائلاً على العالم النامي حيث يقدر الاقتصاديون أن كل طفل يعاني من ضعف النمو الجسدي والعقلي بسبب الجوع وسوء التغذية يتعرض لخسارة 5–10% من دخله المكتسب على مدى عمره .

ويتصدر قائمة الأهداف الإنمائية للألفية التي وضعتها الأمم المتحدة للقرن الحادي والعشرين خفض نسبة الجوعى في العالم بمقدار النصف. ففي حين أنه تم إحراز تقدم جيد

في الحد من الجوع المزمن خلال مدة الثمانينيات، والنصف الأول من التسعينيات، عاد الجوع ليزداد مرة أخرى ببطء ولكن باطراد خلال العقد الماضي 2000–2010 ،في الهند مثلا يموت يوميا 5000 طفل تحت سن الخامسة بسبب سوء التغذية.

إحصاءات عن الجوع في العالم

1–هناك نحو 795 مليون شخص في العالم لا يجدون طعاماً كافياً للتمتع بحياة صحية نشطة، أي ما يعادل حوالي واحد من كل تسعة أشخاص في العالم[1].

2–يعيش الأغلبية العظمى من الجياع في العالم في البلدان النامية حيث يعاني 12.9 % من السكان من نقص التغذية .

3– تضم قارة آسيا أكبر عدد من الجياع في العالم، ثلثي العدد الإجمالي. لقد انخفضت النسبة في جنوب آسيا في السنوات الأخيرة، ولكنها ارتفعت قليلاً في غرب آسيا.

4–يوجد في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أعلى معدل لانتشار الجوع (بالمقارنة بعدد السكان) حيث يعاني واحد من كل أربعة أشخاص من نقص التغذية.

5–يتسبب سوء التغذية في حوالي نصف عدد حالات الوفيات (45%) بين الأطفال دون سن الخامسة – أي حوالي 3.1 مليون حالة وفاة كل سنة[2].

6–يعاني واحد من كل ستة أطفال – حوالي 100 مليون طفل– في البلدان النامية من نقص الوزن[3].

7–يعاني واحد من كل أربعة أطفال في العالم من التقزم. وقد ترتفع هذه النسبة في البلدان النامية إلى واحد من كل ثلاثة أطفال [4] .

8–إذا توفرت الموارد اللازمة للمزارعات من النساء مثلما هي متوفرة للرجال، يمكن خفض عدد الجياع في العالم بحوالي 150 مليون شخص.

9–هناك 66 مليون طفل في سن المدرسة الابتدائية في البلدان النامية يحضرون إلى الفصول وهم جوعى، 23 مليون منهم في قارة أفريقيا وحدها.

10–تشير تقديرات برنامج الأغذية العالمي إلى ضرورة توفير 3.2 مليار دولار أمريكي كل عام لتغذية 66 مليون طفل جائع في سن المدرسة [5] .

بالمقابل عندنا في الوطن العربي تجري أمور اغرب من الخيال نقتطف جزء يسير منها، إذ كلف فستان الفنانة الإماراتية أحلام في نهائي برنامج "آرب أيدول" مليون و 300 ألف

دولار، وتاجر إماراتي ثريّ يعجب بالمشتركة المغربية فيصوّت لها بالرسائل النصيّة بقيمة 850 ألف دولار وعبد الله بالخير يمتدح "شكل" المشتركة المصرية التي "تمتلك شكل جميل" فيصوّت لها بقيمة مليون دولار.! واشترى شاب من الخليج بمبلغ 500 ضعف ثمن الآيباد الجديد ليكون أول من يقتنيه في العالم بقيمة 300 ألف دولار .

20مليون صوت مصري و10 مليون صوت مغربي و جزائري وتونسيو 10 مليون صوت من باقي الدول العربية ،المجموع :40 مليون صوت في الحلقة الاخيره في أراب أيدول ،وإذا كان الصوت بدولار واحد هذا يعني 40 مليون دولار كفيلة بإنهاء مجاعة الصومال ، و مشكلة كهرباء غزة ،و إغراق سوريا بالمساعدات الإنسانية ، و28% تحت خط الفقر في لبنان، و حل مشكلة 3 مليون طفل شارع بمصر ، و 60 % تحت خط الفقر في غزّة والـــــــــــــــــــــــــــــــيمن و و و . . الـــخ

يامة ضحكت من جهلها الأمم.

عمالة الأطفال

هناك 250 مليون طفل في العالم المتخلف لا يذهبون إلى المدرسة ،في الهند وحدها 14 مليون طفل لا يذهب إلى المدرسة ، هناك 115 مليون طفل يعملون منهم واحد من كل عشرة أطفال يعملون في أماكن غير مهيأة ليعمل فيها أطفال لسبب أو لآخر. في بوليفيا أقيمت مظاهرة ضد الحكومة لأنها منعت الأطفال من الذهاب إلى العمل لماذا ؟ لان الأسر البوليفية بحاجة إلى عمالة أطفالهم لكي يعيلوا أسرهم الناتج عن الفقر بسبب سوء تخطيط الحكومة أو جهلها باتخاذ الإجراءات اللازمة لحفظ كرامة مواطنيها .

ولأجل حل المشكلة في البرازيل مثلا قامت الحكومة بإعطاء مبلغ 15 دولار للطفل الذي لا يعمل بحيث انخفضت العمالة في البرازيل إلى 40% بين سنة 1900 إلى سنة 2004.

العشوائيات Slums

يعد السكن العشوائي Random housing واحدا من اكبر التحديات في العالم إلى جانب الفساد Corruption !!والعشوائيات هو أن يسكن الناس في أماكن خالية من الخدمات والإحسان وبعيدة عن حقوق الإنسان،في الستينات كانت المكسيك من أكثر الدول معاناة للسكن العشوائي فاتجهوا نحو البناء العمودي ونقلوا إليه سكان العشوائيات ثم أقاموا مكانها عمارات جديدة وهكذا بحيث تبني المكسيك سنويا 600000 وحدة سكنية.

يموت سنويا مليون ونصف طفل بسبب أمور لها علاقة بالصرف الصحي أي كل 20 ثانية يموت طفل لهذا السبب. يقطن العشوائيات حول العالم مليار نسمة وان لم تعالج العشوائيات فانه في سنة 2050 يصبح سكان العالم 9 مليار ،عدد السكان في المدن يصبح 6 مليارات، بالتالي يصبح عدد سكان العشوائيات 3 مليار أي نصف عدد سكان المدن. تعد الهند بحق عاصمة العشوائيات في العالم لا سيما في مومباي Mumbai إذ يوجد فيها اكبر عشوائية في آسيا يسكنها مليون نسمة.

في مومباي هناك ما يسمى الحمامات الطائرة ولا سيما في البيوت التي لا يوجد فيها حمامات(مرافق صحي)، وهي أن الفرد يقوم بقضاء حاجته في كيس ثم يلقيه في النهر ليأخذه إلى المحيط الهندي ثم إلى العالم اجمع.

أن واحدة من أعظم اختراعات البشرية في مجال الصحة في تاريخ البشرية في ال200 الأخيرة هو المرافق الصحي Health facilities الذي أنقذ ملايين البشر من الأمراض، حتى يتساوى مع أهمية اختراع التخدير في العمليات، بحيث أن الفرق بين وجود المرافق الصحي من عدمه في منطقة ما يزيد من عمر الإنسان 20 سنة . فالحضارة Civilization هي المسافة التي يضعها الإنسان بينه وبين فضلاته أي كلما كانت فضلاتك بعيدة عنك يعني أن حضارتك ارقي.

هدر الغذاء

يذهب 25 % من الأكل في البيوت هدرا في الدول النامية ،أما في المصانع فان 6% هي نسبة الهدر ، ونسبة الهدر في السوبر ماركت بلغت 8% ،وفي المطاعم 15% منها يذهب هدرا، النتيجة 750 طن لو جمعت قيمة ما يهدر يبلغ بليون دولار ،هذه الكميات تكفي لتغذية 32 دولة في العالم مهدد بنقص الغذاء. بينما مخلفات الأكل بالأطنان في العالم ترمى على المزابل .

في مدينة بريستولي Bristol (بريطانيا) يتم إعادة تدوير الغذاء الزائد عن الحاجة، إذ يقومون بجمع الأكل الزائد من مليون منزل يتم جمع 40 ألف طن من الطعام المهدر سنويا لينتج 12 جيجا واط من الطاقة ليغذي 4000 منزل بالكهرباء سنويا من الطعام الزائد.وفي

بعض الدول الأوروبية تغرم الزبون الذي يطلب طعاما أكثر من حاجته وتعتبره تعديا على حقوق الآخرين الذي قد يكونون بحاجة إليها ، وهذا تطبيق كامل لمنهج الإسلام عندهم.

المعمل الذي يقوم بتدوير الفضلات لتحويلها إلى طاقة هي نفس عملية الحصول على البترول من مخلفات المخلوقات، الفرق أن هذا المعمل يحولها سريعا بينما البترول تحت الأرض يأخذ آلاف السنين لينتج لنا البترول.

يخرج الحي من الميت تنطبق على بقايا الطعام حينما تتحول إلى سماد يغذي التربة ليخرج منه النبات الحي وبالتالي الحفاظ على البيئة لنا وللأجيال القادمة، إذن هم يطبقون الآيات القرآنية ونحن أصحابها غافلون عنها. أما المجاري فينتج منها 10000 طن من السماد للتربة على مستوى المدينة الواحدة،هذه تقوم بها شركات يشترك معها الجماهير وليس الحكومة أي انه جزء من ثقافة مجتمع في بريطانيا .

الفقر المائي العربي

تتوزع المياه في الطبيعة كالآتي: 97% من المياه مالحة و2% مثلجة و1% عذبة وهذا ما يدعونا إلى الاهتمام بتقنين المياه في استخدامنا لها. إذ أن 75% من الدول العربية تعيش تحت خط الفقر المائي الذي يعني أن الموارد المائية لا تكفي لاستخدامات سكان البلد. في عام 1955 كان هناك 3 دول عربية تعيش تحت خط الفقر المائي، أصبح في سنة 2000 (11) دولة عربية وفي سنة 2025 سيصبح 19 دولة تحت خط الفقر .

تحول إسرائيل 98% من نهر الأردن إليها ،فضلا عن مأساة انهار دجلة والفرات والنيل لأنها تتبع من دول خارج حدود الوطن العربي.وبالتالي فان مصيرنا المائي مرتبط مع مستوى علاقاتنا مع تلك الدول .

هناك مشروع في الأردن يحول مياه الوضوء في مسجد واحد اسمه أبو عبيده (مليونين لتر من الماء)لإغراض الري لإرواء آلاف الدونمات .فكيف إذا تم تحويل مياه مئات الألوف من المساجد في دولنا.

يكلف صناعة الحذاء الواحد 8000 لتر من الماء في صناعته، ورقة عادية تحتاج 10 لتر من الماء، التمرة الواحدة تحتاج 50 لتر ماء لكي تنمو ،أما الجوال يحتاج1200 لتر من الماء لصناعته.لا يوجد منتج صنعه البشر دون أن يكون الماء عنصرا من عناصره

،المرحاض العادي بمجرد فتحه يصرف 6 لتر من الماء ،بالتالي تلوث الماء يؤدي إلى مقتل 4 مليون إنسان سنويا ،وان الحروب القادمة يكون الماء محورها الرئيسي .

مصادر ومراجع الفصل السابع:

1- تقرير حالة انعدام الأمن الغذائي ،منظمة الأغذية والزراعة (الفاو).

2- سلسلة عن التغذية خاصة بالأم والطفل Series on Maternal and Child Nutrition ,The Lsncet,2013.

3- منظمة الصحة العالمية .Global healthObservatory,2012

4- منظمة الصحة العالمية Prevalence and Trends of Stunting among Children.

5- منظمة الأغذية والزراعة ، المرأة في قطاع الزراعة ،سد الفجوة بين الجنسين من اجل التنمية ،2011.

نبذة عن المؤلف:

*الأستاذ الدكتور محمد صالح ربيع

*تولد: 1960 بغداد.

*شهادة البكالوريوس من كلية الآداب جامعة بغداد عام 1983.

* شهادة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد عام 1989.

* شهادة الدكتوراه من كلية التربية جامعة المستنصرية عام 1995 .

*حصل على لقب أستاذ (professor)عام 2006.

*نشر للمؤلف الكتب الآتية:

1- الخدمات الصحية في مدينة بغداد ،رسالة ماجستير 1989 بغداد. كلية الآداب –جامعة بغداد.

2- التحليل المكاني لاستعمالات الأرض لأغراض النقل في مدينة بغداد ،1995 أطروحة الدكتوراه كلية التربية الجامعة المستنصرية.

3-دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة في الجغرافية السياسية، أبو ظبي، مركز الدراسات الاستراتيجية ،2000.

4-مدن الموانئ العربية تحليل جيواستراتيجي،بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة ، 2001.

5-ظاهرة الفقر في الوطن العربي الواقع والأسباب والنتائج، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ،2007.

6-طرائق التفكير العلمي ،بغداد ، دار الكتاب ،2009.

7- جغرافية المدن ، بغداد، دار الكتاب ،2010.

8-معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية(الجزء الأول) ،عمان ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،2012.

9- معجم المصطلحات والمفاهيم الجغرافية(الجزء الثاني) ،عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع ،2012.

10- التعليم العالي في الوطن العربي –الواقع والاستراتيجيات-،عمان، دار صفاء ،2012 .

11- مثلث الرعب العالمي -الجهل –، عمان، دار مجدلاوي ،2013.

12-مثلث الرعب العالمي–الجريمة-، عمان، دار مجدلاوي ،2013.

13-مثلث الرعب العالمي -الإرهاب، عمان، دار مجدلاوي ،2013.

14-استراحة الأذهان في غرائب علم المكان ،بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ،2015.

15- جغرافية النقل الحضري –مبادئ وأسس- عمان ،دار مجدلاوي ،2016.

16- المدن الذكية – خصائصها-توزيعها- وظائفها، بغداد ،دار الآداب للنشر،2017.

17- المدينة العربية تطور في المشكلات وتراجع في الخدمات ،عمان ،دار مجدلاوي للنشر،2018.

*كتب 63 بحثا منشوراً ضمن اختصاصه في الجغرافية منها 17 بحثاً في مجلات عربية .

*شارك في 15 مؤتمراً علمياً وندوة علمية داخل العراق وخارجه .

*أشرف وناقش العشرات من اطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير.

*عضواً في العديد من اللجان العلمية والامتحانية في كلية التربية ورئيس اللجنة العلمية لقسم الجغرافية .

*عضواً في الجمعية الجغرافية العراقية .